



التطرف والعنف في الفكر اليهودي

«دراسة مقارنة»



مركز الإعلام العربي



200 شــارع الهـــرم - الجيـــزة - مصـــر
ت :202/3833361 - 202/3844422 - 202/3833198
التـــوزيع : 202/7445455 - ف :202/3851751
العنوان البريدي : ص . ب 93 الهرم-الجيزة- مصر
البريد الإلكترونى : E.mail:media-c@ie-eg.com
الموقع على شبكة الإنترنت :
www.Resalah4u.com



بسم الله الرحمن الرحيم

د. مجدي عبد الله أبو عويمر

التطرف والعنف في الفكر اليهودي

«دراسة مقارنة»





سلسلة: رسائل علمية (٤)

رئيس التحرير:

صلاح عبد المقصود

الإخراج الفني:

رباب حجازي

تصميم الغلاف:

إبراهيم نور

الطبعة الأولى

(١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)



• الكتاب:

التطرف والعنف في الفكر اليهودي

• المؤلف: د. مجدي عبد الله ابو

• السلسلة: رسائل

• قياس الصفحة: (١٧ × ٢٤).

• رقم الإيداع: (٢٠٠٧/٢١١٢٤).

• الترقيم الدولي: (٧- ١٧٤- ٣٦٧- ٩٧٧).

مركز الإعلام العربي

ص. ب: ٩٣ الهرم - الجيزة - مصر

• هاتف: ٠٠٢٠٢/٣٧٨١١١٩٣ - ٠٠٢٠٢/٣٧٨١١١٩٤ ٠٠٢/٠١٠٠٠٢٧٠٤٤

• فاكس: ٠٠٢٠٢/٣٧٨١١١٩٥

• التوزيع: ٠٠٢٠٢/٣٧٤٤٥٤٥٥ - ٠٠٢/٠١٠٠٠٢٧٠٢٥

• البريد الإلكتروني: mediacenter55@hotmail.com

ابو عويمر، مجدي عبد الله
التطرف والعنف في الفكر اليهودي، دراسة مقارنة/ مجدي عبد الله ابو عويمر .- الجيزة: مركز الإعلام العربي، ٢٠٠٧م.
٤٨٦ص؛ ١٧اسم .- (رسائل علمية). تدمك ٧ ١٧٤ ٣٦٧ ٩٧٧
١- الصهيونية واليهودية ٢- التطرف ٣- العنف
أ- العنوان
٣٢٠٫٥٤

بسم الله الرحمن الرحيم



﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾

(البقرة ٧٤)

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

(المائدة ٧٧)



إهـــداء

إلى ضحايا التطرف والعنف الصهيوني في كل مكان..

إلى شهداء فلسطين وجرحاها الذين يرسمون بدمائهم الزكية طريق النصر والتحرير..

إلى المعتقلين الصامدين كالطود الشامخ في السجون الصهيونية وأقبيتها النازية..

إلى المعذبين الصابرين والمجاهدين المرابطين على ثرى فلسطين الحبيبة في مواجهة الحقد الصهيوني..

إلى روح والدي الحبيب برًا وإحسانًا إليه، أسأل الله تعالى له الرحمة والمغفرة..

إلى والدتي الصابرة المحتسبة في فلسطين المغتصبة، التي ما زالت تقاسي آلام الفرقة، أمدَّ الله في عمرها بالصالحات، وأنعم عليها بالصحة والعافية وحسن الختام..

إلى إخواني وأخواتي، وأخص منهم الأستاذ أبا عماد جهاد والأستاذ أبا محمد أحمد حبًا وتقديرًا واعترافًا بفضلهما بعد الله عليَّ..

إلى الإخلاص والوفاء، الزوجة الصاحبة في درب الحياة (أم عبيدة) التي أعطت وتحملت وصبرت.

وإلى فلذات كبدي، أحبائي: عبيدة وياسر وأبرار وطارق الذين ضحوا بالكثير من حقوقهم من أجلي.

لا خيل عندك تهديها ولا مال... فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

إلى جميع هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع...

مجـــدي

مقدمة الناشر

بينما تُلصق تهمة الإرهاب والعنف والتطرف بالإسلام، ويجند الإعلام الغربي أبواقه لترويج تلك الفرية، وتتبارى الدول الغربية في عقد المؤتمرات والندوات التي تناقش ظاهرة الإرهاب العالمي، زاعمة أنه ذو أصول إسلامية، وتستغل بعض الحوادث الفردية لإثبات الاتهام المزعوم، بينما يحدث كل ذلك.. تتغافل عين الإعلام الغربي، وأحيانًا العربي عن المتطرفين الحقيقيين، عمن توارثوا عقيدة العنف، وجسد تاريخهم وحاضرهم أبشع صور الإرهاب، واحتشدت وثائقهم بالعبارات والأقوال التي تثبت انتهاجهم لأيديولوجية منحازة، ولا تقيم وزنًا لغير مصالحهم.

هؤلاء هم «اليهود» الذين تلوثت أيديهم على مدار التاريخ بالدماء المسيحية والمسلمة معًا، وحَفَلَ تلمودهم بكافة مظاهر تحقير «الأغيار» واستباحتهم، وقبل كل ذلك.. رسم القرآن الكريم أوضح صورة لوجههم الكريه، وكشف مكنونات صدورهم التي لا تحمل للإسلام والمسلمين سوى الحقد والكيد.

وفضلاً عن حاضر اليهود الذي يفضح تطرفهم وعنفهم وعدم اكتراثهم بأية مواثيق أو عهود، وتبجحهم الذي يواجهون به العالم، فإن تاريخهم القديم لا يخلو من أبشع مظاهر العنف وسفك الدماء، ليس ضد غيرهم من أصحاب العقائد الأخرى فقط، بل ضد أنبياء الله أنفسهم، فهم الذين قتلوا سيدنا يحيى (عليه السلام) بإيعاز الداعرة «سالومي»، وهم الذين تآمروا على سيدنا عيسى (عليه السلام) لقتله، لولا أن أنجاه الله (عز وجل)، وهم الذين خانوا الرسول ( ) ونقضوا عهودهم معه، وتآمرت إحدى نسائهم عليه لقتله بالسم.



إنه تاريخ قانٍ.. وحاضر دموي.. ومستقبل سيمتد فيه العنف إلى أن يقيض الله لليهود «رجالاً أولي بأس شديد»، ليس بقوتهم الجسدية فقط، بل بالوعي وقوة المعرفة أيضًا، ومن هذا المنطلق تتضح أهمية دراسة الفكر اليهودي، وتحليل الوثائق التي تجلوه، وتوضح معالمه؛ من أجل التعامل مع هذا الكيان بوعي وفطنة ويقظة.. وكشف مخططاته وإبطالها، ودحض مزاعمه التي يدفع بها إلى الإعلام الغربي الذي يروجها بدوره، فيما ينتصر للفكر اليهودي، ويدافع عنه، وينتحل الأعذار لكل ممارساته الدموية المتطرفة.

ولتحقيق قوة المعرفة - فضلاً عن أهداف أخرى، مثل حفظ الذاكرة الإسلامية من نسيان جرائم اليهود البشعة - وسد ثغرة قلة البحوث العلمية في هذا الصدد، وممارسة الجهاد بالقلم؛ حتى يتمكن المسلمون من عدوهم، والأهم من ذلك إثبات ما أقره القرآن الكريم من طبيعة اليهود العدوانية المتطرفة...

من أجل هذه الأهداف بذل الباحث الأستاذ مجدي عبد الله أبو عويمر جهدًا مشكورًا لإعداد أطروحة حول «التطرف والعنف في الفكر اليهودي»، نال بها درجة الدكتوراه في مقارنة الأديان، من كلية العلوم الإسلامية بجامعة بغداد، يَشْرُفُ مركز الإعلام العربي بنشرها، مشاركة في مسيرة الجهاد المعرفي، وإيقاظ الوعي الإسلامي بقضايا الأمة وحقيقة أعدائها.

مركز الإعلام العربي

تقديم

لقد تميز الفكر اليهودي بسماتٍ خسيسةٍ متعددة، منها: الجشع والكذب ونقض العهود، والتآمر وإثارة الفتن ونشر الفساد، بما يقض مضاجع من يتعامل معهم من العباد. هذا فضلاً عن التعصب العرقي المقيت، والعنصرية القومية البشعة، والادعاء السخيف بأنهم "شعب الله المختار".

بيد أن التطرف بالحقد الشديد، وسفك الدماء، وعشق العداء والاعتداء، هو السمة الأبرز في سلوكهم بين جميع تلك السمات، إذ إنَّ سفك دماء الأطفال والنساء والشيوخ - عندهم - متعة لا تضاهيها متعة أخرى.

فيا لهذه الجبلة العجيبة، كيف يصل الحقد بهم إلى هذه الدرجة؟ ولا غرابة في ذلك، فإن هذه الروح العدوانية، تستمد من نصوص كتبهم المقدسة.

إذن؛ فالتطرف والعنف منهج أصيل في الكتب التي ينسبون إليها التقديس. ففي التوراة والتلمود دعوة واضحة إلى ذلك. فضلاً عما فيهما من تعصب وعنصرية. والذي يزيد طين القوم بِلّةً، ومريضهم عِلّة، أنَّ هذه النصوص التوراتية، التي تغذي الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية الحيوانية، تدرس في المدارس اليهودية.

وانطلاقًا من ذلك، فقد مارس اليهود مع البشر خلال التاريخ، ممارسات دموية عجيبة، مما ينمُّ عن تشربهم العميق لتلك النصوص الرهيبة. ومن عجب أن يغض كثير من البشر من أبصارهم عن انحرافات اليهود، والتياث أفكارهم، حتى ذاقوا ويلات ممارساتهم، واكتووا بنارهم.

فالله - عند القوم - منحاز لهم، ولا يعمل إلا لمصلحتهم، وطاعتهم له تقتضي إلحاق الأذى بالشعوب الأخرى. وهو يعمل كالبشر، ويتعب كالبشر، خلق السماوات والأرض في ستة أيام، واستراح في اليوم السابع، مما أصابه من الإرهاق. تعالى الله عما يقول القوم علوًا كبيرًا. وصدق - سبحانه وتعالى - حين قال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (سورة ق، الآية: ٣٨ - واللغوب هو التعب والإرهاق).

وإذا كان القوم قد وصلوا في التوراة بجلال الله إلى هذه الدرجة من السفه والسقوط، فهم قد وصلوا في التلمود إلى ما هو أشدُّ سفاهةً وأعمق سُقوطًا. فالله - في التلمود - "يستشير الحاخامات على الأرض حين توجد معضلة لا يستطيع حلها في السماء".

بل إن في التلمود ما هو أبشع من ذلك وأشنع، فقد وقع خلاف بين الله وعلماء اليهود، حول أمر من الأمور، ولما طال الجدل دون الوصول إلى حل، أُحيل الأمر إلى أحد الحاخامات، ورضي الطرفان حكمه، فحكم بخطأ الإله - جل شأن الله - واضطر الإله نتيجة لذلك أن يعترف بما صدر عنه من خطأ.

إن هذا السفه، وهذا التجرؤ على رب العالمين، لا يُفسر إلا بأن هذه النصوص، ما هي إلا مجموعة من الأكاذيب الملفقة بأيدي حثالة من جند الشياطين.

أما الأنبياء (عليهم السلام)، فلا يكاد ينجو واحد منهم من سوء أدب اليهود، وتطاولهم على مقامه، لا موسى ولا هارون، ولا الذين جاءوا قبلهما، كآدم وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ولا حتى الذين جاءوا بعدهما، كداود وسليمان وعيسى ومحمد، عليهم جميعًا أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وبالرغم من الأهمية القصوى لموضوع تطرف اليهود، والحاجة الماسة إلى سبر أغواره، وكشف أسراره، حتى يتقي الناس ضَرَّه، ويأمنوا شرَّه، إلاَّ أننا لا نكاد نجد من الباحثين الكرام مَنْ يُميطُ عنه اللثام، بمثل هذا الذي قام به الدكتور مجدي أبو عويمر، فقد كشف عن أسراره القناع، وكان فيه - دون الآخرين - طويل الباع. لقد بسط القول فيه، وجلَّى للقارئ مختلف نواحيه. لقد كان علمًا فيه دون سواه، ونال ببحثه فيه درجة الدكتوراه.

كان أول ما فعل الباحث الكريم، أن بسط القول في معاني التطرف والعنف والإرهاب والتعصب والعنصرية، وذلك من بدء التاريخ إلى يومنا هذا. ثم بسط القول في تطرف اليهود مع الأنبياء والمرسلين، ومع خلق الله أجمعين.

ثم بيَّن نمطًا من التحريفات التي ألحقوها بالتوراة، وجعلوا ذلك من وحي الله - تعالى الله عن تلك الترّهات - وقد أسهب الباحث في الحديث عن افتراءات اليهود منذ أقدم العهود، وذلك فيما يسمى بالتلمود.

ولم يغب عن الباحث أن يفصِّل الحديث في أنماط التطرف عند القوم، وأنماط تطاولهم على مقام رب العالمين. كما لم يغب عنه أن يضرب أمثلة من التاريخ، لما مارسوه من جرائم، واجترحوه من جرائر، انطلاقًا من طبائعهم الفجة، وتنفيذًا لاعتقاداتهم المعوجة.

فشكرًا له منَّا على بحثه هذا، وجزاه الله عنه خير الجزاء، وهنيئًا لإخوانه وتلاميذه وجميع القراء. سائلين الله أن يبعث منهم من يواصل هذه الحلقات المهمة، في سلسلة هذا التطرف والعنف اليهوديين، خدمة للإسلام والمسلمين، بل وللناس أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

كتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى:

د/ محمد الشيخ محمود صيام

القائم بأعمال رئيس الجامعة الإسلامية بغزة،
وخطيب المسجد الأقصى المبارك (سابقًا)



مقدمة المؤلف

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسل الله، وعلى خاتمهم محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد..

ليس غريبًا أن تنال أيدي اليهود والمشركين من المسلمين في كل بقاع الأرض، وأن يصبح المسلمون ضحايا التطرف اليهودي على مر التاريخ، لكن الغريب والعجيب أن تلصق هذه التهمة (التطرف) بالمسلمين - حملة راية الإسلام الحنيف - ويبرأ اليهود منها.

إن قضية التطرف اليهودي المنحدرة من أصل وجودهم بقتلهم الأنبياء وسبهم للرسل وعدائهم للرسالات السماوية وإيقاعهم بين شعوب الأرض، أ . - اليوم من أهم ما يشغل بال المسلمين والغيورين على دماء الأبرياء ووحدة صف المسلمين، المهدد بنيران التطرف المدمرة التي نتابع كل يوم اصطلاء الكثيرين بها، سواء ما كان على يد يهود في فلسطين المحتلة أو خارجها، أو ما تعانيه الأقليات الإسلامية في مختلف دول العالم بدءًا بالبلقان، ومرورًا بالهند والفلبين، وانتهاءً بالدول التي ترفع شعار الديموقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان كأمريكا وروسيا وبريطانيا... وغيرها، والتي يذكي نيران التطرف والحقد فيها يهود العالم.

إنه من المحزن والمؤلم جدًا أن يُجرّ المسلمون ويُذبّحوا ذبح الخراف، ويُشرّدوا من ديارهم، وتُنتهك أعراضهم وتُصادر حقوقهم بتخطيط وتدبير من يهود، ثم يتسابق البعض من المسلمين لمد يد السلام إليهم، والارتماء في أحضانهم متجاهلين قول الله تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا... ﴾ (المائدة: ٨٢).

وإيمانًا بخطورة تلك الظاهرة على مستقبل المسلمين في العالم أجمع؛ أقدمت على تكوين رؤية علمية لظاهرة التطرف والعنف في الفكر اليهودي من خلال دراسة جذور وأبعاد ومظاهر تلك الظاهرة، مستعينًا بالله أولاً، ثم بالبحث المنهجي الدقيق، باستقراء التاريخ وتحليل النصوص، ملتزمًا الدقة والأمانة والموضوعية، سائلاً المولى - سبحانه - التوفيق والتيسير.

وقد كان لاختياري هذا الموضوع الموسوم بـ (تطرف اليهود وعنفهم في الفكر اليهودي والقرآن الكريم)، ثم اختصاره إلى (التطرف والعنف في الفكر اليهودي - دراسة مقارنة) مسوغات ودوافع أجملها فيما يأتي:-

مسو تا ر الموضوع:

١) الرغبة في كشف القناع عن حقيقة يهود، وعن مدى تطرفهم، وأسباب غطرستهم وحقدهم، وإظهار عنفهم وإرهابهم ضد الآخرين في هذا الوقت الذي باتوا يقنعون فيه العالم بأنهم محبون للسلام، عن طريق التظاهر بالحرص عليه، والله تعالى يحذرنا بقوله: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ.. ﴾ (البقرة: ١٢٠).

٢) لئلا ينسى المسلمون جرائم اليهود البشعة والمتلاحقة، ولكي يحذروا من خطورة تطرفهم وعنصريتهم المقيتة، مهما تظاهروا بالحرص على التعايش بسلام ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران: ٧٥)

٣) قلة البحوث العلمية في هذا الموضوع، وأن هذه القلة ما زالت مبعثرة بين صفحات الكتب وأعمدة الصحف وزوايا المجلات، وهي بحاجة ماسة لجهود الباحثين ليلموا شعثها، ويجمعوا شتاتها، ويخرجوها للناس على أحسن وجه.

٤) الحرص على الإسهام في المسيرة الجهادية بالقلم واللسان إلى أن يمكننا الله من عدونا؛ إذ إن الجهاد بالقلم واللسان في هذا الزمان لا يقل أهمية عن الجهاد بالنفس والمال ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت: ٦٩)

٥) لإثبات ما أكده القرآن الكريم على طبيعة اليهود العدوانية المتطرفة.

٦) الرغبة في تقديم شيء نافع ومفيد لطلبة العلم والباحثين خاصة، والمكتبات والمؤسسات العلمية عامة.

فهذا البحث ليس أكثر من محاولة أو خطوة على الطريق للوصول إلى النبع وإظهار الحق، وإماطة اللثام عن اليهود اللثام، وليس ذلك إلا بعون الله وتوفيقه ﴿ **وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾ (هود: ٨٨)

أهميــــة الموضــــوع:

تنبع أهمية الموضوع من خلال تخصيص القرآن الكريم آيات كثيرة للحديث عن اليهود وتطرفهم في دينهم وعنفهم ضد أنبيائهم ووصفهم بأنهم أعدى أعداء هذه الأمة.

وتنبع كذلك أهمية الموضوع من خلال تحذير النبي ﷺ منهم، وتأكيده على أبدية المعركة معهم، ومواصلة الجهاد ضدهم إلى يوم القيامة، لأنهم هم سبب إشعال الحروب في كل مرة رغبة منهم في ثني المسلمين عن دينهم، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا** ﴾(البقرة، الآية: ٢١٧).

كما تنبع أهميته من ضرورة فهمنا لطبيعة اليهود، ودور الباحثين في إجلاء حقيقتهم وبيان جرائمهم وعنفهم على مر التاريخ من باب: اعرف عدوك تأمن مكره.

الدراسات السابقة:

في حدود اطلاعي المتواضع لم أعثر على دراسة علمية جمعت جوانب الموضوع على وجه الخصوص، وبشكل يكاد يكون متكاملاً للتطرف والعنف في الفكر اليهودي؛ لذا كان اهتمامنا جاداً في جمع شتات هذا الموضوع؛ لما له من أهمية عند كثير من الناس الحريصين على معرفة حقيقة اليهود، أو الكشف عن طبيعتهم.

أما عن المؤلفات الأخرى التي تناولت بعض جوانب هذه الدراسة؛ فأهمها كتاب عبد الراضي محمد (التطرف اليهودي)، ويحتوي على تسعين صفحة من القطع

المتوسط، وهو مطبوع سنة ١٩٩٣م، وقد تعرّض فيه الكاتب إلى تطرف اليهود في الأنبياء والكتب المقدسة بشكل مختصر جداً، بالإضافة إلى أنه لم يتعرض إلى العديد من الموضوعات ذات الأهمية التي تخدم الموضوع بعنوانه المذكور بحيث يغطيه من جميع جوانبه ما أمكن ذلك.

ثم كانت هناك بعض الجهود التي تخدم بعض الموضوعات المتفرقة في هذا المجال، لكنها بعيدة عن صلب موضوعنا، وتكاد لا تمسه إلا من زوايا بسيطة، ومن ذلك ما كتبه كل من: حسين الطنطاوي (الصهيونية والعنف)، ورشاد الشامي (الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية)، وغازي السعدي (مجازر وممارسات)، وروهلنج (الكنز المرصود في قواعد التلمود)، وكتابات عبد الوهاب المسيري، ومحمد عزة دروزة، والدكتور صابر طعيمة، وغيرهم من الكتّاب الذين تناولوا الموضوع من أطرافه، وسيتم تثبيت كتبهم ضمن قائمة المراجع إن شاء الله تعالى.

منهج البحث:

اعتمدتُ في دراستي هذه على عدة مناهج تقتضيها طبيعة البحث، وهي:

- المنهج الاستقرائي: من خلال استقراء المصادر والمراجع التي تتحدث عن الموضوع في جوانبه المختلفة سواء ما كتبه اليهود أم غيرهم.
- المنهج التحليلي: وذلك بتحليل نصوص كتبهم المقدسة، والنصوص التي تستلزم التحليل من أقوال حاخاماتهم وزعمائهم ومشاهيرهم.
- المنهج التاريخي: متتبعًا ومستشهدًا بالوقائع التاريخية على مر عصور اليهود، ما أمكن ذلك.
- وبالإضافة إلى ذلك؛ فقد حرصت على عزو الآيات القرآنية إلى سورها مع بيان أرقامها.
- خرّجت الأحاديث النبوية من مظانها الأساسية.

- قمت بترجمة لبعض الأعلام من شخصيات ومدن وقرى ما أمكن ذلك، ولبعض المصطلحات الغريبة في هامش الصفحة التي يرد فيها ذلك.

- اعتمدتُ إحدى الطرق المتبعة في تدوين المراجع سواء في هوامش الصفحات أو قائمة المراجع، وذلك بذكر الاسم الأخير للمؤلف أولاً، أو ما يشتهر به، ثم بترتيبهم في قائمة المراجع حسب الحروف الهجائية، مع استبعاد ألفاظ (ابن، وبنت، وأبو، وأم وأل التعريف) عند الترتيب، ثم إن كان للمؤلف أكثر من كتاب عمدت في ترتيبها حسب الحروف الهجائية لعناوينها.

ولكي تكون دراستنا هذه أقرب ما تكون إلى واقع التطرف والعنف في الفكر اليهودي؛ فقد اخترت الموضوعات الرئيسية الآتية التي جعلتها في خمسة فصول مسبوقة بمقدمة ومنتهية بخاتمة، نحاول من خلالها معالجة موضوع بحثنا هذا، علمًا بأن معالجة هذا البحث كانت من النواحي الفكرية، وليست الفقهية أو التفسيرية، وهي على النحو الآتي:

- المقدمة: وفيها بيان لأهمية الموضوع ومسوغات اختياره، ثم الدراسات السابقة ومنهج الباحث.

- الفصل الأول: وفيه الحديث عن المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لمصطلحات التطرف والعنف والإرهاب والتعصب والعنصرية، وبيان بواعث التطرف ومظاهره. ثم تفصيل الحديث عن تسلسل أحداث التطرف والعنف اليهودي بداية من فجر تاريخهم إلى العهد الروماني وتشتيتهم بعد تدمير هيكلهم المزعوم.

- الفصل الثاني: جعلناه للحديث عن تطرف اليهود وعنفهم في التوراة والعهد القديم من خلال ما لعبته أيديهم أولاً من تحريف التوراة والأدلة على ذلك، ثم مظاهر التطرف الديني في التوراة، والذي يتمثل في تجرئهم على الله تعالى، وعلى رسله الكرام (عليهم السلام) وإنكارهم للبعث واليوم الآخر. ثم عن مظاهر التطرف السياسي في التوراة متجسدًا ذلك في عنصريتهم وصور غدرهم وقتلهم كما بينته التوراة وكتبهم المقدسة. ثم عن مظاهر التطرف الاجتماعي من خلال الحديث عن الجنس والربا في التوراة والعهد القديم.



- **الفصل الثالث:** خصصناه للحديث عن التطرف والعنف في التلمود وأقوال الحاخامات؛ حيث بينًا فيه أثر التلمود في التطرف اليهودي وأهميته عند اليهود، ثم دللنا على تطرف التلمود في تعاليمه ووصاياه، وما يخص العقيدة، ثم بينًا العنف التلمودي ضد المسيح والمسيحية، وفي نهاية الفصل تحدثنا عن دور الحاخامات في ظهور التطرف والعنف ومدى تمكن هذه الظاهرة من فكرهم وعقيدتهم.
- **الفصل الرابع:** جعلناه للتطرف والعنف الصهيوني في العصر الحديث حيث تدرًجنا فيه في بيان العنف الصهيوني في أوروبا، ثم الدولة العثمانية والعالم العربي، ثم العنف الصهيوني في فلسطين باعتبارها بؤرة الصراع العربي الصهيوني، وقد بينًا في هذا الفصل دور اليهود الخطير في الثورات العالمية الكبرى، ثم المؤامرة الصهيونية في هدم الخلافة العثمانية مع بيان أبرز مظاهر عنفهم في العالم العربي، ثم فصلنا الحديث عن العنف الصهيوني في حق الفلسطينيين؛ مبينين أهم المذابح التي ارتكبها اليهود واعتداءهم على الأشخاص والمقدسات في فلسطين.
- **الفصل الخامس:** وخصصناه لبيان العداء اليهودي للإسلام، ثم التأكيد القرآني على تطرفهم وعنفهم وتصوير القرآن الكريم لذلك، فقد شرحنا في هذا الفصل تآمر اليهود على الإسلام وعنفهم في حق الرسول محمد ﷺ والمسلمين أتباعه، ثم كيف صوَّر القرآن أقوالهم المتطرفة مؤكدًا على طبيعتهم المتكبرة. وقد جاءت نهاية الفصل لتتحدث عن نهاية اليهود ببيان العقوبات التي حلت بهم عند كل حادثة عدائية تصدر منهم، ثم ما يلاحقهم من لعنات وعقوبات إلى يوم القيامة بما يتناسب مع طبيعة تطرفهم وعنفهم.
- **أما الخاتمة:** ففيها بيان أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها.

ويستطيع القارئ التعرف على رؤوس الموضوعات والوصول إليها من خلال فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

التّطرُفْ والعنْفْ

مفاهيم المصطلح وجذوره عند اليهود

- المبحث الأول: ماهية التطرف والعنــف.
- المبحث الثاني: بواعث التطرف ومظاهره.
- المبحث الثالث: جذور التطرف اليهـودي.

المبحث الأول

ماهية التطرف والعنف

المطلب الأول: معنى التطرف ومفهومه في العصر الحديث

المعنى اللغوي[1]:

الطَّرْف، بالتسكين، هو طرف العين، وهو اسم جامع للبصر، لا يُثنّى ولا يُجمع، لأنه في الأصل مصدر، فيكون واحدًا، ويكون جماعة، قال تعالى: (لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) (إبراهيم: ٤٣).

الطرَف، بالتحريك: الناحية من النواحي، والجمع أطراف، وطرف كل شيء منتهاه، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ ﴾ (طه: ١٣٠)، قال الزجاج: "أطراف النهار الظهر والعصر". وقال أبو العباس: "أراد طرفيه فجمع". وقوله عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ (هود: ١١٤)، يعني الصلوات الخمس، فأحد

(١) يُنظر في التعريف اللغوي للتطرف: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (لسان العرب) ١١٦/١١ مادة (طرف)، والزبيدي، محمد مرتضى (تاج العروس) ٦٩/٢٤ مادة (طرف)، والفيروز ابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (القاموس المحيط) ١٦٦/٣ مادة (طرف).



طرفي النهار صلاة الصبح والطرف الآخر فيه صلاتا الظهر والعصر، أما صلاة المغرب والعشاء فهما (زلفًا من الليل).

والتطرف هو مصدر الفعل (تطرف)، وتطرف الشيء: صار طرفًا. قال الأصفهاني: طرف الشيء: جانبه، وتستعمل في الأجسام والأوقات وغيرها، والتطرف في اللغة معناه الوقوف في الطرف بعيدًا عن الوسط.

وأصل التطرف في الحسيات كالتطرف في الوقوف أو الجلوس أو المشي، ثم انتقل إلى المعنويات كالتطرف في الدين أو الفكر أو السلوك.

المفهوم الا حي للتطر :

يعرف في الاصطلاح بأنه مجاوزة الاعتدال في السلوك الديني فكرًا وعملاً، أو هو الخروج عن طريق الجادة والصواب، في فهم الدين وتلقي شرائعه والعمل به[1].

والتطرف مصطلحًا ليس له شواهد في الاستعمال قديمًا، ولذلك يعبر عنه في لسان الشرع بعدة ألفاظ منها: (الغلو)، و (التنطع)، و (التشدد)[2]، وهو ما أكدته النصوص الآتية:

- روى النسائي وابن ماجة في سننيهما عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنّ النبي قال: (إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين)[3]، والمراد بمن قبلنا: أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين نزل فيهم أيضًا قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧).

---

(١) محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص٧.

(٢) يُنظر: محمد، عبد الراضي: (التطرف اليهودي ص٧، الحيالي، رعد: (ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية) ص١١.

(٣) ابن ماجة (سنن ابن ماجة) ١٨٣/٢ كتاب المناسك باب قدر حصى الرمي حديث رقم ٣٠٦٤. ورواه النسائي في سننه عن أبي العالية، يُنظر: (سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي) ٢٦٨/٥ كتاب مناسك الحج باب التقاط الحصى.

- والغلو: مجاوزة القدر في كل شيء، وقال بعضهم غلوت في الأمر؛ إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه[1]، فالغلو: موقف مبالغ فيه يقفه إنسان من قضية عامة أو خاصة بشكل متطرف يتجاوز حدود المألوف والمعقول[2].

- ويروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (هلك المتنطعون) قالها ثلاثًا[3]. والمتنطعون هم المتقعرون في الكلام، المغالون في خوضهم فيما لا يعنيهم، وقيل: المغالون في عبادتهم.[4]

ومن الملاحظ أن الحديثين السابقين قد جعلا عاقبة (الغلو والتنطع) هو الهلاك، ويشمل هلاك الدين والدنيا، ولذلك كان من لوازم التطرف أنه أقرب إلى المهلكة والخطر، وأبعد عن الحماية والأمان، وفي هذا يقول الشاعر:

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت بها الحوادث حتى أ . - طرفـًا[5]

- وروى أبو يعلي في مسنده عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يقول: لا تشدّدوا على أنفسكم، فيشدد عليكم، فإن قومًا شددوا على أنفسهم، فشدد عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾[6] (الحديد: ٢٧).

فالتطرف الذي عُرف قديمًا بالتنطع والتشدد والغلو أصبح من المصطلحات الحديثة التي تسربت إلى الساحة الفكرية الإسلامية بقصد محاصرة وقتل الصحوة الإسلامية بما يتلاءم مع المخططات الصهيونية، والتي تهدف إلى الحيلولة دون صحوة المسلمين؛ بل ومحاولة اتهام كل من يحاول التمسك بالإسلام منهجًا للحياة بالتطرف؛ لأن

(١) ابن منظور (لسان العرب) ١٩/ ٣٦٨ مادة غلا فصل الغين حرف الواو والياء.
(٢) السامرائي، عبد الله سلوم: (الغلو والفرق والغالية) ص١٥.
(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده المتصل عن عبد الله بن مسعود: ينظر: (صحيح الإمام مسلم بشرح النووي) ٥٢٥/٥ كتاب العلم باب هلك المتنطعون، حديث رقم ٧.
(٤) الحيالي، رعد (ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية) ص١٢.
(٥) القرضاوي، يوسف (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) ص٢٤.
(٦) رواه أبو داود في سننه عن أنس بن مالك ينظر: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي.(عون المعبود شرح سنن أبي داود) تحقيق عبد الرحمن عثمان ١٣ / ٢٤٦ كتاب الأدب باب في الحسد حديث رقم ٤٨٨٣.



التطرف مصطلحًا - كما وضح ذلك بعض الكتّاب - ليس له جذور في اللغة العربية فهو غربي النشأة[1] إلا أنه عرف بالألفاظ التي بينّاها سابقًا (الغلو، التنطع، التشدد).

وهنا يقول الأستاذ رعد الحيالي: "نحن لا نعرف شيئًا اسمه التطرف الديني، ولكن نعرف شيئًا اسمه الغلو في الدين هذا من حيث اللغة، أما من حيث المفهوم؛ فإن المعنى المتبادر لمفهوم التطرف بدلاً من الغلو ينتج عنه فجوةً إن لم يكن عداءً بين عامة الناس وعلمائهم من جهة، وبين من يسمون بالمتطرفين من جهةٍ أخرى.

أما مصطلح الغلو فإنه لا يقصد منه خلق فجوة أو العداء أو نحو ذلك... بل إننا عندما نستعمل مصطلح الغلو - وهو مصطلح إسلامي - نريد منه الإصلاح والتحذير ومعالجة هذه الظاهرة والرفق بأصحابها والحرص عليهم"[2]. ولذلك أصبح أعداء الإسلام يطلقون على كل من يتمسك بدينه وسنة نبيه ﷺ بالمتعصب أو المتطرف أو الإرهابي أو الأصولي أو المتزمت أو..... إلخ؛ لأن هذه المصطلحات تعني عند الغرب العودة إلى ظلمات العصور الوسطى النصرانية؛ حيث نصوص الكتاب المقدس الجامدة وعصمة الباباوات وإرهاب الكنيسة التي مارسته باسم الدين قرونًا طويلة، والحقيقة أن عودة المسلمين إلى أصولهم ليست كما يتصور الغرب؛ لأنها عودة إلى العصور المضيئة والحضارة الإسلامية الزاهرة التي قادت العالم إلى العدالة والنور لا إلى الإرهاب والظلام والجمود.

وهنا يؤكد عبد الراضي محمد أن الإعلام نجح في إسقاط مضمون الكلمة بما يعنيه من ظلال وإيحاءات على التيارات والحركات الإسلامية الممثلة للصحوة المعاصرة، الرامية إلى التمسك بجوهر الإسلام، والرافضة لمحاولات الهيمنة والسيطرة الاستعمارية على مقدرات المسلمين، سواء كانت هيمنة صهيونية أم غربية، وذلك بالطبع دون إبراز الفارق الجوهري بين العودة إلى نور الهداية والحضارة الإسلامية الزاهرة، والعودة إلى ظلمات الجهل الذي لازم المسيحية في عصورها الوسطى.[3]

---

(١) الحيالي، رعد (ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية) ص١٢، محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص٧.

(٢) الحيالي، رعد (المرجع نفسه) ص١٢.

(٣) محمد، عبد الراضي (المرجع نفسه) ص٩.

فالغرب وأعداء الإسلام يرون في كل عودة إلى السلوك الحنيف تعصبًا وتزمتًا وظلامًا وتطرفًا، وقد انساق كثير من المسلمين خلف هذه الأفكار وأخذوا يرددونها بقصد وبغير قصد، والرسول ﷺ يقول: "إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدودًا فلا تعتدوها، وحرَّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها"[1].

وهذا يدل على أن النبي ﷺ قد نهى عن مجاوزة الحد وعن جميع الغلو في الاعتقادات والأقوال والأعمال، ولا سيما أن الله تعالى قد جعلنا أمة وسطًا ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة: ١٤٣)، ومما سبق يتضح معنى التطرف في الاصطلاح، وأختم هذا الجانب بما نستلهمه من شريعتنا الغراء عن الرؤية الواضحة لقضية التطرف؛ إذ إن التطرف في شريعتنا يعني المغالاة أو الزيادة عما جاء في كتاب الله (عز وجل)، أو في سنة نبيه ﷺ، وهي مغالاة تأباها جميع الأديان، حتى التطرف في العبادات، بمعنى أن نكلف أنفسنا فوق ما كُلِّفنا به.

هذا التطرف في العبادات نهى عنه الرسول ﷺ، وهناك حديث جامع يقول فيه ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"[2] ثم حديث قصة الرهط الذين جاءوا إلى بيت النبي ﷺ يسألون عن عبادته، وكأنهم تقالّوها[3]. إن مثل هذه المبالغات، وهذا التشديد قد يفضي إلى زهادة الناس في الدين وتركه كله، والله تعالى أراد أن يخفف عنا؛ لأننا خلقنا ضعفاء ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء: ٢٨)، كما أن الله - سبحانه - أراد لعباده التيسير، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: ١٨٥). إلا أن اليهود خالفوا هذا المنهج وراحوا يشددون

(١) البغدادي، زين العابدين أبو الفرج (جامع العلوم والحكم) ص٢٤٢ حديث رقم ٣٠.

(٢) رواه البخاري في صحيحه بسنده المتصل عن ابن عمر (رضي الله عنهما). ينظر: صحيح البخاري بشرح العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (فتح الباري) ٤/٤٤٦ كتاب البيوع، باب النجش، حديث رقم ٢١٤٢.

(٣) والحديث كما رواه البخاري بسنده عن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك ﷺ يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها.... إلى أن قال ﷺ: "فمن رغب عن سنتي فليس مني"، يُنظر صحيح البخاري بشرح العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر (فتح الباري) ٩/١٢٩ كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، حديث رقم ٥٠٦٣، وقارن الصاوي، د. صلاح (التطرف الديني.. الرأي الآخر)، ص١٣.

على أنفسهم إلى حد المبالغة وأوضح مثال على ذلك ما ذكره الله تعالى في قصة البقرة التي طلب من بني إسرائيل ذبحها[1]، وأمثلة أخرى كثيرة تبين مدى تطرف اليهود سنأتي عليها في سياق الرسالة، خاصة الفصل الأخير منها، إن شاء الله تعالى.

مفهوم التطرف في العصر ا[illegible]:

يُعد مصطلح التطرف من المصطلحات التي ظهرت في العصر الحديث، وهو مرادف لمصطلح (الأصولية) (fundamentalism) الذي كان يطلق على الطائفة الداعية إلى التمسك بالأصول النصرانية في عصور الظلام. وقد أخذ المصطلح مكانه في الساحة العربية والإسلامية، حتى بات يطلق على كل من كانت له صلة بالعمل الإسلامي، أي من درجنا على تسميتهم بالإسلاميين، والغرض من ذلك محاصرة الصحوة الإسلامية ومحاولة قتلها.

وهنا يشير الأستاذ فهمي هويدي إلى الدعوات المشبوهة التي تتخذ من لافتة الأصولية مدخلاً إلى تفريغ الإسلام من مضمونه العملي، وتحويله إلى مجرد رسالة أخلاقية وروحانية؛ حيث يقول: "فهي تصطنع تفرقة بين نوعين من الأصولية: عقلية روحية، وأخرى سياسية حركية، ويقولون: إن الأولى هي التعبير الصحيح في الإسلام، بينما الثانية - الأصولية السياسية - تفسد نقاء الدين، وتفتح الباب للكهنوت والحكم الإلهي، وغير ذلك من الشرور التي عانت منها أوروبا في القرون الوسطى"[2].

والحقيقة أن مصطلح الأصولية له مفهوم عند المسلمين يختلف تمامًا عنه في الخطاب الغربي الذي صدّر إلينا الكلمة، ويوضح الأستاذ فهمي هذا المفهوم بقوله: "الأصوليون في الفكر الإسلامي هم المتخصصون في علم الأصول، العارفون بالأدلة

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة : ٦٧ - ٧١]

(٢) هويدي، فهمي (حتى لا تكون فتنة) ص١٢.

الشرعية التي هي آلة الاجتهاد وعدته، أما الأصوليون في المفهوم الغربي فهم طائفة من متشددي البروتستانت(*) لها فكرها وكنائسها المعتمدة في الولايات المتحدة الأمريكية.... وتقوم دعوتهم على فكرة العودة إلى أصول المسيحية الأولى، والتمسك بحرفية الكتب المقدسة، ويخلطون التعاليم بالخرافات والأساطير القديمة، ويقفون في مقدمة مؤيدي [الكيان الصهيوني](**) لأسباب عقيدية.

ويتابع الأستاذ بقوله: إن الكتّاب الغربيين، والصحافة الأمريكية خاصة، لم يروا في الظاهرة الإسلامية سوى أنها ظاهرة سلفية خرافية، غامضة وطارئة، مماثلة لحركة تلك الجماعة الإنجيلية في البروتستانت، فأطلقوا على الإسلاميين ذات التعبير الذي أطلقه الإنجيليون على أنفسهم، وتلقفنا نحن المصطلح ورددناه بغير وعي أو علم، وأدخلناه إلى لغة خطابنا.... وأسقطناه على واقعنا الذي لا يمت بصلة إلى مضمون أو مدلول ذلك المصطلح"(١).

ويذكر الدكتور مانع الجهني تحت عنوان في مجلة الشريعة(٢) أن استخدام مصطلح الأصولية في الغرب كان مع بداية القرن العشرين؛ حيث أطلق على مجموعة من الأمريكيين البروتستانت، والتي كانت تعارض الليبرالية(***)، وتعتقد بضرورة

(*) البروتستانت: نسبة إلى البروتستانتية (Protestantism) وهو المذهب المسيحي الذي ظهر في القرن الخامس عشر إصلاحًا للكاثوليكية، فكلمة بروتستانتية تعني عند أهلها مجموع العقائد والفرق الدينية التي نجمت عن حركة الإصلاح الديني، وقد تكونت هذه الفرق من الكاثوليك الذين خرجوا على الكنيسة الكاثوليكية، ولهذا سموا بروتستانت؛ لأنهم عندما أريد تنفيذ قرار الحرمان عليهم أعلنوا احتجاجًا يسمى بالإنجليزية (protest)، يُنظر: وجدي، محمد فريد (دائرة معارف القرن العشرين) ١٦٤/٢، والإمام محمد أبو زهرة (محاضرات في النصرانية) ص١٥٣، والبعلبكي، منير (المورد قاموس إنكليزي - عربي) ص٧٣٢.

(**) وضعت القوسين المعكوفين لأبين أن الكلام بينهما من تعبير الباحث؛ لأنه بالرجوع إلى حرفية النص سنجد كلمة (إسرائيل) من كلام المؤلف، وهي التي ينبغي أن نستعيض عنها بمصطلح (الكيان الصهيوني) في كل حديثنا؛ لأن لفظ إسرائيل أو الإسرائيليين يحبه اليهود؛ لما له من دلالة دينية توحي بتمسكهم بنهج إبراهيم وحفيده يعقوب عليهما السلام، ويرجعون في ذلك إلى عمق التاريخ؛ ليكون الترابط بين اسم الدولة والاسم العبري لفلسطين وهو أرض إسرائيل.

(١) هويدي، فهمي (المرجع نفسه) ص١٣.

(٢) الجهني، مانع (التطرف والأصولية) مجلة الشريعة ع ٣٣٢ - شهر آب ١٩٩٣م.

(***) الليبرالية (Liberalism)، وتعني التحررية، وهي حركة في البروتستانتية الحديثة تؤكد على الحرية العقلية، وعلى المحتوى الروحي والأخلاقي في النصرانية. ينظر البعلبكي، منير (قاموس المورد إنكليزي - عربي) طبعة ١٩٨٧م ص٥٢٥.



الاحتكام إلى مصدر ديني للسلطة كما أطلق أيضًا على مجموعة من الأمريكيين الكاثوليك(*)، ثم انحسر استعمال هذا المصطلح، وكاد أن يقتصر على المسلمين فقط.

وإذا استطردنا في الحديث عن التطرف بهذا المعنى الجديد، فهو وصف يستخدمه الفرقاء للتراشق والاتهام به فيما بينهم وهو مقابل لكلمة لاتينية (fanatism) أو (Extremis)، أي: تعصب وتطرف، فكل حركة من حركات التاريخ المعاصر تتعرض إلى قمع وعدم إنصاف من قبل خصومها؛ فإنها تحارب بمثل هذه الألقاب، والحركات الإسلامية وضعت في هذا المأزق، مع أن الإسلام بريء من هذه التهمة.

يقول الدكتور محمد رجب: "إن الإسلام لا يعترف بالتطرف؛ بل يكافحه على مختلف الصعد، ولكنه يعترف بالالتزام، ويشجعه بكافة الطرق، وهناك فرق كبير بين الالتزام والتطرف؛ لأن الالتزام إيمان، والتطرف كفر في قمته، وشتان ما بين الإيمان والكفر، وأما مرضى النفس الذين ظنوا أن الإسلام سلبهم العزة والمكانة والسلطة والمال والجاه فقد عملوا جاهدين على تدمير الإسلام من الداخل والخارج"[1]

وعلى الرغم من براءة المسلمين من تهمة التطرف إلا أن أعداء الإسلام من غربيين ويهود حاولوا إلصاقها بالإسلام والمسلمين، وسخروا لذلك الإعلام والإذاعات لتنفيذ ما يريدون، فأصبح مفهوم التطرف في العصر الحاضر يطلق على المسلمين. ولا شك أن وسائل الإعلام بما تملكه من تقنيات في التأثير على الجماهير في العصر الحديث قد لعبت دورًا فاعلاً وخطيرًا في نقل الصورة المشوهة عن الإسلام والمسلمين.

وهنا يذكر الباحث محمود عبد العاطي[2] أن المنطقة العربية والإسلامية تتلقى خمسًا وأربعين إذاعة موجهة بثمان وعشرين لغة ولهجة، وأن هناك علاقة ارتباطية بين

(*) الكاثوليك: وهم المسيحيون أتباع الكنيسة الكاثوليكية، ومعنى الكاثوليكية أي: العامة لأن الكنيسة الكاثوليكية تدعى أم الكنائس ومعلمتها، ينظر: شلبي، أحمد (مقارنة الأديان - المسيحية) ص١٩٩.

(١) سلامة، محمد رجب: (التطرف عقدة نفسية) مجلة الشريعة، ع ٣٢٥، كانون الثاني ١٩٩٢م.

(٢) عبد العاطي، محمود: (الإذاعات الموجهة تشوّه صورة العالم الإسلامي)، مجلة الشريعة، ع ٣٢٨، نيسان ١٩٩٣م.

ما تقدمه الإذاعات الموجهة بالعربية من أخبار تتعلق بالعالم العربي والإسلامي، وبين نوعية العلاقات السياسية السائدة بين هذا العالم ودولة البث، ويشير إلى أن هذه الإذاعات أبرزت صورة العلاقات بين دول العالم الإسلامي بشكل سلبي؛ حيث قدمتها على أنها تقوم على الإرهاب والابتزاز، وأن المسلمين في هذه البلاد ما هم إلا صورة واضحة للمتخلفين والرجعيين والمتعصبين والشهوانيين، وينقلون إلى بلادهم وبلاد المسلمين صورًا عن الاضطرابات السياسية والعنف والتدمير، ويصورون ذلك بالصحوة الإسلامية.

إنه من الواضح أن هذه الحملة الإعلامية الشرسة الموجهة عبر الإذاعات والصحف تمارس إهمالاً متعمدًا وكاملاً لكل صور التطرف من أصحاب ومخترعي التطرف والإرهاب الأصليين، كتطرف الصرب في البوسنة وذبحهم لآلاف المسلمين الأبرياء، فهل يشار إلى الصرب على أنهم إرهابيون متطرفون؟ وكتطرف السيخ والهندوس في الهند؛ حيث يشار إليه على أنه مجرد نزاع ديني، وكتطرف اليهود وإرهابهم للعرب والمسلمين وغير المسلمين على مر التاريخ، وهو محور موضوعنا في هذه الرسالة، والذي سنتحدث عنه بشيء من التفصيل خلال فصول هذه الرسالة؛ لنعلم من هم المتطرفون والإرهابيون على وجه الحقيقة.

نعم لقد تعمد الغربيون وأعداء الإسلام من يهود وغيرهم أن يهملوا هذا في إعلامهم واستمروا بطريقة مبرمجة؛ كي لا ينظر العالم إلى المسلمين على أنهم مسلمون؛ بل إرهابيون متطرفون أصوليون؛ لأن الأصولية مرتبطة بالإرهاب في العقل الغربي.

لقد أصبح مفهوم التطرف في العصر الحديث من المفاهيم التي يحرص الغرب واليهود على غرسها في بلاد المسلمين، بهدف القضاء على حضارتنا وطمس تعاليم ديننا، لأن قائمتهم لا تقوم ولا تستمر إلا على أشلاء المسلمين وتقويض الإسلام؛ لذلك وجه الرئيس الأمريكي السابق (نكسون) رسالة إلى الرئيس ريجان في بداية ولايته الثانية جاء فيها: "إن الخطر الذي تتعرض له المنطقة الآن لا يأتي من قبل الثورة الشيوعية؛ بل يأتي من قبل التوجه الديني المتزمت في المنطقة".[1]

(١) عبد ربه، نبيه: (الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية) ص١٤.

كما أن الكيان الصهيوني لم يخف تخوفه من عودة ما سمتهم بالمتطرفين المسلمين وخطورة ذلك عليه، والعمل بكل وسيلة للقضاء على الصوت الإسلامي في كل مكان، ولذلك يقول حاييم هرتزوغ عن الانتفاضة بأنها: "ليست إلا مجرد حركة تقودها عناصر دينية متزمتة"[1]. وأخيرًا هل من الإنصاف أن يوصف المسلمون بالمتطرفين، وهم الذين امتلأ تاريخهم بالرحمة والعدل، وهو ما شهد به الأعداء، أم أولئك الذين اسودت صفحات تاريخهم بممارساتهم العدوانية والإرهابية المتطرفة، وأوضح نموذج على ذلك هم اليهود؛ حيث إننا سنكشف الغطاء عن صفحات تاريخهم من خلال رسالتنا هذه، إن شاء الله تعالى[*].

المطلب الثاني: ماهيـة العنـف والإرهـاب

استطاع الإنسان بما منحه الله - سبحانه وتعالى - من عقل يمتاز به عن سائر المخلوقات، أن يصنع بعض الأسلحة البدائية للدفاع عن نفسه تارة، أو للفتك بالآخرين تارة أخرى، وبالتحديد منذ أن وقعت أول ظاهرة عنف، تمثلت في حادثة قتلٍ متعمدة، قتل فيها أحد ابني آدم على يد أخيه الآخر، وأن القاتل لم يكن يعرف وقتها طريقة دفن الجثث، قال تعالى: ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (المائدة: ٢٧ - ٣١).

---

(١) الحيالي، رعد (المرجع نفسه) ص١٤.

(*) قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾، (البقرة: ١٢٠) وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (المائدة: ٨٢).

إنها القصة الأولى في تاريخ البشرية، التي تقدم أنموذجًا لطبيعة العنف والعدوان بلا مسوغ، وقد توالت نماذج العنف، حتى امتلأ سجل التاريخ بها، مما دعا العلماء والباحثين للوقوف عند هذه الظاهرة لدراسة أسبابها وأبعادها وأثرها على المجتمعات، ولا سيما في العصر الحديث، الذي امتلأ بمخازن أسلحة الدمار الشامل التي تهدد البشرية برمتها.

يقول إلياس زحلاوي في مقدمته على كتاب المجتمع والعنف: "إن الاهتمام بالعنف قد اتسع إلى حد كبير منذ بضع سنوات، وفي الحقيقة، فإن الضمير الجماعي وفق حتى الإفراط بفرص تجعله يتحسس هذه المشكلة: فإن نزاع فيتنام الطويل الأمد الذي يتسرب كالسم في ضمير الغرب، والرقابة الخانقة التي تمارسها على العقول الأنظمة الدكتاتورية، واستمرار حرب العصابات في أمريكا اللاتينية ردًا على الأنظمة الدكتاتورية، وعلى سيطرة الولايات المتحدة، والوضع المتفجر في الشرق الأوسط، وفوق كل هذا التهديد الدائم الذي تشكله ألوف الصواريخ الذرية، كل هذه الأمور تشحذ بصورة فعالة التفكير بشأن العنف - ويتابع - وإنه ليتحتم على كل جيل أن يواجه العنف لكي يبني"[1].

إن تحليل ظاهرة العنف في أي مجتمع من المجتمعات يحتاج إلى المحللين الباحثين لدراسة طبيعة ذلك المجتمع من جميع جوانبه، والباحث هنا ليس بصدد دراسة تخطيطية لمختلف أنماط العنف والوقوف بشكل دقيق على تفاصيل الظاهرة بقدر ما هو في هذا البحث كله يسعى إلى تبيان التعريف الإجمالي للعنف والإرهاب والتعصب والعنصرية، ثم محاولة بيان أدواتها في فئة من البشر كثر الحديث عن ممارساتهم لتلك الظاهرة ضد غيرهم من الناس على اعتبار اعتقادهم أنهم أفضل شعوب الأرض.

نحو تعر وا وان والإر ب

تأتي كلمة العنف أو الأذى ترجمة للكلمة اللاتينية "VIOLENCE" ويخلص (بييرفيو) بعد استعراضه ومقارنته لمجموعة من التعريفات التي اقترحها عدد من المفكرين المعاصرين إلى أن العنف: "ضغط جسدي أو معنوي ذو طابع فردي أو جماعي

(١) فريق من الاختصاصيين (المجتمع والعنف) ترجمة إلياس زحلاوي، ص٧ - ١١.

ينزله الإنسان بالإنسان بالقدر الذي يتحمله على أنه مساس بممارسة حق أقر بأنه حق أساس"[1].

وتذكر د. حميدة تعريفًا للعنف بأنه: "عمل، أو قوة هائجة، أو شعور غالبًا ما يكون هدامًا، وتدخل في مفهومه ممارسة أي قوة بدنية من أجل إيقاع الأذى أو إساءة الاستعمال، والعنف بهذا المفهوم يختلط بالإرهاب إلى حد كبير بحيث يغدو العنف بحد ذاته أحيانًا إرهابًا بالنسبة للكثيرين"[2].

ويتحدث د. معتز سيد عبد الله عن بعض سمات الشخصية، ويذكر "العدوان، والعداوة والعنف VIOLENCE" ويعرف العدوان عامة على أنه: "أي سلوك يقوم به شخص أو جماعة بقصد إيقاع الأذى لشخص أو جماعة أخرى"[3]. وعلى هذا فإن د. معتز ينظر إلى أن مفهوم العدوان يختلف عن العداوة أو المشاعر العدائية؛ معللاً أن الأخيرة تستخدم كإشارة إلى الاتجاه الذي يقف خلف السلوك أو المكون الانفعالي للاتجاه؛ بينما يشير العدوان إلى السلوك الذي يوجه شخصًا آخر أو موضوعًا معينًا.

"فالعداوة" استجابة اتجاهية تنطوي على المشاعر العدائية والتقويات السلبية للأشخاص والأحداث، وهو ما يعبر عنه بمفهوم العدوان العدائي، والمقصود به صراع طرفين أو أكثر ينشأ عن حقيقة أن أحد الطرفين يكره أو يمقت الطرف الآخر والهدف الأساسي هو إيقاع الأذى بالطرف المضاد. وهنا يصل د. معتز إلى توضيح الفرق بين مفهوم العدوان ومفهوم العنف؟ حيث يبين أن المفهومين يستخدمان أحيانًا على أنهما مترادفان، حيث تعرض نظريات العدوان في إطار الحديث عن العنف أو العكس، ويخلص بالقول إلى أن "العنف صورة نوعية من صور العدوان بين أفراد ينتمون إلى جماعات مختلفة، ويحكم هذا العدوان أشكال التنافس والصراع العديدة بين هذه الجماعات"[4].

---

(1) (المرجع السابق نفسه) ترجمة إلياس زحلاوي، ص١٥٨ - ١٥٩.

(2) سميسم، د. حميدة (الإرهاب والحرب النفسية الإيرانية) ص٣٤.

(3) عبد الله، د. معتز سيد (الاتجاهات التعصبية) ص٨٦، ويُنظر أيضًا: سونيا هانت، وجنيفر هيلتن (نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية) ترجمة د. قيس النوري، ص٣٤٧.

(4) عبد الله، د. معتز سيد (المرجع نفسه) ص٨٧ - ٨٩.

ونستطيع هنا أن نبين أن ديننا الإسلامي الحنيف يرفض العدوان، وينهى عنه، قال تعالى:﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (البقرة: ١٩٠). وقال تعالى: ﴿ لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة: ٨-٩)

وتتحدث د. حميدة عن أنواع العنف وأدواته، وتذكر أن العنف نوعان: مادي ومعنوي.

- <u>فالعنف المادي</u>: يقصد به استخدام القوة بغية إلحاق الأذى والضرر بالأشخاص أو الممتلكات، وتكون أدواته الأسلحة أو المتفجرات، وكل آلة أو وسيلة يمكن أن توقع الألم الشديد، أو تؤدي إلى الهلاك، أو التدمير، وما تبع ذلك من ضحايا سواء كانوا قتلى أم جرحى، أم خسائر كبيرة في الأموال والممتلكات.
- <u>أما العنف المعنوي</u>: "فيقصد به التهديد باستعمال القوة ما لم تتم الاستجابة لأهداف القائمين بالعمل الإرهابي من قبيل احتجاز الرهائن واختطاف الطائرات والأشخاص"[1].

وتوضيحًا لما سبق نستطيع أن نقول: إن أعمال العنف في العصر الحديث يطلق عليها إرهابًا في أغلب الأحيان لذا يشكل موضوع الإرهاب في العصر الحديث موضوعًا من الموضوعات الأكثر أهمية في العلاقات الدولية لما له من انعكاسات خطيرة على المجتمع الدولي، لذلك كان هذا الموضوع جديرًا بالبحث والدراسة للكشف عن حقيقته وأسبابه ومعرفة الواقفين خلفه يشعلون فتيله. ثم العمل على علاجه وكبح جماحه.

ولما كان الإرهاب منتشرًا في معظم دول العالم، فقد شمل كل من يرتكب أعمال العنف التي تلحق الضرر والأذى بالناس من أجل تحقيق هدف معين، لذلك لم تكن

(١) سميسم، د. حميدة (المرجع نفسه) ص٣٤.



ظاهرة الإرهاب مقصورة على فرد بعينه، أو على مجموعة أفراد، أو على دولة بعينها، بل قد شملت دولاً وجماعات شتى.

وما دمنا بصدد هذه الظاهرة، يحسن بنا أن نعود إلى صفحات التاريخ الأولى؛ لنقف عند الصفحة الأولى من صفحات هذه الظاهرة، والتي سنجد فيها اليهود بأفعالهم الإرهابية المتطرفة التي تمثلت في المذابح البشرية، تمشيًا مع مراسيم دستورهم المتطرف الذي ينص على أن "الخطايا لا يمكن التكفير عنها بغير إهراق الدم"[1] لذلك سجل لهم التاريخ سبق تأجيج العداء، فكانت لليهود محطات إرهابية عديدة على مر التاريخ[*].

كما أن التاريخ لم يغمض عينيه عن جرائم الدول الغربية المسيحية، حيث كانت الحروب الصليبية محطة رئيسية في مسيرة الغرب المسيحي، ولم تكن هذه المحطة أو تلك هي الأخيرة في مسلسل الإرهاب في سجل التاريخ، إذ بالأمس القريب بدأ العالم يشاهد من جديد الجريمة اليهودية بحق العرب والمسلمين، ولا سيما ممارساتهم الإرهابية في فلسطين، وفي هذا المجال قد لا يروق هذا الكلام لدى المجتمع الدولي في الوقت الحاضر، بل قد لا ـ [illegible] الإجرام اليهودي ضمن دائرة الأعمال الإرهابية، وبالفعل فإن الكيان الصهيوني لا يعد في العرف الدولي ضمن من يرعى الإرهاب ويغذيه - فيا للعجب!!

ولكي نزيل اللبس عمًّا يعد عملاً إرهابيًا، وما لا يعد، فإننا سنقف قليلاً عند مفهوم الإرهاب ومعناه في هذا المطلب، ثم نتعرض للأعمال الإرهابية اليهودية في فلسطين وغيرها بشيء من التفصيل في موضع آخر من هذه الرسالة، إن شاء الله.

---

(1) جاء مفهوم هذا النص في التوراة - سفر اللاويين ضمن الإصحاح السابع عشر في الفقرة الحادية عشرة، والنص هو: "فنفس الجسد هي في الدم، ولذلك جعلته لكم على المذبح لتكفروا به عن نفوسكم؛ لأن الدم يكفر عن النفس" أي: يحصل به على المغفرة. ولذلك تحدث سفر العبرانيين في العهد الجديد عن شريعة موسى وقضية تكفير الذنوب بالدم؛ حيث جاء في النص: "ويكاد لا يطهر شيء حسب الشريعة إلا بالدم، وما من مغفرة بغير إراقة دم" العبرانيين ٩/٢٢، يُنظر أيضًا بخصوص التكفير بالدم (خروج ٢٤، ولاويين ٨).

(*) سيأتي الحديث عن بعض هذه المحطات الإرهابية في سياق البحث الذي بين أيدينا، إن شاء الله.

مفهوم الإرهاب:

أولاً: المعنى اللغوي[1]:

الإرهاب لغة هو: الفزع والخوف، حيث إن كلمة إرهاب مشتقة من فعل "رهب" "يرهب" "رهبة" بمعنى خاف يخاف خوفًا، ويقال: أرهبه، ورهبه واسترهبه، أي: أخافه وفزعه، والرهب أيضًا مخافة مع تحرز واضطراب.

قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ..** ﴾ (الأنفال: ٦٠) أي تخيفون عدو الله وعدوكم، وقد جاءت آيات عديدة في هذا الشأن كلها بمعنى (الخوف)[2]، ويتضح من خلال ما تقدم أن كلمة (الإرهاب) تعني في أبسط معانيها التخويف أو المبالغة في التخويف[3]، وذلك حسب ورودها في سياق كل آية كما تقدم.

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

الإرهاب اصطلاحًا كما يعّرفه د. عمار مساعدي هو: "صفة لمن يلجأ إلى ارتكاب أعمال عنف ذات الطابع العدواني ضد المجتمع، ومن ثمَّ فإن الإرهابي هو كل شخص يعتمد أعمال العنف أسلوبًا لتحقيق أهداف معينة"[4].

(١) اعتمدت في بيان المعنى اللغوي للإرهاب على المصادر الآتية: ابن منظور (لسان العرب) ٤٢٠/١ مادة (رهب)، والزبيدي، محمد مرتضى (تاج العروس) ٥٣٧/٢ مادة (رهب)، والفيروز أبادي (القاموس المحيط) ٧٦/١، والأصفهاني (المفردات في غريب القرآن) ص٢٠٢ مادة رهب.

(٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ .. **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ (البقرة: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿ **وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** ﴾ (الأعراف: ١١٦)، وقوله تعالى: ﴿ .. **لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٥٤)، وقوله تعالى: ﴿ **فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾ (النحل: ٥١)، وقوله تعالى: ﴿ **وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا** ﴾ (الأنبياء: ٩٠)، وقوله تعالى: ﴿ **وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ** ﴾ (القصص: ٣٢)، وقوله تعالى: ﴿ **لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ** ﴾ (الحشر: ١٣).

(٣) يُنظر: الشيخ مخلوف، حسنين: (المصحف المفسر - تفسير وبيان كلمات القرآن الكريم) مطبوع على هامش القرآن الكريم، ويُنظر أيضًا ما أعده الحمصي، محمد حسن من (تفسير وبيان) على هامش القرآن الكريم - طبعة دار الرشيد - دمشق - بيروت.

(٤) مساعدي، د. عمار (إرهاب الاستعمار الفرنسي في الجزائر) مجلة الموافقات، ع ٦ ١٩٩٧، ١٩٩٨م - ص١١٨.



وقيل: إن الإرهابي هو من يلجأ إلى الإرهاب لإقامة سلطته، وأن الحكم الإرهابي هو نوع من الحكم الذي يقوم على الإرهاب والعنف، تعمد إليه حكومات أو جماعات ثورية[1]. والحقيقة أن مصطلح الإرهاب الذي يطلق على كل عمل إجرامي من أجل الوصول إلى هدف معين قد احتل مساحة واسعة في الإعلام العالمي، وقد ذهبت كل دولة تفسر هذه الظاهرة حسب أهوائها، وبالقدر الذي يخدم مصلحتها، ووصفت كل شخص يقوم بأعمال معينة على أنه شخص إرهابي، ولا سيما إذا كانت تلك الأعمال تمس بمصالح هذه الدولة أو تلك، وأجازت في المقابل الأعمال الوحشية التي تقترف بحق الشعوب وعدتها أعمالاً مشروعة.

ولذلك - على سبيل المثال - عُدَّ الفلسطيني الذي يقاتل ويجاهد دفاعًا عن وطنه وعرضه، ومن أجل استرداد حقه المغتصب إرهابيًا، أما اليهود المغتصبون فأصحاب حق مشروع!! - كما يزعمون - وفي ظل هذه الأوصاف التي تكون إرهابًا عند طرف، ودفاعًا ومقاومة وجهادًا عند طرف آخر، يبرز خلاف في المجتمع الدولي حول تعريف موحد لهذا المصطلح.

حيث يعرف د. أدونيس العكرة ظاهرة الإرهاب السياسي على أنها: "منهج نزاع عنيف يرمي الفاعل بمقتضاه وبواسطة الرهبة الناجمة عن العنف إلى تغليب رأيه السياسي أو إلى فرض سيطرته على المجتمع أو الدولة من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامة أو من أجل تغيرها أو تدميرها"[2].

ويعرف سالدانا "Saldana" - وهو أستاذ في القانون الجنائي في إحدى الجامعات الأسبانية - الإرهاب على أنه "كل جنحة أو جناية سياسية أو اجتماعية يؤدي ارتكابها أو الإعلان عنها إلى أحداث ذعر عام ويخلق بطبيعته خطرًا عامًا"[3].

أما "إيريك دافيد" "Eric David" فيعرف الإرهاب على انه "اي عمل من أعمال العنف المسلح الذي يرتكب لتحقيق أهداف سياسية أو فلسفية أو أيديولوجية أو دينية"[4]

(١) (المنجد في اللغة والإعلام)، ص٢٨٢، دار الشرق، بيروت ١٩٨٦م.
(٢) سميسم، د. حميدة (الإرهاب والحرب النفسية الإيرانية) ص١٩.
(٣) مساعدي، د. عمار (المرجع نفسه) ص١١٩.
(٤) مساعدي، د. عمار (المرجع نفسه) ص١١٩.

ومن الواضح أن إيريك دافيد قد حصر مفهوم الإرهاب في حالات معينة في حين قد يكون هدف بعض الإرهابيين اقتصاديًا من خلال أفراد يعملون داخل دولة معينة بهدف زعزعتها، ومن ثم إحكام السيطرة الاقتصادية عليها، والتي ستؤدي في النهاية إلى سقوطها.

أما "ولكنسون" "Wilkison" فيعرف الإرهاب على أنه "نتاج العنف المتطرف الذي يرتكب من أجل الوصول إلى أهداف سياسية معينة يضحي من أجلها بكافة المعتقدات الإنسانية والأخلاقية"(١). ويعرف "بريان كروزيير" الإرهاب بأنه "استخدام العنف أو التهديد باستخدامه لتحقيق الأهداف السياسية"(٢).

ومن خلال هذه التعاريف وغيرها مما لا يتسع المجال لذكرها يتضح أن الإرهاب بالمصطلح الحديث عمل مدروس ووسيلة مقصودة، يتخذ طابع العنف الشديد المتناقض مع تعاليم الرسالات السماوية والأخلاق والأعراف البشرية للوصول إلى هدف معين.

والحقيقة أن الإرهاب ظاهرة ليست بالحديثة على المجتمع الدولي؛ فقد عانت منه الأمم والشعوب منذ أمد بعيد، أي أن ممارسته كانت قديمة، إلا أن ما يستوجب الوقوف عنده في هذا المجال أن الإرهاب لم يتبلور واقعًا بحيث لم تشعر الدول بخطره إلا في العصر الحديث، وتحديدًا في السبعينيات، حيث يؤكد بعض الكتاب على أن نشأة الإرهاب ممارسةً ظهرت قبل قرنين من الزمن، ولم يتبلور الإرهاب واقعًا إلا في عام ١٩٧٣(٣). ويتضح من كلامهم أن الإرهاب لم يتبلور خطره وبداية الإحساس بعواقبه إلا في السبعينيات، لكنه ممارسةً كان موجودًا قبل ذلك.

ومن الملاحظ أن مفهوم الإرهاب في الفكر السياسي المعاصر يرتبط إلى حد كبير بالفكر الفرنسي، حيث نشأت عناصر الإرهاب بعد قيام الثورة الفرنسية وما رافقها من أعمال عنف وتدمير وإشاعة رعب بغية تصفية أعداء الثورة(٤).

(١) مساعدي، د. عمار (المرجع نفسه) ص١١٩.
(٢) عبد الفتاح، فكرت نامق (الإرهاب في السلوك السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية)، مجلة أم المعارك - السنة الأولى - العدد الثاني - نيسان - أبريل ١٩٩٥ - ذو القعدة ذو الحجة ١٤١٥هـ، ص٣٢.
(٣) السماك، محمد (الإرهاب والعنف السياسي) ص٢١، مساعدي، د. عمار (المرجع نفسه) ص١٢٠.
(٤) يُنظر: سميسم، حميدة: (المرجع نفسه) ص٢٠، و السماك، محمد: (المرجع نفسه) ص٢١ وما بعدها.



ويذكر انه خلال الثورة الفرنسية كان العنف السياسي على أوسع نطاقه؛ حيث تمكن "روبسبير" وزمرته من قطع أربعين ألف رأس، وذلك بواسطة المقصلة واعتقال وسجن ثلاث مئة ألف آخرين[1].

وكانت بداية ظهور مصطلح (الإرهاب) بعد تنفيذ حكم الإعدام في "روبسبير" الذي كانت تتسم مدة حكمه بالرهبة (Terrur)؛ حيث كان إعدامه حدثًا مهمًا في تاريخ الثورة الفرنسية، وقد أدى ذلك إلى نشوء كلمة إرهاب (Terrorisme) التي أطلقها خصوم "روبسبير" على الحكم في عهده، وقد اتهموه بجريمة ممارسة الإرهاب وأعدموه باعتباره إرهابيًا، وفي ظل هذه الظروف استعملت عبارة (Terrorisme) في اللغة الفرنسية لأول مرة بعد الانتقال إليها من عبارة (Terrur)، علمًا بأن كلتا الكلمتين في اللغة العربية تأتيان بمعنى إرهاب ورهبة وذعر وخوف ورعب... "[2]، ومن هنا يتضح أن كلمة إرهاب (Terrorisme) بالفرنسية مشتقة من كلمة رهبة (Terrur)، بينما هي في اللاتينية (Terrosim).

وبناء على ذلك؛ فإن الإرهاب لم يكن اختراعًا عربيًا كما هو في نظر اليهود والغرب؛ حيث إنهم يدمغون صفة الإرهاب على العرب والمسلمين، معتقدين أنهم - أي المسلمين - وراء كل جريمة مروعة تقع هنا أو هناك في أي بقعة من العالم، في حين أن هذا اليهودي أو الغربي سيكون على النقيض مما يعتقده بمجرد التعرف على مؤسسي هذه الأعمال ومدبريها وبغيتهم من ذلك، ثم بمجرد النظر إلى ضحايا تلك الأعمال، وكما قيل: بالمثال يتضح المقال، نورد هنا ما أقدمت عليه السلطات الفرنسية ١٩٥٦ حين أقدمت على اختطاف طائرة مدنية ترفع العلم المغربي، وعلى متنها خمسة من قادة الثورة الجزائرية بينهم أحمد بن بيلا في طريقهم من الرباط إلى تونس لحضور مؤتمر يشترك فيه ممثلون عن الحكومة الفرنسية للبحث عن حل للقضية الجزائرية، وعندما أصبحت الطائرة فوق البحر في الأجواء الدولية، اعترضتها طائرات عسكرية

(١) يُنظر: السماك، محمد (المرجع نفسه) ص٢١ وما بعدها.
(٢) سميسم، د. حميدة (المرجع نفسه) ص٢١- ص٢٤.

فرنسية وأجبرتها على الهبوط في مطار الجزائر، الذي كان تحت الاحتلال الفرنسي، واحتفظت فرنسا بقادة الثورة أسرى لديها حتى استقلال الجزائر في عام ١٩٦٢م[1].

ويعد حادث القرصنة هذا أول حادث من نوعه تقوم به حكومة دولة كبرى في أعمال خطف الطائرات، ولقد تبعتها أمريكا؛ حيث اختطفت أربعين طائرة كوبية ما بين عامي ١٩٦٠ - ١٩٦٤، ثم تبع ذلك ما قام به الكيان الصهيوني من تدمير لمطار بيروت ١٩٦٨، فكان هؤلاء أول من غذى فتيل الإرهاب وأشعل ناره في العصر الحديث[2]، بل إنه من الطبيعي أن نقول: إن اليهود والغرب هم أول من بذر بذوره في العصور القديمة وسقوها بدماء الأبرياء، وما زالوا على هذا النهج حتى يومنا هذا، وإن الحجج الدافعة إلى هذا لا تحصر في مؤلف أو مجموعة مؤلفات.

فماذا عن إرهاب الفرنسيين للمسلمين في الجزائر؟ وماذا عن جرائم اليهود بحق المسلمين في فلسطين؟ وماذا عن إرهاب إيطاليا للمسلمين في ليبيا؟ وماذا عن الإرهاب الأمريكي في العالم بأسره، ولا سيما ما هو موجه ضد العراق في الوقت الحالي من خلال ارتكاب الجرائم اليومية جراء الحصار الظالم الذي يذهب ضحيته الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال؟ إن هذه الاستفزازات والجرائم اليومية ضد الشعب العراقي تكشف الإرهاب الحقيقي الذي تمارسه دولة عظمى ضد حقوق الشعوب وحرياتها، علمًا بأن هذا العدوان على العراق ليس له ما يسوغه.

وقد اعترف وزير الدفاع الأمريكي (بأن بلاده لن تسعى للحصول على موافقة مجلس الأمن لشن مثل هذه الهجمات، وأن واشنطن تعترف بهذه العملية الانفرادية خارج نطاق الأمم المتحدة)[3].

ولكي نسوق واحدة فقط من هذه الجرائم كنموذج وحشي للإرهاب الغربي بحق المسلمين، ناهيك عن الجرائم اليهودية التي ستكون موضوع بحثنا في هذه الرسالة،

---

(١) ينظر: السماك، محمد (المرجع نفسه) ص٢٢.

(٢) السماك، محمد (المرجع السابق نفسه) ص٢٢.

(٣) يُنظر: عبد الفتاح، فكرت نامق (الإرهاب في السلوك السياسي الخارجي للولايات المتحدة الأمريكية)، مجلة أم المعارك السنة الأولى - العدد الثاني - نيسان (ابريل) ١٩٩٥ - ذو القعدة - ذو الحجة ١٤١٥هـ، ص٣٨-ص٣٩.

نذكر على سبيل المثال الجريمة التي دبرها ونفذها الإرهابي "دو روفيقو" على قبيلة بريئة بكاملها في سهل المتيجة جنوب الجزائر العاصمة، فطبقًا لتعليمات هذا الإرهابي، "خرجت كتيبة من الإرهابيين الفرنسيين من الجزائر العاصمة ليلة ١٦ من أبريل ١٨٣٢، وداهمت في الفجر قبيلة "العوفية" وهي نائمة في خيامها، وذبح الإرهابيون كل أفراد القبيلة بما في ذلك النساء والأطفال والشيوخ، وبيع جميع ما أعدّه الإرهابيون غنيمة لقنصل الدنمارك، وما بقي من تلك المجزرة المفزعة عرض للبيع في سوق باب عزون بالجزائر العاصمة، وكان يظهر في هذا المنظر الفظيع الذي تقشعر منه الجلود، أساور النساء معلقة في معاصم مقطوعة، وأقراط آذان ملتصقة في أشلاء اللحم، وقد وزع ثمن هذا البيع على الجماعة الإرهابية التي نفذت الجريمة"[1].

هكذا يكون الإرهاب، وهكذا تكون صورة التطرف عند مخترعي التطرف والإرهاب الذين تعمدوا أن يهملوا جرائمهم في إعلامهم، واستمروا بطريقة مقصودة في وصف المسلمين بالإرهابيين والمتطرفين، وراحوا يصورون الجهاد في نظر وعقول الناس بأنه إرهاب حتى صدّق بعض الناس هذا المفهوم في حين أن فريضة الجهاد هي الدرع الواقي لحياض الأمة المسلمة من أعدائها من يهود وغيرهم، لأن جهاد هؤلاء الذين يبذرون الفساد في الأرض ليس إرهابًا، إنما الإرهاب أن يترك هؤلاء وأعوانهم ليذبحوا المسلمين هنا وهناك، والمسلمون في صمت عميق لا يحركون ساكنًا خوفًا من أن يقال عنهم متطرفون.

لقد انقلبت الموازين، وانعكست المفاهيم، وآن للحقيقة أن تظهر وللموازين المقلوبة والمفاهيم المعكوسة أن تصحح، فالجهاد ليس إرهابًا والاستشهاد ليس انتحارًا والإسلام ليس تعصبًا أو عنصرية، قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** ﴾ (التوبة: ٣٣)، ولذلك كانت هذه الرسالة لتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة العالقة في أذهان المغفلين الجاهلين بالحقائق من الناس، الذين يتصورون أن اليهود وأمثالهم هم من محبي ودعاة الأمن والسلام، أو أنهم بريئون من صفة الإرهاب والتطرف!

---

(١) يُنظر: مساعدي، د. عمار (المرجع نفسه) ص١٢٣.

المطلب الثالث: مفهــوم التعصــب والعنصريــــة

حظي موضوع التعصب العنصري باهتمام كبير من الباحثين والمهتمين، ولا سيما في العصر الحديث، وكان اهتمامهم بالناحيتين: النظرية والعملية، لما لهذا الموضوع من تداخل في كثير من مجتمعات العالم، وكان التعصب ضد السود - سواء في جنوب أفريقيا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو أوروبا - هو أكثر أشكال التعصب العنصري[1] إثارة لاهتمام الباحثين.

مفهــوما " ، :

التعصــب في اللغــــة[2]:

والتعصب من العصبية، والعصبية أن يدعو الرجل إلى نصرة عصبته والتآلف معهم على من يناوئهم، ظالمين كانوا أو مظلومين، وقد تعصبوا عليه إذا تجمعوا، فإذا تجمعوا على فريق آخر قيل: تعصبوا، وفي الحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن بنت وائلة بن الأسقع أنها سمعت أباها يقول: "قلت: يا رسول الله؛ ما العصبية؟ قال: أن تعين قومك على الظلم"[3]، والعصبي هو الذي يغضب لعصبته، ويحامي عنهم. والعصبة هم

(١) هناك أنواع أخرى من التعصب تدخل ضمن المعنى العام للمفهوم مثل: "التعصب القومي" و "التعصب الديني" و "التعصب الاجتماعي" و"التعصب للجنس"إلخ، يُنظر : عبد الله، معتز سيد "الاتجاهات التعصبية" ص١٧، ص٣٧، ونحن هنا لسنا بصدد بحث جميع أنواع التعصب؛ لأننا بهذا سنبتعد عن جوهر موضوعنا الذي يهدف إلى فهم العنصرية الصهيونية من خلال ما نقدمه هنا من مدخل عام يفسر لنا ظاهرة التعصب والعنصرية بشكل عام، ثم ما سيتضح بعد ذلك في الرسالة من ممارسة للعنصرية الصهيونية تجاه غيرهم.

(٢) يُنظر في التعريف اللغوي، ابن منظور (لسان العرب) ٩٢/٢ مادة (عصب)، والفيروز أبادي (القاموس المحيط) ١٠٥/١، والزبيدي (تاج العروس) ٣٨١/٣.

(٣) يُنظر: سنن أبي داود بشرح محمد شمس الحق العظيم أبادي (عون المعبود) ٢٤/١٤، كتاب الأدب، باب في العصبية، حديث رقم ٥٠٩٧.



الأقارب من جهة الأب؛ لأنهم يعصبونه، ويتعصب بهم، وفي الحديث: "من قاتل تحت راية عمية ... لعصبته أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبةً فقُتل فقتله جاهليةٌ"[1].

التعصب في الاصطلاح:

إنه من خلال التعريف اللغوي اتضح لنا المعنى الشرعي في التعصب؛ إذ بينت الأحاديث النبوية السابقة ذلك، فالمعنى بصورته الشرعية: النهي عن إعانة الآخرين على الظلم، والذي يعين على ذلك، أو ينصر عصبته تحت راية عمية، وأدى ذلك إلى قتله؛ فقتله جاهلية.

وقد استعرض د. معتز سيد عبد الله تعريفات التعصب بشيء من التفصيل، ولبيان المعنى نذكر جملة منها[2]: يرى "أولبورت" أن أكثر تعريفات التعصب إيجازًا هو التعريف الآتي: "التفكير السيئ عن الآخرين دون وجود دلائل كافية"، ويتفق "إيرليك" مع هذا التعريف؛ مشيرًا إلى أن التعصب: "اتجاه عرقي يتسم بعدم التفضيل"، أما "ماردن" و "ماير" فيتفقان على أن التعصب: "اتجاه يتسم بعدم التفضيل ضد جماعة معينة يحط من قدرها ومن قدر كل أعضائها" ويؤكد "روز" أنه "اتجاه سلبي نحو جماعة عنصرية أو دينية أو قومية".

ومع ذلك فإن د. معتز سيد عبد الله يرى أن هذه التعاريف ناقصة الشمول معللاً ذلك بأنها تشير فقط إلى نوع واحد من نوعي التعصب، وهو التعصب السلبي (Negative Prejudice) مغفلة التعصب الإيجابي، - ويتابع - أن الأشخاص ربما يتعصبون في تفضيلهم للآخرين، ويعتقدون اعتقادات حسنة عنهم دون توفر دلائل كافية على ذلك، لذلك فالتعريف الذي يقدمه القاموس الإنجليزي الجديد يضع في الحسبان التعصب الإيجابي فضلاً عن التعصب السلبي على النحو التالي: "مشاعر التفضيل أو

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده المتصل عن أبي هريرة. يُنظر: (صحيح مسلم بشرح النووي) ٥١٦/٤، كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين، حديث رقم ٥٤، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج٢/ ص٢٩٦.

(٢) يُنظر: عبد الله، معتز سيد (الاتجاهات التعصبية)، ص٤٩.

عدم التفضيل تجاه شخص أو شيء ما سابقة للخبرة، أو لا تقوم على أساس الخبرات الفعلية"[1].

يتفق "سيكورد" و "باكمان" مع ذلك في أن التعصب اتجاه يجعل صاحبه يفكر ويشعر ويسلك طرقًا مفضلة أو غير مفضلة نحو جماعة من الأشخاص أو أعضائها الأفراد"[2].

إن التعصب العنصري الصهيوني هو ضمن التعصب السلبي (التعصب ضد) على أساس أنه اتجاه يتسم بالكراهية والعدوانية حيال غيرهم من البشر.

مفهوم العنصر:

من المفاهيم التي لها علاقة بمفهوم التعصب مفهوما العنصرية والعرقية، وتعد العنصرية Racisme التي هي من لفظ عنصر أو عرق أو سلالة Race من أكثر التعبيرات غموضًا واضطرابًا، بل إن استخدامها يتقبل اتساعًا في المفهوم بحيث يشمل كل ما يعني التمييز أو التفرقة، فلفظ (العنصر) (Race) في الاستعمال اللغوي العام له جملة معان مختلفة، فهو يطلق على مجموعات من البشر أو الحيوان أو النبات يشترك أفراد كل منها في خصائص معينة[3].

أما في اصطلاح العلماء؛ فيعرف العنصر على أنه "مفهوم بيولوجي" (*) يشير إلى الخصائص الجسمية التي تميز جماعة بشرية عن جماعة أخرى، وهذا المفهوم يسقط من حسابه إسقاطًا تامًا كل أثر للبيئة غير حاصل عن طريق الوراثة، وبالتالي

(١) عبد الله، د. معتز سيد: (المرجع نفسه) ص٥٠.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٥٠.

(٣) يُنظر: العبادي، عبد الحميد (الإسلام والمشكلة العنصرية) ص٤٩، وربيع، د. حامد عبد الله (العنصرية الصهيونية) ص٦٩.

(*) بيولوجي: (Biology) علم الأحياء أو الكائنات الحية في جميع أشكالها وظواهرها. أما (Biologist) فهو الأحيائي البيولوجي المتخصص في علم الأحياء. يُنظر منير البعلبكي (المورد قاموس إنكليزي عربي) ص١٠٦.

فالجماعة العنصرية هي مجموعة كبيرة من الجنس البشري تتميز بأنها سلسلة ممتدة ومستمرة، وتتسم بتكرار حدوث عدد كبير من خصال الجسم الوراثية داخل الجماعة (وعادة ما تكون خصالاً مرئية) وعلماء البيولوجيا والأنثروبولوجيا(*) يسقطون كل صفة ذهنية كالذكاء أو المزاج ونحوهما.

وبالنظر إلى هذا التعريف فإنه من الضروري تحديد تكرار حدوث الخصال الجسمية بين أفراد العنصر أكثر من مجرد وجودها الفعلي أو عدم وجودها، كما أن خصلة واحدة لا تعد محكًا لتحديد هوية عنصر، فالأشخاص المختلفون في لون الجلد ربما يشبهون بعضهم بعضًا في سمات جسمية أخرى أكثر أهمية، والأشخاص المتشابهون في صبغة لون الجلد ربما يختلفون بصورة كبيرة في بعض الملامح الجسمية الأخرى، وبالتالي لا يوجد اليوم شعب أو أمة أو قبيلة يمكن أن نقول عنها: "عنصر نقي"، فحتى الشعوب الصغيرة والمعزولة جغرافيًا حدث لها امتزاج عنصري[1].

فمن الملاحظ أن اليهود يختلفون عن بعضهم البعض من الناحية الجسدية، حيث يؤكد البريطاني أنطوني بارنيت - عالم السلالات البشرية - أن اليهود ينزعون للتجانس والتشابه في كل بلاد يتواجدون فيها مع غير اليهود من سكان البلاد الأصليين، ويشير إلى أن ذلك يرجع إلى الزواج المختلط من غير اليهود، وهذا ما يلاحظ خاصة في الجماعات اليهودية التي مضى عليها مئات السنين[2].

ويشير بعض العلماء إلى أن اليهود تم اندماجهم بالشعوب المحيطة بهم في سير التطور التاريخي الطويل، فالعالم "إيجين بيتار" - صاحب كتاب (العرق والتاريخ) -

---

(*) الأنثروبولوجيا (Anthropology) علم يبحث في أصل الجنس البشري وتطوره وأعراقه وعاداته ومعتقداته. يُنظر البعلبكي (المورد) ص٥٢.

(١) يُنظر: عبد الله، د. معتز سيد (المرجع نفسه) ص٧١-٧٢، والعبادي، عبد الحميد (المرجع نفسه) ص٤٩، وربيع، د. حامد عبد الله (نفس المرجع) ص٧٠، والسيد يس في بحث بعنوان (الصهيونية أيديولوجية عنصرية)، وهو من ضمن أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية - بغداد ٨ - ١٢من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٦، وقد تم طبع هذه الأبحاث في كتاب يقع في مجلدين تحت عنوان (الصهيونية والعنصرية)، راجع المجلد الأول ص٨٦.

(٢) مجموعة من الكتاب السوفيتيين (الصهيونية نظرية وممارسة)، ترجمة يوسف سلمان، ص١٨٨.

يشير إلى أن الفئة الاجتماعية - الدينية المعروفة تحت اسم اليهود غير متجانسة في تركيبها[1].

ويصرح شابيرو - رئيس قسم المتحف الأمريكي لعلم السلالات البشرية - بأن "اليهود ليسوا عشيرة أو قبيلة، كما أنهم لا يعتبرون أمة بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة"[2].

لذلك فإن البروفيسور "خوان كوماس" - عالم السلالات البشرية في جامعة المكسيك الوطنية - ـ .. اليهود ضمن الجماعات الآتية:

١) أحفاد المهاجرين اليهود من فلسطين (عددهم قليل جدًا).

٢) الأحفاد المنحدرون من اتحادات اليهود والآسيويين وغيرهم من الفئات الأخرى.

٣) اليهود من حيث الانتماء الديني، الذين لا يمتون بأي صلة سلالية ليهود فلسطين[3].

وبناءً على ذلك فإنه لا يوجد أي جمهور يمكن اعتباره متجانسًا بشكل كافٍ في الملامح الجسمية، أو في السلالة الممتدة لكي يتطابق مع تعريف "العنصر"، لذلك تخلى العديد من الباحثين عن مفهوم العنصر والجماعة العنصرية وبدءوا يتجهون إلى الحديث عن مفهوم "الجماعة العرقية"[4].

والجماعة العرقية كما يعرفها د. معتز هي "أي تجمع من الأشخاص يعتبرون أنفسهم، مثلما يعتبرهم الأشخاص الآخرون، أنهم يشتركون في واحدة أو أكثر من الخصال الآتية:

١. الديانـــة.
٢. الأصل العنصري (كما يشار إليه من خلال الملامح الجسمية الظاهرة)
٣. الأصل القومي.
٤. اللغة والتقاليد الثقافية.

(١) (المرجع السابق نفسه) ص١٨٨.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٨٩.
(٣) (المرجع السابق نفسه) ص١٨٩.
(٤) عبد الله، د. معتز سيد (المرجع نفسه) ص٧٢-٧٣.



يـزاد على هـذه الخـصـال أحيانـًا أسلـوب أو طريقـة الملبـس، وأسـاليـب التعبيـر عـن النفـس.

ويستنتج د. معتـز مـن خـلال ذلـك أن مفهـوم الجماعـة العرقيـة أكثـر عموميـة مـن مفهـوم الجماعـة العنصرية، بحيث إنه يستوعبه كأحد أبعـاده، هـذا علـى الـرغم مـن أن المفهومين يستخدمـان عادة كمترادفين، فنحن نكـون بصدد جماعـة عنصرية إذا مـا كانت الخـصـال الجـسمية الوراثيـة هـي المميـزة لهـا، ولا يـدخل في ذلـك العوامـل النفسية والاجتماعية.

ويتابع د. معتز: ونكـون بصدد جماعة عرقية إذا مـا كـان التصنيف على أسـاس إحدى الخصـال السابقة، وبالتـالي لا نستطيع أن نطلق علـى الأمـريكيين والـروسيين والصينيين جماعـات عنـصرية، بل هـي جماعـات عرقيـة علـى أسـاس الأصـل القـومي، وكـذلك يعـد اليهـود والمسيحيون والمسلمون جماعـات عرقيـة علـى أسـاس الديانـة، واللغات اللاتينية والسامية يتكلمها جماعات عرقية من مختلف العناصر والقوميـات، وعلى ذلـك يقـرر د. معتـز أن الجماعـات العنـصرية تـدخل كـأحـد أشـكـال الجمـاعـات العرقية على أساس محك الخصال الجسمية فقط[1].

وعلى الرغم من وجود أدلة دامغة وموضوعية على عدم نقاء العنصر اليهودي، وذلك من خلال اختلاطهم بالأجناس المتباينة[*] إلا أنهم يصرون على التمسك بفكـرة النقـاء

(١) عبد الله، د. معتز سيد (المرجع السابق نفسه) ص٧٢-٧٣.

(*) ومما يؤكد اختلاط اليهود بالأجناس الأخرى مـا أشـار إليه الأستاذ خالـد القشطيني من أن مسألة الزواج المختلط بين اليهود وغير اليهود وتعاظمها في أوروبـا في العصر الحـديث مـن العوامـل الرئيسية التي أشار إليها الصهاينة كمبرر لإخراج اليهود وإعادتهم إلى فلسطين، وقد امتلأت على هذا الأساس الأدبيات الصهيونية بإحصائيات الزواج المختلط، يُنظر القشطيني، خالد (الجذور التاريخية للعنصرية اليهودية) ص٥٤. وفي هذا الموضوع يُنظر أيضًا: (الصهيونية نظرية وممارسة) لمجموعة مـن الكتـاب السوفييت - ترجمة يوسف سلمان، ص١٨٧ وما بعدها، ومـا ذكره أيضًا د. ظاظا من أن اليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية اندمج فيها في كل عصور التاريخ أشـخاص مـن أجنـاس متباينـة، وكـان أولئك المتهودون يدخلون فيها من جميع الآفاق المسكونة بالبشر مـن اليهود الأحبـاش (الفلاشـا) إلى اليهود الإشكناز (من الجنس الجرماني) إلى التاميل (اليهود الأفارقة الزنوج) إلى اليهود الخزر الـذين ينتمون إلى الجنس التركي. فهل هناك مـن هـذه الأنواع مـن يمدّ مـن ناحيـة التشريح والتحليل ممـثلاً حقيقيًا ونقيًا للجنس اليهودي؟ يُنظر: عبد الله، معتز سيد (الاتجاهات التعصبية) ص٢٤٣.

العنصري لدرجة أنهم لا يستطيعون أن يتقبلوا سواها، ومما يدفعهم أكثر للتمسك بهذه النظرية تعاليمهم الدينية التي تقوم على أساس تميُّز الشعب اليهودي على سائر شعوب الأرض، لذلك فهم يدَّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه(*)، ويفسرون ذلك التميُّز لشعبهم على أنه الشعب الأفضل والأصلح والأقوى ولهذا اختارهم الله(**).

يذكر د. ظاظا أن اعتقاد اليهود في اختيار "الرب" لهم ليس مجرد مفخرة يتشدقون بها، بل هو برنامج، فبهم يعاقب الله الأمم الأخرى، وهم الذين يبقون وحدهم في آخر الزمان، متسلطين على رقاب العالم، وهم باختصار الذين يلعبون دور البطولة على هذا المسرح الهائل، مسرح التاريخ، والأمم الأخرى ليست إلا أشخاصًا ثانوية خلقهم الله لتكملة مشاهد هذه المسرحية الطويلة وحوادثها، على نحو تظل فيه البطولة لإسرائيل[1].

فاليهود يؤمنون بأنهم أنقى وأفضل الشعوب، وفي المقابل يؤمنون بأن من عداهم يتسمون بالتخلف والانحطاط وغير ذلك من السمات التي تقترب بهم من مستوى الحيوانات الدنيا، فمن يسلم بنقاء شعبه يسلم كذلك بدونية أو انحطاط الشعوب الأخرى التي يعتقد أنها تعاديه.

وعليه فإن اليهود يقسمون البشر إلى فئتين: فئة اليهود، وفئة غير اليهود (الأغيار)، وينظرون إلى الفئة الثانية (الأغيار) على أنهم ذئاب وقتلة يتربصون دائمًا باليهود، ويحاولون الفتك بهم، ولذلك فإن اليهود يتخذون موقفًا عنصريًا عدائيًا من جميع الشعوب التي يدعون أنها دون الشعب اليهودي من جميع النواحي، ويعدون العرب على وجه الخصوص هم الأكثر وأقوى الأعداء الذين يهددون حياتهم ومستقبلهم، نت

(*) ادعاؤهم هذا باطل بدليل قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾ (المائدة: ١٨).

(**) اختيار الله لليهود من المفاهيم الخاطئة التي يعتقد اليهود بموجبها أنهم "شعب الله المختار"، وهذه العقيدة في الفكر اليهودي من العناصر الرئيسية في تكوين الفكرة العنصرية عند اليهود، وسنأتي على تشريح هذا الموضوع عند حديثنا عن العنصرية اليهودية ضمن موضوعات الفصل الثاني من هذه الرسالة، إن شاء الله.

(١) عبد الله، معتز سيد (الاتجاهات التعصبية) ص٢٤٤.



"جولدا مائير" (*) في أواخر أيامها تجد صعوبة في أن تنام - على حد قولها - بسبب عدد الأطفال الفلسطينيين الذين يولدون كل يوم[1].

وعليه فإنه من المؤكد أن العنصرية - كما يبينها السيد يس - تقوم على فكرة رئيسية، مؤداها أن مجموعة محددة من البشر يتسمون بكونهم طبيعيًا أسمى من غيرهم سواء كانت هذه السمات مبنية على أساس فيزيقي يتعلق بالتكوين الجسمي، أو على أساس حضاري خالص يتعلق بأبرز السمات الثقافية التي تميز الجماعة المختارة.

ويشير السيد يس أيضًا إلى عدد كبير من السمات والقيم التي عادة ما ينظر إليها باعتبارها علامات على السمو والامتياز، مثل: العبقرية العسكرية والتفوق التكنولوجي(**)، أو كما يقرر الصهاينة أنهم أسمى الجماعات الإنسانية؛ لأنهم شعب الله المختار، وأيًا كان الجنس الذي تزعم الأيديولوجيات(***) العنصرية تفوقه وسموه، فإن العنصري عادة ما يؤكد أن جماعته التي يحاول إعلاء شأنها سامية من وجهة النظر البيولوجية، ومن ثم فإن هذا السمو - ما دام يرتد إلى أصل بيولوجي - سيستمر إلى الأبد[2].

(*) جولدا مائير: ولدت عام ١٨٩٨ في كييف بالاتحاد السوفيتي تحت اسم جولدا مابوفيتش، وقد شغلت منصب أول سفير لكيانها في الاتحاد السوفيتي، شغلت عدة مناصب وزارية، ثم أصبحت رئيسة لوزراء حكومة العدو في عام ١٩٦٩ حتى حرب تشرين (أكتوبر) ١٩٧٣م؛ حيث استقالت في أبريل ١٩٧٤م، أصيبت بالسرطان عام ١٩٧٨، ورافقها حتى وفاتها عن عمر يناهز الثمانين عامًا في كانون الأول ١٩٧٨م. يُنظر: جولدا مائير (الحقد) ترجمة منير بهجت حيدر، ورسمية أبو الهيجا. وتمت ترجمة الكتاب إلى العربية عن كتاب: (حياتي - My Life) لجولدا مائير.

(١) يُنظر: عبد الله، د. معتز سيد (الاتجاهات التعصبية) ص٢٤٠-٢٤٢.

(**) تكنولوجي (Technologist) أي: الخبير بالتكنولوجيا (Technology)، وهي اللغة التقنية أو العلم التطبيقي أو الطريقة الفنية لتحقيق غرض عملي. ينظر: البعلبكي (قاموس المورد) ص٩٥٤.

(***) أيديولوجي: (Ideology) مجموعة نظامية من المفاهيم في موضوع الحياة أو الثقافة البشرية، أو طريقة التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة، أو النظريات والأهداف المتكاملة التي تشكل قوام برنامج سياسي، أو مذهب معين. يُنظر: البعلبكي (قاموس المورد) ص٤٤٧.

(٢) السيد يس (الصهيونية أيدلوجية عنصرية) وهو بحث من مجموعة أبحاث في كتاب (الصهيونية والعنصرية) ج١ ص٨٦.

ور العنصر :

تستمد العنصرية جذورها في العصور الحديثة قبل ظهور النظرية الداروينية التي دعت إلى التمايز بين الأعراق، ومعاضدة هذا التمايز، وذلك عندما ضم داروين(*) صوته إلى صوت دعاة علم الجماجم الذين رأوا أن هناك علاقة بين الذكاء وحجم الدماغ، حيث استحوذ هذا العلم على اهتمام علماء الاجتماع والسياسة، وقد أجمع العلماء من دعاة علم الجماجم على انحطاط الأعراق السوداء، وفسر العالم السويسري كارل فولت سبب هذا الانحطاط بالقول بأن الفطور (التشققات) الطبيعية في جمجمة الطفل تلتحم عند الزنوج بسرعة، فيتوقف بذلك نمو الدماغ بتحجر الجمجمة المبكر[1].

ولم يكن التفسير العنصري هو التفسير الوحيد للداروينية، فقد ظهر على الطرف الآخر كارل ماركس(**) ليعطي فكرة التنازع تفسيرًا آخر هو التنازع الطبقي وفكرة بقاء الأصلح في بقاء الطبقة الأرقى تقدمًا في سلم التطور الإنساني، ثم ظهرت "الليبرالية" التي تدعو إلى المساواة بين الأعراق والفئات الاجتماعية بضمان حقوقها الأساسية.

وكانت هذه المعسكرات الفكرية الثلاثة (العنصرية، الماركسية، الليبرالية) هي التي سيطرت على المسرح السياسي في القرن التاسع عشر، وحيث إن الليبرالية والماركسية كليهما يدعوان إلى تعايش القوميات والأعراف المختلفة مما يؤدي في النهاية إلى ذوبان الشخصية اليهودية المنفصلة واندماجها بالكل، فقد رفضت

(*) داروين: هو تشارلس روبرت داروين (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) عالم طبيعي إنجليزي. درس الطب تحقيقًا لرغبة أبيه، وتنسب إلى داروين النظرية الداروينية، وقد وضع أسس هذه النظرية في كتابه (أصل الأنواع)، ومن أعماله الأخرى (أصل الإنسان، والانتخاب بالنسبة للجنس). يُنظر: غربال، شفيق (الموسوعة العربية الميسرة) ١/ ٧٧٤.

(١) خالد القشطيني (الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية) ص٢٨-٣٠.

(**) كارل ماركس (١٨١٨ - ١٨٨٣م): فيلسوف الشيوعية المعاصرة من أصل يهودي ألماني، كان على صلة بالثورات التي اجتاحت ممالك أوروبا الغربية والوسطى ١٨٤٨م. يُنظر. غربال: شفيق (الموسوعة العربية الميسرة) ص١٦١٥-١٦١٦.

الصهيونية كلاً من الليبرالية والماركسية، ولم يبق أمام الصهيونية من المعسكرات الثلاثة سوى العنصرية؛ حيث استمدت الصهيونية قوتها الأيديولوجية منها[1].

وفي هذا الجو ظهرت الدعوات المنادية إلى محاربة الليبرالية والديموقراطية التي دعا إليها رواد الثورة الفرنسية، فمن الوثائق الرئيسية التي ربطت بصراحة بين العنصرية وتطورات الثورة الفرنسية مقالة الكاتب الفرنسي الكونت دي "غوبينيو" D. Gobineau التي نشرت بين عامي ١٨٥٣-١٨٥٥م تحت عنوان "دراسة في عدم تساوي الأجناس البشرية"، والتي دعا فيها إلى محاربة الأفكار الليبرالية، ومن ناحية أخرى فقد زعم غوبينيو أن الأجناس الإنسانية يمكن تصنيفها إلى أجناس ممتازة وأجناس منحطة، والأجناس الأولى قادرة على التقدم، أما الأجناس الثانية؛ فمحكوم عليها بالتخلف الأبدي[2].

إن جذور العنصرية الحديثة قد و[illegible] - كما ذكرنا قبل ظهور داروين ونشر كتابه (أصل الأنواع) ١٨٥٩م، وتحديدًا عند ظهور علم الجماجم عام ١٨٠٠م، وبينما أوقد نار العنصرية في فرنسا الكونت "دي غوبينيو" تقدم في ألمانيا "غوتليب فختة" ليضع اللبنات الأولى للفكر العنصري الحديث في بلاده الذي نادى بضرورة المحافظة على نقاء الشعوب والقوميات من خلال فصل القوميات عن بعضها البعض، والذي رأى أيضًا أن اليهود شعب ذو مصالح خاصة لا تجمعه بمصالح بقية المجتمع، وأن أحسن حل لهم هو تهجيرهم إلى فلسطين، وبيّن "[illegible]" أنه في حالة استحالة الوصول إلى مثل هذا الحل فالمخلص الوحيد لمعالجة قضيتهم هو قطع رؤوسهم واستبدال رؤوس خالصة من أي فكرة يهودية بتلك الرؤوس[3].

وقد ظهر كثير من العلماء في أوروبا ممن ينادون بنقاء العرق والقومية، ومنهم العالم الإنجليزي "هربرت سبنسر" الذي نصح بعدم خلط الأجناس المختلفة، وأكد على أن تقدم الجنس البشري يتوقف على إنجازات الرجل الأبيض. وكذلك فإن العالم

(١) القشطيني، خالد (المرجع السابق نفسه) ص٣٠-٣١.
(٢) السيد يس (المرجع السابق نفسه) ج١ ص٨٧، القشطيني، خالد (المرجع نفسه) ص٣٢.
(٣) القشطيني، خالد (المرجع نفسه) ص٤٣-٤٤.

الألماني الشهير "هنريخ ترتشكه" قد أثرت كتاباته تأثيرًا بليغًا في صياغة الأيديولوجية العنصرية بما فيها الأيديولوجية الألمانية حتى أصبح ترتشكه الأب الروحي للحزب النازي فيما بعد[1].

وهكذا تعاظم الأدب العنصري في أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد مجموعة من أعلام الفكر العنصري، وقد بينت هذه المجموعة الخطوط الرئيسية للعنصرية، ومنها: العرق هو الأساس والمبدأ، العرق الأبيض هو العرق السائد، نقاء العرق ضروري، العرق الزنجي متخلف تكوينيًا، اليهود غرباء وسيبقون كذلك إلى الأبد[2].

وقد ا‾ - وانتشرت فكرة العنصرية لتشمل العديد من دول العالم؛ فكانت الأيديولوجية النازية من أبرز المذاهب العنصرية في العصر الحديث التي كانت لها رؤية تسعى لتحقيق سلام يؤسس بواسطة السيف المنتصر لشعب مكون من السادة، سيضع العالم في خدمة حضارة أرقى[3]، ومن ناحية أخرى أقامت اليابان قبل هزيمتها في الحرب العالمية الثانية قوميتها المتطرفة وسياستها التوسعية على أسطورة قومية عنصرية، أما في أفريقيا " . أن العنصرية تتمثل في محاولة إقامة فجوات لا يمكن سدها بين البيض المستعمرين والسود أهالي البلاد الأصليين، أما في أمريكا فإن الدين المسيحي لا يسمح لمسيحي بأن يمتلك ويستعبد مسيحيًا آخر، فكانت العنصرية هي المخرج في استعبادهم للزنوج على أساس أن الزنوج جنس أدنى مرتبة من البيض[4].

وهكذا ينظر اليهود إلى غيرهم من البشر على أنهم أدنى مرتبة وأحط مكانة منهم، بل ذهب التطرف إلى أقصى درجاته في الفكر العنصري الصهيوني؛ فهم يؤمنون بأن كل من ليس يهوديًا ليس إنسانًا، ويمكن تسميته صرصورًا أو حيوانًا يسير على قدميه، ويمكن تسميته غريبًا أو عدوًا، وقد أباحوا لأنفسهم ارتكاب

---

(١) القشطيني، خالد (المرجع نفسه) ص٤٥.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٤٦.

(٣) عبارة لهتلر في كتاب " · حي" يُنظر: السيد يس (نفس المرجع) ج١ ص٨٦.

(٤) السيد يس (المرجع نفسه) ج١ ص٨٧.



الجرائم بحق البشرية (الأغيار) باسم القيم والأهداف التي يقررونها حسب أهوائهم[1]. وهكذا تبدو العنصرية عند من يدّعون التمدن!! (وهذه الرسالة تأتي لإثبات ذلك، إن شاء الله تعالى.)

وفي حقيقة الأمر فإن القضاء على ظاهرة التعصب والعنصرية يكمن في التمسك بالشريعة الإسلامية التي جعلها الله شريعة للبشر إلى قيام الساعة، فقد بيّن الإسلام أنه لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا بين أبيض ولا أسود، ولا بين عبد وسيد، ولا غني ولا فقير ولا غير ذلك إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات: ١٣)، هذا هو ميزان الإسلام في التفضيل ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

---

(١) عبد الله، د. معتز سيد (الاتجاهات التعصبية) ص٢٤١.

المبحث الثاني

بواعث التطرف ومظاهره

المطلب الأول: أسباب التطرف وبواعثه

يرجع التطرف إلى جملة أسباب ـ . تحديدها أو حصرها، حيث إن التطرف ظاهرة معقدة ومتشابكة الأطراف، وأسبابها كثيرة ومتنوعة، بعضها مباشر وبعضها غير مباشر، منها ما هو ديني، وما هو فكري، منها ما هو سياسي، وما هو اجتماعي، منها ما هو اقتصادي، وما هو غير ذلك.

هناك من أرجع التطرف إلى فراغ في النفس أو التيات في الفكر، أو فعل لتطرف آخر ينتقص من نفوذ الدين، أو ائتمار خبيث تقوده قوى غامضة لتقويض الدين وهدمه[1]. وزاد آخرون على تلك الأسباب البصيرة بحقيقة الدين، والتمسك بحرفية النصوص، والإسراف في التحريم، والتباس المفاهيم، واتباع المتشابهات وترك المحكمات، وكذلك المعرفة بالتاريخ والواقع وسنن الكون والحياة[2].

والحقيقة أنه مهما بلغت تلك الأسباب من الكثرة والتنوع إلا أن ذلك في حقيقة الأمر يرجع كله إلى عدم الالتزام بتعاليم الرسالات السماوية التي تدعو البشرية إلى

(١) محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص١٠.

(٢) د. القرضاوي، يوسف (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) ص٥٩-٩٨.



الرحمة والتيسير والعدالة والوسطية والتماسك وعدم الاعتداء على حياة الإنسان بغير وجه حق.

يقول الدكتور دراز: "ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين أو تدانيها في كفالة احترام القانون، وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه، والسر في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الكائنات الحية بأن حركاته وتصرفاته الاختيارية يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه ولا بصره ولا يوضع في يده ولا عنقه، ولا يجري في دمه، ولا يسري في عضلاته وأعصابه، وإنما هو معنى أنساني روحاني اسمه الفكرة والعقيدة - ويتابع - والإنسان يقود أبدًا بفكرة ... أو فاسدة، فإذا صلحت عقيدته صلح فيه كل شيء، وإن فسدت فسد كل شيء"[1].

أجل لقد ظهر التطرف وبرز العنف والإرهاب، وانتشر الفساد، وسادت الفوضى عندما فسدت عقيدة الناس، وغيب الإسلام - الذي هو دين كل الرسل[*]- عن الحكم به والاحتكام إليه.

لذلك كان الرجوع إلى الإسلام - الدين الصحيح والعقيدة السليمة - خير ضمان للأمن والأمان وقيام العدل وكبح الظلم في كافة المجتمعات. يقول ويلسون - أحد الرؤساء السابقين للولايات المتحدة الأمريكية: "إن حضارتنا إن لم تتقذ بالمعنويات، فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها؛ وإنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الديني في جميع مسامها.. ذلك هو الأمر الذي يجب أن تتنافس فيه معابدنا، ومنظماتنا السياسية، وأصحاب رؤوس أموالنا، وكل فرد خائف من الله محب لبلده"[2].

(١) دراز، محمد عبد الله (الدين) ص١٠١.

(*) الإسلام دين كل الرسل، وإليه ينتسب كل أتباعهم (عليهم السلام)، فيعقوب يوصي بنيه ﴿ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢). وموسى يقول لقومه ﴿ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ (يونس: ٨٤). والحواريون يقولون لعيسى ﴿ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ٥٢). ومحمد يحذر ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥).

(٢) دراز، محمد عبد الله (الدين) ص١٠٢. نقلاً عن الصحف الفرنسية في ٢٦من يونيو ١٩٤٠م.

إذا كان التمسك بتعاليم الرسالات السماوية يضمن الأمن والأمان إلا أن ذلك لا يضمن انتهاج الوسطية لدى كل المتمسكين بالدين، لتفاوتهم في فهمه وتلقي شرائعه وتفسير حقائقه.

لذلك كان من أبرز أسباب ظاهرة التطرف الديني بشكل عام، والغلو في نطاق الإسلام بشكل خاص، هو القصور في الفهم وقلة البضاعة في الفقه والتعمق في معرفة أسرار الدين، والتشدد الزائد في تطبيق أحكامه لدرجة الإثقال على الناس والتضييق عليهم، والله تعالى يقول: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٧٧)[١].

وقد ينتج التطرف أحيانًا عن ردة فعل لتطرف آخر، أي أن ردة الفعل قد تكون باعثًا واضحًا من بواعث التطرف.

ونزيد على ما سبق جملة أسباب أخرى تعد من أهم أسباب التطرف في بني إسرائيل واليهود، ومن ذلك:

- جهلهم بتعاليم دينهم، فعلى الرغم من أن المسيح كان يدعو إلى الرحمة واللين، والعفو والصفح والسلام والتسامح، فإن الداعين إلى التطرف وإراقة الدماء لم يجدوا تسويغًا لهم إلا في آيات جهلوا في فهمها، ففي إنجيل متى: "لا تظنوا أنى جئت لأحمل السلام إلى العالم، ما جئت لأحمل سلامًا؛ بل سيفًا، جئت لأفرق بين الابن وأبيه، والبنت وأمها، والكنة وحماتها، ويكون أعداء الإنسان أهل بيته"[٢].

وفي ذلك من اتباع المتشابه من النصوص وترك المحكمات البينات، مما لا يصدر عن راسخ في العلم، ورييب نظر، وثاقب فكر في دراسة العقائد، فإن هذه المتشابهات قد بينتها آيات محكمات في الإنجيل وما قبله[٣].

(١) وهناك آيات وأحاديث عديدة تدعونا إلى الوسطية والتخفيف والتيسير وعدم الغلو أو التشديد يحسن الرجوع إليها في المبحث السابق تحت المفهوم الاصطلاحي للتطرف.

(٢) إنجيل متى: (١٠ / ٣٤ – ٣٦)، وينظر: إنجيل لوقا (١٢ / ٨ – ٩).

(٣) محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص١٠، نقلاً عن ابن تيمية (الرسالة القبرصية) ص٢٢.



- ومن أسباب التطرف وبواعثه عند اليهود ردة فعلهم جراء ما فعلته النازية بهم(*). ولسنا هنا وراء الأسباب التي أدت إلى اضطهاد النازية إياهم سواء بالتسويغ أو الشجب، ولكننا بصدد انعكاس ذلك على سلوكهم تجاه الآخرين، فقد بلغوا حدًا لا يطاق في الانتقام من أبرياء لم يكن لهم ذنب فيما حل بهم.

يقول أبو غزالة: "فإن اضطهاد النازية لهم دفعهم إلى بلوغ الذروة في النقمة على البشرية بشكل عام، وعلى من يقف في طريق أحلامهم بشكل خاص - ويتابع - وقد زاد من نقمة الهاربين من اضطهاد النازية إلى فلسطين أنهم وجدوا فيها خيبة مرة لما وعدوا به من أن هذه البلاد أصبحت "وطنهم الموعود" فعلاً، وأن دولة يهودية أقيمت فيها وليس عليهم إلا أن ينجوا بجلدهم من براثن النازية لينعموا "باللبن والعسل" في فلسطين، فما كان منهم أمام خيبة الأمل هذه إلا أن تقمصوا رداء النازية وأوقعوا في غيرهم ما أوقع بهم"(1).

- ومن الجدير ذكره أن مسألة اضطهاد النازية لليهود كانت مسألة أكبر من حجمها، وقد فضح الفيلسوف الفرنسي جارودي هذه القضية في كتابه "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية"(**).

(*) النازية: كلمة ألمانية، وهي اختصار للمصطلح الذي يعبر عن (الوطنية الاشتراكية)، وقد ظهر الحزب النازي في العشرينيات، ولكنه لم يصل إلى الحكم إلا في الثلاثينيات من القرن العشرين، وقد لخص هتلر أفكاره في كتابه (كفاحي) الذي نادى فيه باتجاه قومي عرقي؛ حيث قسم الناس إلى ثلاثة أقسام: الآريين ومن يتشبه بهم (مثل اليابانيين) ثم الساميين، وأخيرًا الزنوج، وأكثرها تفوقًا هو الجنس الآري، كما يرى هتلر. وكان هتلر توسعيًا يؤمن بضرورة توسيع (الوطن الأم) في أوروبا ولذلك أيد الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، وتشترك النازية مع الصهيونية في الممارسة المتطرفة ضد الأغيار، وكذلك في الأصول الفكرية والفلسفية. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٢٩١.

(١) أبو غزالة، بسام (الجذور الإرهابية لحزب حيروت الإسرائيلي) ص٦٤.

(**) قام الفيلسوف والمفكر الفرنسي "جارودي" الذي اعتنق الإسلام منذ عدة سنوات بفضح هذه القضية مبينًا أنها أخذت شكلاً أكبر من حجمها، ومن جملة ما قاله جارودي حول هذا الموضوع قوله: "فالتدليل على أن جرائم النازي لم تقتصر إلا على اليهود وحدهم، وأنها خلفت عشرات الملايين من القتلى في الكفاح ضد الفاشية هو عنصرية تشجع على التميز والحقد العنصريين... ويتابع بالقول: وحتى الآن لم يقدم حتى للفنانين الكبار من ذوي النوايا الطيبة إلا الأرقام التعسفية والخاطئة... وفيلم "الهولوكوست" هو أكبر فيلم ساهم في التلاعب بالرأي العام العالمي والسيطرة عليه، وهو ما يعد جريمة ضد الحقيقة التاريخية". وقد ساق جارودي الأدلة على أكذوبة اليهود في ادعائهم ==

ومن تلك الأسباب أيضًا التعبئة العدوانية: فلا تكاد تخلو قناة من القنوات الدينية والاجتماعية عند اليهود من هذه التغذية الشريرة ضد العرب ومن له صلة بهم، وذلك أنهم ينظرون إلى "الأغيار" غير اليهود من البشر على أنهم قتلة يجب أن يزولوا من الوجود كله، وهذه النظرة العنصرية أصبحت عقيدة راسخة في نفوس اليهود، لذلك يمثل غير اليهود أعداء حقيقيين لليهود، ينبغي مواجهتهم بحسم وقوة من أجل حياة أفضل لليهود، ولسنا هنا بصدد الحديث عن العنصرية اليهودية - التي سيأتي الحديث عنها لاحقًا - بقدر بيان اهتمامهم في غرس الروح العدوانية في نفوس أفرادهم، وما ينتج عن ذلك من عنف وتطرف وإرهتب وسفك للدماء دون وازع من ضمير وإحساس بندم.

إن سفك دماء الأطفال والنساء والشيوخ متعة لا يضاهيها متعة أخرى، لا اهتمام بقرارات الأمم المتحدة، ولا انتباه لصرخات البشرية، ولا إحساس بتأنيب الضمير ينتاب هؤلاء الصهاينة الغادرين، كما لو كانوا خلقوا بحق من أجل أعمال العنف والعدوان التي يقومون بها ويشجعونها في كل بقعة من بقاع الأرض، ويرفعون شعارات زائفة لرغبتهم في السلام يكمن وراءها ثور ثائر، وبركان هائج من العنف والعدوان يتحين الفرصة الملائمة لممارسة هوايته المفضلة. ثم إن دستورهم يقدس القهر والإبادة[1].

ويرى الكاتب يهوشع سويول أن التربية اليهودية تعقد الفرد (اليهودي) في كثير من الأحيان، إذ تشحنه بمشاعر العداء التي غالبًا ما يكون التعبير عنها بالعنف، وقال: "إن في إسرائيل من يحبذ مواصلة الحرب، ويريد استمرارها، ويمكن الاستشهاد على ذلك بما جاء في صحيفة للطلبة في جامعة حيفا: "ينبغي الاستمرار في ضرب العرب دون رحمة""[2].

ولا غرابة في ذلك؛ فإن هذه الروح العدوانية تستمد من نصوص كتبهم المقدسة فعند قراءة كتاب "العهد القديم" تطالعنا منذ البداية فكرة الصراع بين الخير

== الهلوكوست وضخامة المذبحة؛ حيث بإمكان القارئ مراجعة كتاب جارودي (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) ص٧١-١٥١.

(١) يُنظر: عبد الله، معتز السيد (الاتجاهات التعصبية) ص٢٤٧. وعون، كمال أحمد: (اليهود من كتابهم المقدس أعداء الحياة الإنسانية) ص٤٢ وما بعدها، وهو يتحدث عن التعاليم البالغة عنفًا وقسوة.

(٢) كنعان، جورجي: (سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية) ص١٦٨-١٦٩.



والشر، وهي الفكرة التي تنطوي عليها فلسفة الحرب منذ أن خلقت البشرية حتى اليوم.

وتاريخ اليهود على النحو المدون به في "العهد القديم" يزخر بالكثير من الإشارات إلى أشكال هذا الصراع التي تجسدت فيما عرف بأنه "الحرب"... إن مدون العهد القديم يهدف من وراء ذكر القصص الحربية إلى حفز الهمم وغرس التقاليد القتالية في نفوس بني جنسه[1]. يقول الشامي: (وهذه النصوص التوراتية التي تغذي الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية الحيوانية تدرس في المدارس [اليهودية] دون أن تحظى بأي معالجة نقدية تذكر)[2].

وإمعانًا في التعبئة العدوانية فقد قالوا: "لا بأس من قتل الجوييم[*] (الأجانب غير اليهود)، ولا نثق بغير اليهودي بأنه لن يؤذي قواتنا"[3].

ولقد مارس اليهود الكثير من العمليات الإجرامية الإرهابية تمشيًا مع الروح العدوانية التي تغذيها النصوص التوراتية والتلمودية وتعبئها الفكرة الصهيونية

والحاخامية اليهودية[4]، فالفكرة الصهيونية التي تحمل في ثناياها كل مسوغات العدوان والإرهاب تتمحور حول الزعم بأن خلاص اليهود يكمن في هجرتهم إلى

---

(١) الشامي، رشاد عبد الله (الشخصية اليهودية والروح العدوانية) ص١٦٧-١٦٨. وبالنظر إلى سفر (التثنية) الإصحاحات: (٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤) فإن قوانين الحرب قد جمعت في فقراتها، وهذه القوانين هي التي يتسلمها قادة اليهود كمصدر وحي كشريعة مقدسة على أساس أن كل جريمة تصبح شرعية وقانونية من أجل تحقيق وعد الرب لهم في فلسطين. يُنظر: الشامي، رشاد عبد الله (المرجع نفسه) ص١٧٠.

(٢) الشامي، رشاد عبد الله (المرجع نفسه) ص١٧١.

(*) الجوييم: Goyim كلمة عبرية تعني الأغيار، ومفردها (جوي)، وأصل اشتقاق الكلمة غير معروف، ويرى بعض العلماء أنها جاءت من أصول غير سامية قديمة جدًا، واستخدمت بمعنى الهوام والحشرات التي تزحف في جموع كبيرة، مكررة مرتين للتهويل فكانوا يقولون "جوى - جوى" ومن هذا التركيب الازدواجي بقي في لغتنا العربية - لفظ "غوغاء" ومعناه أيضًا جموع الجراد، ثم إلى المعنى الكثير المختلط من الناس، ثم أصبح يدل على السوقة والأشرار بصفة خاصة. وقد خصصتها العنصرية اليهودية للإشارة إلى الناس جميعًا من غير اليهود. ينظر: الشامي، رشاد عبد الله (الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية) ص٣٥، والمسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص١٥٤.

(٣) حديث للحاخام العسكري الأكبر لقيادة الوسط، أفواهام زعير (إيبان). يُنظر: الشامي، رشاد عبد الله (المرجع نفسه) ص١٧٦.

(٤) سنقف عند هذه العمليات الإجرامية في الصفحات القادمة من هذه الرسالة، إن شاء الله.

فلسطين واغتصابها، وإقامة وطنهم القومي فيها على حساب شعبها العربي وحقوقه، وليس لدى الحركة الصهيونية ما تقوله لأتباعها سوى الأفكار التي تستهدف تعبئتهم تعبئة عدوانية، وتقول لهم بأنهم مكروهون ومهددون بالإبادة، وليس لهم من سبيل للدفاع عن أنفسهم سوى قتل الآخرين والاعتداء على حقوقهم وسلبها"[1].

- ومن أسباب التطرف والعنف والإرهاب الشعور بعدم الأمن: إن الشعور الدائم بالقلق وعدم الاستقرار وعدم الأمن من الخصائص المؤلمة للطبيعة الإنسانية التي تولد العدوانية.

يقول شلومو هيلل - وزير شرطة سابق في الكيان الصهيوني: "إن مشاعر الإحباط وخيبة الأمل التي تسود عقب أي حرب مع العرب، وحالة التوتر التي نعيشها والوضع الاقتصادي الصعب الذي نعانيه يكون التعبير عنها بالعنف والجريمة"[2].

أما القاضي عوزي سيفان؛ فيرجع أسباب العنف إلى عاملين: الأول يتمثل في الأصول الحضارية المختلفة للمجتمع [اليهودي]، الأمر الذي يؤدي في أكثر الأحيان إلى صدامات بين الجيران، ويتعلق الثاني بالوضع الأمني المتردي الذي يعيشه المجتمع [اليهودي] وقال: "أصبح من المألوف القول بأننا مجتمع عنيف، وظاهرة العنف نابعة من كوننا نعيش طول الوقت تحت وطأة الضغوط الأمنية والاقتصادية"[3]. إن اليهود في بحثهم عن الأمن قد تصرفوا بوحشية هي بعيدة تمامًا عن الأسس الأخلاقية، واليهود يلازمهم إحساس مرضي بعدم الأمن، وقد قادهم هذا الإحساس إلى أن يسعوا للسيطرة على خصومهم بطرق تخلق الأخطار[4].

ثم إن مفهوم الأمن الذي يسعى إليه الكيان الصهيوني يجعلهم دائمًا في حالة استنفار قصوى، وفي اجتهادي فإن اليهود لن يشعروا بالأمن داخل أرض اغتصبوها بالقوة من أصحابها الشرعيين، وهم يدركون ذلك جيدًا ما دام أصحاب الأرض أحياء. إن مفهوم الأمن بالنسبة للكيان الصهيوني لا يعني الدفاع عن أرض معينة محددة؛ بل

(١) السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٩.

(٢) كنعان، جورجي (سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية) ص١٨٦، نقلاً عن صحيفة "يديعوت احرونوت" ١٩٧٥/٢/٢٣م.

(٣) كنعان، جورج (المرجع السابق نفسه) ص١٦٨، نقلاً عن صحيفة "بمحانيه" ١٩٧٥/٢/١٢م.

(٤) آدمز، مايكل (ليس للنشر)، ترجمة محمود فلاحة، ص٣٠٥-٣٠٦.



يعني أن يكون لقوات الكيان الصهيوني حق المناورة في الأرض العربية والأجواء العربية المحيطة بهم، وهكذا فإن أمن الكيان الصهيوني لا يتحقق بمجرد حصولهم على ضمانات دولية، وإنما هو مرتبط بإحرازهم مكاسب وإنجازات فعلية"[1].

ومن الملاحظ أن القصف اليهودي المستمر لجنوب لبنان وعمقه إنما هو نابع من شعورهم بالقلق وعدم الأمن وللحفاظ على أمنهم، فقد انشئوا منطقة ما يسمى بالحزام الأمني - ولاحظ التسمية - في جنوب لبنان[*].

ومع هذا فإن أمن الكيان الصهيوني لا يمكن أن يؤمن بمجرد الحصول على حدود جغرافية معينة، بل بالوصول إلى حدود أخرى من خلال سيطرة سياسية غير مباشرة لفرض سلام يؤمن رضوخ المناطق المجاورة كلها[2].

إن الشعور الدائم عند اليهود بعدم الأمن يولد عندهم، وباستمرار، الانتقام من الآخرين.

- [illegible] الحفاظ على أمنهم مُنِع العدد الكبير من العمال الفلسطينيين من دخول الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ٤٨ لمزاولة العمل.
- وبحجة الحفاظ على الأمن ضمت الكثير من الأراضي الفلسطينية عنوة إلى السيطرة الصهيونية الغاصبة.
- وبحجة الحفاظ على الأمن اقتلعت آلاف الأشجار من الأراضي العربية.
- وبحجة الحفاظ على الأمن اعتقل آلاف الشباب العرب والفلسطينيين بدون ذنب.
- وبحجة عدم الشعور بالأمن مُنِع آلاف المرضى من الوصول إلى المستشفيات عبر الأراضي التي يسيطر عليها الكيان الصهيوني قهرًا واغتصابًا، وكانت النتيجة موت العديد منهم.

---

(١) العابد، إبراهيم (مدخل إلى الاستراتيجية الإسرائيلية) ص١٩.

(*) يشار إلى أن اليهود قد انسحبوا من الجنوب اللبناني في الرابع والعشرين من شهر أيار (مايو) من عام ٢٠٠٠م جرّاء ضغط المقاومة اللبنانية والخسائر العسكرية الصهيونية. يُنظر: فلسطين المسلمة، العدد السادس، حزيران يونيو ٢٠٠٠م، ص٤٣.

(٢) العابد، إبراهيم (المرجع السابق نفسه) ص١٢.

- وبحجة عدم الشعور بالأمن سيزداد عدد القتلى الأبرياء، وسيستمر الحصار الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي مفروضًا على الشعب الفلسطيني إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

ولذلك فإنه مع عملية التسوية الحالية مع السلطة الفلسطينية، فإن الكيان الصهيوني ما زال متمسكًا بالمعابر الجوية والبرية والبحرية لفلسطين، ولن يسلمها للفلسطينيين، وذلك بحجة الحفاظ على أمنهم وشعورهم الذي لا ينتهي بعدم الاستقرار.

إن جميع الأسباب التي ذكرناها، والتي تعد بمثابة المقدمات التي تولد النتائج لا تعد وحدها هي المنطلقات لظاهرة التطرف والعنف والإرهاب، فمجموع هذه الأسباب وغيرها، سواء كانت تلك الأسباب دينية أو فكرية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو نحو ذلك، كلها تعمل بأقدار متباينة وبدرجات متفاوتة تركم خلفها آثارًا تتفاوت فعاليتها من وضع لآخر إلا أن لجميع تلك الأسباب والبواعث والدوافع أثرًا لا يُنكر وبصمات لا تزول.

المطلب الثاني: مظاهر التطرف وعلاماته

بعد إيجاز القول في أسباب التطرف وبواعثه نجد أنفسنا أمام نتائج تلك المقدمات، فكما أن للتطرف بذورًا مغروسة، فلا بد من مشاهدة شتلات هذه البذور وثمارها، وحيث إن أسباب التطرف - سواء كان هذا التطرف دينيًا أو فكريًا، اجتماعيًا أو سياسيًا أو نحو ذلك - كثيرة، فإن مظاهره وعلاماته ودلائله ستكون كثيرة، إلا أننا في هذا المطلب سنشير إشارة سريعة إلى بعض هذه المظاهر؛ لما سيكون لها بعد ذلك من حضور مستمر في سياق الرسالة.

ونستطيع ان نوجز بعض مظاهر التطرف وعلاماته فيما يأتي:

١) التعصب للرأي تعصبًا لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الشخص على فهمه جمودًا لا يسمح له برؤية واضحة لمصالح الخلق، ولا مقاصد الشرائع، ولا ظروف

العصر، ولا يفتح نافذة للحوار مع الآخرين، وموازنة ما عنده بما عندهم، والأخذ بما يرجح ميزانه وينصع برهانه[1].

فهذا التعصب المقيت الذي يثبت المرء فيه نفسه، وينفي كل من عداه هو الذي يعد من دلائل التطرف حقًا، فالمتطرف لا يعرف الوسط، ولا يعترف به؛ لأنه لا يمكن أن يلتقي بغيره أبدًا ما دام يعد رأي غيره على خطأ لا يحتمل الصواب، ورأيه هو الصواب الذي لا يحتمل الخطأ، وكأنه جعل من نفسه نبيًا معصومًا، والأمر يزداد خطورة إذا أراد أن يفرض رأيه على الآخرين بالقوة، فهذا الإرهاب الفكري يكون أشد خطرًا من الإرهاب الحسي[2].

٢) التزام التشديد دائمًا مع قيام موجبات التيسير، وإلزام الآخرين به، حيث لم يلزمهم الله به، إذ لا مانع أن يأخذ المرء لنفسه بالأشد في بعض المسائل وبالأثقال في بعض الأحوال تورعًا واحتياطًا، ويقبل منه كذلك أن يشدد على نفسه فيعمل بالعزائم، ويدع الرخص والتيسيرات في الرسالات السماوية، ولكن الذي لا يقبل منه بحال أن يلزم بذلك جمهور الآخرين من الناس، ثم إن الذي ينكر من التشديد ويزيده قبحًا أن يكون في غير محله، وأن يكون في غير زمانه ومكانه، أو أن يكون في الفروع والجزيئات لا في الأصول والكليات[3].

٣) ومن مظاهر التطرف: العنف في التعامل والخشونة في الأسلوب والغلظة والفظاظة في الدعوة خلافًا لهدى الله تعالى وهدي رسله - عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم[4]، وقد بين الله تعالى أن الفظاظة مدعاة للنفور[*].

(١) د. القرضاوي، يوسف (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) ص٣٩-٤١.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٣٩-٤١.

(٣) د. القرضاوي (المرجع نفسه) ص٤١، ومحمد، عبد الراضي(التطرف اليهودي) ص١١.

(٤) يُنظر: د. القرضاوي (المرجع نفسه) ص٤٥.

(*) قال تعالى مخاطبًا رسوله محمدًا ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩). ثم إن الله تعالى يأمرنا أن ندعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة لا بالحماقة والعبارة الخشنة، فقال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وهذان رسولا الله موسى وهارون (عليهما السلام) يذهبان إلى فرعون ليدعواه؛ فكانت دعوتهما له بالقول اللين، قال تعالى: ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه: ٤٣-٤٤).

وقد كانت دعوة عيسى عليه السلام لبني إسرائيل بذات الطريقة من الرفق واللين محذرًا إياهم من الغلظة والفحش، ففي إنجيل متّى "من قال لأخيه: يا جاهل، استوجب حكم المجلس، ومن قال له: يا أحمق، استوجب نار جهنم"[1]، وعلى الرغم من دعوة المسيح عليه السلام بهذا المنهج وهذا الخلق المشع بالتسامح والصفح والرفق والرحمة ونبذ العنف إلا أن بني إسرائيل واليهود خالفوا ذلك، فكانت فلسفتهم في الحياة مبنية على العنف والقهر والبطش.

فالعنف عند اليهود من أبرز مظاهر التطرف، فالعنف عندهم عقيدة ومتنفس، ووسيلة لإثبات الذات، وأصبح العنف من حق اليهودي وواجبه في أن يلجأ إلى جميع الوسائل والأدوات دون أي اعتبار لأي قيم خلقية أو مثالية في معاملته للآخرين، كما أن اليهود يعدون العنف وحده الذي يسمح للشعب اليهودي في أن يعيش حرًا، والعنف هو أيضًا عندهم الذي يقود إلى بناء المجتمع اليهودي الجديد.

كما أن اليهود يتخذون العنف مخرجًا للتنفيس عن الشحنات الزائدة عندهم من مشاعر الكراهية المكبوتة تجاه جميع الأمم والشعوب الأخرى، كما أنهم يشعرون باستخدامهم العنف أنهم قد أصبحوا قادرين على إلحاق الأذى والضرر بالغير- ولا سيما بالعرب - سواء كان ذلك انتقامًا وتعويضًا عما لحق بهم من إذلال واضطهاد طيلة قرون طويلة في أوروبا، أم إشباعًا لرغباتهم المتعطشة للدماء[2].

٤) ومن علامات التطرف: إدانة الآخرين واتهامهم وسوء الظن بهم دائمًا، والنظر إليهم من خلال منظار أسود خلافًا لما تقرره الشرائع والقوانين من أن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، فآفة المتطرفين الاتهام لأدنى سبب، وسوء الظن بالآخرين حتى تغلغل ذلك في أعماق نفوسهم، فأصبحوا ينظرون إلى أعمال غيرهم على أنها سيئات، بل ويزدرون كل من سواهم، غرورًا وتكبرًا وإعجابًا بأنفسهم، ومن هنا كانت أول معصية لله في العالم هي معصية إبليس التي أساسها الغرور والكبر[3] ﴿ أَنَا خَيْرٌ

(١) إنجيل متى ٥: ٢٢.

(٢) يُنظر: ربيع، د. حامد (الحرب النفسية في الوطن العربي) ص٢٢٨-٢٢٩، وربيع، د. محمد محمود: (أزمة الفكر الصهيوني المعاصر) ص١٦٨-١٦٩.

(٣) د. القرضاوي (الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف) ص٤٩-٥٢.



مِّنْهُ﴾ (الأعراف: ١٢)، ثم ما قصه الله علينا من صفة التكبر عند اليهود[١] ولقد وقف يهود بني قينقاع يقولون لرسول الله : (لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنَّا نحن الناس)[٢].

ثم إن اليهود من شدة تطرفهم وغرورهم وصلفهم وتكبرهم يعدون غيرهم من الناس من صنف الحيوانات، فبلغ من مظاهر تطرفهم إيمانهم بأن كل من ليس يهوديًا ليس إنسانًا، ويمكن تسميته صرصورًا أو حيوانًا يسير على قدميه[٣].

٥) ومن مظاهر التطرف أيضًا: استباحة دماء وأعراض وأموال الآخرين وتكفيرهم، وهذا غاية التطرف وقمته[٤]، وهذه المظاهر مما حذر منها رسل الله وأنبياؤه أقوامهم على مر العصور إلى يومنا هذا، والقرآن الكريم مليء بذلك[*] كما أن التوراة والإنجيل كذلك.

جاء في التوراة: "لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق..."[٥]، وفي الإنجيل من الوعيد لليهود جرَّاء قتلهم وسفكهم الدماء، ولا سيما دماء الأنبياء، في إنجيل متى "الويل لكم يا معلمي الشريعة والفريسيين[**] المرائين؛ تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الأتقياء.... أيها

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [البقرة: ٨٧] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ﴾ [الاحقاف: ١٠]، وإذا كان هذا في التكبر، فإن غرورهم ليس بأقل من ذلك قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ... ﴾ [البقرة: ١١١].

(٢) يُنظر: يوسف محمد عمرو (بنو إسرائيل في القرآن الكريم) ص٢١٢.

(٣) عبد الله، معتز سيد (الاتجاهات التعصبية) ص٢٤١.

(٤) د. القرضاوي (نفس المرجع السابق) ص٥٣.

(*) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [الأنعام: ١٥١، والإسراء: ٣٣]

(٥) التثنية: ٥: ١٧-١٩.

(**) الفريسيون: Pharisees، واسمهم بالعبرية "فروشيم" أي المفروزون الذين امتازوا عن الجمهور، وعزلوا عنه، وكانوا يلقبون أحيانًا بلقب "حبيريم" أي: الرفاق والزملاء، ويلقبون أنفسهم أيضًا بـ "حسيديم" أي: الأتقياء، والفريسيون حزب ديني وسياسي من علماء الشريعة من الربانيين قديمًا، وكانت لهم الكلمة العليا في توجيه المجتمع اليهودي على عهد المسيح ﷺ، وكانوا من أشد خصوم المسيح خطرًا عليه، وكانوا من كبار المدافعين عن الشريعة الشفوية (التلمود)، ولضمان تقديس اليهود للتلمود أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عليا، وأنهم معصومون وأقوالهم صادرة عن الله. ==

الحيات أولاد الأفاعي كيف ستهربون من عقاب جهنم، لذلك سأرسل إليكم أنبياء وحكماء ومعلمين، فمنهم من تقتلون وتصلبون، ومنهم من تجلدون في مجامعكم وتطاردون من مدينة إلى مدينة، حتى ينزل بكم العقاب على سفك كل دم بريء على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا"(١)

وزيادة على التحذير من مظاهر سفك الدماء بالقتل وانتهاك الأعراض بالزنى ونحوه واستباحة الأموال بالسرقة ونحو ذلك، جاء أيضًا التحذير من مظهر آخر من مظاهر التطرف وهو تكفير الآخرين الذي يترتب عليه حل دمه وماله، وقد حذر النبي ﷺ من الاتهام بالكفر ففي الحديث: "أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما"(٢).

تلك هي بعض المعالم البارزة والدلائل الواضحة للتطرف الديني، غير أن هناك - كما يذكر عبد الراضي محمد(٣) - سمة تميز بها التطرف الديني في بني إسرائيل حتى صارت أخص خصائصه وأبرز علاماته، وهي الغلو، ذلك الذي نهاهم القرآن عنه بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة، الآية: ٧٧)، فقد وقفوا في طرفي نقيض، هؤلاء في طرف، وهؤلاء في طرف يقابله، وذلك في التوحيد، والأنبياء والشرائع والحلال والحرام، والأخلاق وغير ذلك.

فاليهود يشبِّهون الخالق بالمخلوق في صفات النقص المختصة بالمخلوق التي يجب تنزيه الرب - سبحانه - عنها كقول من قال منهم: إنه فقير، وإنه تعب من خلق السماوات والأرض... ونحو ذلك مما سنستعرضه في الفصل الأخير، إن شاء الله تعالى.

== للاستزادة عن هذه الفرقة ومعتقداتها يُنظر: شلبي، أحمد: (مقارنة الأديان - اليهودية) ص٢٢٧، وظاظا، د. حسن (الفكر الديني اليهودي) ص٢١٠، وفتاح، الدكتور عرفان عبد الحميد (اليهودية عرض تاريخي) ص٩٨، والمسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص٢٨٣.

(١) إنجيل متى ٢٣: ٢٩-٣٥، ويُنظر أيضًا إنجيل لوقا: ١١: ٤٧-٥١.

(٢) الحديث رواه البخاري في صحيحه بسنده المتصل عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما). يُنظر: صحيح البخاري بشرح العسقلاني (فتح الباري) ١٠/٦٣٠ كتاب الأدب باب من كفر أخاه - حديث رقم ٦١٠٤.

(٣) محمد، عبد الراضي (المرجع نفسه) ص١٢.



والنصرانية تشبِّه المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق، التي ليس له فيها، كقولهم: إن المسيح هو الله، وابن الله، وكل من القولين يستلزم الآخر، ثم اشتط اليهود فعبدوا العجل والأبقار والأصنام من دون الله[1].

واليهود كذبوا الأنبياء، وطاردوهم وقتلوهم بغير حق، وغالى النصارى في المسيح وأمه ووضعوهما في مرتبة فوق البشرية[*]، وفي الطهارة بالغ اليهود في اجتناب النجاسات وتحريم الطيبات، وأسقط النصارى الواجب منها كالختان والطهارة من الغسل وغير ذلك[2].

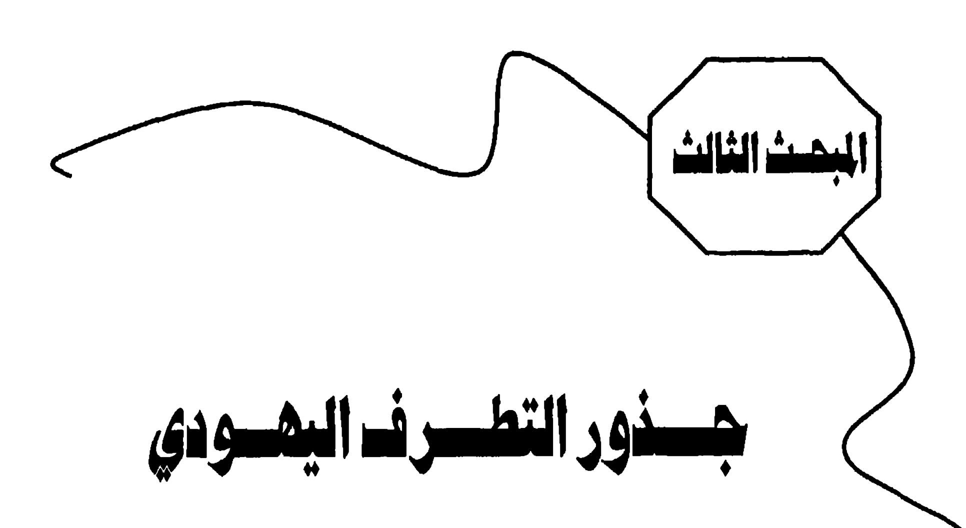
وسنعرض لمظاهر التطرف اليهودي في عقائدهم وأخلاقهم وسياساتهم في التوراة والتلمود وأبرز أقوال الحاخامات وقادة الصهيونية في هذا المجال، وكذلك مظاهر تطرفهم في حق المسلمين والمسيحيين في العالم عامة وفلسطين خاصة في سياق الرسالة، إن شاء الله تعالى، وهي التي تعد جوهر موضوعنا في هذا البحث.

---

(١) محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص١٢.

(*) قال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠-٣١].

(٢) محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص١٢.



المبحث الثالث

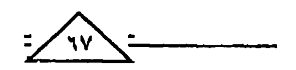
جذور التطرف اليهودي

المطلب الأول: تطرف بني إسرائيل في فجر تاريخهم (قبل موسى عليه السلام)

لدى استعراض تاريخ بني إسرائيل في حياتهم الأولى، وبالتحديد قبل زمن موسى عليه السلام، يبرز لنا التطرف الإسرائيلي في مواضع متعددة، أبرزها معاملتهم ليوسف عليه السلام. ثم فتنهم ومؤامراتهم في تاريخ مصر القديم، ولكن قبل هذا وذاك يجدر بنا أن نلقي الضوء على التطرف الإسرائيلي في تجذير تاريخهم بإعطاء أنفسهم نسبًا يعود إلى نبي الله إبراهيم الخليل (عليه وعلى نبينا وسائر الرسل أفضل الصلاة والسلام). وقد رأيت أن أبدأ هذا المطلب بتشريح وتفنيد الادعاءات والاختلاقات اليهودية التي ترمي بأصلهم إلى عمق التاريخ زورًا وتطرفًا واحتيالاً وبهتانًا.

التطرف اليهودي في تأصيل تاريخهم:

عبثًا يحاول اليهود تأصيل وتجذير تاريخهم، وذلك حينما تسلقوا التاريخ إلى أن وصلوا إلى إبراهيم عليه السلام منتسبين إليه - زورًا وبهتانًا - على اعتبار أنه الجد الأول والأعلى لهم. والله تعالى يكذبهم بقوله سبحانه: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران: ٦٧).



فاليهود يربطون نسبهم بإبراهيم الخليل عليه السلام ويعدونه رأس نشأتهم وأساس تسلسلهم العرقي، مع أن العصر الذي عاش فيه إبراهيم عليه السلام هو القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي: قبل مولد موسى بأكثر من ستة قرون، وقيل: سبع مئة عام، وتؤكد الأدلة عدم وجود صلة "عرقية" بينهما إلا أنهم أصروا على هذه القربى بغية إرجاعها إلى أقدس العروق من الأجناس البشرية، ولكي ترفع من مكانتهم بين البشر وتجعلهم الشعب المختار[1].

لذلك ومن أجل أن يضرب اليهود جذورهم في أعماق التاريخ، فقد تسموا بالعبرانيين نسبة إلى أبرام (إبراهيم) العبراني - كما جاء في التوراة: "فجاء أحد الناجين وأخبر أبرام (إبراهيم) العبراني وهو مقيم عند بلوط ممرا الآموري[*] أخي أشكول وعانر وهم حلفاء أبرام."[2]

وفي تسمية العبرانيين وإطلاق العبري أو العبراني على إبراهيم أكثر من علة، ومنها ما يأتي:

- قيل: نسبه إلى أحد أجداد إبراهيم عليه السلام الذي كان يسمى (عابر)[3] فهو إبراهيم بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالح بن عابر بن شالح بن أرفكشاد بن سام. وهذا حسب ما يذكره سفر التكوين.[4]
- وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام عبر النهر، فسمي بالعبراني، أما النهر حسب ما ذكره بعض الكتّاب لم يحدد أهو نهر الفرات أم نهر الأردن[5] إلا أن هناك من الباحثين

---

(١) يُنظر: الدكتور سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٢٣٢، والسعد، جودت (الشخصية اليهودية عبر التاريخ) ص٢٥، وفتاح، د. عرفان عبد الحميد (اليهودية عرض تاريخي) ص٢٢.

(*) بلوط ممرا الآموريّ: مكان بحبرون التي يقوم الآن مكانها مدينة الخليل. يُنظر: دروزة، محمد عزة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) ص٣٠

(٢) التكوين ١٤: ١٣.

(٣) ظاظا، حسن (الشخصية الإسرائيلية) ص٢٣.

(٤) التكوين: ١١: ١٠-٢٧.

(٥) يُنظر: شلبي، أحمد (مقارنة الأديان - اليهودية) ص٥٤، والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) ص٣١.

من ذكر أنه نهر الفرات[1]، فقد ذكر الدكتور ظاظا أن الساميين قديمًا إذا قالوا "عبر النهر" دون تسميته فإنهم يقصدون به الفرات دون غيره[2].

- وورد أن هذه التسمية (العبرانيين) كانت تطلق في نحو الألف الثانية قبل الميلاد، وفيما قبل ذلك على طائفة من القبائل العربية في شمال جزيرة العرب في بادية الشام وعلى غيرهم من الأقوام العربية في المنطقة، حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن الصحراء أو ابن البادية بوجه عام، ولهذا المعنى وردت كلمة "الإبري" و "والهبيري" و"الخبيرو" و "العبيرو" في المصادر الفرعونية، ولم يكن للإسرائيليين والموسويين واليهود وجود بعد.

لذا فإن نعت إبراهيم الخليل عليه السلام "بالعبراني" إنما أريد به معنى العبريين "العبيرو"، وهم القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الآرمية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه عليه السلام، لذلك يجب التمييز بين العبري واليهودي؛ لأن استعمال كلمة عبري بمعنى يهودي في هذا الدور يربط اليهود بعصر إبراهيم عليه السلام، وهو عصر عربي خالص قائم بذاته، لم يكن لليهود أية صلة به؛ لذلك لم يرد مصطلح "عبري" أو "عبراني" في القرآن الكريم، وإنما ورد فيه ذكر "الإسرائيليين" و "قوم موسى" و "يهود".[3]

وما دمنا بصدد هذه المصطلحات يجدر بنا أن نبين مدى التطرف اليهودي الذي ساقته التوراة في سبب تسميتهم بـ "الإسرائيليين".

يبرز التطرف والعنف في مدلول هذه التسمية وسببها في أحداث تلك القصة الخرافية الباطلة التي لا يقبلها عقل، شأنها شأن كثير من القصص التي أدخلوها في

(١) فتاح، د. عرفان عبد الحميد (اليهودية عرض التاريخ) ص٢١.

(٢) ظاظا، حسن (الشخصية الإسرائيلية) ص٢٥.

(٣) د. سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٩. ويرى الباحث أن تسمية "العبرانيين" نسبة إلى القبائل البدوية المتنقلة عبر الصحراء هي الأنسب من تلك الأسباب التي سبقت هذا السبب؛ حيث إن عزو التسمية إلى جد إبراهيم عليه السلام (عابر) ليس من المناسب للسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا هذا الجد بالذات ألأنه أكثر أبناء سام بركة وخيرًا؟، كما يذكر ذلك ظاظا في كتاب (الشخصية الإسرائيلية) ص٢٣، فلو كان كذلك لكان العرب أيضًا يفتخرون بهذا النسب، لكونه من أجدادهم، ولكنها العنصرية التي يصرّون عليها على أنهم وحدهم أبناء عابر. يُنظر ظاظا (المرجع نفسه) ص٢٦. ثم إن عزو التسمية إلى عبور إبراهيم عليه السلام لنهر الفرات غير مناسب كذلك؛ إذ من الأولى أن ينتسب اليهود إلى عبور موسى عليه السلام، ذلك العبور الأعظم والأشهر في التاريخ.

التوراة ومفادها أن يعقوب عليه السلام رأى الله على هيئة رجل فصارعه طوال الليل حتى طلع الفجر فقال له الرب: "أطلقني لأن الفجر قد طلع، ولكن يعقوب أبى أن يطلقه حتى يأخذ العهد من الله له ولبنيه أبد الدهر.. عهدًا بأن يأخذ أرض فلسطين ملكًا أبديًا له ولنسله فأعطاه الله العهد وباركه.

حيث جاء في سفر التكوين ما نصه: "وبقي يعقوب وحده، فصارعه رجل حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقوى على يعقوب في هذا الصراع ضرب حق وركه فانخل، وقال ليعقوب: طلع الفجر فاتركني فقال يعقوب: لا أتركك حتى تباركني، فقال الرجل: ما اسمك؟ قال: اسمي يعقوب، فقال: لا يدعى اسمك يعقوب بعد الآن؛ بل إسرائيل؛ لأنك غالبت الله والناس وغلبت"[1].

وواضح أن العنف هو وسيلة اليهود للوصول إلى أهدافهم فيعقوب - عندهم - استخدم العنف مع الله - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - لكي يباركه، لذلك فاليهود - كما يؤكد بعض الكتّاب[2] - يفضلون لقب الإسرائيليين، ويعدونه موضع فخارهم؛ لأنهم يشعرون أن لقب اليهود مقترن بما لقوه في الأسر وبعد الأسر من هوان وخضوع وخراب قضى على أمتهم، وشرد البقية الباقية منهم في كل أنحاء الأرض.

ثم إن اسم اليهود بالنسبة لهم يحمل معنى بغيضًا بين الأمم فهم أبناء الأمة المتحررة المتهمة بصلب المسيح إلى جانب صفات سيئة أخرى اكتسبوها من الظروف التي عاشوا فيها أقلية محتقرة بين الأمم، حتى أصبح يُسمع عنهم عبارات: "اليهودي التائه" و "اليهودي الجشع" و "اليهودي القذر"، ولهذا فهم يفضلون تسمية الإسرائيلي التي جاءت بطريق العنف والقوة على تسمية اليهودي[*].

(١) التكوين: ٣٢: ٢٥-٢٩.

(٢) ينظر: ظاظا/ حسن (الشخصية الإسرائيلية) ص١٨ والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) ص٤٠.

(*) اليهودي: اختلف الباحثون في أصل هذه التسمية، فمنهم من أرجعها إلى كلمة هاد التي تعني تاب ورجع، من ذلك دعاء موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ومنهم من قال: إنها ترجع في أصلها إلى ضمير الغائب (ياهو) باعتبار أن موسى عليه السلام علم بني إسرائيل أن يتقوا ذكره توقيرًا له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه، وقال آخرون نسبة إلى الإله القومي لليهود (Yhwa- الرب) إله الآباء الأول إبراهيم وبنوه من بعده الذين عقدوا معه الميثاق (convenant)، ثم عرف بهذا الاسم (يهوذا) أحد الأسباط الاثني عشر. وقيل نسبة إلى يهوذا بن يعقوب الذي استقر في ==

ومعلوم أن كلمة إسرائيل كانت اسمًا لموضع في فلسطين، وهو تسمية كنعانية مقدسة ترجع إلى ما قبل الألف الثانية قبل الميلاد، أطلقت على يعقوب حفيد إبراهيم (عليهما السلام)، وأبناء يعقوب هم بنو إسرائيل. و(إسرا) تعني عبد، و (ئيل) تعني الله، أي عبد الله، وقيل: إن إسرا معناها القوة، أي: الشديد الأسر، وئيل الله، أي القوة بالله.(1)

واليهود - كما ذكرنا سابقًا - يحاولون أن يُدخلوا في فكر الناس أنهم جميعًا من نسل الأسباط الاثني عشر(*) أبناء يعقوب عليه السلام حتى يرجعوا بنسبهم إلى إبراهيم أبي

== جنوب فلسطين، وظهر منه سليمان وداود، وسمي الإقليم الذي هم فيه في السجلات اليونانية والرومانية باسم يهوذا، وسمي أهله اليهود، ثم لاحقتهم هذه التسمية بعد جلائهم عن الأرض وتشتتهم في البلاد. ومع تعدد هذه الآراء واختلافها فإن الباحث هنا يرى أن التسمية (اليهود) تعود في أصلها إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام، إلا أن التسمية اشتهرت أكثر ما يكون في نسبتها إلى مملكته يهوذا التي انبثقت عن المملكة الموحدة لداود عليه السلام؛ حيث يثبت التاريخ أن مملكة داود ومن بعده سليمان (عليهما السلام) قد انقسمت إلى مملكتين: مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل، وكان عشرة أسباط يكونون مملكة إسرائيل، بينما سبطا يهوذا وبنيامين يكونان مملكة يهوذا، وما لبثت أن دمرت مملكة إسرائيل على يد سرجون ٧٢٠ ق.م، بينما استمرت مملكة يهوذا إلى أن حطمها نبوخذ نصر ٥٨٦ ق.م، ويعد سبط يهوذا من أكبر الأسباط، وكان شعارها الأسد، ومن ذلك الوقت الذي دمّر فيه نبوخذ نصر مملكة يهوذا وأسر أهلها في بابل في القرن السادس قبل الميلاد، فقد اصطلح عليهم (اليهود) نسبة إلى مملكتهم التي كانوا ينتمون إليها، وهذا ما يؤكده سوسة من أن الاسم (يهود) لم يعرف قبل الأسر البابلي وسقوط مملكة يهوذا. وتجدر الإشارة إلى أن اليهود الحاليين ليسوا من نسل يهوذا بن يعقوب؛ حيث إنهم خليط من أجناس مختلفة ومعظمهم ينحدر من أصل مغولي اعتنقوا اليهودية في بلاد الخزر في القرون الوسطى بعد أن اعتنقها ملكهم، هناك وفي بلاد الخزر - (تقع بلاد الخزر جنوب روسيا، والخزر قبيلة من أصل تركي) - انتشرت اليهودية في العالم. يُنظر في معلومات هذا الهامش عن اليهود كل من: الطنطاوي، حسين (الصهيونية والعنف) ص٣٢، وحريبي، محمد: (ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره) ص٣٢٤، ص٣٢٥، وفتاح، د. عرفان عبد الحميد (اليهودية عرض تاريخي) ص٢٢ وظاظا، حسن (الشخصية الإسرائيلية) ص١٨، وعون، كمال أحمد (اليهود من كتابهم المقدس أعداء الحياة الإنسانية) ص١٤-١٥، والمسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٦٨، ص١٧٧، ص٤٥٠.

(1) يُنظر سوسة أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٢٣٣، والبار محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص١٣٥، وذو النون، عبد الحكيم (تاريخ فلسطين القديم) ص٥٨.

(*) الأسباط الاثنا عشر: قال تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ (الأعراف: ١٦٠)، وهم أبناء يعقوب عليه السلام، يوسف والأحد عشر كوكبًا، حيث أنجبهم يعقوب عليه السلام من أربع نساء: زوجتين هما: لائقة (ليئة)، و(راحيل)، وجاريتين هما: (زلفة) خادمة ليئة، و (بلهة) خادمة راحيل، وقد أنجبت لائقة كلاً من: راوبين وشمعون ولاوئ (ليفي) ويهوذا ويساكر وزيولون. أما راحيل فأنجبت اثنين هما: يوسف وبنيامين، وقد أنجبت زلفة جاد وآشر، أما بلهة فقد ولدت كلاً من دان ونفتالي. يُنظر: ظاظا، حسن (الشخصية الإسرائيلية) ص٢٨، وسنقرط، داود عبد العفو (جذور الفكر اليهودي) ص١٧. ومن الجدير ذكره هنا القول بأن اليهود الحاليين لا يمتون بصلة إلى الإسرائيليين المنحدرين من هؤلاء==

الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام)، فهم بذلك الأشرف جنسًا، الآصل نسبًا، والأصدق دينًا، فهم الأصل وما عداهم من الأمم والشعوب ليسوا إلا جداول وروافد تنبع منهم، وتصب فيهم عقدة نقص تحكمت في اليهود منذ أن وُجدوا، فأورثتهم حب التعالي والفخر الزائف، حتى كرههم الناس ونبذوهم، ولذلك طاردهم التاريخ منذ أن حاولوا تسلق التاريخ، وعزلهم حقدهم وإجرامهم منذ أن حلُّوا بين الناس لدرجة أن قال فيهم غوستاف لوبون: "كان بنو إسرائيل أخلاطًا من شعوب جامحة، تشكل مجموعة بدوية غير متجانسة، من قبائل سامية صغيرة، تقوم حياتها على الغزو، ونهب القرى الصغيرة، حيث تقضي عيشًا رغيدًا لبضعة أيام، ثم تعود إلى حياة التيه والبؤس"[1]

إن زعم اليهود بأنهم جميعًا أولاد إبراهيم إنما هو زعم باطل، فيه من التطرف ما فيه، وفيه من الكذب والافتراء ما يثبته ويكشفه التاريخ؛ حيث إن اليهود - كما بينًا سابقًا - لم يُعرفوا بهذا الاسم إلا بعد انقسام مملكة سليمان عليه السلام إلى قسمين وسقوط مملكة يهوذا في القرن السادس قبل الميلاد، في حين أن إبراهيم عليه السلام عربي عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وقد هاجرت قبيلته من الجزيرة العربية إلى العراق، ثم هاجروا إلى أرض الكنعانيين ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط، ودخلها نبيًا يعبد الله لا فاتحًا ولا حاكمًا.. فردًا يسعى إلى الرزق، ويرعى الكلأ، ثم حلت المجاعة بفلسطين، فهاجر إلى مصر وأقام فيها ردحًا من الزمن، وقد أصاب فيها خيرًا كثيرًا، ثم عاد إلى أرض كنعان حيث كان، ثم رحل بابنه إسماعيل وأمه إلى الحجاز؛ حيث أسكنها هناك، وقام إبراهيم وولده إسماعيل (عليهما السلام) برفع قواعد البيت الحرام.

وقد توفي إبراهيم عليه السلام، وظل إسماعيل في أرض الحجاز، وإليه ينتسب العرب، وكان إبراهيم قد ترك ولده إسحاق في أرض كنعان (فلسطين) فرزق بتوأمين: عيسوا

== الأسباط؛ حيث إن الإسرائيليين قد ذابوا في المجتمع المصري، إذ لم يزد عدد نفوسهم عند دخولهم مصر على المئة شخص بين رجل وامرأة وطفل، وقد ذكرت التوراة في سفر الخروج، الإصحاح الأول، فقرة ٥، أنهم سبعون نفسًا، فدخول مثل هذا العدد لا بد له من الذوبان، ولا سيما إذا مكثوا مدة طويلة قدرتها التوراة بـ (٤٣٠ سنة)، يُنظر: السعد، جودت (الشخصية اليهودية عبر التاريخ) ص٣٠.

(١) لوبون، د. غوستاف (اليهود في تاريخ الحضارات الأولى)، ترجمة عادل زعيتر.

ويعقوب، أما يعقوب فأنجب اثني عشر ولدًا[1]، ويعقوب هو إسرائيل وأبناؤه (بنو إسرائيل)، وكان يوسف عليه السلام أحدهم.

ا ` ` في ملة بني إسرائيل ليو ` (ي ا م) ومؤامراتهم في مصر:

حظي يوسف وبنيامين بعطف أبيهما يعقوب أكثر من بقية إخوتهما؛ مما جعلهم يكيدون لأكبرهما (يوسف)، ويدبرون ضده المؤامرات، وقد وردت تفاصيل ذلك في سفر التكوين ضمن الإصحاح السابع والثلاثين[*] وفي القرآن الكريم ضمن سورة يوسف، التي تبين نيتهم وعزمهم على قتله فعلاً[2]. ولذلك فإن مرجعنا في بيان عنف بني إسرائيل وتطرفهم هو توراة اليهود وقرآننا الكريم وحكم التاريخ.

وقد ابتدأ العنف ضد يوسف عليه السلام بالحقد عليه لإيثار أبيهم له، في حين أنه من الطبيعي أن يؤثر يعقوب ابنه يوسف على بقية إخوانه، فهو من أصغر الأبناء، يقول سيد قطب - رحمه الله - معللاً إيثار يعقوب عليه السلام ليوسف: "وأصغر الأبناء هم أحب الأبناء، وبخاصة حين يكون الوالد في سن الكبر، كما كان الحال مع يوسف وأخيه، وإخوته من أمهات".[3]

ويظهر بغضهم لأخيهم في النص الذي جاء في سفر التكوين "ورأى إخوته أن أباهم يحبه أكثر منهم جميعًا، فأبغضوه حتى لم يقدروا أن يكلموه بمودة"[4]، وقد صوّر الله تعالى حقدهم في كتابه الكريم[**].

---

(١) يُنظر: سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٢٥٠، والطنطاوي، حسين (الصهيونية والعنف) ص٣٢، وعون، كمال (اليهود من كتابهم المقدس) ص١٦.

(*) ما ذكره الإصحاح السابع والثلاثون من سفر التكوين من قصة يوسف يكاد لا يختلف عما جاء في سورة يوسف من القرآن الكريم؛ حيث إن الخلاف في بعض الجزئيات.

(٢) يُنظر: العقيلي، محمد ارشيد (اليهود في الجزيرة العربية) ص٢١، وعطية، علي أمام (الصهيونية وأرض الميعاد) ص٣٧.

(٣) سيد قطب (في ظلال القرآن) ٤/١٩٧٣.

(٤) التكوين: ٣٧: ٤.

(**) قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ يوسف: ٨.



وبيّن عنفهم حتى في وصفهم لأبيهم بأنه في ضلال مبين، وكل ذلك على حد زعمهم؛ لأنه يؤثر غلامًا وصبيًا صغيرين على مجموعة رجال نافعين أقوياء.

ثم تبدأ خيوط المؤامرة تحاك وتدبر بعد أن بلغ الحقد مبلغه في صدورهم، ففي التوراة: "فقال بعضهم لبعض: ها صاحب الأحلام مقبل نحونا، تعالوا نقتله ونطرحه في بئر ونقول: وحش شرس أكله، ونرى ماذا تنفع أحلامه"(1).

ويذكر سيد قطب - رحمه الله - قائلاً: "وتضخم في أعينهم حكاية إيثار أبيهم بالحب حتى توازي القتل، أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله، بالطرح أرضًا"(2) واقترح أحدهم عدم قتله وإلقائه في البئر(*)، وليس ذلك من باب التراجع عن تنفيذ ما عزموا عليه، وإنما هو اقتراح من أحدهم الذي هاله ما هم مقدمون عليه؛ حيث يقترح عليهم حلاً يريحهم من يوسف من غير الإقدام على جريمة القتل، وهو أقل ما كان يشفي حقدهم.

فقد جاء في التوراة: "فسمع رأوبين، فأنقذه من أيديهم، وقال: لا نقتله، ثم قال لهم رأوبين: لا تسفكوا دمًا، اطرحوه في هذه البئر التي في البرية، ولا ترفعوا أيديكم عليه"(3).

ومما يؤكد عدم استعدادهم للتراجع فيما اعتزموه - كما يذكر سيد قطب - خداعهم لأبيهم، ومكرهم بيوسف(**). بعرض مبادرة خبيثة ماكرة أدت إلى استسلام الوالد لما يريدون بدافع الإحراج والتوكيد له بأنه لن يصيبه شيء، ولا سيما أنهم جماعة قوية، ليتحقق بعد ذلك قدر الله، وتتم القصة كما تقتضي مشيئته(4).

---

(1) التكوين: ٣٧: ١٩-٢٠. وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴾ [يوسف: ٩].

(2) سيد قطب (المرجع السابق نفسه) ١٩٧٣/٤.

(*) فقد جاء في القرآن الكريم ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ... ﴾ [يوسف: ١٠].

(3) سفر التكوين: ٣٧: ٢١-٢٢.

(**) ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴾ [يوسف: ١١-١٤].

(4) سيد قطب (في ظلال القرآن) ١٩٧٥/٤.

المؤامـــــرة:

وها هم يذهبون به، وينفذون المؤامرة النكراء بإلقائه في غيابة الجب، وهو صغير وحده أمام عشرة أشداء، إلا أن الله تعالى ألقى في روعه أنه ناجٍ، جاء في التوراة: "فلما وصل يوسف إلى إخوته نزعوا عنه القميص الملون الذي يلبسه وأخذوه وطرحوه في البئر...."(1).

ثم بعد ذلك يذهبون إلى أبيهم المفجوع يواجهونه بالجريمة التي راحوا يلفقون فصولها له؛ حيث أدرك أبوهم كذبهم ومكيدتهم بيوسف معلنًا صبره واستعانته بالله(*). وتؤكد التوراة هذا بما جاء في سفر التكوين: "فأخذوا قميص يوسف، وذبحوا تيسًا من المعز، وغمسوا القميص في الدم، وأرسلوا القميص الملون إلى أبيهم، وقالوا: "وجدنا هذا؛ فتحقق: أقميص ابنك هو أم لا؟" فتحققه وقال: قميص ابني. قالوا: وحش شرس أكله مزَّق يوسف تمزيقًا. وشق يعقوب ثيابه ولبس المسح حدادًا على ابنه، وناح أيامًا كثيرة، وقام جميع بنيه وبناته يعزونه فأبى أن يتعزى، وقال: أنزل إلى عالم الأموات نائحًا على ابني، وبكى عليه يعقوب"(2)

لم تتوقف مظاهر العنف ضد يوسف وأبيه عن هذا الحد؛ بل استمرت معهم ترافقهم طوال حياتهم مع يوسف إلى أن عفا عنهم وغفر، فمن مواقفهم المتطرفة والعنيفة ما كان منهم عند تدبير يوسف لهم بوضع صواع الملك في رحل أخيه من أجل أن يأخذ أخاه(**)، وقد جاءت هذه القصة في التوراة ضمن سفر التكوين في الإصحاح الرابع والأربعين ولطولها أكتفي بالإشارة إليها.

(1) التكوين: ٣٧: ٢٣-٢٤.

(*) ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ ليوسف: ١٦-١٨.

(2) التكوين: ٣٧: ٣١-٣٥.

(**) قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ...﴾، وتمضي الآيات ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ... ﴾ ==



كذلك نجدهم بنفس طريقة العنف يواجهون أباهم بفجيعة ثانية في شيخوخته الحزينة؛ حيث ينفجر حقدهم على أبيهم لمجرد أن رأوا على وجهه وفي عينيه حزنه على يوسف(*).

ويتجدد عنفهم، ويعلو غيظهم عندما يروا أباهم يستنشق عبير يوسف، فلم يملكوا أنفسهم أن يؤنبوه وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك(**).

وفي نهاية الأمر كان من حلم يوسف عليه السلام أنه عفا عن إخوته أمام أبويه وطلب من الله أن يغفر لهم.

أقام بنو إسرائيل الأحد عشر في مصر، ودفعهم للمكث فيها ما يدفع الكثير من المهاجرين من جنسهم وغير جنسهم من دوافع الحياة والعوامل الاقتصادية.

ومن الملاحظ أن أخلاقهم التي دلت عليها قصة يوسف عليه السلام ظلّت ملازمة لهم عبر تاريخهم الطويل يقول الميداني: "وبعد أن وصل يوسف عليه السلام إلى سدة الحكم والسلطان في مصر عقب المحنة الطويلة التي مرَّ بها وعفا عن إخوته الذين أساءوا إليه واستقدمهم من الشام إلى مصر، وانفتحت لهم في مصر أبواب عمل ومجد وثراء واسع، ثم أخذت ذرياتهم تميل إلى جمع الأموال، وعبادة الذهب، ومعاملة الناس بالأنانية المفرطة، الأمر الذي أدى إلى نقمة المصريين عليهم نقمة ساموهم بها سوء العذاب"[1].

يذكر كثير من المؤرخين أن أول دخول بني إسرائيل مصر كان في عهد يوسف الصديق عليه السلام، حيث وفد عليه أبوه وإخوته، ومن نسلهم تكاثر بنو إسرائيل إلى عهد موسى عليه السلام، وقد جاء في سفر التكوين ضمن الإصحاح الخامس والأربعين وما يليه، سرور فرعون ورجال حاشيته بقدوم إخوة يوسف عليه السلام، ودعوة فرعون لهم ولأبيهم

== ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف: ٧٠-٧٧]

(*) ﴿ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾ [يوسف: ٨٤-٨٥].

(**) ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ [يوسف: ٩٤-٩٥].

(١) الميداني: عبد الرحمن حبنكة (مكايد يهودية) ص٢١.

ليقيموا بأرض مصر، وأن فرعون لم يَرُقْ له أن يرتحلوا إليه من كنعان على الدواب؛ فأرسل عجلات لتحمل يعقوب وآله مكرمين، فلما قدموا ومعهم ماشيتهم رحب بهم أجمل ترحيب، وقال ليوسف: أرض مصر بين يديك، أنزلهم بأجودها.

وكانوا عند نزولهم مصر قريبًا من سبعين نفسًا، ففي التوراة: "جميع الذين دخلوا مصر من بيت يعقوب سبعون نفسًا"[1]. وأقام بنو إسرائيل في مصر إقامة مترفة، وكان ذلك من اهتمام يوسف بهم، وإكرام فرعون لهم، إلا أن بني إسرائيل عاشوا في عزلة مبتعدين عن الاختلاط بالشعب المصري، فهم في كل زمان ومكان يميلون إلى الانعزالية والانفصالية؛ مما لم يوجد الألفة والتفاهم بينهم وبين سائر الشعوب، وقد أصبحت عزلتهم تستلفت نظر المصريين وتثير خوفهم، فهي لم تعد عزلة بضع عشرات من الرجال والنساء والأطفال، ولكنها أصبحت عزلة قوم لهم قوة ومنعة، فغدوا يكونون دولة داخل دولة كما يُقال في الاصطلاح الحديث.[2]

ظهر الشعور العدائي لبني إسرائيل في مصر عندما تولى عرش مصر فرعون جديد؛ حيث أوجس هذا الفرعون منهم خيفة، تقول التوراة: "وقام ملك جديد على مصر، وكان لا يعرف يوسف، فقال لشعبه: انظروا كيف صار بنو إسرائيل أكثر وأعظم منّا، تعالوا نحكم القبضة عليهم؛ لئلا يكثروا فإذا وقعت حرب ينضمون إلى خصومنا ويحاربوننا ويسيطرون على أرضنا.... تخوف المصريون منهم، فأخذوا يستعبدونهم بعنف.. وكانوا يستخدمونهم من دون رحمة.... فأمر فرعون جميع شعبه قال: "اطرحوا في النهر كل ذكر يولد لبني إسرائيل، وأبقوا على كل أنثى."[3] فإذا كانت التوراة تعترف بهذا فإن القرآن الكريم أكد ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: ٤٩)[4].

(١) التكوين: ٤٦ : ٢٧.

(٢) يُنظر: طعيمة، صابر (التاريخ اليهودي العام) ١/ ٤٠، وشلبي، أحمد (مقارنة الأديان - اليهودية) ص٦٨، والخربوطلي، علي حسني (العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود) ص١٦.

(٣) الخروج ١ : ٨-٢٢.

(٤) قارن الآية الرابعة من سورة القصص.



وقد نتساءل: لماذا وقف فرعون من بني إسرائيل هذا الموقف؟ كانت هناك عدة دوافع دفعت فرعون مصر إلى انتهاج هذه السياسة(*) منها، وهو أهمها، ما كان عليه بنو إسرائيل من عقيدة مخالفة لعقيدة الشرك والوثنية التي كان عليها فرعون مصر، وما تبع ذلك من دعوة موسى عليه السلام المخالفة لعقيدة الشرك الفرعونية، وعلل بعض الباحثين نقمة فرعون بأنها كانت لشعوره أن بني إسرائيل كانوا يتآمرون ضده في محاولة للانتكاس عليه، ويؤكد بعض الباحثين أن شعب مصر اكتشف بالفعل أن بني إسرائيل كانوا يتآمرون عليه.[1]

وكان فرعون قد نظر إلى بني إسرائيل نظرة ريبة وشك وتخوف، فقد خشي أن ينضموا إلى الأعداء إذا دخلت مصر في حرب، فقد كانت أنظار الإسرائيليين وعواطفهم تتجه دائمًا إلى خارج مصر، وليس إلى داخلها، كما أنهم اعتادوا ألا يعيشوا في ظل حكم سياسي إلا واستغلوه لتحقيق مطامعهم الاقتصادية، فما إن تضاءل نفوذ يوسف عليه السلام، وفقد الإسرائيليون مركزهم الذي كان يحقق لهم الثراء بدون جهد حتى سخطوا على مصر وفرعونها وشعبها، واتهموا نظام الحكم الجديد بالظلم والقسوة.[2]

ومن الدوافع التي أدت بفرعون مصر إلى عداء الإسرائيليين: ثوراتهم على السلطان المصري؛ حيث يعلل الباحثون هذه الثورات بأنها كانت نتيجة للوضع الجديد في مصر، فإن بني إسرائيل تعودوا الحياة الهانئة الممتازة منذ عهد يوسف، ونالوا الكثير من رعاية الهكسوس وإيثارهم بحكم ولائهم لهم؛ حيث تمكنوا من المناصب المهمة الرفيعة، بالإضافة إلى مزاولتهم بعض الحرف المهمة في المجتمع المصري كاختصاصهم بصياغة الذهب والفضة وتجارتهما، وبتنمية المواشي بواسطة الرعي بدون جهد.

(*) ما سنذكره من دوافع وأسباب حدت بفرعون مصر لاضطهاد بني إسرائيل ليس من باب إيجاد المبررات لفرعون الطاغية بقدر ما هي بيان لما كان عليه ذرية بني إسرائيل في ذلك الوقت من حب للحياة والمادة والغدر، وغير ذلك.

(١) شلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص٦٩.

(٢) ينظر: طعيمة، صابر (التاريخ اليهودي العام) ٤١/١، الخربوطلي، علي حسني (نفس المرجع) ص١٦-١٧، وشلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص٦٩.

فكان فقدان بني إسرائيل لهذه الامتيازات جعلهم يقومون بثوراتهم ضد سلطان مصر الذي طلب منهم أن يتركوا الاختصاص بتلك المهن الرفيعة والانتقال إلى مشاركة المصريين في تشييد المباني وإقامة العمران، فكان من حرص بني إسرائيل على حياة الامتياز والكسب السهل على مر التاريخ، وفي مختلف البلاد، أنهم ثاروا هنا وهناك عندما خافوا أن تضيع منهم هذه الامتيازات.(١)

ويرى بعض الباحثين أن فرعون عندما طلب منهم الاشتغال بالزراعة والبناء كان يريد ربط الإسرائيليين في حقيقة الأمر بالأرض، وأن يشغلهم بالعمل عن تدبير المكايد والمؤامرات والتحالف مع أعداء مصر. (٢)

وهكذا كان مسلكهم في كل زمان ومكان، وتاريخهم يشهد على ذلك؛ فإنهم ما حلوا بأرض إلا وأكثروا فيها الفساد، وأيقظوا بين أهلها الفتن، وهكذا تأزمت العلاقات بين المصريين وبين بني إسرائيل، وأصبحت الكراهية والحذر طابعها حتى انتهى الأمر، إلا أن عزلة بني إسرائيل وتكاثر رجالهم بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أسباب ودوافع هي مصادر الخطر التي تهدد دولتهم، مما دفع فرعون مصر إلى التخلص من الأطفال الذكور واستبقاء الإناث، فإذا تم ذلك، وتزوجت الإسرائيليات من مصريين انتهت العزلة، وتم الاندماج، وزال الخطر.(٣)

والقرآن الكريم يوضح لنا هذه المحنة التي تعرض لها بنو إسرائيل في سورة القصص(*).

---

(١) يُنظر: شلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص٦٩، وعبد اللطيف، محمود عبد الرحمن (وعد الله ليس لبني إسرائيل) ص٥٧.

(٢) الخربوطلي، علي حسني (المرجع نفسه) ص١٧.

(٣) يُنظر: شلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص١٧، وعبد اللطيف، محمود عبد الرحمن (وعد الله ليس لبني إسرائيل) ص٥٤، ودروزة، محمد عزة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) ص٦٥. وقد أكد دروزة في هذه الصفحة أيضًا أن حالة بني إسرائيل تبدلت بعد تقويض حكم الهكسوس في القرن السادس عشر وقيام الإمبراطورية المصرية؛ حيث بلغ اضطهاد بني إسرائيل وتسخيرهم الذروة في عهد رمسيس الثاني - أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشرة التي حكمت من سنة ١٣٥٠ إلى سنة ١٢٥٠ ق.م، وقيل من سنة ١٤٦٢ إلى سنة ١٢٨٨ ق.م - وكان في ذلك الوقت الأمر بقتل ذكور الإسرائيليين.

(*) قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٤].

وفي هذه الحقبة وُلد موسى عليه السلام، وبعثه الله ليقيم العدل والوحدانية لله - سبحانه وتعالى - فهل استطاع الشعب الإسرائيلي أن ينهض بحمل الرسالة، ويؤدي الأمانة؟ وهل تخلى الإسرائيليون عن تطرفهم وعنفهم في زمن موسى رسول الله إليهم عليه السلام؟ هذا ما سوف نناقشه في المطلب القادم، إن شاء الله.

المطلب الثاني: التطرف الإسرائيلي زمن (موسى عليه السلام)

ظهر موسى عليه السلام في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وكان ظهوره في الوقت الذي كان الإسرائيليون يعانون فيه سوء العذاب ومنتهى الاضطهاد والاستعباد من فرعون مصر، الذي قتل أبناءهم، واستحيا نساءهم، فولد موسى في هذه الظروف القاسية، والموت يتربص به، وأمه حائرة به خائفة عليه، فألقى الله في روعها أن تضعه في صندوق محكم تلقيه في اليم، وأوحى الله إليها كذلك أنه سيرده إليها سالمًا، وسيجعله نبيًا عظيمًا.

وتمت إرادة الله تعالى بأن يقذف الموج بالصندوق إلى قصر فرعون، مما أثار الخوف في قلب أم موسى، فربط الله على قلبها، وأمّنها من الخوف عليه، ثم قامت أخته باقتفاء أثره، وتتبع خبره، حتى دلت زوج فرعون على من يرضعه. وقد أعرض عن كل المراضع التي قدمت لرضاعته، وبذلك أعيد إلى أمه التي طاب خاطرها، وقرّت عينها به.[1] قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.. ﴾ (القصص: ٧).

وقد ذُكرت قصة موسى عليه السلام من ولادته وإلقائه في اليم، وتربيته في قصر فرعون، وكذا قصة قتله مصريًا اعتدى على إسرائيلي، وفراره من فرعون، وبعثته وأحوال بني إسرائيل معه أثناء خروجه من مصر إلى سيناء، وما لقيه عليه السلام من صلف وتعنت وتطرف قومه أثناء بعثته إليهم، إلى أن مات عليه السلام، كل ذلك أخبرنا به القرآن الكريم، وكذا

(١) يُنظر: قطب، سيد (في ظلال القرآن) ٥ / ٢٦٧٦ - ٢٦٨١ وما تناولته كتب التفسير لمطلع سورة القصص.

التوراة التي يعترفون بها الآن، مما ستكون شاهدًا عليهم في بيان تطرفهم في زمن وجود موسى - نبي الله ورسوله إليهم عليه السلام - بينهم.

لذلك سنقيم الدعوى عليهم في إثبات تطرفهم سواء ما كان من اعترافهم من خلال نصوص توراتهم التي يقدسونها، أو بما أكده رب العالمين في كتابه الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أو ما سجله التاريخ شاهدًا على تطرفهم في تلك الحقبة، وأعتقد أننا بهذا لن نكون من المتجنين عليهم.

لقد سجل القرآن الكريم، وكذا كتب التاريخ، وكتب اليهود أيضًا المحنة التي تعرض لها بنو إسرائيل زمن فرعون، من قتل ذكورهم واستحياء نسائهم، وإفساده وعلوه في الأرض، ونحو ذلك من الطغيان والجبروت، وما رافق ذلك من حدث أراد الله تعالى أن يتمه، ألا وهو ولادة موسى عليه السلام في ظل ذلك الإفساد وتلك القسوة التي كان يقودها فرعون مصر وحاكمها بنفسه.

وكنا قد بيَّنا سابقًا بعض الأسباب التي دفعت فرعون لممارسة ذلك العنف، وعلى الرغم من ذلك؛ فإن فرعون قد غالى وبالغ أشد مبالغة في عقابه لبني إسرائيل، فلم تكن تلك الأسباب التي سقناها سابقًا من باب إيجاد العذر لفرعون حين ممارسته للعنف بالقتل ونحوه بقدر ما هو بيان مَواطن التطرف والعنف وكفر النعمة من بني إسرائيل في ذلك الوقت.

وحيث إنني لا أريد أن أخرج بالفكرة الأساسية لهذا البحث بنقل ما جاء في المصادر المعتمدة عن قصة حياة موسى من ولادته وتحقيق نسبه واسمه، ومن ثم تربيته في قصر فرعون، وما تلا ذلك مما ليس له علاقة بجوهر موضوعنا.

ولكن ما نريد أن نناقشه ونحن نقرأ الكتب ونستعرض التاريخ هو مقدرة بني إسرائيل على الالتزام بتعاليم رسالة موسى عليه السلام وتأديتها وعدم النكوص عنها، ومدى المحافظة عليها، وعلى حمل شرفها بأمانة دون زيغ أو تطرف أو انحراف.

والحقيقة أن الأمانة التي كان يجب على بني إسرائيل حملها وتأديتها والمحافظة عليها لم يرق تفكيرهم إلى سمو مقاصدها ونبل أهدافها وخير مآلها؛ ذلك أن رسالة الله تعالى لأي نبي أو رسول إنما هي شرف لحاملها ورحمة وهدى للقوم الذين يعقلون.



فموسى عليه السلام بُعث برسالة التوحيد وسط أمة علا فيها الشرك وانتفخ فيها الفساد والكفر(*)، ومع ذلك فقد كانت دعوة موسى وأخيه هارون (عليهما السلام) لفرعون بالقول اللين، وهو منهج الرسل والأنبياء في دعوة أقوامهم.

وكانت رسالة موسى عليه السلام تدعو إلى الوحدانية، ورفع الظلم عن بني إسرائيل وتحريرهم من استعباد فرعون، وقد أيده الله تعالى بالمعجزات، إلا أن فرعون استكبر، فأغلق قلبه وصمّ أذنيه حتى لا يقترب الإيمان منه(**). إلا أن فرعون وملأه لم يتوقفوا عن الكفر بدعوة موسى والاكتفاء بمعارضته، وإنما راحوا يتآمرون به ليقتلوه؛ مما دفع موسى للفرار بدينه وقومه؛ حيث جاء أمر الله لموسى عليه السلام بالخروج ليلاً من مصر، فجاء في التوراة ما قاله فرعون لموسى وهارون (عليهما السلام): "قُوما، اخرجا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل، واذهبوا، اعبدوا الرب كما قلتم، وغنمكم وبقركم خذوها أيضًا كما قلتم واذهبوا ولا تبقوا عندي"(1).

من الملاحظ أن موسى عليه السلام تلقى أمر ربه بالخروج ليلاً من مصر ومعه بنو إسرائيل وقومه؛ حتى يقيم شريعة الله تعالى بعيدًا عن أهل الكفر ورؤوسه في مكان آمن هادئ بعيدًا عن العنف والإرهاب والغطرسة والاستكبار.

ومع هذا الخروج الذي ضمن الله فيه الآمان لموسى ومن معه(***)، وفي ذلك المكان الذي وصلوا إليه بعيدًا عن الكفر وأهله. هل استطاع بنو إسرائيل تحمل المسؤولية

(*) فقد جاء على لسان فرعون في القرآن حينما عرض عليه موسى الرسالة ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٣٨-٣٩].

(**) قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴾ [طه: ٥٦]، وهناك العديد من الآيات التي تبين موقف فرعون من موسى واستكباره وكفره، وللاستزادة يُنظر كتاب: عمرو، يوسف محمد (بنو إسرائيل في القرآن الكريم) ص٤١، وقد تضمن هذا الكتاب كل الآيات القرآنية التي تتحدث عن بني إسرائيل وصفاتهم ونواياهم وأهدافهم؛ حيث جمع آيات الموضوع الواحد واختار لها عنوانًا مناسبًا.

(1) الخروج: ١٢: ٣١-٣٢.

(***) وما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴾ [طه: ٧٧].

وصون شرف الرسالة الإلهية وشكر نعمة ربهم عليهم، أم أن التطرف والغلو والعنف وكفر النعمة والشرك قد غلب عليهم؟ هذا ما سنكتشفه بعد قليل، مستندين في ذلك إلى نصوص توراتهم المقدسة عندهم حتى لا نظلم القوم.

إنه في اللحظة الأولى التي بدأ الإسرائيليون الاستعداد فيها للخروج قاموا بالتآمر على المصريين، فسرقوا أمتعتهم من الذهب والفضة والثياب، وهذا ما حدَّثت به التوراة حيث جاء في سفر الخروج ما نصه: "لا تذهبون ولا شيء معكم بل تطلب كل امرأة عبرانية من جارتها ومن النازلة في بيتها مصاغ فضة وذهب وثيابًا فتُلبسونها بَنِيكم وبناتكم وهكذا تسلبون المصريين"[1].

ويقول السفر: "إن الرب آتى الشعب حظوة في عيون المصريين فأعاروهم ما طلبوه وسلبوا المصريين"[2]. والعبارة هنا تفيد أن سلب الإسرائيليين أمتعة جيرانهم من الذهب والفضة وغيرها كان بحيلة الاستعارة مع أنهم - على ما يفيده السياق - لم يكونوا أعداء لهم، فقد أقبل الجيران على إعارتهم ما طلبوه بطمأنينة ورضا.

ويلاحظ من ذلك - كما يعلق دروزة - أن تسجيل هذا الخبر بهذا الأسلوب يدل على ما كان وظل يتحكم في نفوس بني إسرائيل من فكرة استحلال أموال غيرهم وسلبها بأية وسيلة، ولو لم تكن حالة عداء وحرب ودفاع عن النفس، بل ولو كان بينهم وبين ذلك الغير في الظاهر حسن توافق وتواد وتعايش.[3]

غالت التوراة وتطرفت كثيرًا في وصف العدد الذي خرج مع موسى عليه السلام في ذلك الوقت، فقد جاء في سفر الخروج: "ورحل بنو إسرائيل من رعمسيس[*] إلى

(١) سفر الخروج: ٣: ٢١-٢٢ وكذلك الإصحاح ١٢: ٣٥-٣٦.

(٢) سفر الخروج: ١٢: ٣٦.

(٣) يُنظر: دروزة، محمد عزة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) ص٦٨، و (الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود) ص٣١.

(*) رعمسيس: هو اسم المدينة التي سخَّر ملك مصر رعمسيس الثاني (١٣٠٠-١٢٣٣ ق.م) بقايا الهكسوس لبنائها، وسميت باسمه، كان موقعها في شمال الدلتا الشرقي، وقد عرفت بمدينة المخازن (سفر الخروج ١: ١١)، وفي زمن هذا الملك كان خروج الموسويين من مصر بقيادة موسى النبي (١٢٩٠ ق.م) من مدينة رعمسيس التي اتخذها فرعون مخزنًا تُجمع إليه الحنطة، ويرى الخبراء أن مدينة رعمسيس هي نفس مدينة افارس عاصمة الهكسوس في مصر. يُنظر: سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٤٧٢.



سكّوت(*) بنحو ست مئة ألف راجل ما عدا النساء والأطفال"[1]. وكان عددهم عند لجوئهم إلى مصر في عهد يوسف عليه السلام كما سبق أن بيناه سبعين نفسًا، فأصبح عند خروجهم هذا العدد ست مئة ألف عدا النساء والأطفال الذين لو أضفناهم فإن عددهم سيزيد عن المليونين من البشر - كما يثبت ذلك ابن خلدون[2]. وهم بهذا يكونون قوة عظيمة يستطيعون بها تشكيل ثقل في المجتمع المصري لا يكون بإمكان فرعون الاستهانة بهم، ويكون بمقدورهم هم أيضًا مجابهة فرعون بدل الخروج من مصر.

ويدحض الباحثون مغالاة التوراة في وصف عدد الإسرائيليين ببيان أن هذا الحشد الهائل من البشر لو وقف صفًا واحدًا يرفع لواء الوحدانية في وجه فرعون لحدثنا التاريخ عن أكبر ثورة دينية عارمة تهز أركان الوثنية وتقوّض صرح الشرك، ولأمكن للتاريخ أن يروي غير ما روى[3].

وأثبت آخرون أن هذا الرقم مبالغ فيه، وهو موضع شك كبير إذا قيس بسير الأحداث لبني إسرائيل سواء في الممالك التي أنشئوها أو بعد الأسر البابلي، حيث ورد أن عددهم كان نحو خمسة آلاف وخمس مئة وخمسين فردًا[4]. وتُحدث التوراة أن مدة إقامتهم في مصر كانت أربع مئة وثلاثين سنة [5]، وفي هذه المدة وحتى خروجهم لم يتعدَّ عددهم سبعة آلاف نسمة عند بعض المؤرخين.[6]

ظهرت علامات العنف والخوف وبدايات التخلي عن حمل رسالة السماء والإيمان بها عند الشروع فعلاً في الخروج على الرغم من كل ما قدمه موسى عليه السلام من معجزات

(*) سكوت: وهي مدينة مثل رعمسيس، وهي أول محلات الموسويين بعد خروجهم من مصر، وهي سفر يوم من رعمسيس، والمشاهد لها على الخريطة يجدها شمال مدينة السويس الحالية، يُنظر: سوسة، أحمد (نفس المرجع) ص٤٧٥، أما الخارطة فينظر: زكي شنودة (اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم) ص٢٩.

(١) سفر الخروج ١٢: ٣٧.

(٢) يُنظر: ابن خلدون (مقدمة ابن خلدون) ص١٥؛ حيث يؤكد أنه يستبعد أن يتشعب النسل إلى هذا العدد في أربعة أجيال؛ لأن الذي بين موسى وإسرائيل أربعة آباء.

(٣) عبد اللطيف، محمود عبد الرحمن (وعد الله ليس لبني إسرائيل) ص٦١.

(٤) محمد إسماعيل علي (الإسرائيليون أين وكيف ظهروا؟) مجلة الفيصل، العدد ١٦٢، يوليو ١٩٩٠م، ص٤٠.

(٥) سفر الخروج: ١٢: ٤٠.

(٦) نعناعة، محمود: (المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟) ص١٥٢.



وتطمينات، فقد جاء في سفر الخروج: "ولما اقترب فرعون رفع بنو إسرائيل عيونهم، فرأوا المصريين يتبعونهم. فخافوا جدًا وصرخوا إلى الرب وقالوا لموسى: "أما في مصر قبور، فأخذتنا لنموت في هذه البرية، ماذا عملت بنا فأخرجتنا من مصر. أما قلنا لك في مصر دعنا نخدم المصريين؛ فخدمتنا لهم خير من أن نموت في البرية، فقال لهم موسى: لا تخافوا، قفوا، وانظروا، اليوم خلاص الرب، سترون المصريين اليوم ولن تعودوا ترونهم إلى الأبد، الرب يحارب عنكم، وأنتم لا تحركون ساكنًا"[١].

وهكذا رغم التطمينات إلا أن بني إسرائيل جبنوا وخافوا، وأرادوا التخلي عن أداء الرسالة من أول الطريق، وبمجرد أن رأوا فرعون وشعروا بالخوف، وهكذا كان اليهود في انتفاضة فلسطين (١٩٨٧ - ١٩٩٣م) قبل عملية التسوية مع السلطة الفلسطينية (١٩٩٣م) عندما أرادوا الخروج من غزة والهروب منها من طرف واحد بمجرد أن رأوا القتل فيهم وشعروا بالخوف. وهكذا هم كلما شعروا بالخوف انتابهم شعور بالتخلي عن أي شيء في سبيل أمنهم وأمانهم، وانظر إليهم في جنوب لبنان؛ فقد دفعهم الخوف إلى الانسحاب من الجنوب اللبناني من طرف واحد.

ومن الواضح أن بني إسرائيل واليهود يتصفون بخور العزيمة وانهيار المعنويات وانعدام روح الكفاح بين أفرادهم بمجرد رؤية العدو، وتفضيلهم حياة الذل عند شعورهم بالخوف إذا كانت تلك الحياة تؤمنهم، وذلك كما طلبوا من موسى أن يخدموا المصريين بدل أن يموتوا في البرية. وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ (البقرة: ٩٦). بغض النظر عن طبيعة هذه الحياة.

كانت معجزة الله تعالى واضحة عندما أمر الله موسى عليه السلام أن يضرب بعصاه البحر لينفلق، وقد فعل موسى عليه السلام ذلك بأمر الله تعالى، فكان كل فرق من البحر كالطود العظيم؛ ليعبر بنو إسرائيل ويكون فرعون وجيشه من المغرقين. جاء في التوراة: "وأنت ارفع عصاك، ومد يدك على البحر، فينشق ليدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على الأرض اليابسة، وأنا أقسّي قلوب المصريين فيدخلون وراءهم، فأجهز على فرعون وجميع جنوده ومركباته وفرسانه".[٢]

---

(١) سفر الخروج ١٤: ١٠-١٤.
(٢) سفر الخروج ١٤: ١٦-١٧.



فهل رضي بنو إسرائيل بهذا؟ وهل دفعتهم هذه المعيّة الإلهية إلى أن يستقيموا ويعتدلوا طوال حياتهم وألا يتطرفوا في عبادتهم وسلوكهم مع موسى عليه السلام الذي بين ظهرانيهم وجرت على يديه المعجزات أمامهم؟

بمجرد مجاوزة البحر، وقبل أن يستريحوا من عناء السفر، وعند أول رؤيتهم لقوم يعبدون الأصنام طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم إلهًا يعبدونه من دون الله، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك[*]. وبيّن طبيعتهم المتطرفة المنحرفة المستعصية على التقويم، فهم الخارجون للتو باسم الإسلام والتوحيد من مصر ووثنيتها، ثم يسارعون في أن يجعل لهم نبيهم إلهًا بنفسه، ولو أنهم هم اتخذوا آلهة لكان الأمر أقل غرابة من أن يطلبوا إلى رسول ربِّ العالمين أن يتخذ لهم آلهة.. ولكنما هي إسرائيل.. التي ما تكاد تهتدي حتى تضل، وما تكاد ترتفع حتى تنحط[1].

ثم بعد مجاوزة البحر طلبوا الماء فضرب موسى عليه السلام بعصاه الحجر فانبثقت اثنتا عشرة عينًا ليشربوا، وما كادوا يروون ظمأهم حتى هداهم الطمع إلى أن يطلبوا الظل والطعام فآتاهم الله الطيبات من الرزق، وظللهم بالغمام، وأنزل عليهم المنَّ والسلوى[**] ليأكلوه.. وبعد هذه النعم كلها هل شكروا نعمة الله عليهم؟ كلا؛ بل إن تطرفهم قادهم للكفر فكفروا وظلموا أنفسهم.. وهبطوا مصر طلبًا للبصل والعدس والثوم وأنواع البقول الأخرى علمًا بأنها أدنى مكانة من طعامهم الذي كان عندهم.. ولكنه الطمع الذي يجري في عروقهم، فكثيرًا ما يتمردون، وقليلاً ما يشكرون.[2]

(*) قال تعالى: ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٤٠]

(١) سيد قطب (في ظلال القران) ١٣٦٦/٢.

(**) المن والسلوى: المن: مادة حلوة تشبه العسل تقع على أوراق الأشجار والأحجار، ثم تجمد وتجف. السلوى: طائر السمان يطير بشكل أسراب، ويتساقط على الأرض بكثرة. يُنظر: الخربوطلي، علي حسني (العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود) ص١٩، والشريف، محمود (الشعب الملعون في القرآن) ص٣٥.

(٢) يُنظر: عطية، علي إمام (الصهيونية وأرض الميعاد) ص٤٥-٤٦، والخربوطلي، علي حسني (المرجع نفسه) ص١٩، وعون، كمال (اليهود من كتابهم المقدس)ص٣٨.

بلغ التطرف الديني مبلغه في بني إسرائيل عندما صنعوا لأنفسهم عجلاً من ذهب ليعبدوه من دون الله، فما إن ذهب موسى لمناجاة ربه وتلقى ألواح التوراة حتى إذا عاد إلى قومه وجدهم يعبدون العجل بعد أن نكثوا شرائعه وتعاليمه، وتركوا نصيحة هارون عليه السلام بأن لا يشركوا مع الله أحدًا، وأضلهم السامري(*). فمن الحلي الذي سرقوه من نساء مصر صَنع لهم السامري عجلاً، وقد شاركوه في صناعته بأيديهم ليكون لهم إلهًا؛ حيث قال لهم السامري: هذا هو ربكم فاعبدوه، فأطاعوه وعبدوه فعلاً وخالفوا نصح هارون.[1]

أما التوراة في هذه المقدمة فإنها تحاول إلصاق هذه التهمة بنبي الله هارون عليه السلام، فقد جاء في سفر الخروج: "ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمعوا على هارون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، فهذا الرجل موسى الذي أخرجنا من أرض مصر لا نعرف ماذا أصابه، فقال لهم هارون: انزعوا حلق الذهب التي في آذان نسائكم وبَنِيكم وبناتكم وجيئوني بها، فنزع جميع الشعب حلق الذهب التي في آذان نسائهم وجاءوا بها إلى هارون، فأخذها من أيديهم وأذابها وسبكها في صنم على صورة عجل، فقال الشعب: هذه آلهتكم يا بني إسرائيل، آلهتكم التي أخرجتكم من أرض مصر، فلما رأى هارون ذلك بني أمام الصنم مذبحًا، ونادى وقال: غدًا عيد للرب فبكروا في الصباح وأصعدوا محروقات وقدموا ذبائح سلامة، وجلسوا يأكلون ويشربون، ثم قاموا يمرحون)[2]".

حاش لنبي الله أن يعبد صنمًا أو يقيم وثنًا، فإن العاقل لا يصدق أن نبيًا مختارًا من الله يفعل ذلك، فقد جاء القرآن بعد قرون ليبرئ هارون ويمحو عنه ما وصمته به

(*) قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي .. ﴾ [طه: ٨٥-٩٠].

(١) عطية، علي إمام (المرجع نفسه) ص٤٦.

(٢) سفر الخروج ٣٢: ١-٦.



التوراة ظلمًا وزورًا، وانظر الآيات التي أشرنا إليها قبل قليل من سورة طه، ونحن نعتقد أن ما جاء في التوراة بخصوص هارون وكثير قبل ذلك محرَّف، ويؤكد دروزة أنه كان بأيديهم قراطيس فيها ما يتطابق مع ما جاء في القرآن[1]، وقد شهدت التوراة على قوم موسى جرَّاء فعلتهم هذه بأنهم قساة القلوب، وبذلك يصدق عليهم وصفنا لهم بأنهم متطرفون وعنيفون، جاء في التوراة: "وقال الرب لموسى: رأيت هؤلاء الشعب، فإذا هم شعب قساة الرقاب، والآن دع غضبي يشتد عليهم فأفنيهم، وأجعلك أنت أمة عظيمة"[2].

ويبلغ التطرف مداه حينما يطلب بنو إسرائيل من موسى أن يروا الله جهرة، فعلى أثر عبادتهم العجل وعقاب الله لهم بتقتيل أنفسهم، انتدب موسى عليه السلام منهم سبعين رجلاً، وتوجه بهم إلى جانب الطور الأيمن، ليعلنوا لربهم التوبة والندم، وتقدم موسى إلى الله - سبحانه وتعالى - يطلب منه (عز وجل) أن يغفر لبني إسرائيل ويسامحهم.

ولكن الإسرائيليين بما جبلوا عليه من جشع وجحود وتمرد قالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، وهنا يعلق ابن الشريف قائلاً: "ومتى كان الإيمان لموسى حتى يقولوا نؤمن لك؟! مع أن الإيمان لهم وفائدته تعود عليهم.. لكنه التعنت الذي اشتهر عنهم، وعرفوا به، وسجله الله عليهم، ثم تغالوا [تطرفوا] في تعنتهم فطالبوا موسى عليه السلام بالمستحيل: إنا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة"[3] وكان عقابهم من الله صاعقة من السماء. إلا أن موسى عليه السلام عاد يرجو ربه أن يغفر لهم، ولكن أتراهم شكروا واهتدوا!!

يستمر الرفض الإسرائيلي لأوامر الله تعالى على الرغم من كل ألوان العقاب التي لاقوها، وكانت بمثابة زجر وتحذير لهم عن العودة إلى العصيان والتمرد والعناد

(١) دروزة، محمد عزة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) ص٧٤.

(٢) سفر الخروج ٣٢: ٩ - ١٠.

(٣) الشريف، محمود: (الشعب الملعون في القرآن) ص٣٣-٣٤ بتصرف، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٦].

والإصرار فيما هم عليه إلا أنهم كانوا في كل مرة يبالغون في رفضهم اتباع تعاليم موسى ﷺ. فهو يدعوهم هذه المرة لكي يأخذ الميثاق عليهم عند جبل الطور؛ بأن يلتزموا ويعملوا بما آتاهم الله، وما أنزل عليهم من كتاب، فرفضوا ولم يقبلوا فرفع الله فوقهم جبل الطور تهديدًا لهم، فاستسلموا خوفًا وأعطوا مواثيقهم[1].

وقد أشار القرآن إلى ذلك[2]، ويروى أن الله تعالى أوحى إلى الجبل فانقلع وارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم والسماء كأنه ظلة. فخرّ كل رجل ساجدًا على حاجبه الأيسر ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفًا أن يسقط عليه، وكذلك يسجد اليهود إلى اليوم[3].

وذلك يؤكد ما قلناه سابقًا من أن بني إسرائيل واليهود من بعدهم لا ينضبطون، ولا ينفذون ما يؤمرون به إلا إذا شعروا بالخوف، ورأوا العقاب واقعًا بهم، ولعل هذه الآيات وهذا المسلسل التاريخي من حياتهم يكون دعوة صريحة واضحة للذين ينشُدون حقوقهم المغتصبة من يهود عبر مفاوضات!! لكي يؤمنوا إيمانًا جازمًا بأن اليهود لا يجدي معهم سوى التخويف والتهديد واستخدام القوة!! وغير هذا إنما هو عبث ومضيعة للوقت.

ويزداد العنف في الفكر الإسرائيلي عندما يطلب منهم موسى ﷺ دخول الأرض المقدسة (فلسطين) فينتابهم الذعر والفزع والتمرد. جاء في التوراة: "لا نقدر أن نصعد

---

(1) الميداني، عبد الرحمن حسن (مكايد يهودية) ص٢٢.
(2) قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٦٣]. وقال أيضًا: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧١]. أما التوراة التي بين أيدينا فلا تذكر أن الله نتق الجبل فوق بني إسرائيل حتى يأخذوا ما آتاهم من المواثيق. يُنظر الإصحاح التاسع عشر من سفر الخروج، الفقرات من ١٦-٢٥. قيل: فلما رفع الجبل فوقهم سجدوا على شق، ونظروا بالشق الآخر، وأخذوا بالمواثيق التي ذكرتها الآية الأخرى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣-٨٤].
(3) البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٢٤٨.

إلى هناك؛ لأن القوم أقوى منا"(١). وجاء في التوراة أيضًا على لسان أولئك النفر الذين ذهبوا إلى الأرض المقدسة من أجل الاستطلاع: "جميع الشعب الذين رأيناهم فيها أناس طوال القامات، وشاهدنا هناك من الجبابرة جبابرة بني عناق، فصرنا في نظرنا صغارًا كالجراد، وكذلك في نظرهم"(٢). وجاء تأكيد ذلك في القرآن الكريم(*).

وعلى الرغم من التطمينات التي تلقاها بنو إسرائيل بأنهم سيغلبون حال دخولهم الأرض المقدسة(**) إلا أنهم استمروا في عنادهم وعصيانهم، وأعلنوا تخليهم عن مناصرة نبيهم أو القتال معهم، ويأتي ردهم بكل وقاحة وقساوة وعنف وجبن، وقد سجل القرآن عليهم ذلك(***) فكان عقاب هذا التمرد وهذا العصيان أن حرّم الله عليهم دخول فلسطين أربعين سنة، فقد جاء في التوراة: "وأما جثثكم أنتم فتسقط في البرية، وبنوكم يكونون رعاة في البرية مدة أربعين سنة، ويتحملون عاقبة خيانتكم إلى أن تفنى آخر جثثكم في البرية"(٣) وقد أكد القرآن ذلك(****).

---

(١) سفر العدد ١٣: ٣١.

(٢) سفر العدد ١٣: ٣٢-٣٣.

(*) ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ [المائدة: ٢١-٢٢].

(**) ﴿ ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

(***) ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]، ويحضرنا هنا ذكر المقارنة العظيمة بين بني إسرائيل الجبناء الرعاديد الممتلئين وقاحة وصلفًا مع أعظم أنبيائهم موسى عليه السلام، وبين موقف الصحابة (رضوان الله عليهم) يوم بدر، حين استشارهم رسول الله ﷺ في قتال العدو أو مطاردة العير لقريش. وما كانوا قد خرجوا لقتال، ولم يكن العهد بينه وبين الأنصار إلا أن يحموه مما يحمون منه أنفسهم وأهليهم، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه وقال: كأنك تعرّض بنا يا رسول الله؛ فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا، إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ولعل الله يريك منّا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. فسُرّ رسول الله ﷺ. وقام المقداد وقال: يا رسول الله؛ إنّا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون. فبشرهم رسول الله ﷺ بالنصر. يُنظر: البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٢٥٣-٢٥٤.

(٣) سفر العدد ١٤: ٣٢-٣٣.

(****) ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٦)

وبهذا التمرد وهذا العنف والتطرف من بني إسرائيل ينتهي زمنهم بموسى ﷺ؛ حيث طويت صفحات هذه المرحلة من تاريخهم بما حوته من أشكال التعصب والعناد على الكفر والتطرف الديني الذي بلغ حد الشرك بالله تعالى، والعنف في الفكر والتصور حتى طلبوا رؤية الله جهرة، ونحو ذلك وغيره من أنواع الغلو والتطرف والجحود والغرور والعصيان إلى أن تولى القيادة يوشع بن نون ﷺ بعد موت موسى ﷺ. فهل انتهى تطرفهم أو توقف عصيانهم وعنادهم؟ هذا ما سنراه في صفحات المرحلة القادمة ابتداءً من حياتهم مع يوشع بن نون ﷺ.

المطلب الثالث: تطرف بني إسرائيل واليهود (بعد موسى عليه السلام)

مما يؤسف له أشد الأسف أن كثيرًا من الكتّاب العرب والمسلمين يخطئون خطأً كبيرًا فاحشًا عندما يهاجمون يوشع بن نون ﷺ ويتهمونه بارتكاب أبشع المجازر البشرية في قتله للأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ، وحتى البهائم يقضي عليها؛ فيصورونه سفاكًا متعطشًا للدماء، وهم بهذا ينساقون خلف ما صورته به التوراة المحرَّفة، ويتخذون ذلك دليلاً على انحرافه وتعطشه لسفك الدماء، ومن ثم يهاجمونه.

إنه موقف غريب ومرفوض أشد الرفض، وعلى جميع الكتّاب الذين وقعوا في هذا الخطأ أن يستدركوا ذلك، ويستغفروا ربهم؛ لأن يوشع نبي من أنبياء الله (عليهم السلام) مثله مثل سائر الأنبياء الذين نهشت لحومهم التوراة فوصفتهم بصفات كلها كذب وبهتان، لم ينفك اليهود عن وصفها لرسل الله وأنبيائه، وهو ما سنوضحه في الفصل القادم، إن شاء الله.

فيوشع بن نون هو فتى موسى وتلميذه وحواريه، ونبي بني إسرائيل من بعد موسى، وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في سورة الكهف في قصة موسى والخضر(*).

(*) ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ [الكهف: ٦٠].



وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما عندما جبن بنو إسرائيل عن قتال العماليق(*) ودخول الأرض المقدسة كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم(**).

وقد اتفق رواة التفسير على أن الرجلين هما: يوشع بن نون، وكالب بن يفنه[1]. وهما اللذان قادا بني إسرائيل من الجيل الجديد بعد أربعين سنة من التيه، ودخلوا فلسطين.

ولعل حكمة الله نافذة في تحريم الأرض المقدسة على بني إسرائيل طوال أربعين سنة يتيهون في صحراء سيناء؛ حتى يفنى وينتهي ذلك الجيل العفن الجبان الذي رُبِّي على الذل والعبودية في مصر، ويخرج جيل جديد، تعود الدفاع عن النفس، ويألف الخشونة واحتمال المشاق ولا يعرف الاستكانة والمهانة والخضوع.[2]

يقول د. البار: "ولكن اليهود لم يلبثوا أن لوثوا سيرة هذا النبي، وجعلوها صورة بشعة فظيعة للمجازر والمذابح والهولوكوست(***) وحرب الإبادة للشعوب المقيمة في

(*) العماليق: وهم قبائل من قدماء العرب، وهم أصل سائر العرب البائدة، كان البابليون يطلقون عليهم اسم ماليق، وأضاف إليها اليهود لفظ (عم) بمعنى الشعب، فقالوا (عم ماليق)، وقال العرب عماليق أو عمالقة، ولم يكن العمالقة يومئذ على دين صحيح. يُنظر: غربال، محمد شفيق (الموسوعة العربية) ص١٢٣٥، ويُنظر: سوسة (العرب واليهود في التاريخ) ص٤٨٦.

(**) قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٢٣].

(١) يُنظر: رضا، محمد رشيد (تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار) ٦/٣٣٣. ويلاحظ أن د. محمد علي البار عندما وصل إلى الحديث عن يوشع في كتابه (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) عنون له بقوله: "يوشع بن نون المفترى عليه"٢٨٧. أما في كتابه (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) فعنون ليوشع ص٦٧ بقوله يوشع عليه السلام، ثم ذكر أنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وهو أول نبي بعد وفاة موسى عليه السلام لبني إسرائيل، إلا أنه لم يكن رسولاً؛ لأن الرسالة كانت لموسى عليه السلام، ومما يدل على أنه نبي أن الله حبس له الشمس، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس" يُنظر: العسقلاني (فتح الباري) ٦/٢٧٢، وقال: أخرجه أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة.

(٢) يُنظر: العقيلي، محمد رشيد (اليهود في الجزيرة العربية) ص٢٥، والبار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٢٨٧.

(***) الهولوكوست: holocaust هي كلمة يونانية تعني القربان الكامل، وهي تستخدم في العصر الحديث للإشارة إلى إبادة اليهود على يد النازيين، إلا أنها كانت في الأصل اصطلاحًا دينيًا يشير إلى القربان الذي يضحى به إلى الخالق، ويحرق كاملاً غير منقوص على المذبح، والهولوكوست كان يعد من أكثر الطقوس قداسة، وكان يقدم تكفيرًا عن جريمة الكبرياء، واليهود أطلقوا هذا المصطلح على من ذبح منهم على يد هتلر ليشبهوا الشعب اليهودي بالقربان المحروق، وأنه حرق لأنه أكثر الشعوب قداسة. يُنظر: المسيري: عبد الوهاب محمد (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٤٢٣.

الأردن وفلسطين ولبنان، وهي صورة أبعد ما تكون عن الحقيقة، ولكنها أصبحت معتمد سياسة [الكيان الصهيوني] اليوم، وتدرس في المدارس لجميع أطفال اليهود [1].

وعلى أية حال؛ فإن اليهود يعدون يوشع بن نون من الشخصيات المقدسة عندهم، وهو عندهم البطل الأول الذي قادهم ودخل بهم إلى الأرض المقدسة - التي وعدهم الرب بها على حد زعمهم - وهم يقدسونه ويحبونه لأن شخصيته مرتبطة عندهم بالدم والقتل وكل أشكال العنف لذلك أفردوا له سفرًا خاصًا سموه سفر يوشع.

وإذا أردنا التحدث عن قضية التطرف والعنف في هذه المرحلة التي أعقبت وفاة موسى عليه السلام فإننا سنتناول بعضًا من جوانب هذه المرحلة من خلال نظرة اليهود أنفسهم لتلك الحقبة من التاريخ الذي عاشه أسلافهم مع إيماننا الجازم بأننا حين نتحدث عن يوشع بن نون لا نؤمن بكل التلفيقات والتخرصات التوراتية في حقه؛ فهو نبي كما أسلفنا القول، إلا أننا سنتناوله شخصية أخرى ظهرت على يديه أبشع المجازر التاريخية كما هو في نظر اليهود، ولا سيما أن اليهود يفتخرون بما كان على يديه من ذبحٍ وقتلٍ وتشريد.. من أجل تنفيذ الوعد الإلهي بالاستيلاء على أرض فلسطين - أرض الميعاد كما يزعمون - لذلك لن نكون من المتجنين عليهم حينما نبرز عنفهم ومذابحهم الدموية، ولا سيما إذا اعتمدنا في ذلك على وصف توراتهم لتلك المرحلة من تاريخهم، وبذلك سيشهدون على أنفسهم، ويعترفون صراحة أمام التاريخ والعالم بأنهم شعب مجرم متعطش للدماء يعشق المذابح البشرية وغير البشرية من البهائم والغنم وغير ذلك.

ولقد كانت سيرة يوشع عند اليهود مثلاً يحتذى به عند قادة الصهيونية أمثال: بيجين وشارون وغيرهما كثير سيأتي الحديث عنهم لاحقًا. ويشوع - كما هو في نظر اليهود - ينفذ مجزرة دموية بحد السيف للنساء والشيوخ والأطفال حتى الرضع والبهائم.

(١) البار، محمد علي (المرجع السابق نفسه) ص٢٨٧.

يتحدث العهد القديم عن سقوط أريحا(*) على يد الإسرائيليين. ومما جاء فيه: "وكانت أبواب أريحا مغلقة في وجه بني إسرائيل ومقفلة، ولم يكن أحد يخرج منها أو يدخلها فقال الرب ليوشع: دفعت أريحا وملكها إلى يدك مع جنودها الأشداء تطوفون حول المدينة أنت والمحاربون كل يوم مرة واحدة مدة ستة أيام، ويحمل سبعة كهنة سبعة أبواق أمام تابوت العهد(**)، وفي اليوم السابع تطوفون حول المدينة سبع مرات وينفخ الكهنة في الأبواق، ثم ينفخون طويلاً في قرن الهتاف، وحالما يسمعه جميع الشعب يهتفون هتافًا شديدًا، فيسقط سور المدينة، ويدخلها كل واحد منهم"[1].

وبعد حصار لمدينة أريحا دام سبعة أيام، وفي كل يوم يطوف المحاربون حولها مرة، وفي اليوم السابع سبع مرات".. فلما كانت المرة السابعة نفخ الكهنة في الأبواق، فقال يشوع للشعب: اهتفوا؛ لأن الرب أسلم إليكم المدينة، ولتكن المدينة بكل ما فيها محرمة عليكم - أي يُقتل كل من في المدينة بحيث لا يبقى فيها أحد - إكرامًا للرب، وحدها رحاب الزانية تبقى حيَّة هي وجميع من معها في بيتها؛ لأنها أخفت الرجلين اللذين أرسلتهما، أما أنتم فكل شيء محرم، لا تأخذوا شيئًا تجلبوا الحرام على محلة بني إسرائيل وتتعسوه، وكل فضة وذهب وإناء نحاس أو حديد فهو مكرَّس للرب يدخل خزانة الرب، فنفخ الكهنة في الأبواق، فهتف الشعب عند سماع صوتها هتافًا شديدًا، فسقط السور في مكانه، فاقتحم الشعب المدينة لا يلوى أحدهم

(*) أريحا: مدينة كنعانية قديمة، وهي أيضًا مدينة الجبارين في الغور، وتنخفض ٢٦٠م عن سطح البحر، يعدها الخبراء أقدم مدن فلسطين، وأرجعوا تاريخها إلى ما قبل الميلاد بسبعة آلاف عام، وهذا ما جعل بعضهم يعدها أقدم مدينة في العالم ما تزال موجودة حتى اليوم، شخّص الخبراء موقع اطلالها في تل السلطان شمال المدينة الحالية. يُنظر: الحموي ياقوت (معجم البلدان) ١٦٥/١، وسوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٤٤٩، وغربال، شفيق (الموسوعة العربية الميسرة) ص١٢٧.

(**) تابوت العهد: ويسمى تابوت الشهادة، وهو الرمز اليهودي لإلههم، فقد كان الكهنة يحملونه كرمز واضح على وجود يهوه وسط الجنود، بناه موسى بناء على أمر الخالق ليودع فيه اللوحين اللذين كتبت عليهما الوصايا العشر ليحمله اليهود معهم في ترحالهم؛ حيث إن حمله معهم في ترحالهم، وفي معاركهم يكفل لهم النصر، أما حينما يكف الإسرائيليون عن الترحال كان التابوت يوضع في قدس الأقداس داخل خيمة الاجتماع؛ حيث لا يراه إلا كبير الكهنة في يوم الغفران. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص١٢٥، وسوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٤٥٩، أما عن عيد يوم الغفران فيُنظر: ظاظا حسن (الفكر الديني اليهودي.. أطواره ومذاهبه) ص١٦٨.

(١) سفر يشوع ٦: ١-٥.

على شيء، واستولوا عليها، وقتلوا بحد السيف إكرامًا للرب جميع من في المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير"[1].

"وفي ذلك الوقت وجه يشوع تحذيرًا فقال: "ملعون لدى الرب من يبني هذه المدينة أريحا[*]"[2]، وهكذا قام يشوع حسب أقوال التوراة المحرفة بهولوكوست وإبادة تامة أفظع من تلك التي قام بها هتلر في بولندا!!![3].

لقد أباد يشوع عدة مرات، كل من وجده أمامه من طفل ورضيع ورجل وامرأة، حتى الحيوانات والدواب أبادها. ويسمى هذا المبدأ التحريم. أي حرمة أخذ الغنائم حيث إن الغنائم كانت محرمة على من كان قبل النبي محمد ﷺ، وأنها أُحِلت له، وهي من الخصوصيات للنبي محمد ﷺ ولأمته. ولكن هذا لا يعني أن التحريم هو إبادة وحرق للصغير وللكبير، للطفل والشيخ، للمرأة والرجل، للغنم والبقر!! وأبت طبيعة يهود أن تُدخل الذهب والفضة في التحريم، وإنما جعلتها في خزانة الكهنة والأحبار التي يسمونها خزانة الرب[4].

ومن الملاحظ أن بعض بني إسرائيل خالفوا الرب فيما حرم عليهم: "فأخذ عاكان بن زارح من عشيرة يهوذا ما حرِّم في أريحا فحمي غضب الرب على بني إسرائيل"[5]. وأمر يشوع بحرق المخالفين وحرق غنائمهم: "فأخذ يشوع عاكان بن زارح والفضة والثوب وسبيكة الذهب وبنيه وبناته وبقره وحميره وخيمته وسائر ما هو له بحضور بني إسرائيل وجاء بهم إلى وادي عكور[**] وقال يشوع: أية مصيبة أوقعتها بنا اليوم،

(١) سفر يشوع ٦: ١٦-٢١.

(*) لذلك كانت مدينة أريحا أول منطقة يتخلى عنها اليهود ضمن اتفاقيات التسوية مع السلطة الفلسطينية ضمن اتفاق ما يسمى غزة أريحا أولاً. والناظر إلى مدينة أريحا يكاد لا يجد فيها مستوطنة يهودية إلا ما كان من بعض الثكنات العسكرية، لأنه حسب التوراة ملعون لدى الرب من يبنيها.

(٢) سفر يشوع ٦: ٢٦.

(٣) البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٢٨٩.

(٤) البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٢٨٩.

(٥) سفر يوشع ٧: ١.

(**) عكور: مكان يساعد على العبور من وادي الأردن إلى المنطقة الجبلية في وسط كنعان. يُنظر: (الكتاب المقدس) ص٢٦٩.

لهذا يعاقبك الرب - وحسب الكلمة العبرية يعكر عليك الرب - فرجمه بنو إسرائيل بالحجارة، وأحرقوا كل ما له بالنار، ثم رجموا الآخرين، وأقاموا عليه رجمة عظيمة من الحجارة، ما زالت حتى هذا اليوم، فرجع الرب عن شدة غضبه، لأجل ذلك سمي الموضع وادي عكور، إلى يومنا هذا"[1].

إنها صورة فظيعة، وهمجية!! لم يكتف يشوع بقتل الذي غلّ، بل قتل أهله وبناته وأبناءه، وبقره وغنمه وحميره، وأحرقهم جميعًا بالنار بعد أن رجمهم الشعب حتى الموت!!!

سفر المجازر (سفر يشوع):

هكذا عنون البار في كتابه[2]، وبحق فإن هذا السفر هو سفر المذابح الدموية، فبعد أن قام يشوع بمجزرته الكبرى في أريحا، قام بعدها بمجزرة مثلها لملك عاي وشعبه ومدينته وأرضه، "وقال الرب ليشوع: لا تخف ولا ترتعب، خذ معك جميع المحاربين واصعد إلى عاي[*] فأنا أسلمت إلى يدك ملكها وشعبه ومدينته وأرضه فتفعل بعاي وملكها كما فعلت بأريحا وملكها غير أن غنائمها وبهائمها تغنموها لأنفسكم".[3]

وعندما توجه يشوع بالمحاربين إلى مدينة عاي قاموا بإحراقها وقتل جميع سكانها: "ولما انتهى بنو إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في البرية؛ حيث طاردوهم وأسقطوهم بحد السيف عن آخرهم، رجعوا إلى عايٌ، وقضوا أيضًا على من فيها بحدٌ السيف، وكان عدد القتلى في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفًا، وهم جميع أهل عاي. ولم يردٌ يشوع يده التي مدها بالحربة حتى هلك سكان عاي... وأحرق يشوع عاي وجعلها تلٌ ردم وخرابًا كما هي حتى اليوم، وعُلّق ملك عاي على شجرة إلى

(1) سفر يشوع ٧: ٢٤-٢٦.
(2) البار، محمد علي (نفس المرجع السابق) ص٢٩٠.
(*) عاي: تعني في العبرية تل حجارة، وهي مدينة كنعانية تقع شرقي بيت إيل، وعلى بعد تسعة أميال شمالي أورشليم، ويعرف موضعها اليوم باسم خربة حيان. يُنظر: سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٤٨٤. و (الكتاب المقدس) ص٢٧٠.
(3) سفر يشوع ٨: ١-٢.



المساء وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزلوا جثته، وألقوها عند باب المدينة، وجعلوا عليها رجمة كبيرة من الحجارة إلى هذا اليوم"[1].

الر . . بُ في أهل جبعون من هول المجازر:

دب الرعب والخوف في سكان جبعون[*] بعدما سمعوا بما عمله يشوع بأريحا وعايّ، وجاؤوا ليشوع ليقطع لهم عهدًا بأن يكونوا في خدمته، بعدما أخبروه بأنهم قادمون من بلاد بعيدة، لأنه لو علم أنهم جاؤوا من قريب لطبق عليهم شريعة الحرمة (الإبادة).

ومما جاء في سفر يشوع: "فاستدعى يشوع الجبعونيين وقال لهم: لماذا خدعتمونا، وقلتم: نحن من أرض بعيدة منكم جدًا، بينما أنتم مقيمون في مناطقنا، والآن ملعونون أنتم، فلا ينقطع من نسلكم العبيد، وحاملو الحطب والماء لبيت إلهي، فقالوا ليشوع: سمع عبيدك بجميع ما أمر به الرب إلهك موسى عبده من أنه يعطيكم الأرض، ويبيد جميع سكانها من أمامكم، فخفنا على أنفسنا، وفعلنا ما فعلناه"[2].

ويالها منْ مكرمة عظيمة، أن عفا يشوع عن أهل جبعون، وأنقذهم من القتل، بعد أن همَّ بنو إسرائيل بإبادتهم، لأن يشوع ورؤساء الجماعة حلفوا بإله إسرائيل أن يعطوهم الأمان"...لم يقتلوهم لأن رؤساءهم حلفوا لهم بالرب إله إسرائيل، فتذمر الشعب على الرؤساء من أجل هذا، فقال لهم رؤساؤهم: حلفنا لهم بالرب إله إسرائيل، والآن كيف نمسهم بشرٍّ؟ علينا أن نبقي على حياتهم، فلا يكون علينا غضب من الرب لليمين التي حلفناها لهم، وقالوا لهم: دعوهم أحياء، فيؤمنون الحطب والماء لكل الجماعة"[3]

---

(١) سفر يشوع ٨: ٢٤-٢٩.

(*) جبعون: مدينة كنعانية سكنها الحويون، وهم قوم من سلالة كنعان تقع على بعد خمسة عشر ميلاً شمال أورشليم تدعى أطلالها الآن الجيب وموقعها على قمة هضبة أسفلها ينبوع. يُنظر سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٤٦٤.

(٢) سفر يشوع ٩: ٢٢-٢٤.

(٣) سفر يشوع ٩: ١٨-٢١. ويذكر أن العمل في الحطب والماء عمل غير شريف، يُنظر: الكتاب المقدس ص٢٧٢(سفر يشوع).

ويستمر سفر المجازر (سفر يشوع)، في وصف الحروب الدموية التي خاضها بنو إسرائيل، بقيادة يشوع محرمين (مبيدين)، كل ما يجدونه أمامهم، ومن هذه الحروب المستمرة ما أباده بنو إسرائيل من مدن بأكملها، ومنها مقيدة وعزيقة وبيت حورون وغيرها.. ومما جاء في ذلك.. وضربهم يشوع ضربة عظيمة، في جبعون، ولحق بهم في طريق عقبة بيت حورون، وطاردهم إلى عزيقة وإلى مقيدة، وفيما هم منهزمون أمام إسرائيل عند منحدر بيت حورون رماهم الرب بحجارة عظيمة من السماء إلى أن بلغوا عزيقة، فهلكوا، وكان الذين هلكوا بحجارة الربّ أكثر من الذين قتلهم بنو إسرائيل بالسيف"[1].. وجاء في السفر أيضًا عن استمرار حروب يشوع:

- واحتل يشوع في ذلك اليوم مقيدة، وضربها بحد السيف، وقتل ملكها وكل نفس فيها، ولم يبق فيها باقيًا، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا[*].[2]
- ثم اجتاز يشوع ورجاله، من مقيدة، إلى لبنة (تل الصافي) وحاربها، فأسلمها الرب أيضًا إلى أيدي بني إسرائيل هي وملكها، فضربوها بحد السيف، وقتلوا كل نفس فيها، ولم يبقوا فيها باقيًا، وفعلوا بملكها كما فعلوا بملك أريحا.[3]
- واجتاز يشوع ورجاله من لبنة إلى لخيش[**] وأحاط بها وحاربها، فأسلم الربُّ لخيشَ إلى أيدي بني إسرائيل فاستولوا عليها في اليوم الثاني، وضربوها بحد السيف، وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلبنة"[4].

(١) سفر يشوع ١٠: ١٠-١١.

(*) لم يذكر سفر يشوع ما فُعل بملك أريحا على وجه الخصوص إلا أن ما فعلوه بملك عاي قد يكون هو المقصود؛ حيث إنهم قتلوه وعلقوا جثته على شجرة حتى المساء؛ لأنه لا يجب - كما هو عندهم - أن تبقى جثة إلى الليل، ثم أنزلوا جثته، وألقوا بها عند باب المدينة، وجعلوا عليها رجمة كبيرة من الحجارة إلى هذا اليوم. يُنظر: (الكتاب المقدس) ص٢٧٠.

(٢) يشوع ١٠ : ٢٨.

(٣) يشوع ١٠: ٢٩-٣٠، وقد ذكر شنودة أن لبنة تقع في مكان تل الصافي، يُنظر: شنودة: زكي (اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم) ص٥٣.

(**) لخيش: تقع في جنوب كنعان شمال شرقي غزة، وتعرف أطلالها اليوم باسم "تل الدوير"، ويرى البعض أن أطلالها في تل الحصى، كانت لخيش من أهم مدن الهكسوس في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وكانت مقر سنحاريب ملك آشور أثناء حملته ٧٠١ ق.م على مملكة يهوذا. يُنظر: سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص٤٩٣.

(٤) سفر يشوع ١٠-٣١-٣٢.



- وفي ذلك الوقت قدم هورام ملك جازر(*) لمساندة لخيش، فهزمه يشوع ورجاله، حتى لم يبق فيهم باقيًا.(١)

ومما يلاحظ أنها حرب إبادة مقدسة وإهلاك كامل وشامل، لكل سكان المدن التي يدخلها بنو إسرائيل.

- واجتاز يشوع ورجاله من لخيش إلى عجلون(**) وأحاطوا بها وحاربوها واستولوا عليها في ذلك اليوم وضربوها بحد السيف، وقتلوا كل نفس فيها كما فعلوا بلخيش.(٢)

- ثم صعد يشوع ورجاله من عجلون إلى حبرون(***) وحاربوها، واستولوا عليها، وضربوها بحد السيف هي وملكها ومدنها وكل نفس فيها؛ حتى لم يبقوا فيها باقيًا كما فعلوا بعجلون.(٣)

- وكذا فعلوا بدبير، كما احتل يشوع جميع أرض الجبل والجنوب، والسهل، والسفوح، وضرب جميع ملوكها، ولم يبق باقيًا، وقتل كل نفس فيها كما أمر الرب إله إسرائيل، واجتاح يشوع قادش برنيع(****) إلى غزة جنوبًا وإلى أرض

(*)جازر: مدينة كنعانية شمال غرب أورشليم على بعد حوالي ٣٥ كيلو مترًا منها، اشتهرت في حروب داود عليه السلام مع الفلسطينيين. يُنظر: سوسة (المرجع نفسه) ص٤٦٣.

(١) يوشع ١٠: ٣٣.

(**)عجلون: تقع على بعد عشرة أميال إلى الشمال الشرقي من غزة على ساحل البحر، وتعرف باسم خربة عجلان، وسماها ياقوت الحموي باسم عجلان، ووصفها بأنها ضيعة بين بيت المقدس وعسقلان. يُنظر: سوسة، أحمد (المرجع نفسه) ص٤٨٤، وشنودة، زكي (اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم) ص٥٣.

(٢) يشوع ١٠: ٣٤-٣٥.

(***)حبرون: مدينة كنعانية تعد من أقدم المدن الفلسطينية قبل عصر موسى عليه السلام، وسميت أيضًا (ممرا) (وأريع) نسبة إلى أربع العناقي، وتقع على بعد ٤٤ كيلو مترًا جنوب أورشليم، لا زالت تعرف بحبرون الزاهرة، والخليل نسبة إلى إبراهيم الخليل عليه السلام فيها المسجد الإبراهيمي الذي يحوي أضرحة إبراهيم وإسحاق ويعقوب (عليهم السلام) مع زوجاتهم سارة ورفقة وليئة، ووقعت في هذا المسجد مذبحة للفلسطينيين ١٩٩٤م، راح ضحيتها عشرات القتلى والجرحى على يد الإرهابي باروخ غولد شتاين. يُنظر: الحموي، ياقوت (معجم البلدان) ٢/ص٢١٢، ص٣٨٧، وسوسة، أحمد (المرجع نفسه) ص٤٦٧، وغربال، شفيق (الموسوعة العربية الميسرة) ص٧٦٤.

(٣) يشوع ١٠: ٣٦-٣٧.

(****)قادش برنيع: موضع على تخم كنعان الجنوبي، مكث فيها الموسويون عند خروجهم من مصر، وكانت مركز إقامتهم في البرية، ومنها رحلوا إلى أرض كنعان، وهناك موضع آخر==

جوشن وجبعون شمالاً، واستولى على جميع أولئك الملوك وأرضهم، في هجمة واحدة لأن الرب إله إسرائيل كان يحارب عنهم.[1]

- ولما سمع يابين - ملك حاصور[*] - بما فعله يشوع وبنو إسرائيل بالشعوب من حرب إبادة كاملة، جمع بقية الملوك في المنطقة، وعزم على مقاتلة يشوع وجيشه، "فقال الرب - كما تقول التوراة - ليشوع: لا تخف؛ فأنا في مثل هذا الوقت من غد أجعلهم قتلى أمام بني إسرائيل، فتقطع مفاصل أرجل خيلهم، وتحرق مركباتهم بالنار، وفاجأهم يشوع بجميع المحاربين عند مياه ميروم، وانقضوا عليهم، فأسلمهم الرب إلى أيدي بني إسرائيل... وضربوهم حتى لم يبق منهم باقٍ، وفعل بهم يشوع كما قال له الرب، فقطع مفاصل أرجل خيلهم، وأحرق مركباتهم بالنار.

وعاد يشوع في ذلك الوقت واجتاح حاصور، وقتل ملكها بالسيف؛ لأن حاصور كانت آنذاك، أهم جميع تلك الممالك، وضرب كل نفس فيها بحد السيف، ولم يبق على أحد، وأحرقها بالنار، واستولى يشوع على مدن كل أولئك الملوك مع ملوكها، وضربهم بحد السيف كما أمر موسى عبد الرب، فأما المدن الواقعة على التلال؛ فلم يحرقها بنو إسرائيل عدا حاصور التي أحرقها يشوع، وغنم بنو إسرائيل غنائم تلك المدن وبهائمها، وأما السكان فضربوهم جميعًا بحد السيف، حتى أفنوهم ولم يبقوا على أحد[2].

- ويتحدث سفر يشوع، عن أن يشوع لم يهمل كلمة واحدة من جميع ما أمر الرب به موسى، فملك الأرض كلها، الجبل وكل الجنوب وأرض جوشن، والسهل، والغور، والجبل، من الجبل الأقرع الممتد جهة سعير[**] إلى بعل جاد[***] في وادي

== يسمى قادش يقع في الجليل عند منابع نهر العاصي، وتقع قادش الجليل في شمال فلسطين على بعد عشرة أميال شمالي صفد، يُنظر: سوسة، أحمد (العرب واليهود والتاريخ) ص٤٨٩-٤٩٠.

(١) يشوع ١٠: ٣٨-٤٢.

(*) حاصور: مدينة كنعانية ذات شأن، عدها البعض العاصمة الطبيعية لشمال كنعان، تقع قرب الحولة غربي جسر بنات يعقوب، واشتهر بين ملوكها يابين، وقيل: إن "يابين" لقب كان يطلق على ملوك كنعان كفرعون لملوك مصر. يُنظر: سوسة (العرب واليهود في التاريخ) ص٤٦٧.

(٢) يشوع ١١: ١-١٤.

(**) سعير: قرية تقع شمال مدينة الخليل بالقرب من بلدة حلحول.

(***) بعل جاد: يعتقد الباحثون أنها قرية (بعلبك) التي تقع في لبنان في سهل االبقاع على بعد ٤٢ ميلاً إلى الشمال الغربي من دمشق، وقد سمى اليونانيون بعلبك (هليوبولس)، أي: مدينة الشمس، واشتهرت بعظمة أبنيتها الرومانية، يُنظر: سوسة، أحمد (المرجع نفسه) ص٤٥٧.

لبنان تحت جبل حرمون(*)، وأخذ جميع ملوكها، وقتلهم وشن يشوع حربًا على جميع أولئك الملوك، أيامًا كثيرة، فما سُلِّمت مدينة لبني إسرائيل سوى جبعون مدينة الحويين(**)، أما بقية المدن فأخذوها جميعًا بالحرب؛ لأن الرب أعمى قلوب سكانها حتى خرجوا على بني إسرائيل بالقتال فأهلكوهم من دون رحمة وأبادوهم كما أمر الرب موسى[1].

- وجاء يشوع في ذلك الوقت، وأباد العناقيين(***) من الجبل من جبرون (الخليل)، ودبير وعناب، ومن سائر جبل يهوذا، وجميع جبل إسرائيل، وهدم مدنهم، وما بقي عناقي في أرض بني إسرائيل إلا في غزة وجت وأشدود(****)، وأخذ يشوع كل الأرض كما وعد الرب موسى، ووزعها على بني إسرائيل بحسب أسباطهم، واستراحت الأرض من الحرب.[2]

ومن الجدير ذكره أن الأحداث والمجازر الدموية التي مر ذكرها، ونسبت إلى يوشع في مدة حياته (١٢٦٧-١١١٥٧ ق.م) والتي لا نعتقد أنها كانت على يد نبي بهذه البشاعة والهمجية؛ لأن الأنبياء (عليهم السلام) لا يمكن أن يقوموا بمثل هذه الأعمال

(*) جبل حرمون: جبل كان على التخم الشمالي لأرض فلسطين، يقع على بعد ٤٠ ميلاً شمال بحر الجليل، و٣٠ ميلاً إلى الجنوب الغربي من دمشق، وهو يمتد على طول الحدود الجنوبية الشرقية للبنان بين سورية ولبنان، ويعرف بجبل الشيخ أيضًا، وارتفاعه ٩٤٠٠ قدم فوق سطح البحر. يُنظر: سوسة (المرجع نفسه) ص٤٦٧.

(**) الحويون: قوم من سلالة كنعان، ومن مدنهم الرئيسية شكيم وجبعون، وقد انفرد الحويون من دون جميع سكان كنعان في مصالحتهم للموسويين مع يشوع، ويظهر من المآثر التوراتية أن بعض الحويين سكنوا جبل لبنان من جبل حرمون إلى مدخل حماة. يُنظر: سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ٤٦٩.

(١) سفر يشوع ١١: ١٦-٢٠.

(***) العناقيون: وهم ذرية عناق أبي أربع الذي منه سميت حبرون قرية أربع، وقد اشتهر العناقيون بطول قامتهم، وبأسهم في الحرب، كانت مساكنهم في حبرون وغزة وجت وأشدود، وقد وصفوا في التوراة بجبابرة بني عناق. يُنظر: سوسة، أحمد (المرجع نفسه) ص٤٨٧.

(****) غزة وجت وأشدود: أما غزة فتقع على ساحل البحر الأبيض عشرة أميال إلى الجنوب من مدينة عسقلان، وتعد غزة من أقدم مدن الكنعانيين، وهي أولى مدن الفلسطينيين الخمس من الجنوب، يُنظر: سوسة، أحمد (المرجع نفسه) ص٤٨٨. أما جت فيرى البعض أنها تقع في تل الصافية شرقي أشدود على بعد ١٦ ميلاً منها، وبقيت بيد الفلسطينيين حتى أيام داود ﷺ الذي أخذها منهم، ثم صارت ليهوذا رحبعام بعد ذلك. يُنظر: سوسة، أحمد (المرجع نفسه) ص٤٦٥. أما أشدود: ومعناها حصن، فتقع على ساحل البحر الأبيض بين غزة ويافا، ولا تزال محافظة على اسمها القديم؛ حيث تعرف باسم (أسدود). ينظر: سوسة، أحمد (المرجع نفسه) ص٤٥٠.

(٢) سفر يشوع ١١: ٢١-٢٣.



الإجرامية، ثم إننا لا نعتقد حتى بصحة حدوثها؛ حيث إننا هنا نصطدم بعلم الآثار، فقد ثبت أن أريحا لم تكن مأهولة بالسكان في ذلك الوقت، وأنها قد دمرت تمامًا (سنة ١٥٠٠ ق.م)، أي: قبل دخول يشوع المزعوم إلى أريحا بثلاث مئة عام على الأقل.

والمدن الأخرى التي زعموا أن يشوع دمرها كانت قد دمرت تمامًا قبل عهد يشوع بثلاث مئة عام على الأقل، وذلك في أواخر العصر البرونزي المتوسط (١٥٥٠ ق.م). وقد كانت النتيجة التي توصلت إليها الآنسة ك.م. كينون أنه من المستحيل ربط تدمير أريحا بدخول الإسرائيليين في نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد.[١]

وهكذا الحال بالنسبة إلى مذابح بقية المدن: عاي ولخيش وعجلون وحبرون وحاصور...[٢]، أمَّا وقد ذكرت هذه المجازر (الوهمية) في توراتهم على أنها حقيقة واقعية؛ بل وأنها من المفاخر التي يمجدونها ويفتخرون بها، فإنها بذلك تكون حجة على حبهم لسفك دماء غير اليهود، ودليلاً واضحًا على عنفهم وإرهابهم المقدس وحقدهم على البشرية من غير جنسهم.

وقد اخترع أحبار يهود هذه التلفيقات والاتهامات للأنبياء حتى يبيحوا لأنفسهم ارتكاب الجرائم والموبقات كلها، فإذا كان الأنبياء، وهم صفوة خلق الله، يطغون عند القوة، ويقتلون النساء والأطفال والشيوخ والرضع، ويبيدون البهائم باسم الرب؛ فإن ارتكاب هذه الموبقات يصبح حلالاً لهم بموجب العهود والمواثيق التي ربطها الله معهم وجعلهم فيها شعب الله المختار.[٣]

ولهذا فقد اعتبر اليهود تدمير مدينتي صور وصيدا، ودك بيروت بالقنابل ومجازر صبرا وشاتيلا عملاً دينيًا يباركه الرب إله إسرائيل؛ حيث أمر الرب يشوع بإبادة جميع الكنعانيين والشعوب الساكنة في فلسطين والأردن وسوريا ولبنان، وأمره بأن

(١) جارودي، رجاء (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) ص٥٩-٦٠، والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) ص٦٧-٦٨.
(٢) (المرجعان السابقان بالصفحات نفسها).
(٣) البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) ص٦٩.

لا يترك طفلاً ولا شيخًا ولا رجلاً ولا امرأة، وأن يبيد الكل؛ بل أمره بإبادة جميع البهائم الموجودة.[1]

نعم هكذا يستشهد اليهود بالتوراة لتسويغ ما يقومون به من مذابح واعتداءات؛ ولذلك كانت جميع مذابحهم في فلسطين وغيرها من الدول المجاورة في العصر الحديث نتيجة حتمية ومنطقية لفكرهم وعقائدهم وخرافاتهم التي يؤمنون بها ويقدسونها سواء ما كان منها في العهد القديم، أم التلمود، أم أقوال لحاخاماتهم المتطرفة.

وبذلك تبدو الدعوة علنية وصريحة ومكشوفة من التوراة إلى جميع اليهود لإقامة المجازر باسم الرب، وفي اعتقادي أن هذه الدعوة، وتلك المذابح التي سطرتها التوراة هي فضيحة أخلاقية تلاحق اليهود في كل زمان ومكان، ويستحق عليها اليهود بالمفهوم الدولي الحديث محاكمتهم كمجرمي حرب!!

إذا كان يشوع بهذا الخلق الذي رسمته التوراة، واستحق عليها أن يكون بطل العهد القديم على اعتبار أن التوراة والعهد القديم في أغلبه عبارة عن قصة خرافية حبك فصولها مجموعة من الحاخامات المتطرفين؛ فإنه (يوشع) - كما جاء في مصادرنا الموثوقة - نبيًا من أنبياء بني إسرائيل، ظهر وهو يوبخ قومه عندما نكصوا عن قتال العماليق، ثم عند قيادته لبني إسرائيل في دخول الأرض المقدسة لكن ليس بالصورة الهمجية البشعة التي صورتها التوراة وبعض الكتّاب المسلمين دون وعي أو تمحيص. وظهر أيضًا عندما فتح بيت المقدس ودخلها مطأطئ الرأس تواضعًا لله بعد أن سجد على الباب شكرًا لله، لا كما تصوره التوراة سفاكًا جبارًا مجرمًا متعطشًا للدماء مزهقًا لكل روح من النساء والأطفال والشيوخ والرضع والبهائم.

وقد وصف الله تعالى تطرفهم وظلمهم واستهزاءهم بتعاليمه تعالى إليهم عندما أمرهم يوشع بن نون عليه السلام بدخول بيت المقدس متواضعين مستغفرين، وأن يقولوا حطة - أي حطّ عنا ذنوبنا - فدخلوا على أستاههم يزحفون ويتهكمون ويسفكون الدماء(*).

(١) البار، محمد علي (المرجع السابق نفسه) ص٦٩، نقلاً عن رجاء جارودي في كتابه (إسرائيل الصهيونية السياسية).

(*) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦١-١٦٢].

إنه ذاته الخلق الذي تركهم موسى عليه السلام وهم عليه، وهو ذاته الذي استمروا به مع يوشع عليه السلام وبعده كما سنرى.

التطر الإسرائيلي في ا ة[*]:

وفي هذا العصر ظهر أيضًا التطرف في بني إسرائيل؛ حيث ارتد شعب بني إسرائيل عن عبادة الله، يقول البار: "في هذا العصر ارتد اليهود، عن عبادة الله سبع مرات على الأقل، وعبدوا فيها الأوثان مثل البعل (البعليم) وعشتاروت، وملوكم وغيرها من الآلهة التي شيدوا لها المعابد، وقدموا لها القرابين، والنذور لدرجةِ أنهم قدموا أبناءهم وبناتهم قربانًا لها."[1]

وعن تطرف بني إسرائيل الديني في هذا العصر، شهدت التوراة بالقول: "وكل الذين جايلوا يشوع ماتوا أيضًا، وانضموا إلى آبائهم، ونشأ من بعدهم جيل آخر، لا يعرف الرب، ولا ما عمل لبني إسرائيل، ففعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعل، وتركوا الرب إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، وتبعوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب الذين حولهم، وسجدوا لها، وأغاظوا الرب، تركوه وعبدوا البعل وعشتاروت."[2]

وتذكر التوراة أن الرب عاقب بني إسرائيل على هذا الانحراف حيث سلمهم إلى الناهبين فنهبوهم، ثم أقام الرب لهم قضاةً ليخلصوهم من أيدي الناهبين؛ إلا أنهم لم

(*) عهد القضاة: ويمتد من (١١٥٧-١٠٢٠ ق.م)، وكان حكام بني إسرائيل في هذه المدة قضاة من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب، ولم يكن في بني إسرائيل ملوك في تلك الأيام، ولم تكن طاعة القضاة واجبة، وكان نظام الحكم لا يقوم على أساس الدولة؛ بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة؛ فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء، وهو الحكم الفصل في شؤون القبيلة، وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى، فإذا فشل التقاضي أمام هؤلاء الزعماء لجأ المتقاضون إلى القاضي الذي كان يمثل الرئيس في الجماعات الإسرائيلية. يُنظر: شلبي، أحمد (مقارنة الأديان اليهودية) ص٨٠، والمسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٢٩٣، والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص٧٢.

(١) البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) ص٧٢.

(٢) سفر القضاة ٢: ١٠-١٣.



يسمعوا لقضاتهم؛ حيث خانوا الرب باتباع آلهة أخرى يسجدون لها؛ لذلك اشتد غضب الرب عليهم.[1]

وواضح أيضًا أن انحرافهم يتكرر مرَّات ومرَّات لدرجة أن يصاب الإنسان بالملل، والرب - حسب زعمهم - يندم في كل مرة على الشر الذي جلبه عليهم؛ لأنه سمع أنينهم، وبعد موت كل مخلص لهم يعودون إلى الانحراف، وبما أن لهم اثني عشر قاضيًا على الأقل، فقد ارتدوا اثنتي عشرة مرة أو أكثر، وهكذا يستمر السفر في نفس القصة؛ بل قل: هكذا تستمر جميع أسفار العهد القديم: يخلصهم الرب فيكفرون به، ويعبدون الأوثان ويفجرون... إلخ، فيوقع بهم الرب في أيدي أعدائهم فيبكون ويصرخون للرب فيندم الرب - حسب زعمهم - على الشر الذي فعله بابنه، البكر إسرائيل، فينصرهم بل يشترك معهم في المعارك بنفسه فإذا انتصروا عادوا إلى عبادة الأوثان.. حلقة مفرغة ليس لها نهاية.[2]

ويؤكد الباحثون على كثرة المعاصي في بني إسرائيل في هذا العصر، ولا سيما، الردة عن عبادة الله وحده إلى عبادة الأوثان، وانتشار المنكرات والرذائل وتفشي الزنى وقتل المصلحين منهم حتى كانت تلك المعاصي والانحرافات سببًا في تسليط الله عليهم من يستعبدهم ويذلهم.[3]

وكان من ضمن الذين سلطهم الله على بني إسرائيل في تلك الحقبة (الفلسطينيون) حيث اشتدت غارات الفلسطينيين عليهم، وكان أن استولى الفلسطينيون في إحدى هذه الغارات على تابوت العهد بعد أن قتل منهم الفلسطينيون أعدادًا كبيرة، وحيث إن هذه الأحداث، كانت في أواخر عهد القضاة، فقد سأل بنو إسرائيل في ذلك الوقت نبيهم - وقيل: إنه صموئيل عليه السلام[*] وهو آخر قضاتهم في ذلك

(١) يُنظر الإصحاح الثاني من سفر القضاة.
(٢) البار، محمد علي (المرجع السابق نفسه) ص٧٥.
(٣) الميداني، حسن حبنكة (مكايد يهودية) ص٢٤.
(*) والدليل على أنه صموئيل ما أورده ابن كثير في تفسيره: "قال وهب بن منبه - وهو أحد أحبار اليهود الذين أسلموا في عصر الصحابة - ولم يبق من سبط لاوي الذي يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حامل من بعلها، وقد قتل فأخذوها وحبسوها في بيت واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلامًا يكون نبيًا لهم، ولم تزل المرأة تدعو الله (عز وجل) بأن يرزقها غلامًا، فسمع الله لها ووهبها غلامًا فسمته شموئيل==

العهد - أن يجعل لهم ملكًا حتى يقاتلوا في سبيل الله، ويستعيدوا مجدهم وسلطانهم بعد أن وعدوه بالتخلي عن عبادة الأوثان، فأخبرهم أن الله تعالى قد اختار لهم طالوت ملكًا[1]، وبطالوت بدأ عهد جديد مع بني إسرائيل، فهل انتهوا عن تطرفهم وعنفهم وفجورهم؟؟!!

التطرف الإسرائيلي في الملوك:

ينقسم عهد الملوك إلى قسمين، ويبدأ العهد الأول حوالي سنة ١٠٢٠ ق.م بشاؤول - أول ملك لبني إسرائيل - ويحكم بعده ابنه اشبوشت مدة قصيرة جدًا، ويظهر بعدها داود كأقوى ملك في تاريخ اليهود إلى اليوم، ويحكم ابشالوم بن داود مدة قصيرة أثناء حكم والده، حيث يثور على أبيه داود، ويقتل في المعركة ضد والده، ثم يظهر سليمان بن داود (عليهما السلام) ويحكم حتى عام ٩٢٢ق.م، وبموت سليمان عليه السلام تنقسم المملكة الموحدة إلى قسمين، هما: يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم، وإسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم (نابلس)[2].

كان التطرف الديني والخلقي قد استشرى في بني اسرائيل، فقد عادوا لعبادة الأوثان، وقام رجل منهم يدعي (ميخا)، فصنع تمثالاً من الفضة، وجعل له كاهنًا من

== (صموئيل) أي سمع الله دعائي، فشب ذلك الغلام ونشأ فيهم، وأنبته الله نباتًا حسنًا. فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه وأمره بالدعوة إليه وتوحيده، فدعا بني إسرائيل، فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكًا يقاتلون معه أعداءهم، وكان الملك قد باد فيهم، فقال لهم النبي: فهل عسيتم إن أقام الله لكم ملكًا الا تقاتلوا ولا تفوا بما التزمتم من القتال معه ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، أي: وقد أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد، قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦] أي: ما دفعوا بما وعدوا؛ بل نكص عن الجهاد أكثرهم، يُنظر: (تفسير القرآن العظيم - تفسير ابن كثير) ١/٣٠٠، وهذه الصورة التي رسمها وهب وغيره من أحبار اليهود، الذين أسلموا، قريبة جدًا في أصولها لما هو موجود في التوراة (سفر صموئيل الأول) مع اختلاف في التفاصيل. يُنظر: البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٣٣٧.

(١) يُنظر: شنودة، زكي (اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم) ص٧٦-٧٧ ودروزة محمد عزة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) ص١٣٣ وعبد العليم، مصطفى كمال: (اليهود في العالم القديم) ص٧٢.

(٢) يُنظر: دروزة، محمد عزة (المرجع نفسه) ص١٣٨، والبار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٣٢٢.

اللاويين، وقام بنو إسرائيل بعبادة هذا الإله بالإضافة إلى الآلهة العديدة.. كما انتشر فيهم الزنى والشذوذ الجنسي، ولا سيما في سبط بنيامين، فإنهم كانوا لا يتركون أحدًا يمر بقريتهم إلا فعلوا فيه الفاحشة تمامًا كما كان قوم لوط من قبل.[1]

كان صموئيل على درجة كبيرة من الصلاح والتقوى،وكانت الغارات متتالية من الفلسطينيين على بني إسرائيل حيث استطاعوا أن يستولوا على تابوت العهد، وقد دعا صموئيل بني إسرائيل لعبادة الله وحده، ومما جاء في ذلك: "أزيلوا الآلهة الغريبة وتماثيل عشتاروت من بينكم، وثبتوا قلوبكم في الرب واعبدوه وحده، فينقذكم من أيدي الفلسطينيين"[2]. وفي الوقت ذاته فقد عمد الشعب الإسرائيلي إلى نبيهم (صموئيل)[3] في ذلك الوقت بعد أن عجزوا عن صد هجمات الفلسطينيين من أجل أن يجعل لهم ملكًا يقاتلون معه[*]، وقد استجاب لهم النبي وملك عليهم طالوت (شاؤول)، فاعترضوا على ذلك كاشفين عن أخلاقهم السيئة مرة أخرى، ويكون جوابهم أن طالوت هذا من عامة الشعب، وليس له مال أو حسب، في حين أن منهم من هو أحق منه بالملك، ففيهم الحسيب وفيهم الغني إلخ.

وكان من أبرز الحوادث في عهد طالوت (شاؤول) حربه مع جالوت (جوليات)، حيث يقوم صموئيل - حسب زعم التوراة - بتحريض شاؤول على إقامة المجازر، ومما جاء في ذلك: "فاذهب الآن، واضرب بني عماليق، وأهلك جميع مالهم، ولا تعف عنهم، بل اقتل الرجال والنساء والأطفال والرضع والبقر والغنم والجمال والحمير.[4]

---

(١) يُنظر: البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) ص٧٦، والميداني، عبد الرحمن حسن (مكايد يهودية) ص٢٤.

(٢) سفر صموئيل الأول ٧:٣.

(٣) يُنظر: ظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص٣٥، والبار، محمد علي (الله والأنبياء..) ص٣٢١، وكتابه أيضًا (المدخل لدراسة التوراة) ص٧٦، وعبد العليم، مصطفى كمال (اليهود في العالم القديم) ص٧٢.

(*) قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

(٤) سفر صموئيل الأول ١٥ : ٣.

وكان داود عليه السلام من بين جند طالوت، وقد استطاع عليه السلام أن يقتل جالوت، ويتغلب على الفلسطينيين، ومن ثم يصبح ملكًا لبني إسرائيل، وكانت مملكة داود ومن بعده سليمان (عليهما السلام) قد بلغت أوجها. ويتحدث العهد القديم عن جرائم العنف التي قام بها داود (كذبًا وافتراءً عليه)، وأنه نشر بالمناشير النساء والأطفال، وضرب الأرض، ولم يبق مخادعًا، وهو جبان في كثير من المواقف على الرغم من أن التوراة تقول: إنه أشجع بني إسرائيل على مدار التاريخ، ثم تصوره التوراة بعد ذلك بأنه يخطف امرأة جاره، ويزني بها - حاشاه مما يتهمونه به [1].

وهكذا تمتلئ حياة داود - كما تزعم التوراة - بسفك الدماء والفجور والزنى وكل الموبقات. تطرف وعنف ما بعده عنف!! ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨).

ولعل لعنهم على لسان هذين النبيين بالذات لبيان شدة إجرام بني إسرائيل واليهود بحقهما، إنه وعلى الرغم من استطاعة داود عليه السلام أن يقيم مملكة شملت العديد من الشعوب المحيطة به إلا أنه لم يستطع أن يقوّم أنفس بني إسرائيل المعوجة، فقد ضاق ذرعًا بأكاذيب بني إسرائيل وخداعهم وجبنهم وعباداتهم للأوثان والذهب وحبهم للمال وانتشار الزنى والربا والخمور بينهم[2].

وشتان بين وصف القرآن لصورة داود عليه السلام بالصورة الوضيئة الكريمة، وبين وصف التوراة له بالصورة الوضيعة، ومع هذا يزعم اليهود أنهم يحبونه ويتولونه وهو منهم عليه السلام براء[3].

ثم يأتي عصر سليمان عليه السلام، ويتولى حكم بني إسرائيل أربعين عامًا، وهي نفس المدة التي حكمها داود عليه السلام[4]، ويعد عصره من أزهى عصور بني إسرائيل، ومع هذا

---

(١) للمزيد يُنظر: البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٣٤٥ وما بعدها.

(٢) البار، محمد علي (الله والأنبياء..) ص٣٧٤.

(٣) للمزيد من الاطلاع على وصفي القرآن والتوراة لداود عليه السلام يُنظر: البار، محمد علي (الله والأنبياء...) ص٣٤٥-٣٨٣.

(٤) البار، محمد علي (الله والأنبياء...) ص٤٠٩، وكتابه أيضًا (المدخل لدراسة التوراة) ص٨٦.

فقد عبثت أسفار العهد القديم بسيرة سليمان ﷺ، كما عبثت من قبل بسيرة أبيه داود ﷺ وبسيرة جميع الأنبياء (عليهم السلام) أجمعين.

ويظهر التطرف الديني من بني إسرائيل بنبذ كتاب الله وراء ظهورهم، فبدلاً من اتباعه اتبعوا الشياطين التي كانت تعلم الناس السحر. والمطلع على أسفار العهد القديم يجد اتهامها لسليمان ﷺ - كذبًا وبهتانًا - بعبادة الأوثان والسحر والاستبداد والطغيان والترف والإسراف..[1]، ومما يجدر ذكره في هذه المرحلة من عهد سليمان ﷺ هو بناء المعبد (الهيكل)[*] الذي عدّ فيما بعد رمزًا مهمًا في حياة بني إسرائيل واليهود من بعدهم، فما زالت عيون الحقد الصهيوني تنظر إلى المسجد الأقصى نظرة حقد وتدمير، فبحجة إعادة بناء الهيكل المزعوم تنطلق معاول الهدم الصهيونية بين الحين والآخر لتدمير المسجد الأقصى، بحرقه تارة وبإقامة الحفريات تحته تارة أخرى، وبقتل المدافعين عنه تارة ثالثة، فالعنف بسبب الهيكل وإقامته مستمر من يوم أن هدم إلى أن يعيدوا بناءه ثالثة إن استطاعوا!

ولما مات سليمان ﷺ، تولى بعده ابنه رحبعام الذي بايعه من الأسابط اثنان فقط هما: (سبط يهوذا) و (سبط بنيامين) وكانت البيعة له في أورشليم، ولما اتجه رحبعام إلى الشمال لأخذ البيعة من باقي الأسباط رفضوا أن يبايعوه وبايعوا (يربعام بن ناباط)[**]، وهكذا انقسمت مملكة سليمان ﷺ إلى مملكتين متحاربتين، هما:

(١) يُنظر: سفر الملوك الأول.

(*) الهيكل: وهو في الأصل المعبد التابع لقصر سليمان ﷺ وقد بدأ داود ﷺ بالإعداد لبنائه، فجمع له الذهب والأحجار الكريمة، وتمثل النجمة السداسية قاعدته، ولهذا اتخذها اليهود شعارًا لهم، وسموها باسم داود ﷺ، وقد تم إنجاز المعبد في عهد سليمان ﷺ، ولهذا يقال: هيكل سليمان، وهو عند اليهود بمنزلة الكعبة عند المسلمين، فهو محط آمالهم وأحلامهم، وقد بني ليسكن فيه الرب على حد زعمهم - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - كما أنهم يزعمون أن المسيح (المسيح الدجال) سيظهر وينزل فيه، وكذا يعتقد نصارى الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، ولهذا فهم يمدون اليهود بالدعم المستمر لإقامة الهيكل، حتى يتمكن الرب (المسيح الدجال) من النزول إلى هيكله، يُنظر: شلبي، أحمد (مقارنة الأديان اليهودية) ص٢٠٨-٢١٢، والبار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٤١٧-٤٢٠.

(**) يربعام بن ناباط: يخطئ الكثير من الكتّاب عندما يعتبرون أن يربعام هو ابن سليمان ﷺ، إذ الصحيح أن يربعام هو ابن ناباط من سبط أفرايم بن يوسف ﷺ، وقد كان يربعام عبدًا عند==

مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم، وقامت إلى أن تحطمت على يد سرجون - ملك الآشوريين - ٧٢٠ ق.م، وفر من بقي منهم إلى الجبال، وهم الذين يعرفون بالسامريين(*)، أما المملكة الثانية فعاصمتها أورشليم (القدس)، واستمرت إلى أن حطمها نبوخذ نصر ٥٨٦ ق.م؛ دمَّر فيها الهيكل لأول مرة، وأسر أهلها إلى بابل.[1]

ويُذكر أن ملوك الدولتين: (إسرائيل ويهوذا) قد ارتدوا عن دينهم، وعن عبادة الله وعبدوا الأوثان والأرجاس، ويفرد سفرا الملوك: الأول والثاني وأخبار الأيام الأول والثاني وأسفار الأنبياء قصص هؤلاء الملوك، ومدى عنفهم وتطرفهم واتباعهم للأديان الوثنية الموجودة في المنطقة آنذاك، ولقد لقي الأنبياء الذين ظهروا في تلك الحقبة عنتًا شديدًا وتكذيبًا وتقتيلاً وبفسادهم وقتلهم الأنبياء سلط الله عليهم من يذلهم ويحطم مملكتيهم.[2]

أما في بابل؛ فقد استطاع اليهود أن يؤسسوا أول دستور للعنف والتطرف والإرهاب، وينطلقون وفق تعاليمه إلى يومنا هذا، ألا وهو كتابة التوراة، وقد ظهرت في هذه المدة من حياة بني إسرائيل دعوة أنبيائهم إليهم باعتزال الأمم الأخرى؛ لأن ذلك قد أدى في الماضي إلى عبادة آلهة هذه الأمم، ولذلك ظهرت موجة من الانغلاق على النفس في مدة الأسر،

== سليمان، واستطاع أن يقود ثورة ضد سليمان إلا أن سليمان عليه السلام تمكن من القضاء عليها، وبعدها فر يربعام إلى مصر، ولما مات سليمان عليه السلام، عاد يربعام بدعم من (شيشنق) ملك مصر، حيث استطاع يربعام أن يكون مملكة إسرائيل في شمال فلسطين. يُنظر: البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص٨٨-٩١، وعبد العليم، مصطفى كمال (اليهود في العالم القديم) ص٩١-٩٥، والكتاب المقدس سفر الملوك الأول ١١: ٢٦-٤٠ حيث يذكر قصة يربعام بن ناباط وثورته ضد سليمان .... إلخ.

(*) السامريون: نسبة إلى مدينة السامرة القديمة التي يعيشون حولها، وكانت عاصمة مملكة إسرائيل في الشمال، التي قامت عليها مدينة نابلس، وهم البقية الباقية من هذه المملكة، ويؤمنون بأسفار موسى الخمسة، يضاف إليها أحيانًا سفر يشوع، وهم لا يؤمنون بداود وسليمان، وهم بحكم دينهم لا يعترفون بقدسية جبل صهيون، فلهم جبلهم المقدس (جرزيم)، حيث يعتقدون أن الماشيح سينزل عليه، ويتخذون لأنفسهم أسماء أخرى منها "بنو إسرائيل" و "بنو يوسف". يُنظر: ظاظا: حسن (الفكر الديني اليهودي) ص٢٠٥، والمسيري عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٢١١.

(١) يُنظر: شلبي، أحمد (مقارنة الأديان اليهودية) ص٨٩، والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) ص٨٨، وكتابه أيضًا (الله والأنبياء) ص٤٢٥، وعبد العليم، مصطفى كمال (اليهود في العالم القديم) ص٨٨.

(٢) البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص٩٢-٩٨.



فتكونت لديهم عقدة الذلة مع الشعور - في الوقت نفسه - بأنهم شعب الله المختار، وقد ظلت هاتان الصفتان متلازمتين مع اليهود خلال تاريخهم الطويل إلى يومنا هذا.[1]

وقد لعب اليهود دور الخيانة في بابل عندما تحالفوا مع قورش، الملك الفارسي الذي احتل بابل، ومن ثم أصبح له السلطان على أرض فلسطين، وقد سمح قورش لليهود بالعودة إلى فلسطين؛ إلا أن أغلبية اليهود فضلت البقاء في بابل، وعادت فئة قليلة قامت بإعادة بناء المدينة المقدسة وبناء الهيكل، وكانت عودتهم من بابل عودة أشخاص وليست عودة دولة.[2]

مرد[illegible]ي وأستير والا[illegible] م منا [illegible] العراقي:

أفرد كهنة اليهود سفرًا خاصًا بهذه الحادثة، وأطلقوا عليه سفر أستير، ويعد هذا السفر آخر الكتب التاريخية في العهد القديم، ويقال: إن جمعه كان في سنة ١٣٠ ق.م[3].

ومعلوم أن أسفار التوراة لم تجمع كلها في وقت واحد، ولا في قرن أو قرنين أو ثلاثة، بل امتد ذلك وطال أكثر من ألف سنة، إذ كان ابتداؤها مقصورًا على الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام، ثم صار يزاد على ذلك أسفار جديدة.

ومن الجدير ذكره أن سفر أستير لم يكن مدونًا مع أسفار العهد القديم التي عثر عليها ضمن مجموعة لفائف في كهف قمران قرب البحر الميت[*]، وهذا يدل على أن

---

(١) (المرجع السابق نفسه)، ص٩٩-١٠٠.

(٢) شلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص٩٤.

(٣) نويهض، عجاج (بروتوكولات حكماء صهيون) ٢ / ٥٤.

(*) لفائف مغارة قمران، تعد مخطوطات مغارة قمران من أهم الاكتشافات في مجال الكتب الدينية، وهي من أقدم المخطوطات التي عثر عليها حتى الآن، وقد عثر عليها أحد الرعاة العرب من فلسطين عندما كان يرعى غنمه في صخور "خربة قمران" بقرب قرية "عين فشخة" في منطقة أريحا على البحر الميت (جنوب غرب البحر الميت) وذلك عندما دخلت إحدى أغنام الراعي (محمد الديب) داخل المغارة، فلما تبعها وجد طومارًا ملفوفًا فيه مخطوطًا بلغة لا يعرفها، وذلك في سنة ١٩٤٧م، وقد وصل المخطوط عبر البيع والشراء بين التجار إلى المستشرق الدكتور(جون تريفو) في المدرسة الأمريكية للدراسات الشرقية بالقدس ١٩٤٨م، وعرف على الفور قيمتها المذهلة، يُنظر: البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) ص ٢٦٠ - ص ٢٦٨.

وضع هذا السفر كان في القرن الثاني ق.م - كما ذكرنا في أول الكلام - وأسفار التوراة كان قد انتهى عمل جمعها قبل هذا بوقت طويل[1].

أما حوادث القصة فقد جرت في عهد الملك احشويروش (٤٨٥ - ٤٦٦ ق.م) في قصره في العاصمة شوشن[*] في أثناء الأسر البابلي، وهو أحد ملوك الدولة الإخمينية الفارسية، واسم احشويروش بالعربية سرخس، ويذكر أن الدولة الفارسية هذه هي التي قضت على دولة نبوخذ نصر البابلية (٥٣٩ ق.م)، وقد امتدت الدولة الفارسية من الهند إلى الحبشة، وكانت العراق ومصر ودمشق واقعة تحت نفوذها[2].

يعد اليهودي مردخاي البطل الحقيقي للقصة، أما أستير فهي بنت عمه اليتيمة، وكانت فاتنة في الجمال، وقد تولى مردخاي تربيتها تربية يهودية خالصة، وقد فازت أستير من بين عدد من الفتيات جمعن من أرجاء المملكة لاختبار أفتنهن، فأصبحت أستير الملكة في قصر احشويروش بعد زواجها من الملك الذي لم يكن يعرف أنها يهودية، حيث أوصاها مردخاي بألا تبوح باسمها العبري "هداسا" ولا بيهوديتها[3].

حظيت أستير برضى الملك وعطفه، أما مردخاي فكان أحد موظفي القصر، وقد علم يومًا أن اثنين من حراس الباب الملكي يخططان لقتل الملك، وعلى الفور نقل الخبر إلى أستير لتخبر الملك بذلك، ولما تأكد الملك من صحة الخبر علّق الرجلين على خشبة، وسجلت هذه اليد لمردخاي في القصر، وكانت أستير تنفذ رغبات ابن عمها كما لو كانت تحت ولايته[4].

يذكر بعض الباحثين أن اليهود تغلبت عليهم نزعات الغدر والخيانة التي تزخر بها قلوب اليهود، فانقلبوا على الفرس، وشرعوا يتآمرون عليهم، فشعر بمكايدهم الوزير

---

(١) ينظر: نويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢ / ٥٥.

(*) شوشن أوشوشان: في إقليم خوزستان، وفي التاريخ العربي "الأهواز"، وفي العصر الحديث العصر التركي "عربستان"، وسكان هذا الإقليم قبائل عربية معظمها من "كعب"، ولما وقعت آخر تسوية للحدود بين إيران والدولة العثمانية بقيت الأهواز لجهة إيران، وكان عليها أمير عربي هو "الأمير خزعل" حتى أزالته إيران بعد الحرب العالمية الأولى، وإقليم الأهواز شرقي البصرة يشبه اليوم لعروبته قضية إسكندرونة في شمال سوريا. يُنظر: نويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢ / ٤٢.

(٢) نويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢ / ٤٠، ٥٦ - ٥٧، والكتاب المقدس، مقدمة سفر أستير، ص ٦٠٥.

(٣) نويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢ / ٥٨.

(٤) (المرجع السابق نفسه) ٢ / ٥٩، وسفر أستير ٢ : ٢١ - ٢٣.

هامان، وأمر رجاله بمراقبتهم، واعتقال كل يهودي يشتبه فيه، فجزع اليهود مغبة تصدي هامان لهم[1]، وكان أن دبروا له المكيدة التي انتهت بالمأساة، كما سنرى في نهاية القصة.

والواقع أن هذا هو السبب الذي نرجحه بخلاف ما ذهب إليه سفر أستير حينما عزا نية بطش هامان بهم لعدم طاعة مردخاي بالسجود والركوع له[2].

بدأ هامان بالتخطيط لمعاقبة اليهود، وذلك بتحريض الملك عليهم، وقد تم له ذلك، فيذكر سفر أستير أنه تم تعيين اليوم الثالث عشر من الشهر الثاني عشر، وهو شهر آذار لقتل جميع اليهود في جميع الأقاليم، وهنا يعلق نويهض بأن اليهود كانوا منتشرين في جميع المملكة، وكانوا مكروهين عند حميع الشعوب في الأقاليم[3] وعندما علم مردخاي بذلك أرسل إلى أستير بأن تدخل على الملك، وتتوسل بين يديه من أجل شعبها، وقد هددها مردخاي بالقتل إن لم تفعل ذلك بقوله: "لا تظني أنك تنجين في بيت الملك دون جميع اليهود. إن سكت في هذا الوقت فسيجيء الفرج والخلاص لليهود من مكان آخر[*] وأنت وبيت أبيك تهلكون"[4].

أذعنت أستير وانصاعت إلى إنذار مردخاي، ولبست الثياب الملكية ودخلت على الملك، فأعجب بها وسبت عقله، فسألها عن طلبها ولو كان نصف المملكة، فطلبت أن يأتي الملك ومعه هامان إلى وليمة خاصة، فلما حضرا سألها الملك وهو يتعاطى الخمر عن سؤالها ورغباتها ولو بلغت نصف المملكة، فقالت: "إن حظيت برضاك أيها الملك، وإن حسن عندك، فهب لي حياتي مطلبًا وحياة شعبي مرادًا، لأننا مباعون أنا وشعبي للهلاك والقتل، والإبادة، فلو كنا مباعين عبيدًا وإماء لسكتُّ، لكن الذي

(١) ناجي، س (المفسدون في الأرض) ص ٧٨. وقارن مع: دروزة، محمد عزة (الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود) ص ٦٩.
(٢) يُنظر: سفر أستير ٣ : ٦.
(٣) نويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢ / ٦٤.
(*) من مكان آخر: تلميح إلى تدخل الله. يُنظر: سفر أستير، هامش ص ٦١٠.
(٤) سفر أستير ٤ : ١٣ - ١٤.



سيضطهدنا، لا يقدر أن يعوّض عن الضرر الذي يلحق بك أيها الملك. فقال لها الملك من هو وأين هو؟... فأجابت أستير: هو هذا هامان الخبيث مضطهدنا وعدونا"[1].

نجح مردخاي وأستير في تنفيذ الخطوة الأولى من المؤامرة حين أمر الملك بإعدام هامان، وقد قام الملك بعد ذلك بإعطاء خاتمه(*) إلى مردخاي، واحتل مردخاي مكان هامان في القصر، وتم إبطال تدابير هامان المطلقة بحق اليهود، وكتب مردخاي إلى اليهود والأعوان والوكلاء ورؤساء الأقاليم في جميع المملكة رسائل مختومة بخاتم الملك، ومحتواها أن يقف اليهود في كل مدينة، ويهلكوا ويقتلوا ويبيدوا قوى كل شعب وإقليم ممن يضطهدهم، حتى النساء والأطفال، وأن يسلبوا أموالهم وأملاكهم، ذلك في يوم واحد في جميع أقاليم المملكة، وهو نفس اليوم الذي حدده هامان من قبل[2]. ويذكر سفر أستير أن كثيرًا من أمم تلك الأرض أصبحوا يهودًا؛ لأن رعب اليهود وقع عليهم[3].

وتمت المؤامرة بأن ضرب اليهود جميع أعدائهم بالسيف، وفتكوا بهم، ويحدثنا سفر أستير أن عدد القتلى بلغ خمسة وسبعين ألفًا، وكان اليوم الذي يلي المذبحة الرابع عشر يوم وليمة وفرح عند اليهود، وجعل هذا اليوم يوم عيد عند اليهود، ودعي هذا العيد بعيد (البوريم)، أي: القرعة؛ لأن هامان ألقى قرعة لإفنائهم[4].

ومن الجدير ذكره أن اليهود يحتفلون بهذا العيد كل سنة؛ إذ يخرجون في هذا اليوم إلى الشوارع متنكرين بأزياء، ويعتدون فيه على غير اليهود إحياءً لذكرى ما صنعوه زمن أستير ومردخاي، ويعرف هذا العيد عند العرب بعيد المساخر(**).

---

(١) سفر استير ٧ : ٣ -٦.

(*) يرمز الخاتم إلى السلطة، بحيث يسمح لحامله بأن يتصرف باسم الملك كيفما يشاء. يُنظر: سفر أستير، هامش ص ٦٠٨.

(٢) سفر أستير ٨ : ٣ -١٣.

(٣) سفر أستير ٨ : ١٧.

(٤) سفر أستير ٩: ١٦-١٨. ويُنظر أيضًا: نويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢ / ٦٥.

(**) ويسمى أيضًا عيد النصيب، وفي العبرية "البوريم". يُنظر: الفصل الثاني من هذا البحث ضمن المطلب الأول من المبحث الرابع.

وعلى الرغم من تعاطف الفرس مع اليهود والسماح لهم بالعودة إلى فلسطين وبناء الهيكل إلا أن اليهود سرعان ما خانوا أسيادهم القدامى، فتحالفوا مع الإسكندر المقدوني اليوناني الذي استطاع عام ٣٣٠ ق.م أن يقضي على الحكم الفارسي، وقد اشتغل اليهود له جواسيس، فنقلوا كثيرًا من أسرار الدولة الفارسية، التي كانت تثق بهم وتوليهم كثيرًا من مناصبها، ثم آل الحكم إلى البطالسة بعد الإسكندر.

ولم يستقر اليهود في ظلال الحكم الجديد، ثم آلت فلسطين إلى الحكم الروماني وفي عهدهم قامت اليهود بعدة ثورات قادها في معظم الأحيان ما يسمون بالمتعصبين (القنائيين، السفاحين)(*) وكان هؤلاء يقومون باغتيال خصومهم من الرومان ومن اليهود المتعاونين معهم، كما كانوا يقومون باغتيال أي يهودي لا ينفذ أحكام الشريعة حتى أن الفريسيين(**)، وهم من أشد فئات اليهود تعصبًا، أعلنوا أن القنائيين سفاحون وقطاع طرق ومتمردون وخارجون عن القانون، فقد جاء في التلمود إطلاق اسم "سيقارين" - وتعني الإرهابي أو السفاح - على هذه المجموعة من اليهود[1].

وقام الإمبراطور الروماني "تيطس" بعد أن ضاق ذرعًا بالعنف اليهودي والثورات المتكررة بدك أورشليم بما فيها الهيكل وتدميرها تدميرًا كاملاً وحرقها وذلك سنة

(*) القنائيون (المتعصبون) أو السفاحون: كلمة "قنّاء" العبرية تعني "الغيور" أو صاحب الحمية (الغيرة أو الحمية الدينية)، وتشبه هذه الفرقة في عقائدها وطقوسها فرقة الفريسيين، إلا أنهم أشد تعصبًا منهم، وكانوا يرون أنه لا ينبغي لوثني أن يحكم يهوديًا، وقد ظهروا منذ بداية السيطرة الرومانية في القرن الأول قبل الميلاد، واشتد عودهم في القرن الأول بعد الميلاد، وكان زعيم هذه الفرقة يهوذا الجليلي ومن بعده ابنه مناحيم، وكان الكثير من زعمائهم يدعون أنه المسيح المخلص لليهود، وقد تم سحق هذه الفرقة سنة ٧٠م على يد تيطس الروماني. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٢٩٤، والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص٢٧٣.

(**) الفريسيون: اسمهم بالعبرية فروشيم، أي: المفروزين الذين يمتازون عن الجمهور، وأصبحوا لعلمهم وورعهم واتصالهم بأسرار الشريعة من الصفوة المختارة، وكانوا يلقبون أنفسهم فيما بينهم بلقب (حسيديم)، أي: الأتقياء، وكذلك (حبريم)، أي: الرفاق. وهم طائفة علماء الشريعة من الربانيين قديمًا، وكانت لهم الكلمة العليا في توجيه المجتمع اليهودي على عهد المسيح، كما كانوا من أشد خصومه خطرًا عليه؛ لمنزلتهم عند الولاة الرومان، وكانوا من كبار المدافعين عن فكرة الشريعة الشفوية، باعتبار أن الشريعة المكتوبة كانت في نظرهم حكرًا على الصدوقيين، يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٢٨٣، وظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص٢١٠.

(١) يُنظر: شلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص٩٤- ٩٥، والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص١٠٨-١٠٩.



٧٠ بعد الميلاد ، وإذا كانت آثار التدمير من حرق وحطام قد بقيت، فإن أدريانوس أزال معالم المدينة ومعالم الهيكل تمامًا سنة ١٣٥م، إذ حرث الأرض وسواها وزرعها كما تخلص تمامًا من اليهود بها بين قتل وتشريد، فلم يَبق فيها يهودي واحد، ورحل من استطاع الهرب منهم إلى مصر وشمال أفريقيا وأوروبا[1].

ويحدثنا التاريخ أن اليهود لم تقم لهم قائمة بعد ذلك، كما لم تقم لهم دولة حقيقية بعد تلك الدولة التي دمرها نبوخذ نصر ٥٨٦ ق.م، إلا ما كان في ١٩٤٨ من اغتصاب فلسطين وإقامة دولة الكيان الصهيوني، حيث يتطلعون منذ ذلك الحين إلى إعادة بناء الهيكل مرة ثالثة على أنقاض المسجد الأقصى المبارك.

وبانتهاء هذا المبحث نكون قد أعطينا فكرة عن التطرف والعنف الإسرائيلي واليهودي من بداية تاريخهم قبل موسى عليه السلام إلى العهد الروماني وخراب أورشليم وإزالة معالمها ١٣٥م، وهروب من تبقى من اليهود إلى دول العالم، وسنحاول في الفصول القادمة إعطاء فكرة أخرى عن تطرف اليهود وعنفهم في أثناء وجودهم في تلك الدول التي هربوا إليها.

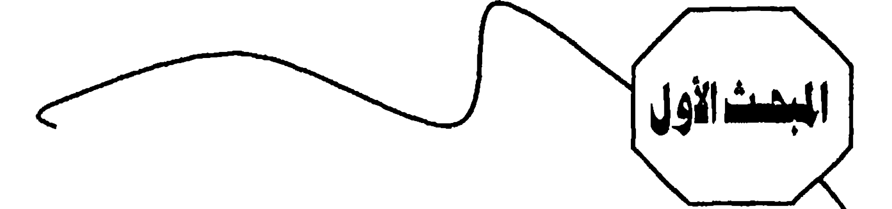
(١) يُنظر (المرجعان السابقان، الصفحات نفسها).



الفصل الثاني

التطرف والعنف في التوراة والعهد القديم

- المبحث الأول: التطرف في صياغة التوراة والعهد القديم.
- المبحث الثاني: مظاهر التطرف الديني.
- المبحث الثالث: مظاهر التطرف والعنف السياسي.
- المبحث الرابع: مظاهر التطرف والعنف الاجتماعي.



التطرف في صياغة التوراة والعهد القديم

المطلب الأول: التــوراة وظــروف كتابتهــا

لعبت التوراة دورًا كبيرًا ومهمًا في حياة اليهود، وأثّرت تأثيرًا مباشرًا في سلوكهم وأخلاقهم، حتى انطبعوا بطابع العنف والتطرف، وذلك لما حوته صفحات التوراة وكتبهم المقدسة الأخرى من شر وحقد وعنصرية وتحريض على القتل والإبادة، فرجال الدين الذين صاغوا هذه الكتب إنما صاغوها حسب مصالحهم وما يحقق أهدافهم، فصبّوا فيها جلّ غضبهم وحقدهم وكراهيتهم للبشر جميعًا من غير اليهود.

فالتوراة بمجملها، وكما نعرفها اليوم، مؤلفة تأليفًا بشريًا، ويحمل كل سفر من أسفارها اسم مؤلفه باستثناء الكتب الخمسة الأولى التي يطلق عليها اسم "التوراة" أو الشريعة، ونحن إذا أطلقنا اسم "التوراة" على العهد القديم بأكمله، إنما هو من باب إطلاق الجزء على الكل.

يقول الدكتور عرفان عبد الحميد: "التوراة وهو القسم الأول من العهد القديم (الأسفار الخمسة)، وقد يطلق مجازًا أو توسعًا على العهد القديم كله"[1]، ويقول

(١) فتاح، د. عرفان عبد الحميد (اليهودية عرض التاريخ) ص٧٢.



الدكتور شتيوي: "يطلق لفظ التوراة ويراد به مجموع كتب العهد القديم، وحينئذ يكون الإطلاق مجازيًا"[1]. والمعلوم من الدين بالضرورة أن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام هي التوراة التي نؤمن بها من بين الكتب التي أمرنا الله تعالى بالإيمان بها وتصديقها، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم[2].

وجاء في التوراة: "وهذه هي الشريعة التي وضعها موسى لبني إسرائيل مع الفرائض والسنن والأحكام التي كلّم بها موسى بني إسرائيل عند خروجهم من مصر"[3]. ويجمع أهل الكتاب على أن توراة موسى كانت خمسة أسفار: التكوين والخروج واللاويين والعدد والتثنية، إلا أن التوراة في مفهوم المسلمين لا تعدو أسطرًا أو صفحات، فقد أمر موسى عليه السلام بكتابتها على العصائب ونقشها على حجارة المذبح.[4]

وبغض النظر عن اختلاف النظرة للتوراة من قبل أهل الكتاب من جهة، ومن قبل المسلمين من جهة أخرى، فإن التوراة لها طابعها الخاص التي هي عليه الآن، والمتداولة بين الناس، وهي القسم الأول (الأسفار الخمسة الأولى) من العهد القديم[*]، وتعرف في

---

(١) د. شتيوي، محمد (التوراة دراسة وتحليل) ص٨.

(٢) قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [النساء: ١٣٦]، فالكتاب الذي أنزل من قبل هو جنس يشمل كل كتاب نزّل قبل نزول القرآن الكريم، والتوراة من بين هذه الكتب، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقد أنزلها الله تعالى على رسوله موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل؛ ليلزمهم بأحكامها، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣]، يُنظر د. شتيوي (المرجع السابق نفسه) ص١٣.

(٣) سفر التثنية ٤: ٤٤-٤٥.

(٤) الزعبي، محمد علي (دفائن النفسية اليهودية) ص٣٢.

(*) العهد القديم Old Testament: اصطلاح يستخدمه المسيحيون للإشارة إلى كتاب اليهود المقدس، أما اليهود فيستخدمون لفظة (تناخ) Tenakh، وأحيانًا المقرا، وهو عبارة عن مجموعة الأسفار التي جمعها رجال المجمع الأكبر (السنهدرين) الذي تأسس عقب العودة من الأسر البابلي، وكان مؤلفًا من مئة وعشرين عضوًا ينظرون في شؤون الشعب، ومجموع أسفار العهد القديم تسعة وثلاثون سفرًا، أما لفظ (تناخ) فمأخوذ من أول حرف من أسماء الأقسام الثلاثة، وهي التوراة Torah والأنبياء Nebeeim ثم الكتب والصحف Ketubim، ويعتبر العهد القديم من المصادر الأساسية للتشريع اليهودي، يُنظر: المسيري عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٢٧٣، وفتاح، د.عرفان عبد الحميد (اليهودية عرض تاريخي) ص٧١، والساموك، سعدون (تاريخ الديانتين: اليهودية والمسيحية) ص٣٥.

العبرانية (توره) أي الهدى والإرشاد، أو القانون أو التعليم أو الشريعة، وقد تطلق التوراة - مجازًا أو توسعًا - على العهد القديم كله.[1]

وقد اختلف علماء العربية والتفسير في أصل لغتها ومعناها، فمعناها في عرف القرآن - كما يقول محمد رشيد رضا في تفسيره[2] - "ما أنزله الله تعالى من الوحي على موسى عليه السلام ليبلغه قومه لعلهم يهتدون به، أما أصل لغتها فهي كلمة عبرانية معناها المراد: الشريعة أو الناموس" ويرى أبو السعود في تفسيره أن التوراة والإنجيل اسمان أعجميان: الأول عبري، والثاني سرياني، ويعضده القراءة بفتح همزة الإنجيل، فإن إفعيل ليس من أبنية العرب والتصدي لاشتقاقها تعسف. وإلى هذا المعنى ذهب الإمام الرازي؛ حيث أكد أن التوراة والإنجيل اسمان أعجميان: أحدهما بالعبرية، والآخر بالسريانية، ثم يقول: فكيف يليق بالعاقل أن يشتغل بتطبيقهما على أوزان لغة العرب، فظهر أن الأولى بالعاقل أن لا يلتفت إلى هذه المباحث"[3].

ويرى جمال الدين القاسمي في تفسيره: "أن التوراة اسم عبراني معناه الشريعة"، والإنجيل لفظة يونانية معناها البشرى، أي: الخبر الحسن، وهذا هو الصواب كما نص عليه العلماء الكتابيين في مصنفاتهم[4]، ويقول الزمخشري:"التوراة والإنجيل اسمان أعجميان، والاشتغال باشتقاقهما غير مفيد"[5] ومصطلح التوراة في العبرانية يضم الأسفار الخمسة (البنتاتوك - Pentateuch)، أما في العربية، فالمصطلح يوازي العهد القديم كله أي:

أ. الأسفار الخمسة

ب. وأسفار الأنبياء

ج. والكتب والصحف.[6]

---

(١) ينظر: فتاح، د.عرفان عبد الحميد (المرجع السابق نفسه) ص٧٢، والساموك، سعدون (تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية) ص٣٦.

(٢) رضا: محمد رشيد (تفسير المنار) ٣/١٥٥- ١٥٦.

(٣) الفخر الرازي (التفسير الكبير ٧/١٧١، مطبعة البهية المصرية، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م، والعلامة أبي السعود (تفسير العلامة أبي السعود - إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) ١/٣٢٥.

(٤) القاسمي، محمد جمال الدين (محاسن التأويل) ٤/٧٤٩.

(٥)الزمخشري، محمود بن عمر (الكشاف) ١/٣٣٥.

(٦) يُنظر: فتاح، د. عرفان عبد الحميد (المرجع نفسه) ص٧٣، والساموك، سعدون (المرجع نفسه) ص٣٦.

الأسفار الخمسة، وهي[1]:

- سفر التكوين أو سفر الخليقة (Genese): وفيه ذكر خلق العالم وقصة آدم ونوح والطوفان وإبراهيم عليه السلام وأولاده حتى هجرة بني إسرائيل إلى مصر، وفيه إشارات إلى إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر، ويقع في خمسين إصحاحًا.
- سفر الخروج (Exode): أي خروج اليهود من مصر، وفيه قصة حياة موسى عليه السلام وفرعون، وخروج بني إسرائيل من مصر وصعود الجبل، وإيتاء الله تعالى له الألواح التي تتضمن الوصايا العشر، ويقع في أربعين إصحاحًا.
- سفر اللاويين (سفر الأحبار) (Leviticus): ويتناول شؤون العبادات، وخاصة ما يتعلق منها بالقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور، وغير ذلك من الفرائض والحدود، واللاويين هم نسل لاوى (ليفي) - أحد أبناء يعقوب عليه السلام - واللاويون هم سدنة الهيكل، والقوامون على شريعة موسى عليه السلام، ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب، ويقع في سبعة وعشرين إصحاحًا.
- سفر العدد (Numbers): وسمي بهذا لبروز ظاهرة التعداد؛ حيث يورد إحصاء تفصيليًا للشعب الراحل مع موسى في الصحراء، كما أن الأعداد المبنية على الأعداد والأرقام حول الذبائح وعدد المدن والقرى ونحو ذلك؛ تكثر فيه كثرة تلفت النظر، وفيه بعض الشرائع، وأخبار موسى وبني إسرائيل في التيه وقصة العجل، ويقع في ستة وثلاثين إصحاحًا.
- سفر التثنية (Deuteronomy): وهو سفر تثنية الاشتراع، أي: إعادة الشريعة وتكرارها على بني إسرائيل مرة ثانية، عند خروجهم من سيناء، ووصولهم إلى سهول النقب وجنوب الأردن، وفيه الأخبار المهمة والوصايا والأحكام والإنذارات، ونشيد موسى للشعب، ويقع في أربعة وثلاثين إصحاحًا.

(١) اعتمدتُ في تعريف كل سفر من هذه الأسفار الخمسة على الكتب التالية: شلبي، أحمد (اليهودية) ص٢٤١، وسوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص١٤٨، وظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص١٤ وما بعدها، وشتيوي، شلبي (التوراة دراسة وتحليل) ص٩- ١٠، وفتاح، د.عرفان عبد الحميد (المرجع نفسه) ص٧٢- ٧٤، والساموك، سعدون (المرجع نفسه) ص٣٦- ٣٧.

وهذه الأسفار الخمسة هي التي تشكل التوراة، وعمومًا؛ فإن كلمة التوراة قد وردت في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة(*).

أ ' ر الأنبيـــــاء:

أما القسم الثاني من العهد القديم فهو المسمى بالأنبياء (نبييم)، ويشتمل على مجموعتين:

المجموعة الأولى: خاصة بالأنبياء الأُول، والثانية بالأنبياء المتأخرين، وتتناول الأولى تاريخ بني إسرائيل من دخول يشوع فلسطين، حتى هدم الهيكل ببيت المقدس، وتضم أسفار: يشوع وصموئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني، وأخبار الأيام الأول والثاني.

أما المجموعة الثانية: فتضم الأسفار: أشعيا وأرميا وحزقيال ويوئيل وعاموس وعوباديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي.

ا " , وا ' :

أما القسم الثالث، فهو الكتب والصحف (كتوبيم)، ويتألف من اثني عشر سفرًا، وتعنى بالحكم والأمثال والمزامير والأخبار التاريخية الخاصة باليهود بعد خراب الهيكل، وهذه الأسفار هي مزامير داود وأمثال سليمان وأيوب ونشيد الإنشاء وراعوت وهوشع ومراثي أرميا والجامعة وأستير ودانيا وعزرا ونحيما. وعلى هذا يكون العهد القديم مؤلفًا من تسعة وثلاثين سفرًا موزعة على الأقسام الثلاثة التي بيناها سابقًا.

يقول د. عرفان عبد الحميد: "وقد استغرق جمع وتدوين محتويات العهد القديم مدة زمنية تربو على الألف سنة من ٢٠٠ ق.م إلى ١٠٠٠م".(١)

(*) (في سورة آل عمران ضمن الآيات ٩٣، ٦٥، ٥٠، ٤٨، ٤، ٣ مرتين)، (أما في المائدة ففي الآيات ٤٦، ٤٤، ٤٣مرتين، ١١٠، ٦٨، ٦٦)، (وفي سورة الأعراف ضمن الآية ١٥٧)، (وفي التوبة، الآية ١١١)، (وفي الفتح، الآية ٢٩)، (وفي الصف، الآية ٦)، (وفي الجمعة، الآية ٥).

(١) فتاح، د. عرفان عبد الحميد (اليهودية عرض التاريخ) ص٧٥.

إن طرق البحث التاريخي القائمة على النقد والتجريح قد توصلت إلى أن التوراة وبقية أسفار العهد القديم، قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير، وذلك من خلال ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام ونحو ذلك، وكذلك البيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها.[1]

ثم إن التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى عليه السلام، قد فقدت وضاعت من بين الإسرائيليين، ولا سيما أن موسى عليه السلام قد أعطى بني إسرائيل نصف سورة بحيث لا تُنسى من أفواههم، يقول ابن قيم الجوزية: "ولم يبذل موسى عليه السلام من التوراة لبني إسرائيل إلا نصف سورة"[2]، ويبين ابن القيم أن هذه السورة مشتملة على ذم طبائعهم، وأنهم سيخالفون شرائع التوراة، وأن السخط يأتيهم بعد ذلك، وتخرب ديارهم، ويسبون في البلاد، فهي كالشاهد عليهم[3]، وهذا يدل على أن غيرها من السور ليس كذلك، وأنه يجوز أن يُنسى من أفواههم.

ويذكر المؤرخون من أهل الكتاب أن موسى عليه السلام حرر كتاب التوراة (وهي الأسفار الخمسة) ثلاث عشرة نسخة، أعطى لكل سبط من الاثني عشر سبطًا نسخة، والنسخة الباقية وضعها في تابوت العهد المقدس[4]، وكان لا يجوز لأحد أن يمس تابوت العهد إلا الكهنة من بني لاوي، بحيث يتولى هؤلاء الكهنة إخراج التوراة من التابوت كل سبع سنوات في عيد المظال[*]؛ لتقرأ على الشعب في ذلك

(١) الساموك، سعدون (تاريخ الديانتين: اليهودية والمسيحية) ص٣٩.

(٢) ابن قيم الجوزية (إغاثة اللهفان)، تحقيق طه سعد، ٢ / ٣٢٥.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ٣٢٦/٢.

(٤) يُنظر: الطهطاوي: محمد عزت (الميزان في مقارنة الأديان) ص١٤، وطعيمة، صابر (الأسفار المقدسة قبل الإسلام) ص٣٤.

(*) عيد المظال: يسمى بالعبرية (سخوت) Sukkot، ويبدأ بعد غروب شمس اليوم الرابع عشر من شهر تشرين، (ما بين شهري أيلول وأكتوبر)، ويعتبر هذا العيد إحياءً لذكرى (خيمة السعف) التي آوت أبناء إسرائيل في العراء، فهي تذكرهم بأيام التيه، ومن أهم مظاهر هذا العيد بناء أكواخ من سعف النخيل، وأغصان الشجر في العراء، والإقامة فيها سبعة أيام؛ تذكارًا لحياة المعاناة في التيه، ولكنهم يكتفون حاليًا بإقامة مظلة صغيرة ينصبونها في إحدى شرفات المنزل، ومن مظاهره أيضًا الاستسقاء، وطلب المطر عندما يتأخر، وقد جرى العرف عندهم أن يدخلوا المعبد في اليوم الأخير، ومعهم أغصان الشجر، يضربون بها الكراسي؛ حتى تتساقط أوراقها، اعتقادًا بسقوط ذنوبهم==

العيد[1]، إلا أن بني إسرائيل لم يكونوا يجتمعون في عيد المظال؛ بسبب ردتهم وكفرهم وعبادتهم للأوثان، فكانوا مشغولين عن التوراة بعبادة البعليم وعشترون وغيرهما من الآلهة، وطال بهم العهد، ولهذا ضاعت التوراة، ولم يكن يحفظها عن ظهر قلب كاملة أحد من رجالهم.[2]

ويؤكد كثير من الباحثين(*) أن اكتشاف فقدان التوراة، كان في عهد سليمان عليه السلام، حينما جيء بالتابوت لفتحه وإخراج التوراة لقراءتها على الناس، فلم يجدوا إلا "لوحي الحجر اللذين وضعهما فيه موسى في حوريب(**) حيث عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر"[3].

ومنذ ذلك الوقت أصبح بنو إسرائيل بدون كتاب، فانقطعت سلسلة السند في نقل التوراة، التي نزلت على موسى عليه السلام، وحيًا إلهيًا من الله تعالى، يقول شتيوي: "واستمر ضياع التوراة وفقدها وانقطاع سلسلة سندها، من فتح سليمان عليه السلام للتابوت حتى مضي سبع عشرة سنة من حكم يوشيا، ففي هذه الفترة لم يظهر للتوراة أثر، ولم يسمع أحد بوجود نسخة من توراة موسى، واستمرت سلسلة السند منقطعة، واستمرت التوراة مفقودة إلى أن كان العام الثامن عشر من حكم يوشيا، وفيه ظهرت توراة جديدة"[4].

== التي ارتكبوها في السنة. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٢٧٧، وظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص١٦٩-١٧٠، وفتاح، د.عرفان عبد الحميد (المرجع نفسه) ص١٤٠-١٤١.

(١) يُنظر الطهطاوي، محمد عزت (المرجع نفسه) ص١٤، والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص١٤٨.

(٢) البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص١٤٩.

(*) من هؤلاء الباحثين، يُنظر: د. شتيوي، محمد شلبي (التوراة دراسة وتحليل) ص١٩، وشلبي، أحمد (اليهودية) ص٢٥٦، وملكاوي، محمد عبد القادر (المناظرة الكبرى) ص١٤٥.

(**) حوريب: اسم لجبل طور سيناء، وورد ذكره في الكتاب المقدس سبع عشرة مرة بهذا الاسم، وذكر خمسًا وثلاثين مرة باسم سيناء، وبه تسمى البرية المحيطة بالجبل، وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن الله قد أعطى الشعب الوصايا العشر من على هذا الجبل، وأخذ عليهم العهد أن يكون إلهًا لهم، وأن يكونوا شعبًا له. يُنظر: ملكاوي، محمد عبد القادر (المناظرة الكبرى) ص١٤٦، والسحمراني، أسعد (شهود يهوه) ص١٥.

(٣) سفر الملوك الأول ٨: ٩.

(٤) د. شتيوي، محمد شلبي (المرجع السابق نفسه) ص١٩- ٢٠. ويوشيا هو الملك يوشيا بن آمون بن منسا، من ملوك يهوذا في أورشليم (٦٤١ - ٦١١ ق.م)، يُنظر: د. ظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه) ص٢٣.

ويعلل شتيوي ظهور توراة جديدة في عهد يوشا بإقبال يوشيا وحاشيته على الله، وتوبتهم وعزمهم على إظهار شريعة موسى من جديد، حيث استطاع حلقيا أن يصنف توراة جديدة، ادعى بعد تأليفها أنه وجدها ببيت المقدس.[1]

وعلى أية حال؛ فإن توراة حلقيا التي ادعى أنها توراة موسى، قد فُقدت هي الأخرى؛ بسبب الأحداث التي مرت بالمنطقة والناس في ذلك الزمن، الذي أغار فيه حاكم مصر على بيت المقدس، وتبعه نبوخذ نصر فأحرق بيت المقدس، وأسر بني إسرائيل، وشتتهم في البقاع فانعدمت التوراة، أضف إلى ذلك الذين تولوا الحكم بعد يوشيا وارتدادهم عن دين الله وعبادتهم الأصنام ونشر الفساد، ففي مثل هذه الأجواء لا يمكن أن تقوم لكتاب ديني قائمة.[2]

يكاد يُجمع الكتّاب على أن التوراة التي بين أيدينا الآن، قد أُلّفت خلال الأسر البابلي وبعده، فيذهب سهيل ديب إلى القول "بأن علماء الكتاب المقدس كلهم، مجمعون على أن العهد القديم جرى وضعه خلال وبعد النفي إلى بابل"[3]، وكذلك فإن داود سنقرط يقول: "لقد بُدئ بتدوين التوراة بصورة متصلة وجادة في الأسر البابلي في القرن السادس قبل الميلاد وما بعده، حين كان اليهود يعيشون عيشة أسر ونفي وذل؛ فأراد أحبارهم وحاخاماتهم بذلك إذكاء روح المقاومة والحمية فيهم، وبعث الأمل بالخلاص والعودة في نفوسهم، فخلعوا عليهم من الصفات ما ليس فيهم، ووعدوهم بما ليس لهم، وصبوا جامَّ غضبهم على أعدائهم، واستمطروا اللعنات على مضطهديهم ومبغضيهم... وهكذا كُتبت التوراة بأقلام حاقدة، وحبر مسموم، وصدور تغلي بالكراهية والحقد...".[4]

يؤكد د. سوسة على أن تدوين التوراة تم في الدور الذي يبدأ بأسر اليهود إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد (٥٨٦ - ٥٣٩ ق.م)، ويقول: "ففي بابل مارس اليهود

(١) د. شتيوي، محمد شلبي (المرجع نفسه) ص٣٩، وللاستزادة في إثبات تصنيف حلقيا للتوراة، وأن التوراة التي ادعى العثور عليها ليست توراة موسى عليه السلام حقيقة، ينظر: شتيوي (المرجع نفسه) ص٢٦ وما بعدها.

(٢) د. شتيوي، محمد شلبي (المرجع نفسه) ص٢٩.

(٣) ديب، سهيل (التوراة تاريخها وغاياتها) ص٢٠.

(٤) سنقرط، داود (جذور الفكر اليهودي) ص٥٨-٥٩.

شعائرهم الدينية، وواصل كهنتهم أعمالهم الدينية بتحرير أهم فصول التوراة، والتمهيد لتدوين التعاليم اليهودية المعروفة باسم التلمود البابلي؛ حتى ليقال: إن الأسر البابلي كان عاملاً قويًا في تطوير الديانة اليهودية في القرون التي تلي".[١]

فمن المرجح القول بأن القرن السادس قبل الميلاد، كان بداية تدوين التوراة بصورة جادة، وهو القرن الذي تم فيه أسر اليهود ونفيهم إلى بابل، وقد كان من بين اليهود المنفيين كبار اليهود وعظماؤهم في شتى حقول الحياة؛ "إذ لا يعقل - كما يقول د. الفاروقي - أن يقوم البابليون المنتصرون بأسر السوقة والعوام، بل الخاصة من الزعماء السياسيين ورجالات الدين والاقتصاد وقادة الجيش، أي حملة التراث والفكر، وأكثر الناس تعلقًا بفكر صهيون، وأشدهم تعصبًا له سواء من الوجهة الدينية أو السياسية أو الاجتماعية، وكذلك كان المنفيون أشد اليهود حرصًا على الكيان اليهودي وحفاظًا عليه، وأرفعهم ثقافة وأوفرهم غنى، وقد توافرت لديهم جميع المؤهلات للمحافظة على تراث مملكتهم، ولاستمرار قيامهم بعاداتهم وشعائرهم".[٢]

وقد كان للظرف الذي عاشه اليهود في المنفى، الأثر البالغ في تشكيل الدين اليهودي وصياغته، وفق أهداف دقيقة رسمها الحاخامات، متأثرين بثلاثة حوافز نفسية[٣]:

- **الحافز الأول:** أنهم كانوا في الأسر جماعة مضطهدة محتقرة معزولة، بحاجة إلى تعبئة روحية عالية، تمسح عن جباههم ذل العبودية، وترفعهم إلى مصاف الشعوب الحضارية، بحيث يصبحون هم صفوة الأقوام البشرية، وهم فقط الجماعة المختارة التي اصطفاها الرب من دون بقية الشعوب.
- **الحافز الثاني:** إرجاع أصل هذه الجماعة اليهودية إلى إحدى أقدس الشخصيات في التاريخ القديم، وهي شخصية إبراهيم الخليل ﷺ، الذي كان صيته قد عم

(١) يُنظر: سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص١٥٨-٣٢٣.
(٢) الفاروقي، إسماعيل راجي (الملل المعاصرة في الدين اليهودي) ص٨.
(٣) يُنظر إلى هذه الحوافز في: سنقرط، داود (جذور الفكر اليهودي) ص٥٩، وسوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص١٥٨-١٥٩.

جميع أرجاء عالم تلك الأزمان؛ من أجل أن يغطوا سخائمهم وسخافاتهم - وكما قلنا سابقًا - من أجل أن يعطوا لأنفسهم جذرًا عميقًا في التاريخ ينتسبون إليه!!

الحافز الثالث: هو إعطاء أنفسهم صفة الشجاعة والرجولة بانتمائهم إلى موسى، مع أن قوم موسى كانوا أخلاطًا من بقايا بني إسرائيل الذين قدم بهم يعقوب عند أخيهم يوسف، ومن الهكسوس والمصريين الذين فروا مع موسى أيضًا؛ هربًا من ظلم فرعون واضطهاده، ناجين بكرامتهم وأرواحهم، كل ذلك ليحقق كتبة التوراة لليهود قوة الإله والنبوة، ورفعة الأصل والجاه، والعودة إلى أرض الميعاد، وتثبيتها كعقيدة الأرض الموعودة على لسان إبراهيم ويعقوب وموسى، وهم بريئون منها.

لقد نجح اليهود في صياغة التاريخ حسب أهوائهم ونزعاتهم وأهدافهم التي رسموها في بابل بلباقة ومهارة، ثم جاء عهد اليونان فأضاف أخلافهم في فلسطين إصحاحي المكابيين إلى التوراة، حيث استطاع اليهود أن يرسموا فيها الوقائع السياسية، والحروب التي حدثت في الشرق الأدنى في العهود الآشورية والبابلية والإغريقية.[1]

ويضيف سوسة أن ما ورد في التوراة من مزامير وأمثال وأشعار وشرائع وما إلى ذلك من أساطير وقصص، فهو مستقى من المصادر الأدبية القديمة لمختلف الثقافات التي اطلع عليها كتبة التوراة، ومن المعتقدات والتقاليد الاجتماعية التي عاشوها ومارسوها فعلاً في فلسطين، وفي بابل وهي كنعانية بابلية الأصل.[2]

وهكذا فإن التوراة الحالية التي بين أيدي اليهود حاليًا، هي من صياغتهم في زمن الأسر وبعده، وواضح من صياغتها تأثر المؤلفين بما لاقوه في حياتهم في أثناء النفي وبعده، متعمدين إحداث تغيير في النص. يقول د. شلبي: "وحقيقة القول، أن اليهود بعد أن انحرفت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية، لأنها كانت تختلف عما باشروا من طباع وخلق، وكتبوا سواها بما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ ومن عقيدة".[3]

(١) سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص١٥٩.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٥٩.
(٣) د. شلبي، أحمد (مقارنة الأديان اليهودية) ص٢٥٧.

ويتحدث (Wells) عن الظرف الذي أثر على اليهود في كتابة التوراة، مشيرًا إلى أهمية الأسر البابلي على اليهود، فيقرر - كما نقل ذلك د. شلبي - "أن اليهود لم يكونوا قبل الأسر شعبًا متحضرًا ولا متحدًا، وربما لم يكن فيهم إلا قلة ضئيلة تستطيع القراءة والكتابة، ولم يظهر في تاريخهم قط أن أسفارًا كانت تقرأ قبل الأسر، ولكن الأسر البابلي مدنهم ووحدهم، وأبرز حاجتهم إلى جمع تاريخهم، ورسم تقاليده وتنميتها، فبدءوا يدونون الأسفار من مصادر مختلفة لهدف واحد هو خدمة مستقبلهم".[1]

ومن أجل أن يحتفظ اليهود بكيان مستقل لهم وإلى الأبد، رأوا أن يكتبوا التوراة بأيديهم زمن الأسر البابلي على المبادئ التالية:

١) أن الله تعالى إله واحد، ولكن ليس للعالمين؛ بل لبني إسرائيل من دون الناس.

٢) أن شريعة التوراة أنزلها الله تعالى، ولكن ليست للعالمين؛ بل لبني إسرائيل دون الناس.

٣) أن النبي المنتظر الذي تنتظره الأمم، والذي أخبر عنه موسى عليه السلام، سوف يأتي، ولكن ربما يكون من بني إسرائيل، لا من بني إسماعيل.[2]

ووفق هذه المبادئ يؤكد السقا: "أن اليهود لما حرّفوا التوراة في بابل، كان الباعث لهم على التحريف أن ينكروا نبوة محمد إذا ظهر، وأن تكون شريعة التوراة لهم إلى يوم القيامة"[3]. ومن المؤكد أن الأيدي اليهودية قد صاغت توراة جديدة يتداولها اليهود حاليًا، وليست لها أية صلة بتوراة موسى ، والأدلة على ذلك كثيرة جدًا، وهذه الأدلة هي موضوع مطلبنا القادم.

المطلب الثاني: أدلة وقوع التحريف في التوراة

لكي نتأكد من صحة نسبة أي كتاب إلى الوحي الإلهي، بحيث يكون سماويًا مقدسًا لم تعبث به الأيدي البشرية؛ لا بد له من شروط، ومن هذه الشروط[4]:

(١) شلبي، أحمد (مقارنة الأديان اليهودية) ص٢٦٠.

(٢) يُنظر: طعيمة، صابر (الأسفار المقدسة قبل الإسلام) ص٣٤-٣٥، والطهطاوي، محمد عزت (الميزان في مقارنة الأديان) ص١٤-١٥.

(٣) السقا، أحمد حجازي (نقد التوراة أسفار موسى الخمسة) ص٢٧٥.

(٤) بدران بدران (التوراة.. العقل.. العلم) ص٣١.



١) أن يحوي هذا الكتاب ما يتناسب مع جلال الله وعظمته وقدسيته.

٢) أن يكون كاتب هذا الكتاب أحد الأنبياء المعروفين، وأن يقوم الدليل القاطع على ذلك.

٣) أن يصل إلينا هذا الكتاب عن طريق السند المتصل الموثوق به.

أما إذا قمنا بتطبيق هذه الشروط على التوراة المتداولة حاليًا، فإننا سنكتشف أن أيًا منها لا ينطبق عليها، وبالتالي لا يمكن اعتبارها كتابًا مقدسًا، ولكي يكون استنتاجنا هذا صحيحًا، لا بد من إقامة الدليل وإثبات الحجة، إلا أننا لن نستطرد كثيرًا في سرد ما يثبت بطلان قدسية التوراة؛ ذلك أن العلماء قديمًا وحديثًا مسلمين وغير مسلمين، قد فصّلوا الحديث في ذلك، ولكي نكون أيضًا منصفين سنورد شهادة التوراة على نفسها من خلال الدراسات النقدية التي تقدم بها العلماء المسلمون، والمفكرون الغربيون الذين أثبتوا من خلال دراساتهم وقوع التحريف في التوراة، وعدم نسبتها إلى موسى عليه السلام. أما العلماء المسلمون(*) فقد اتفقوا على وقوع

(*) يُنظر من هؤلاء العلماء كل من :

(١) ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ١/ص١٨٦ - حيث قطع - رحمهُ الله - بعدم صحة نسبة التوراة الحالية إلى موسى عليه السلام من خلال شواهد ساقها تبرهن على قراره القاطع الذي ذهب إليه، وهنا يذكر الشرقاوي أن سبينوزا الذي جاء بعد ابن حزم بستة قرون ونصف قد أورد نفس الشواهد تقريبًا، وعلّق عليها بألفاظ ابن حزم.. فابن حزم كان صاحب جهد عظيم في بناء منهج الدراسة النقدية الموضوعية لأسفار الكتاب المقدس، يجعله الدارس الأكبر في هذا الحقل. يُنظر الشرقاوي، محمد عبد الله (في مقارنة الأديان) ص٩٣.

(٢) الجويني، إمام الحرمين أبو المعالي (ت ٤٧٨هـ) (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل)، تحقيق أحمد حجازي السقا، ص٣١ وما بعدها؛ حيث يقطع أيضًا - رحمه الله - بأن التوراة الحالية ليست هي التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، ويبرهن على قوله بعدة أمور، منها: أن اليهود والنصارى قد صرحوا بوقوع الكذب في نُسخ التوراة التي بيد كل فريق، ثم يسوق التناقضات في كلا النسختين.

(٣) السموأل بن يحيى (ت ٥٧٠هـ) (بذل المجهود في إفحام اليهود)، تحقيق محمد حامد الفقي، ص٣٢ وما بعدها، حيث يقرر أنه لا يعتقد أحد من علماء اليهود وأحبارهم البتة أن هذه التوراة التي بأيديهم هي المنزلة على موسى عليه السلام، ثم يشرح - رحمه الله - الظروف التي أدت باليهود إلى تحريف التوراة، ومن ذلك موت أئمتهم، والحوادث الجسام التي ألمت بهم، وارتدادهم عن دين الله، وإحراق كتبهم.. إلخ.

(٤) ابن قيم الجوزية، الإمام محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)، تحقيق د. محمد أحمد الحاج ص٤١٦؛ حيث يقول: "وفي التوراة التي بأيديهم من التحريف والتبديل، وما لا تجوز نسبته إلى الأنبياء - ما لا يشك فيه ذو بصيرة. والتوراة التي أنزلها الله على موسى بريئة ==

التحريف في التوراة وسائر العهد القديم، واستندوا في ذلك إلى نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف؛ بل وإلى أسفار العهد القديم ذاتها التي لا تقوم على سند صحيح متواتر إلى موسى عليه السلام.

وقد قام الشيخ الجليل عالم زمانه في علم مقارنة الأديان الشيخ رحمت الله الهندي الكيرانوي(*) بدراسة نقدية لخّص لنا فيها حجج هؤلاء العلماء السابقين وحجج بعض منكري اليهود والنصارى، أمثال ابن عزرا الغرناطي، واسبينوزا، وآدم كلارك، وغيرهم؛ ولذلك سأكتفي ببعض الإشارات التي أوردها العالم الجليل "رحمت الله الهندي" - رحمه الله - نيابة عما تحدث به العلماء المسلمون من قبله في هذا الجانب، أما العلماء الذين جاءوا بعده في هذا الجانب، فهم عيال عليه.

يقول ملكاوي: "إنّ رحمت الله الهندي الكيرانوي يعد بحق عالم زمانه في علم مقارنة الأديان، والرد على العقائد النصرانية"[1] ويقول الندوي - رحمه الله: "لقي خصومه على يده من الهزيمة والانتكاس ما لم يلقوه من قبل، وانتهت إليه الرئاسة في هذا الفن في القرن الرابع عشر الهجري (القرن التاسع عشر المسيحي)، وطبقت شهرته الآفاق، وسلم له معاصروه وأقرانه وعلماء العالم الإسلامي بالإمامة والزعامة في هذا الموضوع".[2]

== من ذلك، ثم يذكر - رحمه الله - افتراءهم على رب العالمين ورسله، مما يقطع بعدم نسبتها إلى موسى عليه السلام. ويُنظر أيضًا كتابه (إغاثة اللهفان)، تحقيق طه سعد ٢/ ٣٢١ وما بعدها. ولا يقتصر الأمر عند هؤلاء العلماء السابقين، فإن الكثير من غيرهم قد تطرق إلى نقد التوراة والمجال هنا لا يتسع لحصرهم.

(*) الشيخ رحمت الله الكيرانوي الهندي: هو رحمت الله بن خليل الكَيْرانوي العثماني، ولد في قرية (كَيرانة) التابعة لدلهي عاصمة الهند من سنة ١٢٣٣ هـ الموافق ١٨١٨م، وكان أول المجاهدين ضد الإنجليز. هاجر إلى مكة، ودرس فيها، وأنشأ المدرسة الصولتية، ومات في مكة ١٨٩١م، وبما أنه - رحمه الله - قد عاش في القرن التاسع عشر، فقد تصدى آنذاك للحملات التنصيرية التي كان يرأسها الدكتور القسيس "فندر"؛ لذلك اعتبرت جهوده في التصدي لتلك الحملات سببًا للمناظرة المباشرة والمهمة بينه وبين القسيس فندر؛ حيث اعترف الأخير أمام المئات من المسلمين والإنجليز والنصارى والهندوس بوقوع النسخ في كتب العهدين. يُنظر ملكاوي محمد عبد القادر (المناظرة الكبرى) ص٢٥ وما بعدها والخاتمة.

(١) د. ملكاوي، محمد عبد القادر خليل (المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر) ص٣٥١.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٣٥٢ عن مقالة الندوي: (مولانا رحمت الله) بمجلة البعث الإسلامي، العدد التاسع، جمادي الأخرة ١٣٩٩هـ، ص٥١.

وإذا أردنا أن نستمع إلى صدى أقوال علمائنا المسلمين السابقين - رحمهم الله - فاستمع إلى تحليلات "رحمت الله الهندي" وهو يقرر أنه لا بد من السند المتصل لأي كتاب يدعي بأنه كُتب بوحي، فيقول: "لا نعتقد بمجرد استناد كتاب من الكتب إلى نبي أو حواري أنه إلهامي أو واجب التسليم، وكذلك لا نعتقد بمجرد ادعائهم ذلك، بل نحتاج إلى دليل، ولذلك طلبنا مرارًا من علمائهم الفحول السند المتصل لكتبهم، فما قدروا!! واعتذر بعض قسيسيهم في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم(*)، فقال: إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن (عليهم)... وتفحصنا في كتب الإسناد لديهم فما رأينا فيها شيئًا غير الظن والتخمين.. وقد قلت: إن الظن في هذا الباب لا يعني شيئًا".[1]

ثم يبدأ (رحمت الله)بفحص سند التوراة، فيقطع بأنه "لا سند لكون هذه التوراة المنسوبة إلى موسى ﷺ من تصنيفاته"[2] وهنا يقرر الشيخ (رحمت الله الهندي) أن التوراة كتاب موضوع، وليس وحيًا منزلاً، وأن نسبته إلى موسى ﷺ كذب وباطل وزور، وقد دلل الشيخ (رحمت الله الهندي)على ذلك بأدلة منها[3]:

- **الدليل الأول:** أن الظروف التي مرت بها التوراة لم تعمل على حفظها وصيانتها، ولم تجعل تحريفها أمرًا بعيدًا، بل إن هذه الظروف هيأت مناخًا مناسبًا جدًا يغري بالتحريف والتبديل والوضع؛ ذلك أن تواتر هذه التوراة منقطع قبل زمان (يوشيا بن آمون)، والنسخة التي وجدت في عهده لا اعتماد عليها يقينًا.. ومع كونها غير

(*) وقعت هذه المناظرة بينه وبين القسيس المنصر الدكتور فندر ١٨٥٤م في بلدة أكبر أباد في الهند، وقد حضر المناظرة جمع غفير من المسلمين والإنجليز والنصارى والهندوس، وقد انتهت المناظرة، التي ناقشت النسخ والتحريف في كتب العهدين، باعتراف فندر أمام الحضور بوقوع النسخ في كتب العهدين. يُنظر: د. ملكاوي، محمد عبد القادر(المرجع السابق) ص٢٠١-٢٦٨.

(١) الهندي، رحمت الله (إظهار الحق) تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ٨٣/١.

(٢) (المرجع السابق نفسه والموضوع نفسه).

(٣) يُنظر الهندي، رحمت الله (إظهار الحق)، تحقيق د. أحمد حجازي السقا، ٨٤/١-٨٩، ولأمانة النقل فقد ذكر هذه الأدلة الدكتور (محمد عبد الله الشرقاوي) في كتابه (في مقارنة الأديان) ص١٢٢-١٢٩؛ حيث قام الشرقاوي بتهذيب هذه الأدلة وترتيبها وتنسيقها على النحو المذكور في كتابه المذكور أعلاه، ونحن هنا نقتبس نفس الترتيب الذي رتبه الشرقاوي بتصرف.

معتمدة، فقد ضاعت هذه النسخة أيضًا(*)، وقد وقعت على اليهود حوادث أخرى، هلك فيها جموع كثيرة من اليهود، وانعدمت فيها تمامًا نقول عزرا.[1]

إن كثرة هذه الحوادث في بني إسرائيل إلى جانب كون التوراة غير متواترة فيهم، بمعنى أنه لم ينقلها الكافة عن الكافة في كل زمان، كل ذلك قد هيأ مناخًا مناسبًا للتحريف والتزييف.[2]

- **الدليل الثاني:** يتمثل في أن الكتب التي يزعم أهل الكتاب أن أنبياءهم مثل: عزرا، وحجّاي، وزكريا، وحزقيال، وغيرهم، قد كتبوها وحيًا، وقع فيها مخالفات صريحة، وقد وقعت هذه المخالفات بينها وبين التوراة في الأسماء والأعداد والأحكام والأنساب وغير ذلك.[3]

وما دام هؤلاء أنبياء - بإقرارهم - فقد كانوا متبعين لتوراة موسى يقينا.. "ولو كانت توراة موسى هذه هي التوراة المشهورة لما خالفوها، ولما وقعوا في الغلط.. ولما أمكن لعزرا أن يترك التوراة ويعتمد على الأوراق الناقصة.. وكذا لو كانت التوراة التي كتبها عزرا مرة أخرى بالإلهام - على زعمهم، هذه هي التوراة المشهورة لما خالفها، فعلم أن هذه التوراة المشهورة ليست التوراة التي صنفها موسى، ولا التي كتبها عزرا، بل الحق أنها مجموع من الروايات والقصص المشتهرة بين اليهود، جمعها لهم أحبارهم في هذا المجموع بلا نقد للروايات"[4].

(*) قد بينّا سبب ضياعها في المطلب السابق مباشرة.

(١) الهندي، رحمت الله (إظهار الحق)، تحقيق السقا ٨٤/١.

(٢) الشرقاوي، محمد عبد الله (في مقارنة الأديان) ص١٢٤.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص١٢٤.

(٤) الهندي، رحمت الله (المرجع نفسه) ٨٥/١، وفي اجتهادي فإن رحمت الله الهندي - رحمه الله - بهذا الرأي قد أنصف عزرا، وهو ينفي نسبة التوراة الحالية إليه، لأن عزرا الذي أجمع عليه علماء اليهود والنصارى وما وافقهم على ذلك من علماء المسلمين في نسبة التوراة الحالية إليه - هو عزير الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، ومما يؤكد ذلك أن اليهود بالغوا في تعظيمه حتى قالوا ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (التوبة:٣٠)، ثم إن د. البار قد أفرد له موضوعًا في كتابه (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٥٤١، تحت عنوان عزير - عزرا - موضحًا أن العلماء المسلمين اختلفوا في كونه نبيًا أو رجلاً صالحًا، وعلى أيٍّ من القولين؛ فإنني لا أجد مسوغًا للكاتب (أحمد حجازي السقا)، وهو يقول في كتابه (نقد التوراة) ص١٢٤، وبكل فظاظة وغلظة: "فما علينا من لوم إن استنزلنا عليه (أي عزرا) اللعنات صباحًا ومساءً". صحيح أن عزرا - كما يقول كثير من الباحثين - قد جمع من ==

- **الدليل الثالث:** تشهد عبارة التوراة - أي صياغتها - أن كاتبها غير موسى عليه السلام، وأن هذا الكاتب قام بجمع هذا الكتاب من الروايات والقصص المشتهرة فيما بين اليهود، وميّز بين الأقوال، فما كان - في زعمه - قول الله أو قول موسى أدرجه تحت: (قال الله)، أو (قال موسى)، وعبّر عن موسى في جميع المواضع بصيغة الغائب، ولو كانت التوراة من تصنيف موسى لعبّر عن نفسه بصيغة المتكلم، ولو في موضع واحد من المواضع؛ لأن التعبير بصيغة المتكلم، يقتضي زيادة الاعتبار.. وهذا هو الظاهر، ومن ادعى خلاف الظاهر فعليه البيان.[1]

- **الدليل الرابع:** يستدل الشيخ (رحمت الله الهندي) بالطابع العام الموحد في أسلوب صياغة التوراة، وجميع أسفار العهد القديم، والمتوقع هو اختلاف الأسلوب وتفاوته وتنوعه، لتباعد الزمان، واختلاف الأشخاص الذين تسند إليهم هذه الأسفار، ويسوق قول القسيس نورتن: "إنه لا يوجد فرق معتد به في محاورة التوراة، ومحاورات سائر الأسفار من العهد العتيق، الذي كتب في زمان أطلق فيه بنو إسرائيل من أسر بابل، مع أن بين هذين الزمانين تسعمائة عام، وقد علم بالتجربة أنه يقع الاختلاف في اللسان بحسب اختلاف الزمان، فمثلاً إذا لاحظنا لسان الإنجليز، وقسنا حال هذا اللسان بحال ذلك اللسان الذي كان قبل أربعمائة سنة، وجدنا تفاوتًا فاحشًا."[2]

وينقل عن الدكتور "إسكندر كيدسي" قوله في ديباجة العهد الجديد: "ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور جزمًا، الأول: أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى، والثاني: أنها كتبت في كنعان أو أورشليم، يعني: لم تكتب في عهد موسى الذي كان بنو إسرائيل فيه في الصحارى، والثالث: لا يثبت تأليفها قبل سلطنة داود... والحاصل أن تأليفها بعد خمس مئة سنة من وفاة موسى".[3]

== محفوظاته ما صاغ به التوراة، لكن لا يعني ذلك أنه هو الذي لفقها، خاصة أنه من نسل لاوي الذين خصهم موسى عليه السلام بحفظ التوراة. ولذلك فإنه من المرجح أن يكون الكهنة والأحبار الذين جاءوا بعده هم الذين لفقوا التوراة، وهو الأقرب إلى الصحة، والله أعلم، وأخيرًا؛ فإن هذا الموضوع بحاجة إلى جهد باحث مخلص يصل فيه إلى نتيجة مرضية.

(١) الهندي، رحمت الله (إظهار الحق)، تحقيق السقا، ٨٦/١.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ٨٧/١.

(٣) (المرجع نفسه) ٨٧/١.



- **الدليل الخامس:** ما جاء في التوراة الحالية من إشارات وتصريحات يفهم منها أن التوراة الموسوية الأصلية كانت وجيزة جدًا أمكن نقشها على أحجار المذبح، ولو كانت التوراة الأصلية عبارة عن هذه الأسفار الخمسة الحالية لما أمكن ذلك.

- **الدليل السادس:** أن رسم التوراة الحالية - في أقدم مخطوطاتها - ليس هو رسم الكتابة في زمان موسى ﷺ، كما تبرزه كتب التاريخ والآثار والحفريات، وينقل رحمت الله عبارة القسيس (نورتن) عن رسم الأسفار الخمسة: "أنه لم يكن رسم الكتابة في عهد موسى".[1]

- **الدليل السابع:** أن الأسفار الخمسة الحالية قد وقع فيها أغاليط كثيرة فاحشة، فكلام الله تعالى، وكلام موسى ﷺ أرفع وأجل من أن يقع فيه مثل ذلك.. ثم يسوق قائمة مفصلة تبين هذه الأخطاء التي وقعت في التوراة الحالية.[2]

- **الدليل الثامن:** ورود عبارات في الأسفار الخمسة الحالية المسماة بالتوراة، والمنسوبة إلى موسى ﷺ لا يصح عقلاً(البتة) أن يكون موسى هو قائلها، أو كاتبها، أو واضعها ومصنفها، وقد نبّه العلماء إلى ذلك من قبل، وأقر علماء اليهود والنصارى بذلك. وسوف نختار فيما يلي بعض النماذج من تعليقات بعض علماء النصارى، على بعض هذه العبارات المدرجة في التوراة، والتي يستحيل نسبتها إلى موسى ﷺ بحال من الأحوال.[3]

- **<u>النموذج الأول</u>:** يعلق الباحث اللاهوتي، والمفسر الكتابي العلامة (آدم كلارك) في المجلد الأول من تفسيره للعهدين: القديم والجديد[4] على ما جاء في سفر العدد: "فسمع الرب صوت بني إسرائيل، وأسلم الكنعانين إلى أيديهم فحللّوا إهلاكهم هم ومدنهم، وسموا ذلك الموضع حرمة(*)".[5]

(١) (المرجع نفسه) ١/ ٨٨.
(٢) يُنظر الهندي، رحمت الله (إظهار الحق)، المحقق نفسه، ١/٨٨-٨٩.
(٣) اخترنا بعض النماذج نفسها التي اختارها الشرقاوي في كتابه (في مقارنة الأديان) ص١٢٩-١٣٥.
(٤) المطبوع في لندن ١٨٥١م ج١/ص٩٩٧.
(*) حرمة: موضع يبعد ٦٠كم إلى الجنوب من أورشليم، ويقع شرقي بئر السبع، يُنظر سفر العدد (١٤: ٤٥)، هامش ص١٨١.
(٥) سفر العدد ٢١: ٣.



يقول كلارك: "إني أعلم أن هذه الآية ألحقت بعد موت يوشع؛ لأن جميع الكنعانيين لم يهلكوا في عهد موسى، بل بعد موته"، ومن ثم لا يسوغ أن يكون موسى عليه السلام واضع هذه العبارة.

كما يعلق كلارك على ما جاء في سفر التكوين (٢٢: ١٤)، وما جاء في سفر التثنية (٢: ١٢) و (٣: ١١) بأن هذه العبارات لم يكتبها موسى في التوراة، لكنها إلحاقية، أي: مخولة موضوعة، ولم يعيّن كلارك من وضعها أو ألحقها على وجه التحديد.

- نموذج آخر: جاء في سفر التكوين (١٣: ١٨، ٣٥: ٢٧، ٣٧: ١٤) لفظ (حبرون) علمًا على قرية في فلسطين كان اسمها في أيام موسى عليه السلام قرية (رابع) [أربع]، ثم غيّر الإسرائيليون اسمها في زمن يشوع، وأسموها قرية (حبرون)، وقد نصَّ في سفر (يشوع) الإصحاح (الرابع عشر) صراحة على الاسم الجديد لهذه القرية، وفي هذا دليل واضح قاطع على أن هذا الكلام لشخص آخر غير موسى عليه السلام، وأنه كتبه بعد زمان يشوع، وقد اعترف المفسر اللاهوتي (هورن) بأن بعض الناقلين حرّف ذلك، وقد اعترف بأسماء مدن أخرى قد تم تغييرها[1].

هذه هي أدلة رحمت الله الهندي - رحمه الله - على أن هذه الأسفار الخمسة لا يجوز نسبتها البتة إلى موسى عليه السلام؛ لأنها ليست من وضعه، بل صنفها كاتب بعد موسى عليه السلام بزمان طويل، ونسبت إليه باطلاً وزورًا.

إن المطلع على دراسة (رحمت الله الهندي) للتوراة يجد أنه لخّص لنا حجج السابقين من علماء المسلمين وغيرهم، يقول الدكتور (Owencole) - وهو باحث غربي معاصر: "هنالك عدد كبير من علماء الأديان الغربيين في القرنين الأخيرين، يرون أن التوراة إن هي إلا مجموعة من المكتوبات التاريخية الموروثة قد جمعت معًا في كتاب خلال فترة طويلة، تصل إلى ستة قرون."[2]

---

(١) هناك نماذج أخرى من كلام كلارك، وغيره من علماء اللاهوت، يحسن الرجوع إليها في كتاب الهندي، رحمت الله (إظهار الحق)، تحقيق السقا ٢٠٦/١-٢٣٢.

(٢) الشرقاوي، محمد عبد الله (في مقارنة الأديان) ص١٣٨.

ومما يؤكد - بالإضافة إلى ما سبق - وصول التطرف اليهودي إلى كتبهم المقدسة؛ لينالوا منها ويحرفوها، بل ويتم صياغتها من جديد، بحيث تحتوي على عبارات ومتناقضات وأخطاء وإشارات لا تدل قطعًا على أنها كتاب أوحاه الله إلى موسى ﷺ، فموسى ﷺ بريء من هذا الكتاب الذي بين أيديهم حاليًا.. وللاستزادة من هذه المتناقضات والأخطاء والإشارات التي تدل على التحريف ما يأتي:

- ما جاء في التوراة: "ولم يظهر نبي مثل موسى"[1]، فهو يشير إلى معرفة الكاتب بظهور أنبياء بعد موسى، والمفترض أن ذلك لم يكن معلومًا زمن موسى ﷺ.[2]
- وقد جاء في التوراة أيضًا تعبير متواتر هو (حتى اليوم) مثل: "في ذلك الوقت خصَّ الرب سبط لاوي بحمل تابوت عهد الرب، والوقوف أمامه؛ ليخدموه، ويباركوا باسمه، كما هي حالهم إلى هذا اليوم"[3]، وكذلك مثل أنه تم تسمية مدينة كذا بهذا الاسم، وهذا اسمها (حتى اليوم)، والملاحظ أن كل التسميات والأحداث التي لحق بها هذا التعبير تمت بعد عصر موسى بقرون، زيادة على مساحة زمنية أخرى يزيدها هذا التعبير (حتى اليوم)، أي حتى كتابة الحدث وتدوينه، وهو ما يشير باليقين إلى مسافة زمنية أخرى تفصل بين الحدث وبين زمن التدوين، مما يبعد بزمن كتابة التوراة عن زمن موسى مسافات أخرى.[4]
- ومن عبارات التحريف أيضًا ما جاء في التوراة: "وكان موسى رجلاً حليمًا"[5]، مما يدلل على أن الكاتب شخص آخر غير موسى، وكثيرة هي العبارات التي تتحدث عن موسى بضمير الغائب، ومن ذلك أيضًا: "فمات هناك موسى عبد الرب.. ودفنه الرب في الوادي.. ولا يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا.. وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة، حين مات".[6]

---

(١) سفر التثنية ٣٤: ١٠.
(٢) القمني، سيد (إسرائيل. التوراة. التاريخ. التضليل) ص٣١.
(٣) سفر التثنية ١٠: ٨.
(٤) القمني، سيد (المرجع السابق نفسه) ص٣٠.
(٥) سفر العدد ١٢: ٣.
(٦) سفر التثنية ٣٤: ٥، ٦، ٧، ويُنظر أيضًا حول هذا الموضوع شفيق مقار (قراءة سياسية للتوراة) ص٣٨٥-٣٨٩، والقمني، سيد (المرجع نفسه) ص٢٨، وحداد، مهنا يوسف (الرؤية العربية لليهودية) ص١٢٣-١٢٤، وجمال نادر (المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين ديدات وسواجارت) ص٣٦.

- ومن المتناقضات التي جاءت في التوراة، نذكر على سبيل المثال: ما جاء في قصة نوح رواية تقول: إن الله قد أمر نوحًا أن يأخذ معه في الفلك من كل زوجين اثنين، "واثنين من كل نوع من الخلائق الحيَّة لتنجو بحياتها معك ذكرًا وأنثى تكون"[1] بينما نجد رواية أخرى ترتفع بهذا الرقم فتقول: "وخذ معك من جميع البهائم الطاهرة، سبعةً، سبعة، ذكورًا وإناثًا"[2]
- ومن المتناقضات أيضًا الاختلاف في عدد سني الجوع، فهي سبع سنوات في سفر صموئيل الثاني ٢٤: ١٣، وثلاث سنوات في سفر الأخبار الأيام الأول ٢١: ١٢.
- وفي سفر صموئيل الثاني ٢٤: ١ يُذكر أن الرب أمر داود أن يعد (يحصي) بني إسرائيل، بينما يقول سفر أخبار الأيام الأول ٢١: ٢: إن الشيطان هو الذي طغاه وحضه على ذلك.

ولا تقف هذه المتناقضات عند حد معين، فالعهد القديم مليء جدًا بها، أما الأخطاء والمغالطات فهي أيضًا كثيرة جدًا، وللتدليل نشير إلى بعضها بما يأتي:

- يعطينا سفر العدد أن: "جميع المعدودين من بني إسرائيل بحسب عائلاتهم من ابن عشرين سنة فصاعدًا ممن يخرجون إلى الحرب في إسرائيل ستمائة ألف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين، أما اللاويين فلم يعدوا فيما بينهم.."[3]، والحقيقة أن هذا العدد أكبر من ذلك، إذا ما زدنا عليه غير المعدودين من النساء والأطفال دون العشرين، ومن هم من سبط (لاوي)، فيصل حينها إلى أكثر من مليونين من البشر.

والسؤال هنا: كيف أصبح عدد بني إسرائيل إلى هذا الرقم الكبير في مدة وجيزة، حين كان عددهم يقارب السبعين نسمة في أول قدوم لهم زمن يوسف عليه السلام، يقول ابن خلدون: "فالذي بين موسى وإسرائيل، إنما هو أربعة آباء على ما ذكره المحققون، ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى هذا العدد"[4].

(١) سفر التكوين ٦: ١٩.
(٢) سفر التكوين ٧ : ٢.
(٣) سفر العدد ١ : ٤٥-٤٧.
(٤) مقدمة ابن خلدون ص١٥.



- ومن ذلك أن الله قرر أن يكون عمر الإنسان مئة وعشرين سنة[1]، وهذا خطأ، فهناك الكثير ممن جاءوا بعد هذا القرار - على حد زعمهم - عاشوا أكثر من هذه المدة، ولمدة طويلة.
- الوعد الذي أعطاه الله لإبراهيم في سفر التكوين[2] خطأ، فلا إبراهيم ولا أولاده ملكوا أرض كنعان في أية مدة من حياتهم، أي أن الله لا يعطي وعدًا دون الوفاء به[3].
- ومن الأخطاء المتعمدة "أن الله قال لإبراهيم: اذبح ابنك بكرك إسحاق"[4]، وهذا من افترائهم وغلطهم وبهتهم، لأن بكر إبراهيم هو إسماعيل (عليهما السلام)، أما إسحاق فقد بُشِّر به على الكبر بعد قضية الذبح[5].

إن هذه الأخطاء ما هي إلا قطرة من بحر، فالمطلع على العهد القديم يستطيع وبكل سهولة أن يقف عند الكثير من هذه الأغلاط، وقد سبق الشيخ (رحمت الله الهندي) غيره من العلماء في العصر الحديث، في بيان الكثير من هذه الأخطاء والمتناقضات، وبيَّنها في كتابه إظهار الحق الذي يعد من أهم الكتب في هذا الباب من العلوم.

ومما سبق يتضح لنا، أن التوراة الحالية ليست هي كتاب موسى ﷺ، فقد توصل (أسبينوزا)[*] بعد دراسة تمحيصية ونقدية وافية للأسفار المقدسة إلى ثلاث حقائق مهمة، وهي:

1) أن موسى ﷺ لم يكتب هذه الأسفار (التوراة).

---

(1) سفر التكوين ٦ : ٣.
(2) سفر التكوين ١٥ : ١٨-٢١.
(3) د. حداد، مهنا يوسف (الرؤية العربية لليهودية) ص١٣٢.
(4) سفر التكوين ٢٢ : ١-١٣.
(5) ابن قيم الجوزية (هداية الحيارى)، تحقيق محمد الحاج، ص ٤١٧.
(*) أسبينوزا: (ت ١٦٧٧م) فيلسوف هولندي من أصل يهودي، تأثر بفكر موسى بن ميمون وديكارت، وقد تسببت أفكاره الدينية الثورية في طرده من حظيرة الدين اليهودي عام ١٦٥٦، بعد أن اتهمه حاخامات اليهود بالهرطقة والابتداع، ووصفوا أعماله بالآثمة. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٢١٢، والشرقاوي، محمد عبد الله (منهج نقد النص بين ابن حزم وأسبينوزا) ص١١-١٢.

٢) أن مؤلف هذه الأسفار شخص عاش بعد موسى بزمن طويل جدًا.

٣) أن موسى عليه السلام قد كتب سفرًا مختلفًا عن هذه الأسفار الخمسة المروّجة المشهورة[١].

وقد توصل ابن عزرا الغرناطي[*] قبل أسبينوزا لمثل هذه الحقائق، ولخّص د. الشرقاوي آراء ابن عزرا فيما يأتي:

١) أشارت الأسفار الخمسة إلى وقائع لم تحدث إلا بعد موسى يقينًا، وجعلته شريكًا في صنعها.

٢) أن التوراة الحقيقية التي نزلت على موسى كانت - بنص الأسفار الحالية - أصغر في الحجم بكثير من هذه الأسفار الخمسة المعروفة.

٣) أن أسلوب صياغة هذه الأسفار - الحالية - يجزم بأن موسى عليه السلام لم يكن واضعها، وذلك من طريقة إسناد الضمائر أو التعليق على نص الرواية وشرحها.

٤) تشير هذه الأسفار إلى أسماء أماكن لم تعرف بهذه الأسماء إلا بعد موت موسى عليه السلام بزمن طويل[٢].

ويذكر (م ريجنسكي) في كتابه (أنبياء التوراة) أن التوراة تشكل عملاً أدبيًا بشريًا، ويقول: "ليست التوراة عملاً واحدًا متكاملاً؛ بل مجموعة مؤلفات مختلفة.. تتباين بشكل بالغ سواء كان من حيث الحجم، أم من حيث زمن التدوين، أم من حيث اللون الأدبي والأسلوب، فهي تعود لمؤلفين مختلفين"[٣]، ولكون المجال هنا لا يتسع لذكر شهادات العلماء الغربيين من يهود ونصارى ومسلمين، في كون التوراة الحالية محرفة ومختلفة، ولا تمت لموسى عليه السلام بصلة، نكتفي بذلك القدر الذي بينّاه للدلالة على وصول يد الهدم والتطرف والعنف إلى أقدس كتبهم، وتفعل فيه ما تريد كما رأينا.

---

(١) يُنظر: الشرقاوي، محمد عبد الله (منهج نقد النص بين ابن حزم وأسبينوزا) ص٥٤- ص٥٧، وقارن: الطهطاوي، محمد عزت (الميزان في مقارنة الأديان) ص٧٢.

(*) ابن عزرا الغرناطي: هو إبراهيم بن عزر، المتوفى في غرناطة ١١٦٧م، وهو أول شارح للتوراة، وشك في نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى، يُنظر: السقا، أحمد حجازي (نقد التوراة أسفار موسى الخمسة) ص٧٣.

(٢) الشرقاوي، محمد عبد الله (منهج نقد النص) ص٥٨.

(٣) م. ريجنسكي (أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية) ترجمة د. آحو يوسف، ص٦، بتصرف.



المطلب الأول: التطـرف فـي التجـرؤ علـى الله تعالـى

يعد التجرؤ على الله تعالى من أعنف مظاهر التطرف الديني في التوراة التي يقدسها اليهود، ويتداولونها فيما بينهم، إذ ذهبت التوراة إلى وصف الإله - سبحانه وتعالى - بأوصاف بعيدة عن صفات الجلال والكمال والقداسة، فالله - كما هو في التوراة - له صور عديدة، فهو كائن له خصائص الإنسانية، يتحسر، ويندم، ويلعب ويتصارع، ويدعو إلى سفك الدماء، واغتصاب الحقوق، واستعباد الشعوب، ما دام ذلك لصالح شعب إسرائيل، والإله إلههم دون سائر البشر، فهو إله قوي خاص باليهود، وهو إله وثني وعدواني، وجنرال حرب يدعو إلى القتل والإبادة.

إن أي قارئ لأسفار التوراة، لا بد أن تستوقفه هذه الصورة الغريبة، العنيفة التي لا يقبلها عقل، ولا يرتضيها كتاب سماوي مقدس، ومن هذه الصور ما يأتي:

أ إلــه قومــي:

فالإله عند اليهود خاص بهم دون غيرهم من سائر البشر، وهم شعب الإله دون سائر الشعوب، وقد ترسخ هذا المفهوم عند اليهود بعد أن صاغه الأحبار في التوراة،



من أجل تكوين مجموعة قومية لها إله خاص، يقول جورجي كنعان: "إن أول ما فعله الحبر الذي حرر شريعة موسى، أنه أفرد يهوه[*] إلهًا خاصًا بجماعة بني إسرائيل، وغايته صنع مجموعة قومية تربطها عبادة إله واحد في هيكل واحد، فمنذ تكشف يهوه (الرب)، أو أعلن عن حضوره لأبرام جعل من نفسه أو جعله الأحبار الذين حرروا التوراة، إلهًا خاصًا بأبرام الأب الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل، فلأبرام ظهر يهوه (الرب) وإليه تكلم[1] ومعه وحده قطع الرب ميثاقًا[2] وأقام عهدًا[3] ويصمم الرب أن يشمل العهد نسل أبرام - بني إسرائيل - وإلى آخر الدهر".[4]

ويذكر السحمراني: "أن اليهود يصرحون بأن الخالق أمر موسى عليه السلام أن يطلق عليه تعالى اسم (يهوه) منذ عهد الله تعالى لموسى عليه السلام على جبل حوريب (جبل الطور)، وقد جاء النص على ذلك في سفر الخروج: "وكلّم اللهُ موسى، وقال له: أنا الرب أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلهًا قادرًا على كل شيء، وأما اسمي (يهوه) فلم أعلنه لهم"[5]. بهذه الطريقة - كما يقول د. أسعد السحمراني - جعل اليهود اسم (يهوه) مميزًا للخالق - سبحانه - لم يخاطب به سواهم".[6]

(*) يهوه: اختلف الباحثون حول اشتقاق اسم "يهوه" معبود اليهود وإلههم، فقد أرجع العقاد اسم "يهوه" إما إلى أن يكون مشتقًا من مادة الحياة، أو إلى أنه نداء الضمير الغائب أي: "يا هو"؛ لأن موسى علم بني إسرائيل أن يتقوا ذكره توقيرًا له، وأن يكتفوا بالإشارة إليه، أما الاحتمال الثاني هو أن تكون الكلمة عبرانية، ومعناها السيد أو الإله، وهناك اتجاه آخر بين الباحثين يفترض أن تكون الكلمة عربية إلا أنه من المستبعد أن يستعمل اليهود في هذه المرحلة الباكرة من تاريخهم كلمة عربية تدل على أخص خصائص دينهم وهو الإله المعبود، ينظر: شلبي أحمد (مقارنة الأديان اليهودية) ص١٨٩، محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص٢٢، والسحمراني، د. أسعد (شهود يهوه) ص١٦.

(١) سفر التكوين ١٢: ١.

(٢) سفر التكوين ١٥: ١٨.

(٣) سفر التكوين ١٧: ٢.

(٤) كنعان، جورجي (تاريخ يهوه) ص١٦٦ بتصرف.

(٥) سفر الخروج ٦: ٢-٣.

(٦) السحمراني، د. أسعد (شهود يهوه) ص١٥-١٦.

وقد أعلن (يهوه) أنه إله خاص ببني إسرائيل: "وقال الله لموسى: أنا الرب[*] (يهوه) إله آبائكم، إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أرسلتك إليهم".[1]

وظل تحريف محرري التوراة ليهوه الإله الخاص ببني إسرائيل يرد في أشكال "إله العبرانيين إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب... إله آبائنا.... إله إسرائيل"، ثم تردد هذا المفهوم كثيرًا على ألسنة زعماء بني إسرائيل وأنبيائهم وكهنتهم، وبالصيغ الكلامية جميعها.[2]

من الواضح أن كتبة التوراة استطاعوا أن يرسخوا عند اليهود أن الإله لهم وحدهم، وهم له وحده، وهنا يذكر د. الزعبي: "أن اليهود احتكروا الله، وأظهروه بمظهر المتحيز الذي يرسل أشعة شمسه على بعض عباده دون بعض، ويرى بعض عباده أبناءً له وبعضهم أبناءً للناس[3]".

ولم يكتف اليهود بجعل الإله لهم وحدهم، إلهًا قوميًا مرتبطًا بشعب وحسب، بل جعلت منه إلهًا مرتبطًا بأرض خاصة، يقول المسيري: "وقد عمقت فكرة أرض الميعاد من قومية الإله اليهودي، فهو لم يعد إلهًا قوميًا مرتبطًا بشعب وحسب؛ بل جعلت منه إلهًا مرتبطًا بمكان أيضًا[4] "وحيث إن يهوه الإله القومي لليهود، فإنه يفعل كل شيء لأجل اليهود، فهو "إله رهيب . يدعو إلى سفك الدماء، واستعباد الشعوب، وامتلاك أرض الأمم، ما دام ذلك لصالح شعب إسرائيل، وهو إله صارم بالغ العنف حينما تضطرهم (أي بني إسرائيل) الأقدار إلى خوض غمار الحروب مع أهل كنعان"[5].

(*) الرب: الاسم الشخصي لإله شعب إسرائيل يهوه، وقد امتنع اليهود في القرن الرابع ق.م عن التلفظ بهذا الاسم "يهوه"؛ لئلا يدنس، وأصبح لا يستطيع التلفظ به إلا رئيس الكهنة عند تلاوة الصلاة وإعطاء البركة في الهيكل، واستعاضوا عنه بأسماء أخرى أهمها "أدوناي"، أي: الرب والسيد، يُنظر الكتاب المقدس، سفر الخروج في التعليق على الفقرة الخامسة عشرة من الإصحاح الثالث ص٧٠، والسحمراني، أسعد (شهود يهوه) ص١٧.

(١) سفر الخروج ٣: ١٥.

(٢) كنعان جورجي (تاريخ يهوه) ص١٦٧.

(٣) الزعبي، محمد علي (دفائن النفس اليهودية) ص٤٢.

(٤) المسيري، عبد الوهاب (نهاية التاريخ دراسة في بنية الفكر الصهيوني) ص٤٥. قارن، مقار، شفيق (قراءة سياسية للتوراة) ص٣١٠.

(٥) يُنظر: عبد اللطيف، محمود عبد الرحمن (وعد الله ليس لبني إسرائيل) ص٢٢.

وهو يعمل لخيرهم وحدهم، ولا يعمل شيئًا لغير صالحهم، ولا يلتفت إلا لتحقيق طموحات كهنتهم، والطريف أو المؤسف - كما يقول مقار - أن عمل الخير لأتباعه لا يتم إلا بإلحاق الأذى والشر بالشعوب الأخرى.(1)

أ' إلـه يُ. البشـر ويقـوم با لهـم:

يقول جورجي كنعان: "والملاحظ أن إبطال التوراة من أنبياء وكهنة وملوك، أو الأحبار الذين حرروها لم يكن في نفوسهم وعي أخلاقي، قادر على السمو بالخالق، وتنزيهه عن التشخيص، فلا عجب أن خلعوا عليه صفات البشر، والأدهى من ذلك أنها صفات غير لائقة، أو غير مستحبة وأحيانًا مستقبحة، فهو في مفهومهم ليس معصومًا عن الوقوع في الغلط أو ارتكاب الخطأ(2).."، ويؤكد المسيري على أنه لَوْ نظرنا إلى العهد القديم لوجدنا إشارات عديدة إلى أن الله كائن له خصائص إنسانية، وأنه ليس معصومًا من الخطأ أو الغضب أو الخجل"(3).

من الأوصاف البشرية المحضة للإله، كما تصوره التوراة ما يأتي: (4)

- **انه يشعر بالتعب:** حيث جاء في سفر التكوين: "فتم خلق السماوات والأرض وجميع ما فيها، وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، واستراح في اليوم السابع من جميع ما عمله، وبارك الله اليوم السابع وقدّسه؛ لأنه استراح فيه من جميع ما عمل كخالق"(5).

(1) كنعان، جورجي (تاريخ يهوه) ص١٨٩.
(2) (المرجع السابق نفسه) ص١٩٦.
(3) يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (نهاية التاريخ دراسة في بنية الفكر الصهيوني) ص٤٤، وقارن طعيمة، صابر (التاريخ اليهودي العام) ص١٠١، وحداد، مهنا يوسف (الرؤية العربية لليهودية) ص١٨٨، والتميمي فرحان (الألوهية بين العهد القديم والقرآن الكريم) رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد ١٩٩٨م - ص٣٦٧-٣٨١.
(4) اعتمدتُ في بيان هذه الصور بالإضافة إلى التوراة على الكتب الآتية: شلبي، أحمد (مقارنة الأديان - اليهودية) ص١٩٠ وما بعدها، وكنعان، جورجي (تاريخ يهوه) ص١٩٦ وما بعدها، وحداد، مهنا يوسف (المرجع السابق نفسه) ص١٨٨ وما بعدها، وعبد اللطيف، محمود عبد الرحمن (وعد الله ليس لبني إسرائيل) ص٢٢ وما بعدها، والبار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة) ص١٤ وما بعدها.
(5) سفر التكوين ٢: ١-٣.



- **أنه يخطئ، ولا يميز، ويحتاج إلى إرشاد غيره:** فقد جاء في التوراة أنه طلب إلى أتباعه حين كانوا متغربين في مصر، أن يصبغوا أبواب بيوتهم بالدم؛ لكي لا يهلكهم خطأ مع المصريين الذين قرر إهلاكهم: "يكون الدم لكم علامة على البيوت التي أنتم فيها، فأرى الدم وأعبر عنكم".[1]

- **أنه ليس معصومًا عن الكذب:** ولذلك نسبوا إليه نفيه عن نفسه تهمة ارتكاب هذه الجريرة يقول: "مرة حلفت بقداستي، ولا أكذب على داود"[2].

- **أنه يأمر بالسرقة:** وقد سبق أن بينّا أمر الإله بني إسرائيل: "أن تطلب كل امرأة عبرانية من جارتها ومن النازلة في بيتها مصاغ فضة وذهب وثيابًا، فتُلبسوها بَنيكم وبناتكم، وهكذا تسلبون المصريين"[3].

- **واتهموه بالخداع:** ففي سفر إرميا: "خدعتني يا رب فانخدعت"[4].

- **ورموه بالعجز عن نصرة أتباعه:** يقول الحبر المحرر: "وكان الرب مع بني يهوذا، فطردوا سكان الجبل وامتلكوه، أما سكان الوادي، فلم يقدروا أن يطردوهم؛ لأنه كانت لهم مركبات من حديد"[5].

- **وبالتقصير في نجدتهم:** فحين دخل موسى وهارون، وقالا لفرعون: هكذا يقول يهوه إله إسرائيل: أطلق شعبي ليعيّدوا لي في البرية. قال فرعون: من هو يهوه حتى أسمع لقوله فأطلق إسرائيل! لا أعرف يهوه، وإسرائيل لا أطلقه، وأمر فرعون في ذلك اليوم مسخري الشعب ومديريه، قائلاً: لا تعودوا تعطون الشعب تبنًا لصنع اللِّبْن، ليذهبوا هم ويجمعوا تبنًا لأنفسهم، فرجع موسى إلى الرب، وقال: يا سيد لماذا أسأت إلى هذا الشعب؟ لماذا أرسلتني؟ فإنه منذ دخلت إلى فرعون لأتكلم باسمك أساء إليّ هذا الشعب، وأنت لم تخلص شعبك".[6].

---

(١) سفر الخروج ١٢: ١٣.
(٢) سفر المزمور ٨٩: ٣٦.
(٣) سفر الخروج ٣: ٢٢.
(٤) سفر إرميا ٢٠: ٧.
(٥) سفر القضاة ١: ١٩.
(٦) سفر الخروج، الإصحاح الخامس، وقارن: كنعان، جورجي (تاريخ يهوه) ص١٩٧.

- **ونسبوا إليه الغضب والندم:** فحين أبطأ موسى في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هارون - كما تزعم التوراة - وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا فصنع لهم هارون - كما تزعم التوراة - عجلاً مسبوكًا.. فقال الرب لموسى: قم انزل، فسد شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر، حادوا سريعًا عن الطريق الذي أمرتهم بسلوكه، فصنعوا لهم عجلاً مسبوكًا وسجدوا له، وقدموا الذبائح وقالوا: هذه آلهتكم يا بني إسرائيل، آلهتكم التي أخرجتم من أرض مصر، وقال الرب لموسى رأيت هؤلاء الشعب، فإذا هم شعب قساة الرقاب، والآن دع غضبي يشتد عليهم؛ فأفنيهم، وأجعلك أنت أمة عظيمة"[1].

وورد في نفس هذا السفر: "ارجع عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك، فندم الرب على الشر الذي قال: إنه يفعله بشعبه" يقول "جورجي كنعان": "وهذه المناسبة لم تكن الوحيدة التي ندم فيها الرب على ما كان موشكًا أن ينزله ببني إسرائيل بدافع الغضب، فما أكثر المناسبات التي انطلق فيها رب بني إسرائيل مندفعًا في غضبه، ثم تراجع متجليًا في ندمه"[2]، ثم يسوق أمثلة على ذلك أنه في آخر أيام داود "حمي غضب الرب على بني إسرائيل فجعل وباء في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد، فمات من الشعب سبعون ألف رجل، وبسط الملاك يده على أورشليم؛ ليهلكها، فندم الرب على الشر، وقال للملاك المهلك الشعب: كفى".[3]

وجاء في سفر "صموئيل الأول" حين بدأ الصراع بين الكهنة والملوك "ندمت على أني جعلت شاؤول ملكًا"[4]، وندم الرب مرة أخرى، عندما جعل سليمان ملكًا؛ لأن سليمان - حسب زعمهم - عبد آلهة كثيرة، ولم يكن مخلصًا لله.

- **كما نسبوا إليه ممارسات بشرية مبتذلة، يأنف منها الإنسان العادي من ذلك:** "وأفاق الرب كما من نوم وكجبار رنحته الخمر"[5]، فالرب بمفهوم صاحب

---

(١) سفر الخروج ٣٢: ١-١٠.

(٢) كنعان، جورجي (المرجع نفسه) ص١٩٨.

(٣) سفر صموئيل الثاني ٢٤.

(٤) سفر صموئيل الأول ١٥: ١٠.

(٥) سفر المزمور ٧٨: ٦٥.



المزامير استيقظ من نومه محتقن العينين، منتفخ الجفون، فبدا كجبار ظل يعاقر الخمرة حتى أنهكت وعيه وهدت قواه.[1]

- **واتهموه بالرجل المصارع المخدوع:** فقد صوروه في جسم بشري يصارع يعقوب، ولا يقدر عليه: "وبقي يعقوب وحده، فصارعه رجل حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنه لا يقوى على يعقوب في هذا الصراع ضرب حُقّ وركه فانخلع، وقال ليعقوب طلع الفجر فاتركني، فقال يعقوب: لا أتركك حتى تباركني، فقال الرجل: ما اسمك؟ قال: اسمي يعقوب، فقال لا يدعى اسمك يعقوب بعد الآن؛ بل إسرائيل؛ لأنك غالبت الله والناس وغلبت".[2]
- **وزعموا انه يمشي في الجنة:** "وسمع آدم وامرأته صوت الرب الإله يتمشى في الجنة عند المساء، فاختبأ من وجه الرب الإله بين الشجر"[3] وكأن الإله أيضًا لا يستطيع رؤية آدم.
- **وزعموا ان الله يسير امام بني إسرائيل ليلاً ونهارًا:** حيث تزعم التوراة أن الله عندما غضب على بني إسرائيل، لرفضهم دخول الأرض المقدسة، أتاهم في صحراء سيناء، ولم يتركهم، فكان يسير أمامهم في الطريق ليلاً ونهارًا؛ حتى لا يضلوا، وعلى الرغم من هذا الجهد الجبار، لم يستطع - حسب زعمهم - أن يدلهم على الطريق لمدة أربعين عامًا "، وكان الرب يسير أمامهم نهارًا في عمود من سحاب؛ ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود من نار؛ ليضيء لهم، فواصلوا السير نهارًا وليلاً.[4]
- **وزعموا أن الرب يكلمهم:** فقد زعموا أن الله تكلم مع شيوخ بني إسرائيل، بل وسمع كل بني إسرائيل كلامه، ورأوه بأعينهم"، وقال لشيوخ بني إسرائيل: انتظرونا هنا نرجع إليكم".[5]

---

(١) كنعان، جورجي (تاريخ يهوه) ص١٩٨.
(٢) سفر التكوين ٣٢: ٢٣-٢٩.
(٣) سفر التكوين ٣: ٨.
(٤) سفر الخروج ١٣: ٢١.
(٥) سفر الخروج ٢٤: ١٤.

- **الرب يبكي ويلطم وجهه، كما يزعمون:** فبعد أن شُرِّدَ أبناؤه اليهود - حسب زعمهم - من فلسطين، وخرب الهيكل يجعل الساعات الثلاث الأخيرة من النهار؛ ليبكي على تشريد أبنائه اليهود، فيصرخ، ويزأر قائلاً: "تبًا لي لأني صرحت بخراب بيتي، وإحراق هيكلي، ونهب أولادي، وتسقط كل يوم منه دمعتان في البحر، فيسمع دويهما من بدء العالم إلى منتهاه، وتضطرب المياه، وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل"[1]، "وحينما سمع الرب أبناءه اليهود يمجدونه رغم كل ما فعله بهم، يبكي ويقول بعد أن يلطم وجهه: "طوبى لمن يمجده الناس وهو مستحق ذلك، وويل للأب الذي يمجدّه أبناؤه مع عدم استحقاقه لذلك؛ لأنه قضى عليهم بالتشريد والشقاء."[2]

- **ويجعلون للرب مسكنًا:** يعتقد اليهود أن الرب أمر موسى وهارون ببناء خيمة الاجتماع ليسكن فيها، ثم بعد ذلك أمر ببناء التابوت ليكون مقره، وليكون على مقربة من أبنائه اليهود يرعاهم، ويدبر أمورهم، وينصرهم على أعدائهم، ويسمونه رب الجنود الجالس في التابوت".[3]

وجاء في سفر صموئيل الثاني، الإصحاح السادس ١٢-١٦ "أن داود وجميع الشعب أخذوا تابوت الله.. وجرّوه على عجلة والرب جالس في التابوت، وهو يتفرج عليهم وداود وكل شعب إسرائيل يرقص، ويغني، ويلعب بالرباب، ويضرب بالدفوف... وينفخ في المزمار ابتهاجًا بالنصر على الأعداء".

وجاء أن الفلسطينيين عندما أخذوا التابوت، وبقي معهم سبع سنين، كان الرب مسجونًا عندهم - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - ثم عاد الرب في تابوته إلى بني إسرائيل، وقرر بعد ذلك أن يسكن في جبل صهيون في أورشليم، وأخيرًا بنى له سليمان الهيكل العظيم؛ ليستقر فيه، ويرتاح من التجوال في التابوت الذي كثيرًا ما يأخذه الأعداء، إلا أنه وبعد أن تحطم الهيكل انتقل منه الرب إلى السماء،

(١) يُنظر البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة) ص٢٧، ومحمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص٢٦، نقلاً عن د. الشرقاوي، محمد عبد الله (التلمود كتاب إسرائيل الأسود) ص١٧٦-١٧٧.
(٢) يُنظر البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة) ص٢٧، ومحمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص٢٦، نقلاً عن د. الشرقاوي، محمد عبد الله (التلمود كتاب إسرائيل الأسود) ص١٧٦-١٧٧.
(٣) البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة) ص٣٠.

وسيعود مرة أخرى للسكن في الهيكل، عندما يأتي المسيح - الدجال - ويسكن فيه إلى الأبد مع شعبه وحبيبه وابنه البكر إسرائيل، بعد أن يبيد كل الأمم التي تحارب ابنه وتعاديه.[1]

- **ومن صور تطرفهم في الإله أنه يخشى من تجمع البشر ووحدتهم:** فقد جاء في سفر (التكوين) أن الرب الإله خشي على مملكته من الزوال، وحكمه من الانهيار عندما رأى البشر متحدين، متحابين، يبنون مدينة كبيرة، وبرجها في السماء، فدعا ملائكته، ونزل وحطّم مدينتهم، وبلبل ألسنتهم، وفرقهم في الأرض؛ حتى لا ينافسوه في ملكه وملكوته[2]- تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

- **وحسب زعمهم، فإن الرب يعشق المحارق واللحم المشوي:** فهو - في نظرهم - رب يحب اللحم المشوي جدًا، ومستعد أن يتنازل عن كل شيء في سبيل وجبة دسمة من اللحم المشوي تقدم له كقربان.. والتوراة من أولها إلى آخرها تذكر القرابين المشوية، ولكثرة هذه القرابين؛ فإنها تسبب الغثيان، وضيق النفس، والربو، من كثرة دخان اللحم المشوي، وأنه بمجرد أن يتنسم الرب رائحة المشوي تنبسط أساريره، ويفعل لهم ما يشاءون: تعذيب الأمم الأخرى ... قتلها... حرقها... أن يقاتل معهم، ويكون وسطهم داخل التابوت... ويعطيهم أراضي الغير... ويجعل الكل عبيدًا لهم... ولا يهم بعد ذلك إن عبدوا الأوثان أو سرقوا الأموال، كما لا يهم أن يكون اللحم المشوي من عجول وأغنام مسروقة، فهم يزعمون أن يعقوب سرق أغنام خاله، وقدم اللحم المشوي للرب، فتنسم الرب نسيم الرضا بعد أن امتلأت خياشيمه بدخان مشوي.... وأعطى يعقوب العهد له ولأولاده... وأعطاهم أرض فلسطين والأرض التي حولها من النيل إلى الفرات.[3]

- **والرب عندهم - رجل حرب وأشبه بزعيم عصابة:** إذ يأمرهم عندما يحين موعد خروجهم من مصر أن يسطوا على ممتلكات المصريين، وما يستطيعون حمله من ثيابهم ومجوهراتهم. ثم إنه يتوعد اليهود، ويلعنهم إن خالفوا شيئًا من أوامره "إن لم

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٣١.

(٢) يُنظر الإصحاح الحادي عشر: الفقرات من ١- ٩ من السفر المذكور أعلاه.

(٣) البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة) ص٣٩.

تسمع لصوت الرب إلهك، لتحرص على أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه، التي أنا أوصيك بها، اليوم تأتي عليك جميع اللعنات وتدركك.."[1] "والإله رجل الحرب خروج ١٥: ٣ "، ولذلك فهو "يعلم يديّ القتال وأصابعي الحرب"، كما يقول صاحب المزمور ١٤٤!! ويؤكد ذلك في المزمور ١٨ بقوله: "الرب يعلم يديّ القتال فتحنى بذراعي قوس نحاس.. أتبع أعدائي فأدركهم، ولا أرجع حتى أفنيهم، أسحقهم، فلا يستطيعون القيام. يسقطون تحت رجلي، فأسحقهم كالغبار قدام الريح "، "يأتي إلهنا ونار قدّامه تأكل"[2].

وحين كانت صورة الغضب تأخذه، يتحول إلى وحش مفترس، يقول (يهوه) عن نفسه: "فإني أنا أفترس وأمضي، آخذ ولا منقذ"[3] ويقول عن جماعته بني إسرائيل: "أشق شغاف قلبهم، وآكلهم هناك كلبوة".[4]

- والرب . زعمهم - رجل اجتماعي يتزوج وينجب، ومن ثم فإن له أبناء وأحفادًا، ومن ذلك قوله في التوراة ليعقوب: "أنت ابني بكري"، وقال لأحفاده من بني إسرائيل: "إسرائيل بكري وبنوه أولادي"[5]، وقال لداود: أنت ابني وحبيبي وبشرّه بغلام: "سيولد لك غلام يسمى لي ابنًا، واسمى له أبًا".[6]

وجاء في (الإصحاح السادس) من سفر (التكوين) ما يأتي: "ولما بدأ الناس يكثرون على وجه الأرض، وولد لهم بنات، رأى بنو الله أن بنات الناس حسان؛ فتزوجوا منهن كل من اختاروا، فقال الرب: لا تدوم روحي في الإنسان إلى الأبد، فهو بشر فتكون أيامه مئة وعشرين سنة، وكان على الأرض في تلك الأيام رجال أشداء، وبعدها أيضًا حين عاشر بنو الله بنات الناس، وولدن لهم أولادًا، وهم الجبابرة الذين ذاع اسمهم من قديم الزمان" وهكذا تزعم التوراة أن أبناء الله - تعالى الله عن ذلك - تزوجوا من بنات الناس؛ فأنجبوا الطغاة والجبابرة.

---

(١) سفر التثنية ٢٨: ١٥-٢٥ وهذا الإصحاح يزخر حتى آخره بأنواع التهديد والوعيد بأبشع أنواع الانتقام.

(٢) سفر المزمور ٥٠: ٣.

(٣) سفر هوشع ٥: ١٤.

(٤) (السفر السابق نفسه) ١٣: ٨.

(٥) سفر الخروج ٤: ٢٢-٢٣.

(٦) سفر صموئيل الثاني ٧: ١٢-١٤.

وزعموا أن الله غضب غضبًا شديدًا؛ لاختلاط نسب أولاده بأنساب أبناء الناس وبناتهم، فقرر أن يغرق الأرض، ويحدث الطوفان، ويهلك جميع من في الأرض، من إنسان، وطير، وحيوان، ما عدا نوح؛ لأنه وجد نعمة في عيني الرب، وكان نوح من نسل آدم وحواء، ولم يكن قد دخل نسبه شيء من بنات الناس من زناهما مع الشياطين؛ لهذا كله نجّى الله نوحًا وزوجته وأولاده الثلاثة وزوجاتهم؛ لأنهم من نسل الله...

وتسير خرافات التوراة بعد ذلك لتطرد (كنعان بن حام بن نوح)، وتجعل سلسلة نسب الإله في سام جد اليهود، ولهذا فاليهود هم أبناء الله وأحباؤه.. وهم لا يقصدون فقط المحبة المعنوية والبنوة المعنوية، كما يتبادر إلى الذهن لأول وهله، ولكنهم يقصدون أن أرواحهم جزء من ذات الله تعالى[1]، وجاء في سفر التثنية: "أنتم أولاد الرب إلهكم".[2]

ويبدو أن أبناء الله كانوا يعقدون اجتماعات دورية برئاسة الله، وفي أحد الأيام حشر الشيطان نفسه بينهم، يقول محرر سفر أيوب (١ : ٦): وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب، وجاء الشيطان أيضًا في وسطهم.[3]

مما تقدم نلحظ مدى التطرف والعنف الذي وصل باليهود ومحرري التوراة، ليتجرءوا على الله تعالى، ويصفوه بما يستحيل أن تكون لخالق الأكوان ومدبرها، بل لا يمكن أن تكون إلا من صفات أرذل البشر.

هذا قليل من كثير من هذه الافتراءات، وجزء من كل من ذلك الغثاء والكذب والتجديف في وصف المولى - سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا - وقد دفعهم هذا التطرف والعنف بحق الإله - سبحانه تعالى - إلى الاعتداء على الأنبياء والرسل، كذلك بمثل ما اعتدوا به على رب العالمين من أوصاف ومنكرات تجلى الله عنها، وتنزه سبحانه هو ورسله وأنبياؤه عليهم صلوات الله وسلامه كذلك.

(١) البار (المرجع السابق نفسه) ص١٦-١٧.
(٢) سفر التثنية ١٤: ١.
(٣) يُنظر كنعان، جورجي (تاريخ يهوه) ص٢٣٧.



المطلب الثاني: التطـرف والعنف في مقـام الرسـل والأنبيـاء

اقتضت حكمة الله تعالى أن يرسل في كل أمة رسولاً، وأن يبعث إلى الخلائق رسلاً وأنبياءً، يختارهم - جل جلاله - من بين خلقه؛ ليكونوا قدوة للبشر، وليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.

وقد اختار الله رسله وأنبياءه على علمه، وشرّفهم بأكمل الصفات، فجعلهم أكمل البشر خلقًا، وأفضلهم علمًا، وأشرفهم نسبًا، وأعظمهم أمانة(*)، فهل هذا هو رأي اليهود في هؤلاء الأنبياء المصطفين الأخيار؟ وهل احترم اليهود مكانة الرسل والأنبياء وصانوا حقوقهم، وحفظوا فضلهم، وحموا حياتهم؟ وهل آووهم ونصروهم؟! الإجابة واضحة وجلية في كتبهم التي يدّعون قداستها، حيث الإجابة بالنفي القاطع؛ إذ إن لليهود رأيًا مخالفًا في الرسل والأنبياء تقشعر منه الأبدان، لما تضمنه من سب وقدح في الأنبياء، صفوة البشر وأكرمهم.

إن التطرف اليهودي في مقام النبوة ليس بالأمر الغريب، فالمرء لا يمتلكه العجب من مواقفهم المخزية بحق الرسل والأنبياء، لا سيما بعد أن شاهدنا قبل قليل تهجمهم وتطاولهم على الذات الإلهية، فقد هبطوا بالذات الإلهية في تصوراتهم من السماء إلى الأرض، وخلعوا عليها من الصفات ما يخجل منه ذو بصيرة وفطرة سليمة، فليس بمستبعد - إذن - أن يهبطوا بمقام النبوة إلى هوة سحيقة من المعاصي والمنكرات والجرائم الأخلاقية، ومخالفات الشرائع والتعاليم الإلهية[1].

وسنقتصر هنا على إيراد طرف من المطاعن والمخازي التي ساقتها التوراة ونسبتها إلى رسل الله وأنبيائه (عليهم السلام)؛ لندلل من خلال تناولنا لمجموعة من هؤلاء الرسل والأنبياء - على مدى تطرف اليهود وعنفهم كما يأتي:[2]

(*) قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ (ص: ٤٧).

(١) قارن: محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص ٣٠.

(٢) اعتمدتُ زيادة على التوراة في تفصيل القول على افتراءات اليهود بحق الرسل والأنبياء على كل من: محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص ٣١، ٤٩، والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص ٣٤٠ - ٣٤٨، والطهطاوي، محمد عزت (محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن) ==

آدم (عليه ا م):

يرسم سفر التكوين صورة آدم، وقد أذنب عمدًا بأكله من الشجرة المحرمة، ولم يعترف بذنبه لما طلبه الله، ولم تثبت توبته إلى آخر يوم من حياته، كما أن السفر يصور آدم وكأنه يستخف بالله، وهو يختبئ من الله الذي يتمشى في الجنة، ولا يعرف مكانه. حيث تُحبَك خيوط المؤامرة حين يقول الرب لآدم: أين أنت؟

فقد جاء في النص: (وسمع آدم وامرأته صوت الرب الإله، وهو يتمشى في الجنة عند المساء، فاختبأ من وجه الرب الإله بين شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ فأجاب: سمعت صوتك في الجنة فخفت، ولأني عريان اختبأت، فقال الرب الإله: من عرّفك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها، فقال آدم المرأة التي أعطيتني لتكون معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت... وقال لآدم: لأنك سمعت كلام امرأتك، فأكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها، تكون الأرض ملعونة بسببك)[1]

نوح (ا م):

ترسم التوراة أيضًا صورة وضيعة لنبي الله نوح عليه السلام؛ فترسمه وهو النبي الكريم يشرب الخمر حتى يسكر، ويذهب عقله فيتعرى، ولا يشعر بنفسه حتى تتكشف سوآته، فيراه ابنه (حام)- وهو الابن الأصغر حسب كلام التوراة - ويخبر أخويه الأكبر منه سنًا: سام ويافث، فيدخلان على أبيهما، ويغطيان عورته، وعندما يفيق نوح من سكره يلعن ابنه حام، ويحكم عليه بالعبودية والمذلة لأخويه.

جاء في التوراة: "وشرب نوح من الخمر، فسكر وتعرّى في خيمته، فرأى حام أبو كنعان عورة أبيه، فأخبر أخويه، وهما خارجًا، فأخذ سام ويافث ثوبًا، وألقياه على

== ص ١٨٦ -١٩٠، وكتابه أيضًا (الميزان في مقارنة الأديان) ص ٣٢ - ٣٦، والسقا، أحمد حجازي (نقد التوراة) ص ٢٥١ -٢٦٢، وحسن، محمد علي (الخلاف بين التوراة والقرآن) ص ١٤، ص ٢٦.

(١) سفر التكوين ٣ : ١٧.

أكتافهما، ومشيا إلى الوراء ليسترا عورة أبيهما؛ وكان وجهاهما إلى الخلف، فما أبصرا عورة أبيهما، فلما أفاق نوح من سكره علم بما فعل به ابنه الصغير، فقال: ملعون كنعان عبدًا ذليلاً يكون لإخوته، وقال: تبارك الرب إله سام، ويكون كنعان عبدًا لسام، ويزيد الله يافث، فيسكن في خيام سام، ويكون كنعان عبدًا له"[1]

والعجيب أن الذي أذنب بالنظر إلى عورة أبيه هو حام أبو كنعان، والذي عوقب باللعنة هو ابنه كنعان، فأخذ الابن بذنب الأب خلاف العدل، وهو وجه آخر من وجوه التطرف اليهودي، أما السبب في لعن كنعان؛ فلأنه جد الفلسطينيين، وأرض فلسطين يجب أن تكون من نصيب أولاد سام، وهم اليهود، وبذلك يكون الفلسطينيون خدمًا لليهود - هكذا تزعم توراتهم، وهكذا يلوثون صورة الأنبياء بصور مزرية قبيحة.. فقبحهم الله، ولعنهم بما رموا به الأنبياء (صلوات الله عليهم جميعًا).

إبراهيم (عليه السلام):

تتهم التوراة نبي الله إبراهيم عليه السلام بأنه كذب على فرعون، وأنه - حاشاه - ديّوث، فقد جاء في سفر التكوين: ١١، وكان جوع في أرض كنعان، فنزل أبرام إلى مصر؛ ليتغرب هناك؛ لأن الجوع كان شديدًا، فلما وصل إلى أبواب مصر، قال لساراي امرأته: أعرف أنك امرأة جميلة المنظر، فإذا رآك المصريون، سيقولون: هذه امرأته فيقتلونني، ويبقون عليك، قولي: إنك أختي فيحسنوا معاملتي بسببك، ويبقوا على حياتي لأجلك.

ولما دخل أبرام مصر رأى المصريون أن المرأة جميلة جدًا، وشاهدها بعض حاشية فرعون، وأخذوها إلى بيته، وأحسن فرعون إلى أبرام بسببها، فصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، أما الرب، فضرب فرعون وأهل بيته ضربات عظيمة؛ بسبب ساراي امرأة أبرام، فاستدعى فرعون أبرام، وقال له: ماذا فعلت بي

---

(١) سفر التكوين ٩ : ٢١ -٢٧.

فكتمت عني أنها امرأتك؟ لماذا قلت لي: هي أختك حتى أخذتها لتكون زوجة لي؟ والآن خذ امرأتك واذهب"[1].

وتتكرر نفس القصة مع أبيمالك - ملك فلسطين - حيث قام إبراهيم - حسب زعم التوراة - بتقديم زوجته سارة إلى الملك؛ كي يستلم منه هدايا وعبيدًا وأموالاً[2] وهكذا تصور التوراة إبراهيم عليه السلام بالرجل الكاذب الجبان الضعيف، الذي لا يغار على عرضه، إذا شعر بالخوف.

لـو (عليــه ا م):

فقد صورته التوراة بأبشع صورة، فاتهمته بارتكاب أرذل وأحط الجرائم التي يعجز عنها أسافل البشر، مما يعجز العقل حتى عن تصور حدوثه من إنسان كائنًا من كان، فكيف بنبي اصطفاه الله من بين البشر، فتذكر التوراة:

أولاً: أن لوطًا قد تلكأ في الاستجابة لأمر الله له بالخروج من المدينة، التي حل بها عذاب الله، وقد دفعه الملكان دفعًا للخروج، وتزعم التوراة أن امرأته قد نجت معه، يقول محرر سفر التكوين: (فلما طلع الفجر كان الملكان يستعجلان لوطًا، ويقولان له: قم، خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين هنا؛ لئلاً تهلكوا مع المدينة عقابًا لها، فلما تباطأ لوط أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه من المدينة وتركاه هناك)[3].

ثانيًا: أنه شرب الخمر حتى الثمالة فسكر وذهب عقله، فزنى بابنتيه، وأنجب منهما سفاحًا في ليلتين متتاليتين، يقول محرر سفر التكوين: "وخاف لوط أن يسكن في (صوغر)، فصعد إلى الجبل، وأقام بالمغارة هو وابنتاه. فقالت الكبرى للصغرى: شاخ أبونا، وما في الأرض رجل يتزوجنا على عادة أهل الأرض كلهم، تعالي نسقي أبانا خمرًا ونضاجعه ونقيم من أبينا نسلاً.

(١) سفر التكوين ١٢ : ١٠ -١٩.
(٢) راجع سفر التكوين ٢٠ : ١ -١٨.
(٣) سفر التكوين ١٩ : ١٥ -١٦.



فسقتا أباهما خمرًا تلك الليلة وجاءت الكبرى وضاجعت أباها، وهو لا يعلم بنيامها ولا قيامها. وفي الغد قالت الكبرى للصغرى: ضاجعت البارحة أبي، فلنسقه خمرًا الليلة أيضًا، وضاجعيه أنت لنقيم من أبينا نسلاً، فسقتا أباهما خمرًا تلك الليلة أيضًا، وقامت الصغرى وضاجعته، وهو لا يعلم بنيامها ولا قيامها. فحملت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت الكبرى ابنًا وسمته مؤاب، وهو أبو المؤابيين إلى اليوم، والصغرى أيضًا ولدت ابنًا، وسمته ابن عميٍّ وهو أبو بني عمون إلى اليوم"[1].

ألهذا الحد يصل العنف والتطرف من محرر هذا السفر؟ وكأنه يكتب هذا النص وهو ثمل فاقد لوعيه، فليس من ذي عقل أن يتصور ذلك من نبي من أنبياء الله (عليهم السلام)، فهل يعقل أن يفقد السكران حواسه، فلا يعرف ابنتيه من غيرهما؟ وهل يقوى شيخ كبير على ذلك[2]، لكنها النفوس المريضة المنحرفة التي أرادت أن تسوغ الجريمة من خلال إيذاء أنبياء الله تعالى الذين هم صفوة البشر وخير عباد الله.

إسماعيل (ي ا م):

يحاول اليهود عبثًا إزالة إسماعيل عليه السلام من سجل التاريخ، وطمس شرف بكوريته لإبراهيم عليه السلام، ومن ثم فسح المجال كبيرًا أمام إسحاق، ليكون هو الذبيح، وهو الوحيد وارث النبوة، كل ذلك من أجل محو هوية العرب، وشرف الانتساب إلى إسماعيل بن إبراهيم (عليهما السلام)، ولكي يتم تحقيق الوعد الإلهي في نسل إسحاق فقط باعتباره منطلق تاريخهم - وهو عليه السلام منهم براء - فتبدأ أول خيوط المؤامرة ضد العرب حسدًا من اليهود أن يكون من العرب بعد ذلك نبي، فتصرح التوراة - وبكل تطرف - أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام.

ومما جاء في ذلك: "يا إبراهيم... خذ إسحاق ابنك وحيدك الذي تحبه، واذهب إلى أرض موريّة، وهناك أصعده محرقة على جبل أدلّك عليه، فبكر إبراهيم في الغد، وأسرج حماره، وشقق حطبًا لمحرقة، ثم أخذ اثنين من خدمه وإسحاق ابنه، وسار في طريقه إلى الموضع الذي دله الله عليه...

---

(١) سفر التكوين ١٩: ٣٠ -٣٨.

(٢) حسن، محمد علي (الخلاف بين التوراة والقرآن) ص ١٧.



وأخذ إبراهيم حطب المحرقة، ووضعه على ظهر إسحاق ابنه، وأمسك بيده النار والسكين، وسارا كلاهما معًا، فقال إسحاق لأبيه: يا أبي.. هنا النار والحطب، فأين الخروف للمحرقة؟ فأجاب إبراهيم: الله يدبر له الخروف... فلما وصلا إلى الموضع الذي دله الله عليه، بنى إبراهيم هناك المذبح، ورتب الحطب، وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب، ومدّ إبراهيم يده مأخذ السكين ليذبح ابنه، فناداه ملاك الرب من السماء، وقال: إبراهيم، إبراهيم! قال: نعم... قال لا تمدً يدك إلى الصبي، ولا تفعل به شيئًا. الآن عرفت أنك تخاف الله، فما بخلت عليَّ بابنك وحيدك، فرفع إبراهيم عينيه ونظر، فرأى وراءه كبشًا عالقًا بقرنيه بين الشجيرات، فأقبل على الكبش، وأخذه، وقدمه محرقة بدل ابنه"[1].

واضح من هذا النص أن إسحاق هو الابن الوحيد لإبراهيم ﷺ، وأن إسحاق هو الذبيح الذي فداه الله بكبش من السماء، وهذا غاية الكذب، ومنتهى التطرف تؤكده التوراة نفسها، والتي تنص في أكثر من موقع على أن إسحاق لم يكن وحيد أبيه، ولا بكره، فإبراهيم ﷺ قد رزق بإسماعيل قبل أن يرزق بإسحاق بأربع عشرة سنة.

تقول التوراة: "وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد إسحاق"[2] بينما كان عمره ستًا وثمانين سنة، حينما رزق بإسماعيل، حسب نص التوراة: "وأما ساراي امرأة أبرام؛ فلم تلد له، وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر، فقالت ساراي لأبرام: الرب منع عني الولادة؛ فضاجع جاريتي؛ لعل الرب يرزقني منها بنين... فلما رأت أنها حبلت صغرت في عينها... فأخذت ساراي تذلها حتى هربت من وجهها.

ووجد ملاك الرب هاجر على عين ماء في الصحراء... فقال لها: يا هاجر جارية ساراي، من أين جئت؟ وإلى أين تذهبين؟ قالت: أنا هارية من وجه سيدتي ساراي، فقال لها ملاك الرب: ارجعي إلى سيدتك، واخضعي لها، ثم قال لها: كثيرًا أجعل نسلك حتى لا يحصى لكثرته، وقال: أنت حبلى وستلدين ابنًا فتسمينه إسماعيل؛ لأن

(١) سفر التكوين ٢٢ : ١ -١٣.
(٢) سفر التكوين ٢١ -٥.



الرب سمع صراخ عنائك... وولدت هاجر لأبرام ابنًا، فسماه إسماعيل وكان أبرام ابن ست وثمانين سنة حين ولدت له هاجر إسماعيل"[1].

فعلى الرغم من التطرف والعنف الواضحين من اليهود لتشويه صورة هاجر وإسماعيل، والحط من قدرهما، والإصرار دائمًا على وصف هاجر بالجارية، التي لا مكان لها، والذليلة التي تهرب من سيدتها سارة، إلا أن التوراة عينها تتسى في خضم سطورها أنها تذكر في موضعين، أو أكثر أن ملاك الرب ظهر لها، ونحن نعلم أن ملاك الرب لا يظهر لكل إنسان إلا إذا كان صاحب حظوة عند الله[2].

إ ق (ي ا م):

على الرغم من محاولة اليهود سلب إسماعيل شرف البكورة والتضحية والفداء في قصة الذبح، وجعلها في إسحاق، إلا أن إسحاق لم ينجُ من فضائح التطرف اليهودي التي لاحقته ورمته بالكذب والغباوة وسهولة الاحتيال عليه، تقول التوراة: "وسأله أهل جرار عن امرأته فقال: هي أختي؛ لأنه خاف أن يقول: هي امرأتي؛ لئلا يقتلوه بسببها؛ وكانت جميلة المنظر. ولما مضى على إقامته هناك وقت طويل حدث أن أبيمالك - ملك الفلسطينيين - أطل من نافذة له، ونظر، فرأى إسحاق يداعب رفقة امرأته، فدعاه وقال له: إذًا هي امرأتك، فلماذا قلت: إنها أختك؟ فقال إسحاق: لأني ظننت أنني ربما أهلك بسببها"[3] فنسب اليهود الكذب إلى إسحاق عليه السلام، كما فعلوا مع أبيه إبراهيم من قبل، وفي ظروف مشابهة لظروف أبيه، وهي الخوف على الزوجة من الرجال أصحاب المكان.

يعقوب (ي ا م): (إسرائيل)

لم ينجُ يعقوب عليه السلام من تطرف وعنف أقرب الناس إليه - كما يزعمون - فعلى الرغم من أنهم يتشرفون بالانتساب إليه إلا أنهم اتهموه بأنه كاذب محتال غشاش،

---

(١) سفر التكوين ١٦: ١ -١٦.

(٢) للاستزادة في هذا الموضوع يُنظر: عبد اللطيف، محمود (وعد الله ليس لبني إسرائيل) ص ٤١ - ٤٨.

(٣) سفر التكوين ٢٦: ٧ -٩.

ولم يتوقف تطرفهم إلى هذا الحد؛ بل وزيادة في العنف، فإنهم قد جعلوا بيته بيت فجور ودعارة، تفشو فيه الرذيلة والزنى بين آل يعقوب.

ومما لفقته التوراة من كذب يعقوب على أبيه وتحايله وخبثه وسرقة بركة أخيه البكر عيسو منه: "أن يعقوب طبخ طبيخًا، فلما عاد عيسو من الحقل، وهو خائر من الجوع، قال ليعقوب: أطعمني من هذا الإدام؛ لأني خائر من الجوع... فقال له يعقوب: بعني اليوم بكوريتك، فأجاب عيسو: أنا صائر إلى الموت، فما لي والبكورية، فقال يعقوب: احلف لي اليوم، فحلف له، وباع بكوريته ليعقوب، فأعطى يعقوب عيسو خبزًا وطبيخًا من العدس، فأكل وشرب وقام ومضى واستخف عيسو بالبكورية" [1].

وبذلك استطاع يعقوب أن يسلب بكورية عيسو، ليظفر ببركة أبيهما إسحاق كما تقضي قواعد التوراة، ومن الملاحظ بروز عامل الإجبار والضغط والابتزاز والاستغلال في تصوير يعقوب وهو سلب البكورية.

ثم ينتزع يعقوب بركة أخيه من أبيه دون وازع من خلق - كما تصوره التوراة - حيث إنه غش أباه، وخدعه بمؤامرة دنيئة بينه وبين والدته، رافقه حتى حصل على بركة أخيه بانتزاعها من أبيه، وهو على فراش الموت، وذلك حين دعا إسحاق ابنه عيسو؛ ليقتنص له صيدًا، ويصنع من له طعامًا حتى يأكل منه ويباركه قبل أن يموت، فسمعت رفقة ذلك، فدعت يعقوب للإسراع بتنفيذ المهمة قبل أخيه، فقام بتقمص شخصية أخيه، ودخل على أبيه بالطعام والخمر، فأكل أبوه وشرب، ثم باركه[2].

والناظر في النص، كما هو في التوراة، يرى فيه ما نسبه اليهود إلى يعقوب ﷺ من خداع أبيه، والكذب عليه، وغشه، وسرقة بركة أخيه منه، ونحو ذلك من المعاصي التي لا تليق بأي حال من الأحوال بنبي اصطفاه الله (عز وجل).

أما بيت يعقوب ﷺ، فيجعله اليهود بيت دعارة وفجور لا بيت نبوة ورجل طهور؛ فيعقوب - كما تصوره التوراة - يتزوج الأختين: "ليًا" و"راحيل" ابنتي خاله لابان[3] مع

(١) سفر التكوين ٢٥: ٢٩ -٣٤.
(٢) يُنظر النص في سفر التكوين ٢٧: ١ -٢٩؛ حيث اقتصرتُ هنا على إيراد مفهومه لطوله.
(٣) سفر التكوين ٢٩: ١٥ -٣٠.



أن الجمع بين الأختين حرام بنص التوراة: "ولا تأخذ امرأة مع أختها لتكون ضرتها، وتكشف عورتها معها في حياتها"[١] فيكون أحد النكاحين باطلاً، ويصبح أولاد المرأة التي نكاحها باطل أولاد زنى.

أما "دينة بنت يعقوب" - كما تزعم التوراة - فيضاجعها "شكيم بن حمور الحوِّى بعد أن تعلق قلبه بها، ويفعل بها الفاحشة، ومع ذلك يسكت يعقوب عن دنس ابنته التي جلبت العار لأهلها[٢].

أما رأوبين - الولد الأكبر - ليعقوب، فيمارس الزنى في بيت أبيه أيضًا، فقد جاء في التوراة: "ذهب رأوبين فضاجع "بلهة" محظيّة أبيه"[٣] وهي أم أخويه (دان ونفتالي)، والغريب من نص التوراة أن يعقوب لم يعر الأمر اهتمامًا كأن الحدث لا يعنيه.

ويتكرر الفجور مع ابنه يهوذا؛ حيث يزني بـ "ثمارا" - زوجة ابنه الأكبر - وبعد اكتشاف واقعة الزنى لم يُقِم حدًا وتعزيرًا على أي منهما؛ بل لم يذم يعقوب يهوذا على فعله، وإنما مدحه، ودعا له[٤] بهذه الصورة القبيحة تصور التوراة بيت النبوة على أنه ساحة فجور ودعارة، فهل يُعقل أن تكون التوراة بهذه الخرافات والافتراءات الكبيرة نصًا مقدسًا!!؟

(ـ ا م):

لئن كان موسى عليه السلام الأكثر شهرة وعظمة عند بني إسرائيل، فإن هذا لا يعفيه من فظائع التطرف اليهودي، فمثله مثل من سبقه من الأنبياء (عليهم السلام) لم يسلم أحد منهم من عنف اليهود وجرأتهم وإيذائهم لأطهر خلق الله من بين البشر، وهنا يصور اليهود موسى على أنه المحتال الذي يستغل خروجه من مصر بإعطاء تعليماته لأتباعه للقيام بعمليات السطو والنهب والسلب، ومما جاء في التوراة على لسان موسى: "إذا ذهبتم لا تذهبون ولا شيء معكم؛ بل تطلب كل امرأة عبرانية من جارتها

(١) سفر اللاويين ١٨ : ١٨.
(٢) يُنظر النص في سفر التكوين ٣٤: ١ -٥.
(٣) سفر التكوين ٣٥: ٢٢.
(٤) يُنظر سفر التكوين ٣٨: ١٦ -٣٠.



ومن النازلة في بيتها مصاغ فضة وذهب، وثيابًا فتُلبسونها بَنِيكم وبناتكم، وهكذا تسلبون المصريين"[1].

كما أن التوراة تصور موسى بالرجل سيئ الخلق مع ربه، ومن ذلك قول موسى: "يا رب لماذا أسأت إلى شعبك؟ لماذا أرسلتني؟ فمنذ دخلت على فرعون لأتكلم باسمك أخذ يسيء إليهم، وأنت لا تعمل شيئًا لإنقاذهم"[2].

كما أن اليهود نسبوا إليه في سفر التثنية أنه قام بقتل الملك سيحون - ملك حشبو - وكذلك بنيه، وجميع قومه، وعندما استولى على بلاده، قام بإحراق الرجال والنساء والأطفال، لكنه استبقى البهائم فقط لسلبها[3].

كما أن اليهود يعدون موسى عليه السلام خائنًا للرب لم يقدسه أو يؤمن به إيمانًا عميقًا؛ لذلك قد حرمه الرب من دخول فلسطين؛ عقابًا له على إثمه وخيانته للرب وسط بني إسرائيل[4].

وأيضًا يعد اليهود موسى وثنيًا يصنع الحية النحاسية لعبادتها وتقديسها مع بني إسرائيل، "وسحق (حزقيًا) حيّة النحاس التي صنعها موسى؛ لأن بني إسرائيل كانوا إلى تلك الأيام يحرقون البخور لها"[5].

رون (ي ا م):

لم يسلم هو الآخر مع شريكه موسى (عليهما السلام) من عنف اليهود وتطرفهم، فقد اتهموه بخيانة الرب كذلك، وكان عقابه مع موسى أن لا يدخلا الأرض المقدسة مع بني إسرائيل[6]، كذلك فهو متهم بالوثنية وعبادة الأصنام؛ إذ تحكي التوراة أنه

---

(١) سفر الخروج ٣ : ٢٢.

(٢) سفر الخروج ٥ : ٢٢.

(٣) يُنظر سفر التثنية ٢ : ٢٤ -٣٥.

(٤) يُنظر سفر العدد ٢٠ : ١٢.

(٥) سفر الملوك الثاني ١٨ : ٤.

(٦) يُنظر سفر العدد ٢٠: ١٢، ٢٣ -٢٥.

استغل فرصة ذهاب موسى إلى الجبل؛ ليتلقى الهداية والتعليم من ربه، فقام بصياغة صنم على هيئة عجل ذهبي عبده مع بني إسرائيل، ثم بنى له مذبحاً وذبح له[1].

داود (عليه السلام):

على الرغم من أن عصره كان العصر الذهبي لبني إسرائيل، وأنه القائد المنتصر عندهم، والملك العظيم الذي أسس دولتهم الأولى؛ إلا أنهم طعنوه في نسبه وشرفه، فهو عندهم ينحدر من جهة أمه من (مؤاب)، ومؤاب هذا هو ولد الزنى الذي جاء من مضاجعة بنت لوط البكر أباها لوطًا النبي بعد أن سقته الخمر، وأفقدته وعيه - وقد مرّ بيان ذلك.

أما بيت داود عليه السلام، فهو - على حد زعمهم - بيت دعارة وفجور؛ فأولاده يزنون بأخواتهم، ويزنون بنساء أبيهم علانية أمام أعين جميع الشعب. (فأمنون) ابنه يزني بأخته (ثامار)[2]، و(بشالوم) ابنه تقام له خيمة على سطح بيت الملك فيدخل على نساء أبيه أمام جميع بني إسرائيل[3] ويحاربه حربًا ضروسًا قُتل فيها عشرون ألفًا من اليهود.

ومع هذا لم يفعل داود عليه السلام شيئًا حيال هذا الخلف السوء، بل إنه وصّى رؤساء جنده ألا يقتله أحد، ولما خالف أحدهم ذلك، وقام بقتله بكاه داود بكاءً شديدًا، وحزن عليه، وتجعل التوراة حادثة الزنى المخزية تلك عدلاً من الرب، وعقابًا لداود نفسه نتيجة زناه بامرأة (أوريا) - قائد جنده - حيث تروي التوراة أن داود عليه السلام كان يمشي ذات مساء على سطح قصره، فوقع بصره على المنزل المجاور، فإذا امرأة جاره، وقائد جنده تستحم عارية، فشغف بها حبًا، فبعث داود في طلبها، وزنى بها[4].

ويجمل "عبد الراضي محمد" من الخطيئات التي صدرت من داود عليه السلام - حسب زعم التوراة - كما يأتي:

(١) يُنظر قصة العجل الذهبي في سفر الخروج ٣٢: ١ -٨.
(٢) سفر صموئيل الثاني ١٣: ١ -١٤.
(٣) سفر صموئيل الثاني ١٦: ٢٢ -٢٣.
(٤) سفر صموئيل الثاني ١١: ٢ -١٥.



١) أنه نظر إلى امرأة أجنبية بنظر الشهوة.

٢) أنه لم يكتفِ بتلك النظرة؛ بل طلب المرأة، وزنى بها، على الرغم من الحرمة القطعية للزنى، كما تنص الوصايا العشر.

٣) أن هذا الزنى كان بزوجة الجار، وهو أقبح أنواع الزنى.

٤) أنه لم يُقم حد الزنى على نفسه، ولا على المرأة، وحد الزنى هو القتل، كما تقضي التوراة: "ومن يزني بزوجة جاره، فإن الزاني والزانية يموتان"[(١)].

٥) أنه طلب من أوريا أن يذهب إلى بيته، ويضطجع مع زوجته؛ ليستر فعل داود وخطيئته.

٦) أنه قتل أوريا بيد الجند مع أنه رجل مخلص وبار؛ مخالفًا بذلك نص الآية السابعة من الإصحاح الثالث والعشرين من سفر الخروج: "لا تقتل البار الزكي".

٧) أنه لم يتب من خطيئته.

٨) أنه دعا للولد الذي أنجبه من الزنى بالعافية، وصام من أجله، ولم يجر حكم الله فيه بأنّ ولد الزنى يموت[(٢)].

سليمان (عليه السلام):

ومثله في التوراة، كمثل أبيه داود (عليهما السلام)؛ حيث تطعن التوراة في نسبه وشرفه؛ إذ تقدمه لنا باعتباره ابن (بتشبع) زوجة "أوريا الحثي"، وهي المرأة التي زنى بها داود - حاشاه ﷺ - كما يصوره اليهود في صورة المترف الذي يعيش حياة السفه والتبذير فكان خبزه - حسب زعم التوراة : "ثلاثين كيلاً من السميد، وستين كيلاً من القمح، وعشرة ثيران معلوفة، وعشرين ثورًا من المراعي، ومائة شاة.."[(٣)].

كما ينسبون إلى سليمان ﷺ سفرًا ماجنًا من أسفار العهد القديم، يتسم بالتدني والخلاعة والفجور، وهذا السفر - كما يقول عبد الراضي محمد - "لا يصلح إلا مادة

(١) سفر اللاويين ٢٠ : ١٠.

(٢) محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص ٤٣ - ٤٤.

(٣) سفر الملوك الأول ٥ : ١ - ٣.



لكتب الجنس الرخيص التي يروج لها اليهود، فعمدته الغزل الفاحش[1]، وإن اللسان ليتعفف عن ذكر كلمات هذا السفر[2].

ويستمر التطرف اليهودي والعنف التوراتي بحق سليمان عليه السلام، فيتهمه بالارتداد وعبادة الأصنام في آخر حياته؛ بسبب النسوة اللاتي تعلق قلبه بهن، وقد بلغ عددهن - حسب زعم التوراة - ألف امرأة تزوج بهن: سبعمائة من الأميرات، وثلاثمائة جارية أملن قلبه إلى آلهة غريبة، فلم يكن سليمان مخلصًا للرب[3].

يقول محمد علي حسن: "وهل من المعقول أن يتزوج الإنسان بهذا العدد؟ وكيف يساوي بينهن في المبيت؟ ولو كان كذلك لأصبح أولاده أكثر من عددهن"[4].

هكذا تتتبع التوراة الرسل والأنبياء، وتفتري عليهم، وتتهمهم في ذواتهم وشرفهم، وترميهم بأقذع الأوصاف وأحط الأخلاق، على الرغم من أن الأنبياء (عليهم صلوات الله) هم صفوة البشر وخيرة عباد الله، وقد بين كثير من العلماء المسلمين أن القول بارتكاب الأنبياء والمرسلين للمعاصي والسيئات في نظر الإسلام هو قدح في نبوتهم مما يدفع البشر إلى عدم طاعتهم أو الاقتداء بهم في أفعالهم، وهذا ما أراده اليهود في تجريحهم للأنبياء؛ أن يسوغوا لأنفسهم ارتكاب الجرائم الأخلاقية وغيرها، وصدّ الناس عن اتباع الرسل أو الاقتداء بهم.

ومن المعلوم أيضًا، كما يؤكد العلماء، أن اجتراح الرسل والأنبياء للمعاصي والسيئات يناقض ما أُثر عنهم من كمال الخلق والهداية؛ فلو جاز لهم لحضنا الله على المعاصي، ولندبنا إلى الذنوب، وهذا محال؛ حيث إن الأنبياء معصومون عن المعاصي ونحوها، وقد ساق العلماء الأدلة التي تؤكد عصمتهم[5]، وتتضح اتهامات اليهود،

---

(١) محمد، عبد الراضي (المرجع نفسه) ص ٤٤.

(٢) سفر نشيد الإنشاد.

(٣) سفر الملوك الأول ١١: ١ -٦.

(٤) محمد علي حسن (الخلاف بين التوراة والقرآن) ص ١٧.

(٥) يُنظر في أدلة عصمة الأنبياء والرد على ما يشعر بارتكابهم المعاصي كل من: الرازي، فخر الدين (عصمة الأنبياء) ص ٤١ - ١٥٨، والطهطاوي، محمد عزت (الميزان في مقارنة الأديان) ص ٤٢ - ٤٦، والدوري، قحطان عبد الرحمن، ورشدي عليان (أصول الدين الإسلامي) ص ٢٢٢ وما بعدها.

وتبطلها بحق الرسل والأنبياء (عليهم السلام) الذين هداهم الله، والناس المؤمنون بهداهم يقتدون، وقد بيّن القرآن الكريم ذلك(*).

المطلب الثالث: التطرف في البعث واليوم الآخر

يستمر مسلسل التطرف الديني عند اليهود ليصل إلى عقيدة الإيمان بالبعث واليوم الآخر، وليس غريبًا أن تنال يد التطرف اليهودي من هذه العقيدة التي تعد من ركائز العقائد في الرسالات السماوية جميعها. وهي تعد واحدة من أهم نقاط دعوة موسى عليه السلام التي جاءت بالتأكيد والتركيز على عقيدة اليوم الآخر والبعث والجنة والنار والخلود فيهما، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم(*).

وعلى الرغم من ذلك؛ فإن الفكر اليهودي لم يتطرق إلى قضية البعث واليوم الآخر، بل إن التوراة لم تذكر نصًا يدل على فكرة البعث والنشور في حياة أخرى، ولا يوجد حديث عن خلود الروح بعد الموت، أو القول بالحساب بعد البعث إذ إن الجزاء بالثواب أو العقاب يكون في هذه الحياة الدنيا[1].

وفي هذا يقول سفر الجامعة: "مصير بني البشر والبهيمة واحد، فكما يموت الإنسان تموت هي، ولها نسمة حياة واحدة، وما للإنسان فضل على البهيمة؛ لأن كليهما باطل، كلاهما يصير إلى مكان واحد، وكلاهما من التراب وإلى التراب يعود، ومن يعلم؛ هل تصعد روح البشر إلى العلاء، وتنزل روح البهيمة إلى الأرض؟ فرأيت أن لا شيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله، وهذا حظه، فمن يرجعه ليرى ما سيكون من بعده؟"[2]

(*) ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ (الأنعام: ٩٠)، فهم خيرة عباد الله، ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (ص: ٤٧)، فكيف تصدر عنهم الذنوب وهم كذلك؟!.

(*) قال تعالى: ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ (طه: ١٤-١٦).

(١) يُنظر: الجندي، أنور (الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة) ج١١ من الموسوعة الإسلامية العربية ص٤٣، والساموك، سعدون (تاريخ الديانتين: اليهودية والمسيحية) ص ٥٧، والعقيلي، محمد أرشيد (اليهود في الجزيرة العربية) ص ٤٥.

(٢) سفر الجامعة ٣ : ١٩ - ٢٢.



يقول الدكتور (هربرت لوي) اليهودي: "اليهودية ليست بحاجة إلى عقيدة إيمان بغض النظر عن العالم الآتي، ومجال اليهودية ليس فيما وراء هذا العالم، أي: عالم الروح، فمجالها الحياة الدنيا دون نظر إلى ما وراء ذلك، وهذا هو الفارق بينهما، وبين المسيحية"[1]، ويتضح من ذلك أن الفكر اليهودي مع الإيمان بالثواب والعقاب في الحياة الدنيا، ولذلك فإن جنتهم هي الأرض، وهي خاصة بهم دون غيرهم.

يقول د. طعيمة: "وتكاد أن تنعدم تمامًا من المصادر الدينية الإسرائيلية أفكار الحديث عن اليوم الآخر وصور الخير والنعيم أو العقاب والنار والعذاب، وما ورد فيما تركه لنا تاريخ العقيدة الدينية الإسرائيلية في هذا الجانب من العقيدة لا يقدم تصورًا ولا يملأ عاطفة معتقدة، ولا يرضي قلبًا يتعلق بالغيب، ففي كتاب أشعيا من الإصحاح الرابع والعشرين عن ذلك اليوم أن الرب يطالب جند العلاء في العلاء، وملوك الأرض على الأرض، ويجمعون جميعًا كأسارى في سجن، ويغلق عليهم في حبس"[2].

ويؤكد باحث آخر "أن التوراة لم تذكر نصوصًا واضحة بخصوص اليوم الآخر، وربما تكون هناك إشارات بسيطة عن يوم الجزاء، وقد يكون في الدنيا وعن الجنة والجحيم - ويقول - ومن المؤكد أن اليهود قاموا بتحريف النصوص الواردة بخصوص اليوم الآخر، وهذا ما تؤكده السامرية. ويذكر من هذه النصوص المحرفة ما ورد في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر التثنية ضمن فقرات ٣٥ - ٣٦ كما يلي: "لي الانتقام والجزاء... الرب يدين شعبه.."، ولهذا فعقيدة اليوم الآخر عند اليهود لم تكن واضحة بينة، بل هي فكرة مضطربة غامضة"[3].

والدارس للكتب اليهودية يجدها وفق ما أوضحناه آنفًا، فهي لم تورد شيئًا عن البعث واليوم الآخر، وإنما ورد بها حديث عن الأرض السفلى والجب التي يهوي إليها العصاة، ولا يعودون؛ فقد جاء في التوراة: "من يهبط عالم الموت لا يصعد إلى بيته أبدًا،

---

(١) الجندي، أنور (المرجع السابق نفسه) ص ٤٤.

(٢) طعيمة، د. صابر (التاريخ اليهودي العام) ٢ / ١٠٢.

(٣) مبيض، يسر محمد (اليوم الآخر في الأديان السماوية) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد ١٩٩٠ - ص ٤٩ - ٥٥، وقارن: الشواني، كريم نجم (مفهوم الروح في الديانات السماوية)، رسالة دكتوراه ١٩٩٨م، ص ٧٨ - ٧٩.

لا يعود ومكانه لا يتعرف إليه"[1] وفي نص آخر: "جعلتني في الجب الأسفل هناك في الظلمات والظلال، عليّ استقرت حدة غضبك، ولجميع المهالك أخضعتني، أبعدت عني معارفي، وجعلتني منبوذًا منهم، أنا سجين لا أخرج"[2]، ويقول Arthur Hertzberg: "إن الكتاب المقدس نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها هي عالم الإنسان، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث وجنة أو نار"[3].

فاليهودية لا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب، ولا تشير إلى حياة أخرى بعد الموت، ولم يرد في دينهم شيء عن الخلود، وهم "يرون الجزاء حسب الأعمال، لا حسب الاعتقاد"[4]، وفي دائرة المعارف اليهودية يقرر كوهلر: "أن اليهودية ليست عقيدة أو نظامًا من العقائد يتوقف على قبولها الفداء أو الخلاص في المستقبل، ولكنها نظام للسلوك البشري وناموس البر الذي يتحتم على الإنسان اتباعه"[5].

ولما كانت اليهودية دين أعمال لا دين إيمان واعتقاد، فمن المسلّم به تبعًا لذلك ألا تتكلم عن الآخرة والبعث والحساب، فتلك الأمور تتوقف على العقيدة، "ولم تدر فكرة البعث في خلد اليهود إلا بعد أن فقدوا الرجاء في أن يكون لهم سلطان على هذه الأرض، ولعلهم أخذوا هذه الفكرة عن الفرس، أو لعلهم أخذوا شيئًا منها عن المصريين، ومن هذه الخاتمة الروحية ولدت المسيحية"[6].

ويذكر شلبي أن اليهود اقتبسوا، ولأول مرة، الاعتقاد بالحياة الأخرى بعد الموت من الديانة الزرادشتية، فيقول: "ومر الزمن، واحتل الفرس بلاد بابل ودولتي اليهود، ووقع الأسر البابلي، ثم سمح قورس - ملك الفرس - لليهود بالعودة إلى فلسطين، وإعادة بناء معبدهم، وكانت هذه العلاقة الطيبة بين الفرس وبين اليهود داعية لأن يدرس اليهود الديانة الزرادشتية؛ ديانة الفرس، ومن تعاليم هذه الديانة اقتبس اليهود

(١) سفر أيوب ٧: ٩ - ١٠.
(٢) سفر المزامير ٨٨: ٧ - ٩.
(٣) شبلي، أحمد (مقارنة الأديان - اليهودية) ص ٢٠٦.
(٤) الجندي، أنور (المرجع نفسه) ص ٤٤، وشبلي، أحمد (المرجع نفسه) ص ٢٠٥.
(٥) شلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص٢٠٥.
(٦) ول ديورانت (قصة الحضارة)، ترجمة زكي نجيب محمود، ٢ / ٣٤٥.



الاعتقاد في حياة أخرى بعد الموت، ولأول مرة عرفوا أيضًا أن هناك جنة ونارًا، فنقلوا ذلك الاعتقاد إلى دينهم.

وفي هذا الجو بدأ أشعيا كلامه الذي يشير إلى يوم البعث، وإلى الحساب، وإلى الجزاء، كما أخذ دانيال يحذر الناس، ويذكرهم بيوم البعث، ومن قوله في ذلك: "كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار إلى الازدراء الأبدي"(1).

واليهود عندما تكلموا عن الآخرة، لم يكونوا في أكثر الأحوال يعنون ما تعنيه الأديان الأخرى من وجود دار للحساب على ما قدم الإنسان في حياته الأولى؛ إنما كانوا يعنون بها شيئًا آخر، فالشعب اليهودي عند الباحثين اليهود قسمان: قسم عاش حياته الدنيا سعيدًا حرًا، وهؤلاء يعدهم الفكر اليهودي قد حصلوا على الجانب المادي من رضا إلههم، أما القسم الآخر وهم الذين فقدوا هذا الجانب، وعاشوا تحت سلطان الجوييم، أو عاشوا في المنفى مشردين، فهؤلاء يرى الفكر اليهودي أن من حقهم أن يعودوا للحياة مرة أخرى؛ لينالوا نصيبهم من المتعة أو النعيم"(2)

وعلى أية حال فإن عقيدة البعث واليوم الآخر لم تجد لها صدى في عالم اليهود، وقد حاول بعض اليهود القول بها، ولا سيما الفريسيين منهم، إلا أنهم لقوا معارضة شديدة، وقد قال بعضهم في هذا الجانب بوجود سبع دور متناوبة الدرجات، ورأى بعضهم أن للعقاب دارين، دارًا عليا وأخرى سفلى، واحدة لعقاب الجسد في هذه الحياة، وأخرى لعقاب النفس في الآخرة، ولهذه سبع دركات متفاوتة حسب تفاوت الذنوب، ومنهم من قال: إن الناس يقسمون بعد الموت ثلاث فرق: فرقة صالحة، حسناتها تربو على سيئاتها؛ تتمتع بالسعادة الأبدية حالاً، وفرقة طالحة، تزيد سيئاتها على حسناتها؛ تعذب عذابًا أبديًا، وفرقة ثالثة تعذب في جهنم مدة حتى تطهر من ذنوبها، فتصعد إلى السماء(3).

(1) سفر دانيال ٢:١٢.
(2) شلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص٢٠٦.
(3) سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص١٩٤.

أما باقي فرق اليهودية، فلم تؤمن بهذه العقيدة؛ فليس من بين فرقهم الشهيرة من يؤمن باليوم الآخر على الوجه الذي يقرره الإسلام، ويؤكد "وافى" بقوله: "ففرقة الصدوقيين(*) تنكر قيام الأموات، وتعتقد أن عقاب العصاة وإثابة المتقين إنما يحصلان في حياتهم، وفرقة الفريسيين تعتقد أن الصالحين من الأموات سينشرون في هذه الأرض؛ ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي في آخر الزمن؛ لينقذ الناس من ضلالهم، ويدخلهم جميعًا في ديانة موسى ﷺ، أي: أن بعث هؤلاء سيحصل في الحياة الدنيا، فمهما يكن من خلاف بين الفرقتين، فإنهما تتفقان في إنكار اليوم الآخر على النحو الذي يقرره الإسلام"[1].

ويخلص بعض الباحثين إلى أن التفكير في الغيبيات قد ظهر عند اليهود بعد أن تعرضوا للأسر البابلي، ثم للتشتيت في الأرض على أيدي الرومان،وقد اتخذ هذا التفكير اتجاهين محددين هما[2]:

- نهاية العالم
- والخلاص على يد المسيح المنتظر.

(*) الصدوقيون: Sadducees وبالعبرية (صدوقيم) نسبة إلى صادق - كبير الكهنة في عهد سليمان - وهم طبقة الكهنة المرتبطين بالهيكل وعباداته، ويجمع الصدوقيون على جملة أمور منها:

- إنكارهم التام للبعث بقيامة الأموات من القبور.
- وقد دفعهم إنكار البعث والقيامة أفرادًا منهم إلى الاستغراق التام في حياة الترف واللهو؛ بل والسقوط في الإباحية الأخلاقية.
- لا تؤمن بالحياة الأبدية للبشر بأفرادهم وأشخاصهم، كما كانوا في الدنيا.
- وترفض بالتالي الثواب والعقاب في الآخرة.
- تنكر وجود الملائكة والشياطين.
- تنكر القضاء والقدر، ومالوا إلى القول بحرية الإنسان المطلقة في خلق أفعاله ومسؤوليته الكاملة عنها.
- الإله في نظرهم إله قومي National God، إنه رب إسرائيل حصرًا.
- يؤمنون بقدسية العهد القديم، ويرفضون الإيمان أو العمل بالتلمود. وكانوا يدافعون عن الطقوس الخاصة بالهيكل.

وقد اختفت هذه الفرقة بتحطيم الهيكل نظرًا لارتباطها العضوي به. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات..) ص٢٤٠، وظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص٢١٤، وفتاح، د. عرفان عبد الحميد (اليهودية عرض تاريخي) ص١٠٢.

(١) وافى، علي عبد الواحد (اليهودية واليهود) ص٤٦.

(٢) يُنظر: ظاظا، حسن (الفكر الديني واليهودي) ص٩٥.



ويتلخص هذان الاتجاهان بوضوح في أسفار الأنبياء المتأخرين في العهد القديم؛ حيث تبين أن الرب سيكون له مع الدنيا يوم عظيم يذكره النبي عاموس في القرن الثامن الميلادي للمرة الأولى بقوله: "ويل للمتمنّين يوم الرب. لم ذاك؟ إن يوم الرب لكم ظلمة لا نور، كما إذا هرب إنسان من وجه الأسد فلقيه الدب، أو دخل البيت وأسند يده إلى الحائط فلسعته حية، أليس يوم الرب ظلمة لا نورًا؟ بل هو ديجور لا ضياء له"(1)، والملاحظ أن عاموس لم يخترع عبارة "يوم الرب"، ولا الفكرة الكامنة فيها، بل وجدها عقيدة شائعة بين قومه، وفي عصره، ولم يزد على أن نقلها منسوبة إلى أصحابها.

وينقل د. ظاظا عن الأستاذ الفرنسي "جينيبير" "أن اليهود كانوا قد خلطوا بكثير من الحيلة والدهاء قضيتهم بقضية الله، فهم ينتظرون يوم الرب؛ ليحمل لهم انتصار شعب الله المختار على الأمم الأخرى التي ستكون قد دانت لهم بالخضوع، أما عاموس نفسه فواضح أنه يرى أن يوم الرب سوف يمتاز بانتصار العدالة الإلهية التي سيرتعد منها الشعب الإسرائيلي نفسه رعبًا؛ بسبب ما اقترفه من جرائم وآثام"(2).

ويبدو التطرف اليهودي حول مفهوم اليوم الآخر والبعث والجزاء في اعتقادهم أنه يومٌ ينتصرون فيه على الأمم الأخرى، وهو يوم العدالة التي تدين لهم فيه الأمم بالخضوع.

إلا أن المفهوم يختلف عند الأنبياء الذين جاءوا بعد عاموس، فالنبي (أشعيا) يقول: "ولولوا، فإن يوم الرب قريب قادم من لدن القدير قدوم اجتياح، لذلك تسترخي كل يد، ويذوب كل قلب لإنسان، فيفزعون ويأخذهم الطلق والمخاض، ويتضورون كالتي تلد، ويحملق بعضهم إلى بعض، ووجوههم مثل اللهب. هو ذا يوم الرب قد حضر، يوم قاسٍ، فيه سخط وغضب مضطرم؛ ليجعل الأرض خرابًا، ويُبيد الخاطئين منها"(3).

---

(1) سفر عاموس ٥: ١٨-٢٠.

(2) ظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص٩٦.

(3) سفر أشعيا ١٣ : ٦-٩. ويبدو أن هذا النص المشار إليه في المتن قريب من قوله تعالى في القرآن الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج:١-٢).

فمن المؤكد أن الديانة اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار، كما ينبئ بذلك القرآن الكريم، "ولكن أسفار العهد القديم التي بين أيدينا الآن تكاد تخلو من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه"[1].

ومن هنا فإن الباحث والمفكر الفرنسي (جينيبير) يؤكد[2] أن يوم الرب بالمعنى الذي قصده الأنبياء، معنى التهديد والوعيد والانتقام من العصاة، وفي مقدمتهم الشعب الإسرائيلي نفسه، هذا اليوم كان موضع تهكم وسخرية من الكثيرين، وكانوا يرون أنه بعيد جدًا، وأطلقوا عليه لتأكيد هذا البعد الاسم العبري "أحريت هياميم" الذي معناها آخرة الأيام أو الآخرة أو اليوم الآخر، وهو يوم لم تذكر التوراة عنه شيئًا في النص الموجود بين أيدينا وكأن اليهود - كما يقول جينيبير - بإطلاقهم اسم آخرة الأيام، أو نحو ذلك لم يكونوا على أدنى شبه بما استعمله المسيحيون أو المسلمون الذين يؤمنون بالآخرة، وبأنها قريبة جدًا.

فاليهود - كما يبين جينيبير - يسخرون من بعدها مما اضطر نبيهم (حزقيال) إلى مهاجمتهم في قوله: "وكان إليّ كلام الرب قائلاً: يا ابن آدم، ما هذا المثل السائر بينكم على أرض إسرائيل؛ إذ تقولون: ستطول الأيام وتخيب كل رؤيا، لذلك قل لهم: هكذا قال السيد الرب: إني مبطل هذا المثل، فلا يعودون يتمثلون به في إسرائيل، بل قل لهم قد اقتربت الأيام...."[3].

ونعود لنؤكد أن اليهود يسخرون من هذا اليوم ويعدونه بعيدًا جدًا، وينكرونه على النحو الذي يقرره الإسلام[4]، وبذلك يتضح مدى التطرف اليهودي في العبث والمعتقدات الراسخة في جميع الرسالات السماوية؛ مما يؤكد تلاعبهم في صميم كتبهم المقدسة، وأنها حتمًا من صنع أيديهم وأفكار حاخاماتهم، حسب أهوائهم المستعلية المتكبرة، التي ترى أن الجنة تكون في الأرض لهم وحدهم، وأن النار لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين. تلك أمانيّهم؟!.

---

(١) وافى، علي عبد الواحد (اليهودية واليهود) ص٤٦.

(٢) يُنظر: ظاظا، حسن (المرجع نفسه) ص٩٧.

(٣) سفر حزقيال ١٢ : ٢١ وما بعدها.

(٤) يُنظر: وافى، علي عبد الواحد (المرجع نفسه) ص٤٦، وظاظا، حسن (المرجع نفسه) ص٩٧.



المبحث الثالث

مظاهر التطرف والعنف السياسي في التوراة والعهد القديم

المطلب الأول: العنصرية في التوراة والعهد القديم

يرى اليهود أن دينهم دين خاص بهم وحدهم، فهو إذن ليس دينًا عامًا، وعلى ذلك فهم لا يريدون أن ينشروه بين الناس، بل لا يريدون أن يدخله أحد غيرهم، يقول الراجحي: "ولقد دأب الإسرائيليون طوال تاريخهم على تأكيد هذه الحقيقة والاحتفاظ بها لكي يظل الدين "مغلقًا" عليهم وحدهم، ولا بد أن يحتفظوا "بنقاء" الدم الإسرائيلي، وعلى ذلك نفهم تجمع اليهود في "أحياء" خاصة بهم في كل بلد يذهبون إليه، ولديهم القدرة الهائلة والصبر العجيب في محاولتهم بناء مجتمع "مغلق" داخل المجتمعات الكبيرة التي كانوا يعيشون فيها"[1].

يقول ديورانت: "كان اليهود في العادة يعيشون في عزلة اختيارية عن غيرهم، لتيسر لهم هذه العزلة حياتهم الاجتماعية، وسلامتهم الجسمية، ووحدتهم الدينية، وكان

(١) الراجحي، عبده (الشخصية الإسرائيلية) ص٤٢-٤٣.



كنيسهم مركز الحي اليهودي الجغرافي والاجتماعي والاقتصادي، يجتذب إليه معظم مساكن اليهود"[1].

وفي سبيل المحافظة على هذا المجتمع المغلق سعى اليهود للمحافظة على نقاء عرقهم "فقانون الزواج الإسرائيلي - كما يقول روجيه ديلورم - يحرم الزواج بين اليهود وغير اليهود، ولا يعترف بأي زواج مختلط، ويعتبر الأولاد أولاد زنا، كما أن القانون الإسرائيلي لا يعترف بمن يتخلى عن مذهبه الأصلي ويعتنق اليهودية، ويكون هذا يهوديًا غير حقيقي في نظر الدولة بل هجناء، ولا بد أن يتم الزواج حسب الطقوس الحاخامية"[2]، وقد جاء في سفر التثنية: "لا تصاهروهم فتعطوا بناتكم لبنيهم وتأخذوا بناتهم لبنيكم"[3].

والحقيقة أن هذه الدعوى كما بينا سابقًا يرفضها كل علماء الأجناس والاجتماع والتاريخ، فليس من المقبول علميًا أن يظل شعب ثلاث آلاف سنة محتفظًا بدمائه دون أن تختلط بدماء غيره من الشعوب، لاسيما وأن اليهود لم يكونوا كغيرهم في عدم الاستقرار، يقول ديورانت: "والحق أن وجود جنس نقي في الشرق الأوسط بين الآلاف من تياراته الجنسية التي تتلاطم فيه أمر يتطلب مستوى من الفضيلة لا يعقله عاقل"[4].

ونعود لنبين أن هذا الانغلاق الديني والعنصري يظهر الدعوى الإسرائيلية المعروفة بنقاء الدم الإسرائيلي "وهذه الدعوى - كما يقول الراجحي - تتسق في الواقع مع الفكر الديني الإسرائيلي اتساقًا كاملاً؛ لأنها ترتبط ارتباطًا وثيقًا مع الإيمان بالرب الذي يأمرهم أن يحتفظوا بإسرائيليتهم نقيّة حتى يتهيأ له أن يقيمهم على الأرض الموعودة، وينذرهم بأن اختلاطهم بالشعوب الأخرى والإصهار إليهم، معناه هزيمتهم وطردهم من هذه الأرض ثم إبادتهم."[5]

---

(١) ول ديورانت (قصة الحضارة) ترجمة زكي نجيب محفوظ ٥٧/٣.
(٢) روجيه ديلورم (إني أتهم) ص٢٥٤-٢٥٥.
(٣) سفر التثنية ٧: ٣.
(٤) ول ديورانت (قصة الحضارة) ترجمة زكي نجيب محفوظ ٣٢٨/٢.
(٥) الراجحي، عبده (الشخصية الإسرائيلية) ص٤٥.

ويقول الراجحي في موضع آخر: "وهذا الدين المغلق هو الذي حدّد العقيدة الإسرائيلية نحو فكرة، (الله)، فالله أو (يهوفا) عند الإسرائيليين إله (قبلي) خاص ببني إسرائيل وحدهم، وعلى الآخرين أن يبحثوا عن آلهة أخرى، وهذه الفكرة تتناسق تناسقًا كاملاً مع سياق النظام الإسرائيلي عامة؛ لأن الدين (الخاص) لشعب (خاص) لا بد أن يكون له إله (خاص)"[1]. ومن هنا تكتمل الصورة وتتناسق تمامًا بأهم فكرة في الفكر اليهودي، وهي أن اليهود يؤمنون بأنهم "شعب الله المختار" و"الدين دينهم وحدهم" و "الإله إلههم وحدهم".

إن هذه الصفات العنصرية التي يرى اليهود فيها أن لهم مكانة خاصة دونها جميع الناس، ربما لم تتوفر بصورتها هذه لأي أمة من الأمم خلال التاريخ، وقد وضع اليهود جذور هذه الصفات العنصرية في توراتهم، وعدوها أساس انطلاقهم في جميع شؤون حياتهم.

يقول عبد الله التل: "وضع اليهود في توراتهم جذور العنصرية والتعصب والانعزالية، ورسّخ في أنفسهم أنهم شعب "يهوه" المختار، وأنهم أفضل شعوب الأرض قاطبة، وأن يهوه اختارهم لأنه أحبهم واصطفاهم، وقد بلغ من تعصبهم وصلفهم وغرورهم أنهم عدوا يهوه إلهًا خاصًا بهم، احتكروه لأنفسهم وحرموا بقية الشعوب من الاتصال به، وتتدرج التوراة في غرس حب الانعزال والتعصب من أيام إبراهيم عليه السلام إلى آخر سطر فيها"[2].

ومما سبق نستطيع أن نتتبع مواطن العنصرية في التوراة من خلال الوقوف على النقاط الآتية:

١. الإله إلههم وحدهم..
٢. الدين دينهم وحدهم..
٣. هم وحدهم شعب الله المختار..

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٤٧.
(٢) التل، عبد الله (جذور البلاء) ص٢١-٢٢.



وحول النقطة الأولى في مفهوم اليهود العنصري من أن الله إلههم وحدهم؛ جاء في التوراة ما نصه:"أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر بيت العبودية، لا يكن لك آلهة سواي"[1].

"هذه هي الوصية الأولى التي تحدد إلهًا معينًا لقوم معينين بذاتهم، وفي هذا إنكار لكثير من أسس المنطق، وإلغاء للمفاهيم الإنسانية النبيلة"[2].

وقد أطلق اليهود على إلههم اسم "يهوه" فقد جاء في سفر الخروج: "أنا الذي تجليت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب إلهًا قادرًا على كل شيء، وأما اسمي يهوه فلم أعلنه لهم"[3]، وبذلك جعل اليهود اسم يهوه مميزًا للإله سبحانه لم يخاطب به سواهم، كما أن يهوه قد أعلن أنه خاص ببني إسرائيل واليهود: "وقال الرب لموسى أنا الرب [يهوه] إله آبائكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أرسلتك إليهم"[4].

وذكرنا فيما سبق أن محرري التوراة استطاعوا أن يرسخوا عند اليهود، أن الإله لهم وحدهم، وهم له وحده، فاحتكروا الله وأظهروه بمظهر المتحيز الذي يرسل أشعة شمسه على بعض عباده دون بعض، ويرى بعض عباده أبناء له، وبعضهم أبناء للناس.[5]

وحيث أنه إلههم وحدهم فإنه - حسب زعمهم - يفعل كل شيء لأجلهم، ولا يتخلى عنهم في الكربات بل يدافع عنهم، ويهلك أعداءهم، ومما جاء في التوراة: "يا بني إسرائيل أنتم اليوم تقتربون لمحاربة أعدائكم، لا تضعف قلوبكم، ولا تخافوا، ولا تبتعدوا، ولا تعرضوا عنهم، لأن الرب إلهكم سائر معكم ليحارب أعداءكم عنكم ويخلصكم"[6] وفي موضع آخر" فاعلم اليوم أن الرب إلهك يعبر أمامك كنار آكلة، هو يدمرهم ويخضعهم أمامك، فتطردهم وتبيدهم سريعًا، كما كلمك الرب"[7]

---

(١) سفر الخروج ٢٠: ٢-٣.

(٢) الهندي، هاني ومحسن إبراهيم (إسرائيل فكرة، حركة، دولة) ص٢٠.

(٣) سفر الخروج ٦: ٢-٣.

(٤) (السفر نفسه) ٣: ١٥.

(٥) الزعبي، محمد علي (دفائن النفس اليهودية) ص٤٢.

(٦) سفر التثنية ٢٠: ٣-٤.

(٧) سفر التثنية ٩: ٣.



فالإله في نظر اليهود يكرّس كل قوته وكل سلطانه من أجل شعبه (إسرائيل)، وهو لذلك يحارب عنهم، ويبيد أعداءهم، ويسخر قوى الكون من أجل نصرتهم، كما جاء في سفر يشوع: "كلّم يشوع الرب يوم سلّم الرب الأموريين إلى بني إسرائيل فقال على مشهد بني إسرائيل: يا شمس قفي على جبعون، وعلى وادي أيلون، اثبت يا قمر، فتوقفت الشمس، وثبت القمر إلى أن انتقم الشعب من أعدائهم، وذلك مكتوب في كتاب ياشر، فتوقفت الشمس في أعلى السماء ولم تغب مدة يوم كامل، قبل ذلك اليوم ولا بعده؛ إلى أن سمع الرب لصوت إنسان وقاتل عن بني إسرائيل"[1].

والمتصفح لأسفار العهد القديم يجد كثيرًا من ذكر هذا الإله القومي القبلي الخاص باليهود في أغلب المواطن، وهو يتغنى بالوقوف إلى جانب بني إسرائيل في مواطن الحروب وغيرها.

أما <u>النقطة الثانية</u> التي تفوح منها رائحة العنصرية هي أن الدين لهم وحدهم وحكرًا عليهم، حيث إن قوانين هذا الدين وتعاليمه خاصة بهم، فما يؤمرون به أو ينهون عنه لا يجري منهم على غيرهم، فهي تعاليم خاصة بهم يطبقونها فيما بينهم ولا يطبقونها على غيرهم، وقد جاءت نصوص التوراة المتعددة التي تبين أن فعل الخير يكون مع القريب فقط، أما غير القريب أي غير اليهود فيجوز لليهودي أن يمارس معه كل أنواع المحرمات، ومما جاء في ذلك: "لا تشهد على غيرك[*] شهادة زور، لا تشته بيت غيرك، لا تشته امرأة غيرك ولا عبده ولا جاريته ولا ثوره ولا حماره، ولا شيئًا مما له"[2]

وفي هذه الوصية دعوة صريحة لوضع المقياس الأخلاقي واحترامه بين اليهود وحدهم، وقد ترك التصرف مع غيرهم دون تقييد أو تحديد بوازع أو هدف واضح،

(١) سفر يشوع ١٠: ١٢-١٤.

(*) غيرك: أي قريبك فقد جاء في ترجمات أخرى "لا تشهد على قريبك شهادة زور.." فالقريب كما تفسره التعاليم والكتب اليهودية هو اليهودي فقط. ينظر: الهندي، هاني، ومحسن إبراهيم (المرجع نفسه) ص٢٠، وقارن د. روفلنج، وشارل لوران (الكنز المرصود في قواعد التلمود) ترجمة د. يوسف نصر الله، ص٧٣.

(٢) سفر الخروج ٢٠: ١٦-١٧.



ويؤكد هذا التصرف وهذه العنصرية تلك الوصايا التي وردت في التوراة بالإضافة إلى نصوص أخرى مثل: "لا تقرضوا إخوانكم من بني قومكم بربا يدفعونه إليكم فضة أو طعامًا أو أي شيء آخر مما يقرض بالربا؛ بل أقرضوا الغريب بالربا.."[1]

وهنا يشير القرآن الكريم إلى عنصرية اليهود تجاه الآخرين، فاليهود لا يرون فيما يرتكبون تجاه الآخرين حرمة أو حرجًا، أو سبيلا(*).

فاليهود إنما يعاملون غيرهم بهذا الأسلوب، إنما لأنهم يعدون أنفسهم أبناء الله وأحباءه وهم شعبه المميز والمختار، ولكنهم كذبوا لأنهم لو كانوا كذلك لما عذّبهم الله. ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ.. ﴾ (المائدة: ١٨).

هكذا يفسر اليهود تعاليم الدين، ويحصرونها فيما بينهم ويتجاهلون غيرهم، وهكذا ينظرون إلى الإله فهو - حسب زعمهم - خاص بهم، ومن هنا نشأت لديهم فكرة الشعب المختار، يقول جورجي كنعان: "وحين أفرد يهوه إلهًا خاصًا بجماعة بني إسرائيل أفرد الجماعة بالمقابل شعبًا خاصًا بيهوه، ومن هنا ظلّ يهوه يخاطبهم بلسان موسى بمثل قوله: "اتخذكم لي شعبًا وأكون لكم إلها"[2]، "فإنكم تكونون شعبي الخاص بين جميع الشعوب"[3]... إلخ من نصوص، ويتابع جورجي كنعان بقوله: "ومن الطبيعي أن تكون الجماعة الخاصة بالإله (شعبًا) مختارًا من بين الشعوب سائرها"[4].

ومن هذا المنطلق يأتي حديثنا عن النقطة الأخيرة التي أشرنا إليها على أنها إحدى مرتكزات العنصرية في التوراة وهي: (شعب الله المختار):

يسخر اليهود من شعوب الأرض قاطبة عندما يزعمون أن الله اختارهم من دون سائر الشعوب، وأوكل إليهم تربية الأمم على تعاليمهم وأخلاقهم، وهذا الزعم بالاختيار والتفوق والتميز هو أكثر ما تنم عنه العنصرية اليهودية التوراتية، فهذا

(١) سفر التثنية ٢٣: ٢٠-٢١.
(*) قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٥).
(٢) سفر الخروج ٦: ٧.
(٣) (السفر نفسه) ١٩: ٥.
(٤) كنعان، جورجي (تاريخ يهوه) ص١٦٧-١٦٨.



الزعم راسخ في نفوسهم بفعل نصوص العهد القديم، التي يتشربها الطفل اليهودي مع نشأته الأولى.

وتزخر كتبهم المقدسة بالنصوص التي تضفي على عنصرهم طابع القداسة والاختيار والتميز، ومن ذلك بالإضافة إلى ما ذكرناه قبل قليل: "وكونوا لي قدّيسين لأني أنا الرب قدّوس اتخذتكم بدل سواكم من الشعوب لتكونوا لي"[1]، وأيضًا: "وأسير فيما بينكم، وأكون لكم إلهًا، وأنتم تكونون لي شعبًا"[2] وأيضًا: "فأنتم شعب مقدس للرب إلهكم الذي اختاركم له من بين جميع الشعوب التي على وجه الأرض"[3] وأيضًا: "والرب اختاركم في هذا اليوم لتكونوا من نصيبه.. ليجعلكم فوق جميع الأمم التي خلقها.. ولتكونوا شعبًا مكرسًا له"[4]، وأيضًا من هذه النصوص المشحونة بالعنصرية: "وتخدمك الشعوب وتسجد لك الأمم"[5].

هذه النصوص وغيرها مما تحفل به التوراة زرعت في نفوسهم أفكار التميز والتفوق والاختيار، وجعلتهم ينظرون إلى غيرهم نظرة الطاهر إلى النجس، والسيد إلى العبد، ومن ذلك قول الرب مخاطبًا ابنته المدللة حين تحتضن اليهود - ويقصد أورشليم: "على وجوههم يسجدون لك، ويلحسون غبار قدميك"[6] وفي نص آخر: "الغرباء يبنون أسوارك وملوكهم يكونون في خدمتك... فالأمة التي لا تخدمك تبيد ومملكتها تخرب خرابًا"[7] وأيضًا: "الأجانب يرعون غنمكم، ويكونون فلاحيكم وكرّاميكم، تدعون كهنة الرب، وتسمون خَدَمَة إلهنا، تأكلون خيرات الأمم وباغتصاب أمجادهم تفتخرون"[8].

(١) سفر اللاويين ٢٠: ٢٦.
(٢) (السفر نفسه) ٢٦: ١٢.
(٣) سفر التثنية ٧: ٦.
(٤) (السفر نفسه) ٢٦: ١٨-١٩.
(٥) سفر التكوين ٢٧: ٢٩.
(٦) سفر أشعيا ٤٩: ٢٣.
(٧) (السفر نفسه) ٦٠: ١٠-١١.
(٨) (السفر نفسه) ٦١: ٥-٦.



فالتوراة هي نقطة انطلاق العنصرية، فهي تترك في نفوس اليهود آثارًا لا تمحى وتتمّى في صدورهم صفة الاستعلاء والتكبر، وتمنحهم شعورًا بالتفوق وإحساسًا بالتعاظم، وذلك حين ترسخ في داخلهم أنهم شعب الله المختار بما له من مواهب متفوقة وأخلاق سامية.[1]

وهم إذ يعدون أنفسهم شعب الله المختار ينظرون إلى بقية الشعوب نظرة احتقار وازدراء لذلك فهم يقسمون الناس إلى قسمين: يهود، وجوييم (أي أمم)، يقول الميداني: "والأمم غير اليهودية عندهم بهائم وأنجاس وكفرة، وهم يعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية على سبيل الاستحقاق الذاتي لها والتكريم لهم، أما الجوييم (سائر الأمم غير اليهود) فقد خلقوا من طينة أخرى حيوانية، ونفوسهم نجسة شيطانية، وأن الله خلقهم ليخدموا اليهود، ومنحهم الصورة البشرية لا على سبيل الاستحقاق الذاتي ولكن ليأنس بذلك أسيادهم، ويسهل عليهم تسخيرهم، إذ بغير هذا التشابه الصوري لا يسهل التفاهم بين السادة المختارين والعبيد المحتقرين، لذلك فهم بحسب عقيدتهم أصلاء في الإنسانية، وأطهار بحكم عنصرهم المستمد من عنصر الله، وأما غير اليهود فهم حيوانات وأنجاس في أصل عنصرهم، بشر في صورتهم"[2].

ويؤكد الفيلسوف الصهيوني أحاد هعام أن "هذه الأفكار والمفاهيم هي مبادئ أخلاقية فاليهود يشعرون بأنهم متفوقون أخلاقيًا على جميع الأمم، وهذا الشعور يجسّد نفسه في فكرة الشعب المختار، والاختيار غير مبني على حكم القوة لأن إسرائيل هي أصغر الأمم، وإنما هو قائم على اختيار الله لإسرائيل كي يعبر هذا الشعب عن أعلى نموذج أخلاقي"[3]. وقد أكد رواد الصهيونية صفة امتياز اليهود وتفوقهم على الأمم الأخرى بصفات معينة، من الناحية المعنوية والأخلاقية، وأكدوا

---

(١) ينظر: كنعان، جورجي (أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين) ص٤٠ وكتابه (تاريخ اليهود) ص١٦٩.

(٢) ينظر: الميداني، عبد الرحمن (مكايد يهودية) ص١٣، وقارن: بولس حنا سعد (همجية التعاليم الصهيونية) ص١٣٨-١٤١، وروهلنج وشارل لوران (الكنز المرصود في قواعد التلمود) ترجمة يوسف نصر الله ص٦٦، ص٧٢-٧٧.

(٣) كنعان، جورجي (أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين) ص٤٠.

أن الله اختار اليهود ليعطوا النموذج الأعلى للأخلاق، وأن الله اختار اليهود ليطهروا كل العالم من الشوائب والظلمات[1].

وهنا يرد جارودي بقوله: "وفكرة الشعب المختار فكرة صبيانية من الناحية التاريخية، فكل الشعوب قد عبرت في الكتابات الصادرة عنها عن ذلك الإحساس بأنها متميزة عن غيرها، ونترجم ذلك بعبارة "الاختيار" فلماذا نصدق ما يقوله شعب واحد عن نفسه ولا نصدق الآخرين؟ - ويضيف - وفكرة الشعب المختار فكرة إجرامية من الناحية السياسية، لأنها هي التي أضفت دائمًا صفة القداسة على كل ألوان العدوان والتوسع والسيطرة، كما أن فكرة الشعب المختار من الناحية اللاهوتية لا يمكن احتمالها فوجود "مختارين" معناه وجود "مبعدين" غير مرضي عنهم، فكل سياسة تقوم على هذه الأسطورة تؤدي بالضرورة إلى إنكار الغير، وعدم الاعتراف بهم، ومن ينكر غيره فهو جاحد بعيد عن الله الذي يسوّي بين الناس جميعًا"[2].

وقد انبثقت عن فكرة شعب الله المختار فكرة أخرى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بها ألا وهي:

فكرة أرض الميعاد:

فشعب الله المختار - حسب زعمهم - هو الشعب الوحيد الذي يستحق الحياة الأبدية، وهو وحده الذي خصته الإرادة الإلهية بإقليم معيّن من الأرض يكون لهم إلى الأبد، وهو ما يعرف بأرض الميعاد[3] ففي سفر التكوين يقول الرب لإبراهيم: "وأقيم عهدًا أبديًا بيني وبينك وبين نسلك من بعدك جيلاً بعد جيل، فأكون لك إلهًا ولنسلك

(١) الفتلاوي، د. سهيل حسن (الصهيونية حركة عنصرية إرهابية) ص٧-٨.

(٢) جارودي، روجيه (ملف إسرائيل) ص٨٤-٨٥، وقارن كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) ص٤٥ وما بعدها حيث أفرد فصلاً خاصًا بعنوان (أسطورة الشعب المختار)، وبيّن أن هذه الأسطورة وهذه الخرافة هي جزء من مفاهيم أراد كتبة التوراة أن يثبتوها، كما أنهم كانوا ينادون بتفوق الإله العبراني على سائر الآلهة وغيرته عليهم، قارن أيضًا: كنعان، جورجي (وثيقة الصهيونية في العهد القديم) ص٣٠.

(٣) ربيع، حامد عبد الله (العنصرية الصهيونية ومنطق التعامل السياسي في التقاليد الغربية) ص٩٩.

من بعدك، وأعطيك أنت ونسلك من بعدك أرض غربتك، كل أرض كنعان ملكًا مؤبدًا وأكون لهم إلهًا"[1].

إنها عنصرية اليهود التي يجعلون فيها الأرض لهم من خلال الوعود التوراتية لإبراهيم عليه السلام ونسله من بعده من سلالة بني إسرائيل فقط ويتساءل جورجي كنعان: "لماذا اختار الله شعبًا خاصًا من دون سائر الشعوب؟ أليست بقية الشعوب من خلق الله؟ ولماذا اصطفى فلسطين وطنًا لهم؟ ولماذا أراد الرب أن يقتلع أبرام من أرضه ويخلعه من عشيرته؟ ولماذا وعده بأن يزرعه ونسله في أرض أخرى.. أرض معمورة بأصحابها، عامرة بأمجادهم وحضارتهم؟ ولماذا اختار الله بني إسرائيل واصطفاهم من دون سائر خلقه، وانحاز إليهم في مواجهة خليقته كلها؟ ويتساءل المرء بدهشة بالغة: من الذي اختار الآخر؟ أهو الإله الذي اختار شعبه؟ أم هو الشعب الذي اختار إلهه؟"[2].

ويبين جارودي "أن بركة إسرائيل الواردة في سفر التكوين: "ويتبارك بك جميع عشائر الأرض"[3] ترافقها بركة جميع قبائل الأرض، وقبائل الأرض هم أولاد كل الشعوب التي كانت تتقاسم مع إسرائيل فلسطين، - ويتابع - وهكذا فإننا لسنا في حل من التأكيد على أنه في فترة من فترات التاريخ ظهر الرب أمام شخصية تاريخية تسمى إبراهيم، وأنه منحه الصكوك الشرعية لامتلاك أرض كنعان، ومن الناحية القانونية فإننا لا نملك أي صك للهبة موقّع من الله.. فهل من الممكن والحال هذه تفعيل وعد الآباء.. فليس هناك أي سياسة لها حق ادعاء كفالة الوعد وضمانه"[4].

والملاحظ أن الميثاق بين الإله وبين البشر غلبت عليه فكرة المحبة الإلهية، وعزم الإله على إنقاذ البشر من مصير معين، فقد تضمن الوعد إعطاء إبراهيم ونسله من

(1) سفر التكوين ١٧: ٧-٨.

(2) ينظر: كنعان، جورجي في كتابيه (وثيقة الصهيونية في العهد القديم) ص٣٠-٣١، و (تاريخ يهوه) ص١٢٠-١٢١.

(3) سفر التكوين ١٢: ٣.

(4) جارودي، روجيه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) ص٣٩، وقد فند روجيه جارودي قضية الأرض الموعودة وأثبت بطلان أحقيتها لليهود في كتابه هذا، في فصل تحت عنوان (أسطورة الوعد - ارض موعودة أم أرض مغتصبة) وللاستزادة يحسن الرجوع إلى هذا الكتاب لأهميته.

بعده أراضي شاسعة تمتد من نهر الفرات إلى نهر مصر: "في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام عهدًا، قال: لنسلك أهب هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات، وهي أرض القينيِّين والقنزيِّين والقدمونيين، والحثيِّين، والفرزيتين، والرفائيين، والاموريين، والكنعانيين والجرشانيين واليبوسيين"(١).

وتعليقًا على هذا النص يقول جورجي كنعان: "ليتك تجيبني على سؤال: هل تعتقد أن العدالة الإلهية تقتلع جذور شعب من أرضه بالفتك والإبادة لتهب الأرض إلى شعب آخر؟ وهل تسميها عدالة أم ظلمًا؟ أو لا تعتقد أن الوعود التي نسبوها إلى إلههم "يهوه" كانت لتسويغ عملية الاستيلاء على الأرض والاحتفاظ بها، لأنها ميراث وعد مقدس، وللإبقاء على نزعة الحنين ضارية في صدورهم للعودة إليها، إذا ما اقتلع أصحاب الأرض أقدامهم منها؟"(٢).

إن كل ما ورد في توراتهم من وعود بمنحهم فلسطين باعتبارهم الشعب المختار، وما شابه هذه الأساطير إن هي إلا من نسج الخيال، ومن ترتيب كتبة التوراة.(٣)

إن مدوني التوراة استطاعوا أن يسوغوا أحقادهم العنصرية على مدى السنين، وإلى نهاية الدهور بناء على نصوص ووعود خرافية كاذبة - في مجملها لمجموعة عوامل سياسية ودينية واجتماعية عنصرية، ظهرت انعكاساتها على الشعوب العربية والإسلامية، لا سيما فيما يتعلق بفلسطين وشعبها.

وحيث إنهم (اليهود) يعدون التوراة كتابهم المقدس الأول، ينشّئون صغارهم على التزود بما فيه من أوامر وتعاليم وأحكام، ويجعلون دراستها جزءًا لا يتجزأ من عملية التنشئة هذه، فقد طبعت حياتهم بطابعها العنصري الخاص، واختلطت تعاليمها ومبادئها ومفاهيمها بجوانب حياتهم المختلفة حتى أصبحت المرآة التي ينعكس عليها الخلق العنصري اليهودي، وذلك بما صاغته أيديهم عن أنفسهم.

(١) سفر التكوين ١٥: ١٨-٢٠.

(٢) كنعان، جورجي (تاريخ اليهود) ص١٢٤.

(٣) كنعان، جورجي (وثيقة الصهيونية) ص٣٢ نقلاً عن أحمد سوسة.



المطلب الثاني: الغدر والقتل في التوراة والعهد القديم

استكمالاً لاستعراض صور التطرف والعنف السياسي في التوراة نقف مذهولين أمام أبرز هذه الصور التي فاضت بها التوراة، فغدّت منها مساحات واسعة في الفكر اليهودي، حتى أصبح الغدر والقتل من أهم ما يمكن أن يوصف به اليهودي على مر التاريخ.

فاليهود لا يرون بأسًا في امتهان كرامة أي إنسان على وجه الأرض من غير اليهود مهما كان، سواء كان الامتهان بالقتل أو غيره، ذلك أن اليهود ينظرون إلى غيرهم نظرة احتقار وازدراء، فمقولة شعب الله المختار التي تحدثنا عنها سابقًا تعكس هذه المفاهيم، وترسخها في نفوس اليهود، فهم بهذه المقولة يشعرون بالتميز والتفوق دائمًا على الآخرين، ويشعرون أيضًا بهذا التميز أنهم سادة العالم، فالناس في نظرهم - كما مر معنا سابقًا - أشبه بالحيوانات والصراصير.

ومن أجل إحكام سيطرتهم على جميع الأمم لا بد من استخدام العنف والقوة، وابتكار كل الوسائل والسبل التي تتيح لهم السيطرة والسيادة، فغدا القتل والإرهاب، والحرق، والتدمير، ونحو ذلك من أبرز صفاتهم، وما على القارئ ليقتنع بذلك إلا أن يتصفح كتابهم الذي يدّعون قداسته.

يذكر الزعبي: "أن لليهود أنظمة من صنع أيديهم، وإن ألصقوها بالوحي - تدفعهم للشر، ويرون فيها عبادة، لذا نراهم في أيام معلومة من كل عيد يرددون "يا إله إسرائيل كما أعنتني على إلحاق الأذى بالحيوانات الناطقة في العام الماضي، أكمل عليّ نعمتك، وألحق بيدي الأذى بتلك الحيوانات في العام الآتي".

ويتابع الزعبي: وليس لليهود ضمير يقرعهم ويلومهم، فإذا ظلم أو قتل، لم تلمه نفسه، لأن رب الجنود قال لهم: "إن أموال العالم لي، وقد سطا عليها الحيوانات الناطقة، ويجب أن تستعيدوها بمطلق الوسائل، إذ أنتم أصحاب مبدأ "الغاية تبرر

الوسيلة" الناس ينتظرون الفرص ليغتنموها، أما أنتم.. فدم الحيوانات وأعراضها وديارها وممتلكاتها غنيمة لكم لأنكم شعبي المختار"[1].

يقول الزعبي في موضع آخر: "واتخذ اليهود ما ألصقوه بالوحي قانونًا حربيًا، وضموا له ما دعوه بالتلمود وحيًا غير مكتوب، وأخذوا ينفذون بالكنعانيين العرب منهاج التقتيل والإبادة"[2].

وقد رسم اليهود بكل دقة منهاج القتل والغدر والحرق والإبادة في كتبهم المقدسة، وراحوا يطبقون هذا المنهاج على (الجوييم) - كما يزعمون - وعدوا ذلك عبادة يتقربون بها إلى ربهم الذي هو رب الجنود - كما يصورونه - فلا سبيل عندهم إلى تحقيق الوعد الرباني لهم بفلسطين، إلا بشن الحروب الشاملة التي تأكل الأخضر واليابس، وتحرق الإنسان والحيوان، واذهب إذا شئت إلى سفر يشوع أو القضاة أو الملوك أو... لترى مدى بشاعة المذابح التي سطروها في توراتهم تمجيدًا لتاريخهم وافتخارًا بتنفيذ تعاليم الرب- كما يزعمون، ومما يدل على ذلك:

مجزرة الغدر:

ولا عجب في ذلك فالغدر من صفاتهم، وها هم كتبة التوراة يتحدثون عن غدر بني يعقوب لسكان البلاد من الفلسطينيين، ففي سفر التكوين يقول هؤلاء الكتبة المفترون: "وخرجت دينة بنت يعقوب من ليئة امرأته لتشاهد بنات تلك الأرض فرآها شكيم بن حمور الحويّ أمير تلك الأرض، فأخذها وضاجعها وأذلها، وتعلق قلبه بها، فأحبها ولاطفها، وقال لأبيه حمور خذ هذه الفتاة زوجة لي، وسمع يعقوب أنه دنس دينة ابنته فسكت حتى جاء بنوه الذين كانوا مع ماشيته في البرية، فخرج حمور أبو شكيم إلى يعقوب ليكلمه، وكانوا - بنو يعقوب - راجعين من البرية فلما سمعوا بما جرى غضبوا واغتاظوا جدًا لأن شكيم ارتكب فعلاً شنيعًا في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب، وهذا عمل لا يعمل..

(١) الزعبي، محمد علي (دفائن النفسية اليهودية) ص١٨-١٩.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٥.



وقال شكيم لأبي دينة وإخوتها ارضوا عليَّ وما تطلبونه مني أعطيه، أكثروا عليَّ المهر والهدايا فأعطيكم قدر ما تطلبون، وأعطوني الفتاة زوجة لي، فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر وكيد لأن شكيم دنَّس دينة أختهم، فقالوا له: لا نقدر أن نفعل هذا فنعطي أختنا لرجل غير مختون؛ لأنه عار عندنا، ولكننا نوافقكم في حال واحدة أن تصيروا مثلنا بأن يختتن كل ذكر منكم، فنعطيكم بناتنا ونأخذ لنا بناتكم، ونقيم معكم ونصير شعبًا واحدًا، وإن لم تسمعوا لنا وتختتنوا نأخذ ابنتنا ونمضي، فحسن كلامهم عند حمور وشكيم ابنه، ولم يتأخر الفتى عن أن يفعل ذلك لشغفه بابنة يعقوب...

فلما دخل حمور وشكيم ابنه باب مدينتهما، قالا لأهلها: هؤلاء القوم مسالمون لنا فليقيموا في هذه الأرض ويتجولوا فيها والأرض واسعة جدًا أمامهم، فنتزوج بناتهم ونزوجهم بناتنا، ولكنهم لا يوافقوننا على أن يقيموا معنا ونصير شعبًا واحدًا إلا إذا اختتن كل ذكر منا مثلما هم مختتنون... فسمع لحمور وشكيم ابنه جميع أهل الرأي في المدينة، واختتن كل ذكر في المدينة.

وفي اليوم الثالث وهم بعد متوجعون، أخذ كل من بني يعقوب.. أخوي دينة سيفيهما ودخلا المدينة آمنين، فقتلا كل ذكر، ومنهم حمور وشكيم ابنه، وأخذا دينة من بيت شكيم وخرجا، ثم دخل بنو يعقوب كلهم على القتلى ونهبوا ما في المدينة... وأخذوا غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقول، وسبوا وغنموا جميع ثروتهم وكل أطفالهم ونسائهم، وسائر ما في البيوت، فقال يعقوب لشمعون ولاوي: كدرتماني وجلبتما عليّ البؤس عند أهل هذه الأرض وعند الكنعانيين.. ونحن قليل عددنا، فإن اجتمعوا عليَّ وهاجموني هلكت أنا وأهل بيتي"[1]

وتعليقًا على هذا النص يقول السقاف: "إن الحكاية لا تدل إلا على الإيغال في كره سكان فلسطين، والتعالي والتغني بالتفوق في المكر والخديعة والغرق الكامل

---

(١) سفر التكوين ٣٤: ١-٣٠.



في بحر أوهام الشجاعة والبطولة، إذ كيف يصدق العقل السليم أن اثنين من أبناء يعقوب قضيا على جميع رجال المدينة"[1].

ويقول أيضًا: "ولا ندري وهؤلاء الأشرار يتلون هذه التوراة، ويلقنون أبناءهم ما فيها من قصص وحكايات غريبة عجيبة، أيستطيعون اليوم وهم قلة أن يستمروا في عدوانهم وطغيانهم وغدرهم ومكرهم، وحولهم مئة وتسعون مليونًا من العرب؟! أليس فيهم من يقول ما قاله يعقوب لأبنائه حين غدروا بقوم شكيم!"[2]

وأقول: إن اليهود سمعوا وصية يعقوب وراحوا ينفذونها بالعمل على عدم جمع شمل العرب والمسلمين أو توحيدهم حتى يظلوا متفرقين ضعفاء، وفي المقابل شجعوا هجرات اليهود إلى أرض كنعان حتى يكثروا عددهم القليل فيصبحوا أقوياء، ومتى قووا وتمكنوا وسيطروا ودانت لهم الشعوب، فإنهم سيذيقونهم ما لا يخطر على بالهم من الهوان والذل والتعذيب.. ولهذا يسعى اليهود جاهدين لاستقرار المنطقة حتى يتمكنوا من الانقضاض عليها.

يقول هتلر: "لو قدر يومًا لليهود أن ينتصروا فسوف يكون إكليل انتصارهم جنازة البشرية"[3]، ولذلك عندما انتصر بنو إسرائيل في دخولهم أرض كنعان زمن يوشع بن نون رأينا ضخامة المجازر والمذابح البشرية التي أعملوها في سكان فلسطين، كما تصور ذلك توراتهم.

وقد سبق أن أفضنا الحديث عن فظاعتهم تلك في الفصل السابق حين تحدثنا عن مجازر سفر يشوع، وبعض ممارستهم الإرهابية الأخرى التي يتغنون بها في توراتهم والتي وقفنا عندها سابقًا، ولذلك سنزيد هنا بعض الصور التي تعكس جرائمهم العنيفة من واقع نصوص توراتهم مما لم نقف عنده سابقًا، لكي تتأكد وتتعمق القناعة عند القارئ بأن اليهود أكثر خلق الله إجرامًا وعداوة، مهما حاولوا تزيين أقنعتهم.

---

(١) السقاف، أحمد (العنصرية الصهيونية في التوراة) ص٢٠.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٢٠ وقارن: وفاء صادق: (أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة) ص٦١.

(٣) الراجحي، عبده (الشخصية الإسرائيلية) ص٩٧.

فمن صور الغدر ما جاء في التوراة من دعوة اليهود قومهم قائلين: "قوموا لمحاربة أهل لايش لأننا رأينا أرضهم صالحة جدًا، فلا تتهاونوا ولا تتكاسلوا عن المسير لتدخلوها وتمتلكوها، فيها تجدون شعبًا مطمئنًا وبلادًا واسعة وها الرب سلّمها إلى أيديكم.. وجاءوا إلى لايش إلى شعب هادئ مطمئن، فضربوهم بحد السيف، وأحرقوا المدينة بالنار، ولم يكن لهم منقذ لأن المدينة بعيدة من صيدون.."(١)

وتعرض التوراة صورًا أخرى من صور المكر والغدر، يكون بطل المسرح فيها نبي الله داود عليه السلام الذي - كما تصوره التوراة - غدر بالشعب الفلسطيني الذي حماه وأكرمه يوم كان شريدًا طريدًا أمام خصمه شاؤول، فبعد مقتل شاؤول تسلم داود الملك، وكشف عن مكره وغدره بأن بطش بالفلسطينيين الذين ظنوا أن داود لا بد أن يرد الجميل، لا سيما وأنهم عرضوا عليه الولاء وفرحوا بتسلمه الملك(٢).

وإليك رواية التوراة لحوادث هذه القصة: "وقال داود في قلبه سأهلك يومًا بيد شاؤول فخير لي أن أهرب إلى أرض الفلسطينيّن، فييأس مني ولا يعود يبحث عني في أرض إسرائيل، وأنجو بنفسي من يده، وعبر داود هو والست مئة رجل الذين معه إلى أخيش من معوك ملك جت، وأقام داود عند أخيش بجت هو ورجاله كل واحد مع أهل بيته.. وقيل لشاؤول: إن داود هرب إلى جت فتوقف عن مطاردته وقال داود لأخيش: إن كنت أنعم برضاك فأعطني مكانًا في إحدى قرى البرية لأسكن فيه... فأعطاه أخيش صقلع(*) التي صارت للملوك يهوذا إلى هذا اليوم، وسكن داود في بلاد الفلسطينيين...

وكان داود يخرج هو ورجاله ويغزون البلاد، فلا يبقي على رجل ولا امرأة ويأخذ الغنم والبقر والحمير والجمال والثياب، ويرجع إلى أخيش فيسأله أخيش: أين غزوتم اليوم فيجيبه داود: في جنوبي يهوذا... ولم يكن داود يأتي بأناس أحياء إلى جت لئلا يخبروا ويقولوا: فعل داود كذا وكذا، وكانت هذه عادته مدة إقامته في أراضي

(١) سفر القضاة ١٨: ٩-٢٨.

(٢) ينظر: وفا صادق (أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة) ص٦٣.

(*) صقلع: بلدة تبعد ٥٠ كيلو مترًا جنوب غرب أورشليم، ينظر هامش الإصحاح ٢٧ من سفر صموئيل الأول.

الفلسطينيين، وكان أخيش يصدق داود، ويقول في نفسه: جعل نفسه مكروها لدى شعبه إسرائيل، فسيكون عبدًا لي إلى الأبد"(١).

ويتابع نفس السفر: "وفي تلك الأيام جمع الفلسطينيون جيوشهم ليحاربوا إسرائيل، فقال أخيش لداود: لا بد أنك ستنتقم إلى جيشي أنت ورجالك، فأجابه داود، وأنت ستعلم ما يفعل عبدك"(٢) وفي التوراة أن داود سأل الرب: "هل أصعد لمحاربتهم (أي محاربة الفلسطينيين) وهل تسلمهم إلى يدي؟ فقال له الرب اصعد فأسلمهم إلى يديك، فزحف داود إلى بعل فراصيم وهزمهم هناك... وعاد الفلسطينيّون وانتشروا في وادي الرفائيم، فسأل داود الرب فأجابه: لا تصعد إليهم مواجهة بل التف عليهم من الخلف من جهة أشجار البلسم، فإذا سمعت صوت خطوات رؤوس أشجار البلسم فتقدم لأني أكون خرجت أمامك للانتصار عليهم. ففعل داود كما أمره الرب وهزم الفلسطينيين من جبع إلى مدخل جازر"(*)(٣).

يعلق وفا صادق على هذه الحادثة التوراتية قائلاً: "هذه هي طريقة رد الجميل وشكر صاحب المعروف في شريعة التوراة... فالغدر والقتل هي الطريقة المثلى في معاملة من كان سببًا في النصر، ولم يسلم داود من اتهامهم له فهذا وهو على فراش الموت فهو يوصي ابنه سليمان بقتل عدد من القادة والرؤساء غدرًا، ولم يخالف الابن وصية أبيه فيستهل ملكه بسفك الدماء، فقد قتل غدرًا أخاه أدونيا، ثم قتل القائد يوآب والقائد شمعي"(٤).

فقد جاء في التوراة من وصية داود لسليمان: "وأنت تعلم ما فعل بي يوآب بن صروية، كيف قتل قائدي جيوش إسرائيل... فدبر الأمر بحكمتك، ولا تدع شيبته تنزل إلى القبر بسلام... وعندك شمعي بن جيرا البنياميني... وهو الذي لعنني لعنة فظيعة... لا تعف عنه فأنت رجل حكيم تعرف كيف تنزل شيبته بالدم إلى القبر... ثم

(١) سفر صموئيل الأول ٢٧: ١-١٢.
(٢) السفر نفسه ٢٨: ١-٢.
(*) جازر: بلدة تبعد ٣٠ كيلو مترًا غرب شمال أورشليم، ينظر: هامش الإصحاح الخامس من سفر صموئيل الأول.
(٣) سفر صموئيل الاول ٥: ١٩-٢٥.
(٤) وفا صادق (المرجع نفسه) ص٦٤.



مات داود... وجلس سليمان على عرش داود أبيه... وقال: حيّ هو الرب الذي ثبتني وأجلسني على عرش داود أبي... سيقتل أدونيا في هذا اليوم وأرسل بنايا بن يوياداع فبطش به فمات... وبلغ الخبر يوآب... فهرب إلى خيمة الرب وتمسك بقرون المذبح، فلما علم سليمان أرسل بنايا بن يوياداع للقضاء عليه... فخرج بنايا وبطش به وقتله"[1].

وهكذا تعرض التوراة صورًا عديدة من صور الغدر والقتل، مسندة ذلك إلى الأنبياء وتعاليم الرب، ولهذه النصوص الأثر الفعال في غرس هذه الصفات في النفسية اليهودية.

فلما كان رب اليهود متطرفًا عنيفًا ومدمرًا كما عرفنا من خلال فكرتهم في الإله (يهوه)، فإن سياسة التطرف والعنف التي رسمها لهم ليسيروا على هديها عمودها القسوة والإبادة والحرق للبشر من غير اليهود، فمن وصية ربهم لهم ما صاغه كَتَبة التوراة في أكثر من موضع، فمن ذلك مثلاً: "فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة"[2].

ومن تلك الوصايا التي تدعو إلى قتل الأبرياء والشيوخ والنساء والأطفال، وانتهاك الحرمات، وتمزيق الأعراض، ونشر الفتن والفساد في الأرض، قول يشوع لهم بعد سقوط أريحا - كما يدعون : "واقتلوا بحد السيف إكرامًا للرب جميع من في المدينة من رجال ونساء وأطفال وشيوخ حتى البقر والغنم والحمير"[3].

وتكاد تنحصر شريعة (يهوه) وأحكامه ووصاياه في إبادة الشعوب، وتدمير مظاهر الحضارة فهو يقول لهم: "وإذا اقتربتم من مدينة لتحاربوها فاعرضوا عليها السلم أولاً، فإذا استسلمت وفتحت لكم أبوابها، فجميع سكانها يكونون لكم تحت الجزية ويخدمونكم، وإن لم تسالمكم بل حاربتكم فحاصرتموها، فأسلَمها الرب إلهكم إلى أيديكم فاضربوا كل ذكر فيها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم وجميع ما في المدينة من غنيمة فاغنموها لأنفسكم، وتمتعوا بغنيمة أعدائكم التي أعطاكم الرب إلهكم، هكذا تفعلون بجميع المدن البعيدة منكم جدًا التي لا تخص

(١) سفر الملوك الأول ٢: ٥-٣٤.
(٢) سفر العدد ٣١: ١٧.
(٣) سفر يشوع ٦: ٢١.



هؤلاء الأمم هنا، وأما مدن هؤلاء الأمم التي يعطيها لكم الرب إلهكم ملكًا فلا تبقوا أحدًا منها حيًّا بل تحللون إبادتهم"[1].

هكذا يفعل اليهود حتى بعد انتصارهم، وهنا تحضرنا وصية أبي بكر الصديق ﷺ التي زود بها جيشه الزاحف لفتح بلاد الشام. قال: "لا تخونوا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكلة، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له"[2].

أما شريعة بني إسرائيل فقد أوجبت عليهم بعد انتصارهم على بلد أن يعملوا على قتل الشيوخ والنساء والأطفال والرضع، وإبادة البقر والغنم والحمير وقطع الأشجار[*] وشريعتهم تقضي بهذا لأنهم يعدون جميع الشعوب دونهم أعداء لهم، وقد جعل إلههم الأمم عبيدًا لهم وأباح لهم أموال وأعراض وأراضي الغير يأخذونها بأي أسلوب بالقوة والقهر أو بالغدر والحيلة أو بالخيانة والخداع[3].

وقد تشرب الوجدان اليهودي تعاليم سياسة التطرف والعنف والإرهاب والقسوة والوحشية التي تلقوها من "يهوه" رجل الحرب حتى صارت أبرز صفاتهم، ولذلك لم يسلم حتى أنبياءهم من جرائمهم، فحوادث قتلهم لأنبياء الله كثيرة يقول الميداني: "وثبت عليهم في التاريخ أنهم قتلوا من الأنبياء: حزقيال، وأشعيا، وأرميا، ويحيى، وزكريا، فلقد قتل حزقيال على يد قاض من قضاتهم لأنه نهاه عن المنكرات، أما أشعيا بن آموص فقتله (منسي) أحد ملوك يهوذا إذ أمر بنشره على جذع شجرة في سنة ٧٠٠ ق. م لأنه كان ينصحه ويعظه بترك السيئات والموبقات.

أما أرميا فقتله اليهود رجمًا بالحجارة لأنه أكثر من توبيخهم على منكرات أعمالهم وكبائر معاصيهم لبارئهم، وكان ذلك في أواسط القرن السابع قبل الميلاد، أما يحيى وزكريا فقتلهما هيرودس لأن هيرودس أراد أن يتزوج من ابنة أخيه، فعارض

---

(١) سفر التثنية ٢٠: ١٠-١٧.

(٢) سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص١٦٧.

(*) راجع على وجه الخصوص من التوراة سفر يشوع (سفر المجاز).

(٣) كنعان، جورجي (أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين) ص٧١.



يحيى هذا الزواج وبيَّن تحريم زواج العم من ابنة أخيه في الشريعة، فقتله هيرودس وقدم رأسه هدية في طبق والدم ينزف منه إلى ابنة أخيه وأمها، كما طلبتا ذلك، وكان ذلك سنة (٣٠) ميلادية، أما زكريا فقتله هيرودس لدفاعه عن يحيى عليه السلام"[١].

وهكذا فإن اليهود لا يتورعون عن ارتكاب أفظع المجازر والجرائم الإنسانية، ولا يرون حرجًا أو بأسًا في ذلك، لأنهم يعتقدون أنهم ينفذون وصايا الرب التي سطرتها صفحات توراتهم. وأخيرًا نستطيع أن نجمل وصايا الغدر والقتل في التوراة على النحو الآتي:

١) "لا تعاهدوا سكان الأرض التي أنتم سائرون إليها؛ لئلا يكون ذلك شركًا (فخًا) لكم"[٢].

٢) "وأما مدن هؤلاء الأمم التي يعطيها لكم الرب إلهكم مُلكًا فلا تبقوا أحدًا منها حيًا، بل تحللون إبادتهم"[٣] "ولا تتحننوا عليهم"[٤].

٣) "اضرب بني عماليق وأهلك جميع ما لهم، ولا تعف عنهم، بل اقتل الرجال والنساء والأطفال والرضع والبقر والغنم والجمال والحمير"[٥].

هذه هي التعاليم المقدسة عند اليهود خلافًا لكل الشرائع السماوية والقوانين والأعراف الدولية فقد خطوا لأنفسهم عبر توراتهم ما يبيح لهم القتل وإبادة الآخرين دون شفقة أو رحمة؛ فإنك لا تكاد تمر عن صفحة من صفحات التوراة إلا وتجد فيها ما يحرضهم على الغدر والعنف والإرهاب والقتل والحرق، ونحو ذلك مما خافوا به تعاليم الرسالات السماوية[*] ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠).

(١) الميداني، عبد الرحمن حسن (مكايد يهودية) ص٢٩-٣٠.
(٢) سفر الخروج ٣٤: ١٢.
(٣) سفر التثنية ٢٠: ١٦-١٧.
(٤) سفر التثنية ٧: ٢.
(٥) سفر صموئيل الأول ١٥: ٣.
(*) فقد جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨)، وجاء في الإنجيل من وصايا بطرس إلى المسيحيين: (ابذلوا جهدكم لتضيفوا الفضيلة إلى إيمانكم، والمعرفة إلى فضيلتكم، والعفاف إلى معرفتكم، والصبر إلى عفافكم، والتقوى إلى صبركم، والإخاء إلى تقواكم، والمحبة إلى إخائكم) (رسالة القديس بطرس الثانية (١/ ٥-٧).

المبحث الرابع

مظاهر التطرف والعنف الاجتماعي في التوراة والعهد القديم

المطلب الأول: الجنس في التوراة

ما زالت براكين التوراة متفجرة، وتقذف بحممها المدمرة للحياة بكل نواحيها: الدينية والسياسية والاجتماعية ونحوها، وسنلقي الضوء في هذا المطلب على بركان جديد ما زال يقذف بحممه صوب الأخلاق ليدمرها دون حياء أو خجل.

وللحق فليس هناك كتاب في التاريخ ساهم في تدنيس أطهر البشر، وزيّنَ صورة البغي والفسق والفجور، وأكسب الرذيلة والدعارة قداسة مثل كتاب التوراة.

يتحدث شفيق مقّار عن التوراة قائلاً: "وقد ورّطها مؤلفها ومحررها في مأزق العُري والخطيئة الأصلية، الذي ترددت فيه الكنيسة المسيحية عندما جعلت كتابها الديني تذييلاً لـ "العهد القديم"، ولذا فإن التوراة لم تسر في شأن الجنس كما سارت في شأن غيره على الدروب العاقلة المأمومة غير المتناقضة مع ذاتها"[1] ويصور شفيق مقّار حديث

(١) مقّار، شفيق (الجنس في التوراة وسائر العهد القديم) ص١٦.



التوراة عن الجنس "بأنه من التناقضات الخطيرة العديدة، اضطر المؤلفون والمحررون حياله - حتى لا يبيت صارخًا - إلى تقمص موقف تطهريّ فيما له علاقة بالحنس، لم يناقض فحسب ما أُترع به الكتاب من مضامين وإيحاءات جنسية لا سبيل إلى المماراة في شأنها، بل ومع طبيعة الشعب نفسه وهي طبيعة ظلت - كما يوقفنا العهد القديم ذاته - سريعة الانغماس في ممارسات القصف الجنسي والعربدة الحسية".[1]

وعن الفسق والدعارة في التوراة يقول عبد الله التل: "ونظمت التوراة عاهرات لم يسبق لدين من الأديان[*] أن أباحها أو عالجها بالشكل الذي عولجت به في دين اليهود، وتعد التوراة بحق الكتاب الأول في التاريخ كله الذي قدم للإنسانية الدروس الأولى في الانحلال الخلقي والإباحية"[2].

إن القارئ هنا قد يتهم الباحث بالتجني على التوراة؛ إذ إن الباحث في نظر القارئ لم يقدّم قبل اتهاماته تلك أدلة أو براهين تؤيد وتدعم مواقفه. لكن الباحث أراد أن يهيئ ذهن القارئ وسمعه وحواسّه لهول وفظاعة الجرائم الجنسية التي سوّدت صفحات كتاب اليهود المقدس حتى غدا بهذه الصورة، ولست حين أعرض لهذه الصورة الجنسية أقصد دغدغة حواس، أو إثارة شهوات، ولكن الأمر متعلق بحشد أكبر قدر ممكن من الجرائم التوراتية التي تثبت تطرف اليهود وعنفهم حتى فيما يتعلق بخدش الحياء، بعد تطرفهم الديني وعنفهم السياسي الذي بيّنا قدرًا منه فيما سبق.

ولكي أطمئن القارئ؛ فقد قمت بجولة قصيرة وسريعة في التوراة أعددت خلالها بعض النصوص والشواهد التي تؤكد ما ذهبنا إليه، وسأعرض هذه النصوص في حينها؛ حيث يستوقفنا هنا معنى الزنى في التوراة...

يبيّن الكاتب التركي "ضياء أويغور" معنى الزنى في التوراة بقوله: "للزنى في التوراة معنيان: المعنى الأول - والمعروف لنا جميعًا - هو خيانة المرأة لزوجها، وذلك بإقامة

(١) المرجع السابق نفسه ص١٦.

(*) لعل المؤلف أراد أن يقول: لرسالة من الرسالات؛ لأن تعبير أديان - كما ورد في قوله - يوصي بأنها صحيحة، والحق أن الدين الصحيح عند الله الواحد وهو الإسلام الذي نادى به كل الرسل والأنبياء ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

(٢) التل عبد الله (جذور البلاء) ص٣٨.

علاقات غير مشروعة مع شخص آخر. أما المعنى الثاني فهو ما يطلق عليه "الزنى الديني"، وهو قيام أحد أبناء إسرائيل بترك ديانة (يهوا) ودخوله إلى دين آخر، وتقديم فروض العبادة إلى إلهم؛ لأن يهوا هو بعل إسرائيل وإلهها، وقبول اليهودي لدين آخر معناه الزنى بحق (يهوا)، و(يهوا) لا يجيز لأبناء إسرائيل وبناتها التزوج من أبناء وبنات الأقوام الأخرى أو إقامة صلات القربى بينها وبينهم.

ولأن (يهوا) يقدس الغيرة، فهو عندما يرى حبيبته إسرائيل تعبد إلهًا غيره، وتقدم له القرابين، يعتبر ذلك إهانة له وزنىً بحقه، لذلك - وكما يقول الكاتب التركي - لم يوجد كتاب على وجه البسيطة يحوي كلمات الزنى بالكثرة الموجودة في التوراة؛ مما يظهرنا على هيام اليهود بالزنى، وبأنهم أسرى شهواتهم"[1].

أما حكم الزنى في الشريعة اليهودية فهو محرم؛ فقد جاء في الوصايا العشر: "لا تزن... لا تشته امرأة غيرك"[2]، وفي ترجمات أخرى: لا تشته امرأة قريبك، وجاء في كتاب المسيري: "وتحرم اليهودية الزنى والدعارة والشذوذ الجنسي بين الرجال، أما بين النساء فإن هذا الأمر ليس محرمًا بقدر ما هو مكروه، ولا تحرم اليهودية تعدد الزوجات، وإن كان الحاخامات قد حرّموه، ولا يعد التلمود الزنى بامرأة من الأغيار، متزوجة أو غير متزوجة محرمًا".[3]

وقد بينت التوراة عقوبات الزنى والفواحش: "وكل من زنى بامرأة إسرائيلي آخر يقتل الزاني والزانية، وإن ضاجع أحد زوجة أبيه كشف عورة أبيه، فليقتلا كلاهما ودمهما على رأسيهما، وإن ضاجع أحد كنته فليقتلا كلاهما لفجورهما ودمهما على رأسيهما، وإن ضاجع أحد ذكرًا مضاجعة النساء فكلاهما فعلا أمرًا معيبًا فليقتلا ودمهما على رأسيهما، وإن أخذ أحد امرأة وأمها؛ فتلك فاحشة، فيحرق هو وهي بالنار، ولا تكن فاحشة كهذه فيما بينكم، وإن ضاجع أحد بهيمة فيقتل هو والبهيمة قتلاً، وإن اقتربت امرأة إلى بهيمة لتضاجعها تقتل المرأة

(١) ضياء أويغور (جذور الصهيونية) ص ٣٧ -٣٨.
(٢) سفر الخروج ٢٠ : ١٤، ١٧.
(٣) المسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص ١٦٥.



والبهيمة قتلاً ودمهما على رأسيهما...."[1] ولطول النص أكتفي بهذا لنستشهد به على حرمة الزنى بين اليهود.

وقد جاءت أحكام الزنى في أسفار متعددة[2] "إلا أن أحبار اليهود - كما يقول البار - ألغوا هذه الأحكام، ولم ينفذوها منذ فترة مبكرة جدًا؛ لأن أحكام التوراة - حسب زعمهم - قاسية جدًا، ولأن الزنى منتشر بصورة رهيبة حتى أن المسيح عليه السلام تحدّاهم أن يرجموا زانية قائلاً لهم: من كان منكم طاهرًا فليرمها بحجر، فنكصوا عن ذلك لعلمهم بزناهم، وبأن عقوبة ستقع عليهم لكذبهم ونفاقهم وقد تابت هذه المرأة توبة نصوحًا"[3].

ويذكر البار أيضًا أنه "في المدينة زنى يهودي بيهودية فجاءوا إلى النبي ﷺ وقالوا في أنفسهم: إن حكم لكم فلا تقبلوا منه، وإن حكم بغير ذلك كان ذلك لكم حجة عند ربكم، فلما حضروا قال لهم النبي: ما هو حكم التوراة؟ فقالوا: التأديب والضرب، وكان عبد الله بن سلام موجودًا فكذبهم، وفتحوا التوراة، وقال للرجل اليهودي: اقرأ، فوضع يده على آية الرجم، وقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ارفع يدك، فإذا تحتها آية الرجم فأُخذا ورجما"[4].

وما دام اليهود لا يطبقون أحكام الزنى منذ فترة مبكرة لكثرة انتشاره فيما بينهم، فإنهم كانوا قبل ذلك لا يرون بأسًا في ارتكاب كل المحرمات بحق الأغيار (الجوييم)، وقد جاءت تعاليم التلمود لتؤكد ذلك ومن هذه التعاليم[5]:

- "أن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عرض الأجنبي؛ لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد؛ لأن المرأة التي لم تكن من إسرائيل كالبهيمة، والعقد لا يوجد في البهائم وما شاكلها".

(١) سفر اللاويين ٢٠ : ١٠ - ١٦ وبقية الفقرات إلى ١٨ تبين بقية العقوبات.
(٢) سفر اللاويين ٢١ : ٩، وسفر التثنية ٢٢ : ١٣ - ٢٩، ٤٢ : ٢ من نفس السفر.
(٣) البار محمد على (المدخل لدراسة التوراة) ص ٣٣٦، ص٣٣٨.
(٤) (المرجع السابق نفسه) ص ٣٣٨.
(٥) التعاليم التي سنوردها اختصرناها من كتاب روهلنج وشارل لوران (الكنز المرصود في قواعد التلمود) ترجمة يوسف نصر الله، ص ٩٥ - ٩٧، قارن البار محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص ٣٣٩، وبولس حنا سعد (همجية التعاليم الصهيونية) ص ١٧٣ - ١٨٢.

- "أن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير المؤمنات أي غير اليهوديات!!".
- "أن الزنى بغير اليهوديات والشذوذ الجنسي بغير اليهود لا عقاب عليه؛ لأن الأجانب من نسل الحيوانات".
- "يصرح لليهودي أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها، ولكنه يلزم أن يفعل ذلك سرًا لعدم الضرر بالديانة".
- "ليس للمرأة اليهودية أن تبدي أدنى شكوى على حسب التلمود إذا زنى زوجها في المسكن المقيم فيه معها".
- "الشذوذ الجنسي بالزوجة جائز؛ لأن الزوجة مثل قطعة اللحم اشتراها من الجزار ويمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية على حسب رغبته، فالشرع اليهودي قدم الزوجة قوتًا لزوجها".

هذه هي التعاليم التلمودية التي تؤكد وتوضح شرعة التوراة في هذه المسألة، ولا شك أن التوراة أترعت بقصص الزنى حتى وصل الأمر بالأحبار إلى اتهام الأنبياء بارتكاب الفواحش حتى يسهل لهم ارتكابها، لذلك - كما قلنا آنفًا - فقد عزفوا عن تطبيق الأحكام المتعلقة بهذه الفواحش لكثرة انتشارها فيما بينهم، ولكي يسهل عليهم أيضًا ممارستها بلا حدود أو موانع، وإن الناظر لسفر نشيد الإنشاد لا يمكن إلا أن يعده من الروايات الجنسية.

وفي هذا يقول سيد القمنى: "وفي الكتاب المقدس سفر كامل لا يمكن تفسيره إلا في ضوء العبادات الجنسية وطقوس الزنى الجماعي... وكان الملك عادة يقوم داخل الهيكل مع الكاهنة الكبرى بإعطاء إشارة البدء في ممارسة الطقس للجماهير المحتشدة في الخارج، وذلك بقيامه بمجامعة الكاهنة، فتبدأ المعمعة.. حول المعبد دون تمييز، وعادة ما كان يصاحب تلك الممارسة لون من الأناشيد الطقسية تسبق الممارسة، وهي أشكال شعرية جنسية تتم تلاوتها لتحفيز المقدرات الجنسية على العمل، وذلك السفر المقصود بالعهد القديم هو المعروف بسفر نشيد الإنشاد.. الذي

يقدم النشيد الطقسي بلا احتشام ودون أي تحرّج"[1]. ومما جاء في هذا السفر ما يأتي: "في الليالي على فراشي أطلب من يحبه قلبي"[2]، "ما أجمل حبك يا عروستي، أطيب من الخمر حبك، ومن كل الطيور عبيرك، شفتاك تقطران شهدًا""[3].

وليس هذا السفر هو الوحيد من بين أسفار التوراة والعهد القديم الذي يروي مثل هذه الروايات الجنسية؛ حيث يؤكد شفيق مقّار بقوله: "وهناك كثرة من الباحثين والنقاد التوراتيين توحي كتاباتها إما عن عمد أو عن شرود ذهن بأن "نشيد الإنشاد" هو الوحيد من كتب العهد القديم الذي قد يكون فيه شبهة جنس، وأنه بذلك نشاز غريب في كتاب ديانة أسبغ عليها دعاتها ومريدوها صفة الصرامة فائقة الحد في كل ما له علاقة بالجسد، وكل ما من شأنه أن يوفر لأتباعها ما ينعم عليهم في نظر المعبود يهوه بالرضى أو يورطهم فيما يستجلب عليهم السخط.

غير أن هذا الادعاء - كالكثير غيره - أبعد ما يكون عن الواقع التوراتيّ، فابتداءً ليس هناك في العهد القديم - من أول كلمة إلى آخر كلمة فيه - ما يتيح القول بأن الفكر الديني المسجَّل فيه منشغل بالروحانيات؛ لأن الكتاب لا يستخدم مفهوم الروح، ويشير إلى أن الإنسان الحي بلفظة نفس (نفاش بالعبرية)، أي: كائن حيّ، ولأن الكتاب لا ذكر فيه لبقاء ما يمكن أن يوصف بأنه روح بعد الموت، ولأن انشغاله الرئيسيّ بالجسد الحيّ في وجوده الأرضي، وبجانب ذلك كله لا مجال للادعاء الذي أشرنا إليه بشأن نشيد الإنشاد؛ لأن ذلك النشيد على ما فيه من تصورات جنسية باذخة بحق، ليس المنفذ الحقيقي لوجود الجنس كمكون رئيسيّ من مكونات الفكر التوراتي"[4].

وفي جولتنا القصيرة تلك بين نصوص التوراة حاولنا اقتباس بعض النصوص التوراتية التي تستجلي الوجه الجنسيّ، وتكشف عن حقيقة تطرف اليهود وعنفهم في مجال الجنس والدعارة ومن ذلك ما يأتي:

(١) القمنى، سيد (إسرائيل. التوراة. التاريخ. التضليل) ص ٧٩، ويمكن مراجعة السفر المذكور أعلاه ليستدل القارئ بنفسه على الروايات الجنسية.
(٢) سفر نشيد الإنشاد ٣:١.
(٣) (السفر نفسه) ٤:١٠ - ١١.
(٤) مقار، شفيق (الجنس في التوراة وسائر العهد القديم) ص١٧.

"وأقام بنو إسرائيل في شطّيم، وأخذوا يزنون مع بنات موآب، فدعونهم إلى ذبائح آلهتهن فأكلوا وسجدوا لها، وتعلق بنو إسرائيل ببعل فغولا؛ فاشتد عليهم غضب الرب"(1).

وفي شرعة التوراة لا بأس من مضاجعة الأب لابنته وهو سكران حتى ولو كان شيخًا كبيرًا(2)، وقد سبق أن أشرنا إلى افتراء التوراة على نبي الله لوط ﷺ في هذه القصة عند حديثنا عن تطرف اليهود وعنفهم في مقام الرسل والأنبياء، وفي نفس هذا الموضع رأينا كيف تصور التوراة نبي الله إبراهيم ﷺ بأنه ديُوث، وأنه كان يقبل الزنى بزوجته مقابل بعض الهدايا والأموال(3)، كما نطالع في نفس الموضع ممارسة رأوبين - الابن الأكبر ليعقوب ﷺ - بالزنى في بيت أبيه عندما وطئ إحدى زوجات أبيه(4)، وكذلك ما فعله ابن يعقوب الآخر يهوذا حين زنى بثمارا - زوجة رأوبين، وعلى الرغم من ذلك فإن يعقوب - كما تدعي التوراة - لم يذم يهوذا؛ بل مدحه ودعا له(5).

وسبق أن أشرنا في نفس الموضع أيضًا إلى تصوير التوراة لبيت داود ﷺ بأنه بيت دعارة وفجور، وتتهم داود ﷺ وأولاده بارتكاب تلك الفواحش(6)، كما أنهم ينسبون إلى سليمان ﷺ سفر نشيد الإنشاد لما فيه من مادة جنسية رخيصة، وتتهمه التوراة بأنه تزوج بسبع مئة زوجة وثلاث مئة جارية حتى أزغن قلبه إلى اتباع آلهة غريبة(7).

يقول ضياء أويغور: "وعلى الرغم من ثراء الدولة في عهد سليمان ﷺ؛ فإنها لم تنعم بالاستقرار والطمأنينة، حتى إذا توفي سليمان تمزقت الدولة، وأصبحت نهبًا

(1) سفر العدد ٢٥: ١-٣.
(2) سفر التكوين ١٩: ٣-٣٨.
(3) سفر التكوين ١٢ : ١٠-١٩.
(4) سفر التكوين ٣٥: ٢٢.
(5) سفر التكوين ٣٨: ١٦-٣٠.
(6) سفر صموئيل الثاني الإصحاحات التالية: ١١: ٢-١٥، ١٢: ١-١٤، ١٦: ٢٢-٢٣.
(7) سفر الملوك الأول ١١: ٣-٤.



للمنازعات بين أبناء إسرائيل، ثم انقسمت إلى دولتين: الدولة الإسرائيلية والدولة اليهودية، وبعد ذلك تمادى اليهود في الفساد والانحلال الخلقي، حتى تفشى الشذوذ الجنسي بينهم بشكل فظيع، بحيث اتخذوا من معبد سليمان بيت دعارة للغلمان حتى أن يهوا قوض بيوت المخنثين التي في يبيت الرب"[1].

وجاء في سفر الملوك الثاني ما يؤكد وجود بيوت البغاء: "وهدم بيوت البغاء المكرس التي في دار الهيكل"[2]، وهذا يؤكد أن المعابد كان لها عدد خاص من العاهرات المتبرعات بالزنى من أجل المعبد والكهنة والشعب، يقول البار: "وكان ملحقًا بالمعابد بيوت للمأبونين (المصابين بالشذوذ الجنسي من الرجال المخنثين)، وكانوا أيضًا يقدمون خدماتهم لكهنة المعبد وزوار المعبد والمصلين!!"[3].

وفي سفر هوشع يزعمون أن الرب عندما غضب من عبادة إسرائيل لغيره أمر هوشع أن يتزوج زانية؛ لأن إسرائيل زنت، وأمره أن يتخذ أولاد زنى، لأن بني إسرائيل أصبحوا أولاد زنى: "قال الرب لهوشع: خذ لك امرأة زنى، وليكن لك منها أولاد زنى؛ لأن أهل الأرض كلهم يزنون في الخفية عني أنا الرب"[4]، وجاء فيه "حاكموا أمكم، حاكموها؛ فما هي امرأتي، ولا أنا رجلها؛ لتزيح زناها عن وجهها، وفسقها من بين ثدييها؛ لئلا أفضح عُريَها.."[5]، وجاء فيه أيضًا: "أنتم الآن زنيتم يا بيت أفرايم يا بني إسرائيل تنجستم، أعمال الشعب لا تتيح لهم أن يتوبوا إلى إلههم؛ لأن روح الزنى في داخلهم وهم لا يعرفون الرب"[6].

وهكذا يستمر سفر هوشع على هذا النمط، وهو يقرعهم على فواحشهم، ثم يخبرهم بأن الرب سينتقم منهم، وعلى نفس الطريقة سفر عاموس وسفر ميخا،

(١) ضياء أويغور (جذور الصهيونية) ص ٤٣ وقارن البار: محمد علي (المدخل لدراسة التوراة)، ٣٥٣.
(٢) سفر الملوك الثاني ٢٣ :٧.
(٣) البار، محمد علي (المرجع السابق نفسه) ص٣٥٢.
(٤) سفر هوشع ١ : ٢.
(٥) سفر هوشع ٢: ٤-٥.
(٦) السفره نفسه: ٥ : ٣-٤.



وكذلك أشعيا وسفر أرميا، ومما جاء فيه: "وقال الرب: أسامحك يا أورشليم، وبنوك تركوني، وحلفوا بإله مزعوم، حين أشبعتهم زنوا، وفي بيوت الزواني صرفوا وقتهم، صاروا أحصنة معلوفة سائبة، كلٌّ يصهل على امرأة صاحبه. أفلا أعاقبهم على هذه المعاصي. يقول الرب وأنتقم من أمة كهذه الأمة؟"[1].

وحسب زعم التوراة وتطرفها؛ فإنها تتهم نبي الله يوشع بن نون عليه السلام بأنه تزوج من رحاب الزانية التي خبأت الجاسوسين الإسرائيليين مكافأة لها على خيانتها وطنها وبني قومها، وقد ولد لرحاب الزانية بنات كن جدّات لثمانية من أنبياء بني إسرائيل حسب زعمهم[2].

ويتحدث المسيري عن البغاء مبينًا أن رحاب تمثل كغيرها في العهد القديم ما يطلق عليه البغاء[*]؛ حيث يذكر سفر يشوع قصة العاهرة رحاب التي ساعدت بني إسرائيل على دخول أريحا[3]، ومما يدلل على البغاء في العهد القديم ما جاء في سفر التكوين من معاشرة يهوذا لعاهرة نظير أجر[4]، ولا يوجد في سياق النص ما يدل على أن هذا أمر مرفوض أخلاقيًا؛ حيث جاء في التوراة - ظلمًا وعدوانًا - أن إبراهيم عليه السلام قد استفاد ماليًا من العلاقة الجنسية لزوجته مع ملوك مصر[5]، وتوجد في سفر القضاة[6] إشارة إلى زيارة شمشون لعاهرة في غزة كما يفتري سفر الملوك الأول على سليمان عليه السلام في قصته مع الأميّن اللتين تنازعتا طفلاً وهما في القصة عاهرتان[7].

(١) سفر إرميا ٥: ٧-٩.

(٢) البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص ٣٤٨.

(*) البغاء: وتقابلها في العبرية (زنوت)، والبغاء - كما يراه بعض الدارسين - نشاط اقتصادي وحسب تجاري في جوهره، وأن البغي إن هي إلا عاملة جنس "Sex Worker" وهي من تقوم بإشباع الرغبات الجنسية لعملائها نظير أجر تتقاضاه. يُنظر المسيري عبد الوهاب (اليد الخفية) ص١٧٢.

(٣) سفر يشوع ٢: ١- نهاية السفر.

(٤) سفر التكوين ٣٨: ١٤-١٩.

(٥) سبق أن أشرنا إلى هذا، وهو في سفر التكوين ١٢ : ١٠ -١٩.

(٦) ١٦: ١.

(٧) سفر الملوك الأول ٣: ١٦-٢٧.



ويبدو أن إستير - البطلة اليهودية التي يُقرأ السفر المسمى باسمها في عيد النصيب[*] - هي الأخرى عاهرة[1].

يقول المسيري متابعًا: وكل الإشارات والقصص تفترض أن مهنة البغاء مهنة طبيعية، قد تكون وضيعة، ولكنها مع هذا جزء من البناء الاجتماعي والأخلاقي، وقد ورد في العهد القديم فقرات لا تحرِّم البغاء في حد ذاته، وإنما تحرم على [اليهود] أن يَدَعُوا بناتهم يعملن بهذه المهنة[2]، ومما يدل على هذا ما جاء في التوراة: "لا تدنس ابنتك بجعلها زانية؛ لئلا يزني أهل الأرض، فتمتلئ بالفواحش"[3].

يقول المسيري: "توجد إشارات عديدة في العهد القديم إلى عاهرات يقمن بوظيفتهن بشكل شبه عادي، ومن ذلك (أمثال ٧/ ١٠-٢٣) وأشعيا ٢٣/ ١٦ وملوك ٢٢/ ٣٨"[4]، وعن موضوع البغاء في العصر الحديث تحدث المسيري في كتابه (اليد الخفية) ما فيه الغنية؛ لذا يستحسن الرجوع إليه لمن أراد الاستزادة والاستفادة[5].

ولكثرة ما أتخمت التوراة المحرفة والتلمود بموضوع الجنس وممارسة الزنى والدعارة؛ فقد قام اليهود بتنفيذ تعليمات هذه الكتب بكافة الطرق. ويتحدث البار عن دور اليهود في العصور الحديثة في نشر الزنى والشذوذ الجنسي مبينًا أن اليهود حاربوا الأديان ونشروا الإلحاد، وتحدثوا عن ثورة الجنس والحرية الجنسية، وتمكنوا من تسلم وسائل الإعلام بأيديهم، فأشاعوا الفاحشة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فارتبطت الجرائم بعضها بعنق بعض... وكلها تقرب اليهود من الوصول إلى أهدافهم التي ذكرت في التوراة المحرفة والتلمود اللذين ينصان على أن العالم كله لم يخلق إلا لليهود، وأن البشر جميعًا لا يصلحون سوى أن يكونوا عبيدًا

(*) عيد النصيب: وهو بالعبرية عيد البوريم، ويحتفل به في الثالث عشر من آذار (مارس) وهو اليوم الذي أنقذت فيه إستير يهود فارس من المؤامرة التي دبرت لذبحهم، ويحتفل بهذا العيد بأن يسرفوا في شرب الخمر ولبس الملابس التنكرية، ولذا فقد سماه العرب عيد "المسخرة" أو عيد "المساخر"، وفي هذا العيد يقرأ سفر إستير في الإذاعة، ويسمى بكرنفال بوريم. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم.) ص٢٧٧، وظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص١٧٢.

(١) قارن الدكتور محسن عبد الحميد (اليهود وتفجير الجنس) ص٤.

(٢) المسيري عبد الوهاب (اليد الخفية) ص١٧٢.

(٣) سفر اللاويين ١٩: ٢٩.

(٤) المسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص١٧٣.

(٥) المرجع السابق نفسه ص١٧٢-١٧٨، وكذلك التل، عبد الله (جذور البلاء) ص١٧٢ وما بعدها.

لليهود... ثم قال: وتجارة البغاء والجنس تدر لهم ملايين الملايين، وكذلك يسيطرون على تجارة الخمور والمخدرات"[1].

ولم يتوان اليهود في تدمير مجتمعنا الفلسطيني عن طريق الجنس، فقد كانوا يعمدون إلى الشباب والفتيات ويستدعونهم بحجة مقابلة المخابرات، ثم يسقونهم المنوّم، وبعد ذلك يصوّرونهم عراة في وضع الممارسة الجنسية مع داعرين يهود وداعرات أُعدّوا خصيصًا لتنفيذ هذه المهمات، ثم تعرض هذه الصور الفاضحة على الضحية، وتحت الضغط والتهديد تقع الضحية في شباك اليهود.

ثم قام هؤلاء الضحايا بعد أن أصبحوا عملاء بتنفيذ نفس الطريقة مع أخص أقربائهم، ثم مع أصدقائهم مستخدمين كافة الحيل والخدع، سواء كان ذلك في محلات التصوير أو الحلاقة (الكوافير للنساء) أو الأزياء أو داخل السيارات، أو أي مكان يستطيع العميل تصوير ضحيته فيه بعد إعطائه المخدر (المنوّم)، وقد اعترف كثير من العملاء بممارسة هذه الطرق في أشرطة مصورة، وتم إعدام العديد منهم من قبل التنظيمات الفلسطينية المختلفة أثناء الانتفاضة المباركة.

ويقول التل: "إن اليهود يستخدمون الجنس للحصول على أسرار ومعلومات من الزبائن الكبار الذين يحضرون إلى إسرائيل بدعوة من حكوماتها، وتشرف وزارة الخارجية في الكيان الصهيوني على عملية تقديم المتعة للضيوف والأجانب"[2]، ويقول الدكتور محسن عبد الحميد: "ولقد استعمل اليهود أنوثة المرأة خلال تاريخهم طريقًا للسيطرة على المجتمعات في الخفاء من أجل تمشية مصالحهم وتمرير مؤامراتهم، وسحق أعدائهم من أهل الرسالات السماوية"[3]، ويقول التل في موضع آخر: "ويرى اليهود أن ممارساتهم للدعارة والفسق والفجور ليست جديدة عليهم؛ إذ إنهم يقتدون بأنبيائهم الذين صورتهم توراة اليهود فاسقين فاجرين"[4].

ولم يكتف اليهود بتحويل دولتهم إلى ماخور للدعارة اقتداءً بتوراتهم المحرفة، وإنما أداروا بأنفسهم معظم بيوت الدعارة في كل من أوروبا وأمريكا، فدمروا

(١) البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص٣٦١.
(٢) التل، عبد الله (جذور البلاد) ص١٧٤.
(٣) الدكتور محسن عبد الحميد (اليهود وتفجير الجنس) ص٤.
(٤) التل، عبد الله (المرجع السابق نفسه) ص١٧٥.



الأخلاق والقيم والتقاليد[1]، ولم يكتفوا بذلك؛ فقد اخترقوا المسيحية حتى بلغ أحدهم - كما يقول البار - مرتبة رئيس القساوسة، بل قام أحد القساوسة في الولايات المتحدة، وهو من أصل يهودي، بتأليف كتاب سماه (المسيح شاذ جنسيًا) افترى فيه الملعون على المسيح عليه السلام البهتان، واتهمه بالشذوذ الجنسي، ثم قامت هوليود بإخراج فيلم في منتهى الوقاحة وأسمته "غراميات المسيح"[2].

كما ساهم اليهود في نشر الشذوذ الجنسي على نطاق واسع في العالم، وهو ما يُعرف (بالشذوذ الجنسي بين الرجال والنساء) وقد دعمه اليهود بمجلات إعلامية ودعائية[3]، ويذكر المسيري أنه يوجد الآن اتجاه في [الكيان الصهيوني] نحو منح المزيد من الحريات للشواذ جنسيًا.

وقد صرحت يائيل ديان - ابنة موشيه ديان [عضو في برلمان الكيان الصهيوني] - بأن العلاقة بين الملك داود ويوناثان هي علاقة شاذة جنسيًا، وقد عرضت مسرحية في الكيان الصهيوني تتناول سيرة الملك بنفس الطريقة، وهناك العديد من الأفلام والأعمال الفنية التي تتعامل مع هذا الموضوع، وقد عقد أول زواج بين ذكرين من الشواذ جنسيًا في [الكيان الصهيوني] على يد حاخام إصلاحي عام ١٩٩٨م الأمر الذي أثار حفيظة المؤسسة الدينية"[4].

واستطاع اليهود أن يبذروا بذور الجنس في أرض خصبة كالمجتمع الغربي، يقول د. محسن عبد الحميد: "في المجتمع الغربي اللاديني المفتوح فجَّر اليهود الجنس بين الرجال والنساء في جميع قنوات الاتصال والاختلاط والاختلاء"[5]، "كما أن اليهود استطاعوا أن يوجهوا المرأة، وأن يحكموا عليها كما يشاءون في نوادي القمار وكهوف الدعارة ونوادي العراة... ومراقص الليل.. وحتى في أروقة المدارس والجامعات والمؤسسات الإدارية والصناعية"[6].

(١) يُنظر التل، عبد الله (المرجع السابق نفسه) ص١٧٦؛ حيث يبين دور اليهود في تدمير الأخلاق في أمريكا والدول الأوروبية، ويستحسن الرجوع إليه لمن أراد الاستزادة.
(٢) البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص٣٦٣-٣٦٤.
(٣) يُنظر موضوع الشذوذ الجنسي بتوسع لمن أراد الاستزادة عند كل من: التل، عبد الله (المرجع نفسه) ص١٧٨، والبار، محمد علي (المرجع نفسه) ص٣٦٦، والمسيري، عبد الوهاب (نفس المرجع) ص١٧٨.
(٤) المسيري، عبد الوهاب (نفس المرجع) ص١٨٠.
(٥) د. محسن عبد الحميد (شخصيات المرأة المسلمة) مقال في مجلة فلسطين المسلمة - العدد الثالث، السنة الثامنة عشرة، آذار (مارس) ٢٠٠٠م ذو الحجة ١٤٢٠هـ، ص٦٣.
(٦) د. محسن عبد الحميد (اليهود وتفجير الجنس) ص٧. بتصرف

ومن ضمن ما وظّفه اليهود للوصول إلى تزيين الجنس واعتباره أمرًا طبيعيًا يقول الدكتور محسن عبد الحميد: "وصلوا إلى كثير مما يريدون عبر الكتابات الموجهة والمجلات الفنية والإلحادية واللادينية، وعبر الجمعيات النسائية التي شكلت منذ أوائل هذا القرن سواء في تركيا أم في مصر أم في بلاد الشام، وعبر الأفلام الجنسية التي ظهرت في الثلاثينيات وحتى الخمسينيات، واليوم عندما نراها "... كيف مثلت هذه الأفلام، لأنها تافهة ذات أغراض جنسية مباشرة، واضحة لا تنقل قصة اجتماعية، ولا تحل مشكلة إنسانية، بل القضية الكبرى في جميعها تعليم شرب الخمر ولعب القمار والدعوة الصريحة إلى الجنس والعلاقات المحرمة بين الرجال والنساء، وإظهارها وكأنها أمر طبيعي في الحياة"[1].

ولم يكتف اليهود فيما اعتمدوه على التوراة المحرفة والتلمود من نشر الزنى والشذوذ وهدم كيان المرأة التي بها يتم إفساد المجتمعات؛ بل راحوا ينشرون نكاح المحارم، وكان فرويد اليهودي الرائد الأول في هذا المجال؛ حيث جاء بنظريات خلاصتها أن حب الطفل لأمه ليس إلا حبًا جنسيًا، وأن عملية الرضاعة ليست إلا عملية جنسية؛ لأن الغريزة الجنسية تتركز في الطفولة في الشفتين، ثم تنزل بعد ذلك إلى الأعضاء التناسلية، ولهذا يكره الابن أباه، وسمي ذلك الكره عقدة أوديب؛ لأنه ليس من اللائق أن يظهر كرهه لأبيه وحبه الجنسي لأمه"[2]، يقول البار: "وقد بلغت بهؤلاء اليهود الوقاحة أن يقولوا: إن كل الاتصالات الجنسية بين المحارم مفيدة ولو كانت بين الأب وابنته والأم وابنها، وإن الضار فقط هو الكبت وعقدة الشعور بالذنب!!"[3].

وهكذا استطاع اليهود بما مارسوه في توراتهم المحرفة وتلمودهم أن ينشروا الفواحش من الزنى والشذوذ الجنسي ونكاح المحارم، وهم مصرون على تنفيذ حلمهم بإقامة الدولة اليهودية التي ستسيطر على العالم بأسره، ويصبح البشر لهم عبيدًا وخدمًا.

(١) (المرجع السابق نفسه) ص١١.
(٢) يُنظر البار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة) ص٣٦٨، والمسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص١٧٠.
(٣) البار، محمد علي (المرجع نفسه) ص٣٧٢.



وإذا أردنا أن نسترسل في هذا الموضوع لأهميته وخطورته فإننا لن نتوقف عند مئات الصفحات التي تفضح الممارسات اليهودية في هذا الجانب، ولذلك سأكتفي بهذا القدر محيلاً القارئ الكريم إلى مجموعة كتب قيمة[1] في هذا المجال لمن أراد الاستزادة وهي المجموعة التي اعتمدنا عليها في هذا المطلب على هذا الوجه من الاختصار.

المطلب الثاني: الربا في التوراة

لون آخر من ألوان التطرف والعنف الاجتماعي في التوراة، حيث تقرر توراتهم إباحة امتصاص الآخرين بأبشع أنواع الربا الفاحش على اعتبار أن الآخرين خلقوا من أجل خدمة اليهود وطاعتهم، فاليهود ينظرون إلى أنفسهم على أنهم شعب الله المختار، وأن الكون بما فيه ومن فيه مسخر لهم، فكل الممتلكات في هذا الكون هي من حق اليهود، وقد دفعهم هذا الشعور إلى الاستيلاء بكل السبل على أموال "الأغيار" وممتلكاتهم بكل أشكالها، يقول د. الشهابي: "فالشخصية اليهودية تنظر إلى أن كل ما في الأرض هو ملك لليهود، ولذلك لا يجدون أي حرج أو وازع من الاستيلاء على أملاك الغير؛ لأنهم يعدون ذلك من حقهم الذي منحهم إياه ربهم (يهوه)" [2].

ومن أجل إحكام السيطرة على العالم لجأ اليهود إلى الربا، يقول عبد الله التل: "لجأ اليهود من أجل سرقة مال غير اليهود إلى وسيلة دنيئة غدت وقفًا عليهم، ورمزًا على جشعهم، فبرعوا فيها وأتقنوا فنها، ونجحوا في تخريب الحكومات والشعوب والأسر نتيجة ممارستها، وتلك الوسيلة هي الربا، وحين جاء الإسلام حاربهم في أعز ما لديهم في الحياة، حاربهم في جشعهم وحبهم لابتزاز مال غيرهم، حاربهم في الركن

(١) يُنظر، مقار شفيق (الجنس في التوراة وسائر العهد القديم)، والمسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص١٦٥، والدكتور محسن عبد الحميد (اليهود وتفجير الجنس)، والبار، محمد علي (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) ص٣٢٥ وما بعدها، والتل، عبد الله (جذور البلاء) ص٢٨-ص١٧٢ وما بعدها.

(٢) الشهابي، د. إبراهيم (استراتيجية القرآن في مواجهة اليهودية العالمية) ص١٧٢.

الأساسي الذي تقوم عليه أنظمة حياتهم الاقتصادية المبنية على استغلال جهد غير اليهود في سبيل تأمين حياة رغدة لشعب الله المختار"[1].

ويؤكد د. الشهابي: "أن اليهود اعتمدوا مبدأ الربا لكي يجمعوا المال من أيدي الناس ويراكموه في أيد قليلة أو مؤسسات مالية مثل المصارف والشركات... وغير ذلك، وعن طريق هذه الفئات والمؤسسات تستطيع اليهودية العالمية السيطرة على الاقتصاد العالمي، وبالتالي التحكم في مقدرات الشعوب"[2].

وزيادة على ذلك سعى اليهود إلى السيطرة على العالم عن طريق اشتغالهم بالربا، فإن ثمة أسبابًا أخرى جعلتهم يتعاملون بالربا، ويشتغلون به، ومن بين هذه الأسباب ما ذكره المسيري في كتابه (الأقليات اليهودية) كما يأتي:

١) التنظيم الجامد للمجتمع الزراعي الإقطاعي الذي يفصل بين مختلف الحرف والطبقات، فالبدائل أمام التاجر اليهودي لم تكن كثيرة.

٢) وجودهم على شكل أقليات يهودية تجارية مشتتة.

٣) حاجة المجتمع الأوروبي لمال سائل لتمويل الحملات الصليبية، وحركة بناء الكاتدرائيات، فتوجه الرأسمال اليهودي نحو الإقراض بسبب مخاطر التجارة.

٤) وثمة اعتبارات أخرى إذ اليهودية لا تحرم هذا الإقراض الربوي.[3]

والنقطة الأخيرة هذه تستوقفنا في باب الشريعة اليهودية تجاه الربا، فمن المعروف "أن الربا محرم بين اليهود، وهو - في نفس الوقت - شريعتهم تجاه الآخرين، فالربا محرم بينهم فقط، وعقوبة المخالف لذلك التكفير والخلع، بينما يباح الربا إذا أقرض اليهودي لغير اليهودي مالاً، والعجيب أن النصوص المقدسة في العهد القديم تشير بوضوح إلى التفريق الصارخ في المعاملة، فمعاملة اليهودي لليهودي تختلف جوهريًا عن

(١) التل، عبد الله (جذور البلاء) ص١٠٨.

(٢) الشهابي، د. إبراهيم (المرجع السابق نفسه) ص١٦٢.

(٣) المسيري عبد الوهاب (الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي) ص٢٨-٣٠.



معاملة اليهودي لغيره من الأممين(١)، وليس أدل على ذلك من الوصايا العشر المشهورة - وقد سبق أن أشرنا بوضوح إلى ما تعنيه هذه الوصايا من حيث إنها وصايا لليهود فيما بينهم فقط - وسفر التثنية قاطع في تشريعه للربا؛ لأنه يحرم على اليهودي أن يقرض يهوديًا بربا، بينما يشرع الربا تشريعًا قاطعًا على غير اليهود.

ومما جاء في هذا السفر: "لا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم بربا يدفعون عنه إليكم فضة أو طعامًا أو أي شيء آخر مما يقرض بالربا، بل أقرضوا الغريب بالربا ولا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم، فيبارك الرب إلهكم جميع أعمال أيديكم في الأرض التي أنتم داخلون لتمتلكوها"(٢).

ويقول وافي: "ما كان يجوز [لليهودي] أن يتعامل بالربا مع أخيه [اليهودي]، ولا أن يأخذ منه رهنًا بدَينه، وإذا أخذ منه في الصباح رهنًا من المتاع الذي لا يستغني عنه في حياته اليومية كالرحا التي يطحن عليها قوته وجب أن يرده إليه في المساء، أما غير [اليهودي] فمباح [لليهودي] أن يمتصه ويتعامل معه بأشنع أنواع الربا الفاحش"(٣)، وقد جاء في سفر التثنية زيادة على ما أوردناه قبل قليل: "إن سمعتم لصوت الرب إلهكم وحفظتم جميع هذه الوصايا التي أنا آمركم بها اليوم، وعملتم بها يباركـكم الرب إلهكم كما وعدكم، فيقترض منكم أمم كثيرون، وأنتم لا تقترضون، وتتسلطون على أمم كثيرين وهم عليكم لا يتسلطون"(٤).

ومن خلال هذا النص نلمح ما يترتب على إباحة الربا مع غير اليهودي من اليهودي إلى التسلط على الأمم، وهنا يؤكد ضياء أويغور هذا المفهوم بقوله: "لقد أكد يهوا أن قومه (بني إسرائيل) سيزدادون بركة، وستنفرج أزماتهم، ويحكمون الدنيا دون أن يتمكن أحد من الانتصار عليهم أو إخضاعهم إلى حكمه إذا اتبعوا أوامره ونفذوا شرائعه"(٥).

(١) يُنظر: ظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص١٩٦، والراجحي، عبده (الشخصية الإسرائيلية) ص٥٣-٥٤.
(٢) سفر التثنية ٢٣: ٢٠-٢١.
(٣) وافي، علي عبد الواحد (اليهودية واليهود) ص٥١.
(٤) سفر التثنية ١٥: ٥-٦.
(٥) ضياء أويغور (جذور الصهيونية) ص٤٨.



جاء في سفر التثنية: "ويفتح الرب لكم السماء كنزه الخيِّر ليعطي أرضكم مطرها في أوانه، ويبارك جميع أعمال أيديكم، فيقترض منكم أمم كثيرون وأنتم لا تقترضون، ويجعلكم الرب رؤوسًا للأمم لا أذنابًا، وتكونون أبدًا مرتفعين لا منخفضين إذا سمعتم لوصايا الرب إلهكم."[1]، وأيضًا: "وإن اقرضت مالاً لمسكين من شعبي فلا تعامله كالمرابي ولا تفرض عليه ربا"[2]، ومما جاء أيضًا: "إذا افتقر إسرائيلي عندك، وقصرت يده عن العيش، فأعنه، وليعش معك كغريب ومقيم، لا تأخذ منه ربا ولا ربحًا؛ بل اتق إلهك فيعيش معك، لا تقرضه مالك بربا ولا تطعمه بربح"[3].

ووفق هذه النصوص التوراتية الآنفة الذكر يتضح لدينا حكم الربا فيما بين اليهود مع بعضهم البعض ومع غيرهم، وقد جاءت التعاليم التلمودية لتؤكد ما توصلنا إليه بشأن حكم الربا في التوراة ومفهومه المتطرف عند اليهود، ومن بين هذه التعاليم: "أمرنا الله بأخذ الربا من الذمي، وأن لا نقرضه شيئًا إلا تحت هذا الشرط (أي الربا) وبدون ذلك نكون ساعدناه مع أنه من الواجب علينا ضرره"[4].

"غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا"[5]، وقرر ذلك أيضًا العالم "بشاي" بقوله موجهًا حديثه لليهود: "حياته بين أيديكم، فكيف بأمواله؟"[6] وهنا يقول بولس مسعد: "وهذه القاعدة تبرر لهم السرقة والغش؛ لأن دم الأجنبي وماله هما تحت سيطرة اليهودي"[7]

وقد تلاشى أمر تحريم الربا فيما بعد بين اليهود أنفسهم، وأكد ذلك ظاظا بقوله: "نظرًا لما جُبل عليه هؤلاء الناس من حب المال، فإنهم تحايلوا حتى على تحريم الربا فيما بينهم، فبعد أن جاء في المادة ٥٨٤ من المجموعة القانونية التي ترجمها دي بولي

---

(١) سفر التثنية ٢٨: ١٢-١٣.

(٢) سفر الخروج ٢٢: ٢٤.

(٣) سفر اللاويين ٢٥: ٣٥-٣٧.

(٤) يُنظر: روهلنج وشارل لوران (الكنز المرصود في قواعد التلمود) ترجمة يوسف نصر الله، ص٨٦، شميس، عبد المنعم (التلمود كتاب إسرائيل المقدس) ص٦٧.

(٥) نفس المرجعين السابقين: الأول ص٨٧، والثاني ص٦٧.

(٦) أيضًا نفس المرجعين السابقين: الأول ص٨٧، والثاني ص٦٨.

(٧) بولس حنا مسعد (همجية التعاليم الصهيونية) ص١٦٢.

أنه محرم على اليهودي أن يقرض اليهودي مالاً أو غيره من الأشياء التي يحتاج إليها كالقمح أو الدقيق مثلاً بالربا، وأن المقرض بالربا يتعرض تلقائيًا للخلع والطرد.

تعود المادة ٥٨٥ فتقيد تحريم الربا بما يعطيه اليهودي من قرض لأخيه اليهودي ليواجه به ضرورات ملحة لا قبل له باحتمالها"، أما إذا اقترض اليهودي نقودًا من يهودي آخر بقصد الاستثمار أو التوسع في التجارة أو تنفيذ بعض المشروعات التي تدر ريعًا؛ فإن الذي يقرضه المال يمكن أن يفرض عليه نصيبًا في الأرباح يتفق عليه".

ويعلق ظاظا على هذه الفقرة قائلاً: "ويبدو من التطبيق العملي لهذه الفقرة أن المقصود هو الأرباح فقط دون الخسائر، بحيث لو ضاع المال في هذه المشاريع كان على المقترض أن يؤدي دينه كما أخذه، فالتطبيق أشبه هنا في عالم الأوراق المالية بالسندات من الأسهم"[1].

وقد نادى الحاخامات بإباحة الربا فيما بين اليهود أنفسهم؛ حيث أكدوا ذلك في تلمودهم لكي يكون ذلك معتمدًا يُعمل به، فقد جاء في التلمود: "مسموح للرجل اليهودي أن يقرض أولاده وأهل بيته بالربا، وذلك حتى يعودهم هذه العادة، ويذوقوا حلاوته ويقدروه حق قدره"[2].

وجاء في التلمود من قول صموئيل: أن الحكماء أي (الربانيمين العلماء "الحاخامات") يجوز لهم أن يطلبوا الربا من بعضهم، وفي هذه الحالة يعتبر الربا كهدية يريد أحدهم إهداءها للآخر، ويتمسكون بإعارة ابن (أصي) لصموئيل مئة رطل من الفلفل على شرط أن يردها إليه مئة وعشرين رطلاً [3].

إن هذا الشروح التلمودية توضح بأجلى بيان الأساليب التي يتبعها الحاخامات في تفسيرهم للتوراة؛ حيث يجعلون استعمال الأشياء الواقع عليها القرض استعمالاً بسيطًا، وأن فائدة العشرين في المئة تزيد عن الفوائد الاعتيادية المسموح بها، كما يوجد في العبارة طريقة نفاق، ألا وهي عبارة الهدية، لأن موسى النبي ﷺ حرم الربا

---

(١) ظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص١٩٦.

(٢) يُنظر: بولس حنا مسعد (همجية التعاليم الصهيونية) ص١٦٣، وروهلنج وشارل لوران (المرجع نفسه) ترجمة يوسف نصر الله، ص٨٧، وشميس، عبد المنعم (المرجع نفسه) ص٦٩.

(٣) المراجع السابقة نفسها: الأول ص١٦٢، والثاني ص٨٧، والثالث ص٦٨.

ما بين اليهود سواء كان بطريقة ظاهرة أو خفية؛ لأنه حرم الخطيئة من حيث هي، ولم يحللها إذا كانت خفية[1].

ومما تقدم يتبين طريقة الحاخامات في كيفية تعليم الأولاد الربا؛ لأنه إذا تعامل حاخام مع حاخام آخر بفائدة غير قانونية كعشرين في المئة وُجد من باب أولى عند هؤلاء الأولاد ميل غريزي للتعامل بالربا، خصوصًا مع الأجانب، ونتيجة لهذا التعليم ربما زاد الأولاد الفائدة عن عشرين في المئة كما حصل في مدينة (منشستر) إذ أقرض شخصٌ آخرَ سبعين ريالاً وألزم المدين أن يكتب له سندًا بمئة ريال واشترط عليه أن يدفع له عن هذا المبلغ الأخير فائدة قدرها ٨٪ وهذا الإقراض لا يدعو للدهشة؛ لأن الحاخام "كرونر" يقول: إن هذه الطريقة غير قابلة للنقد؛ لأن أفكار الناس تختلف الآن في مسائل عما كانت عليه من قبل[2].

وخلاصة الأمر؛ فإن الحاخام "موآب" الذي ارتد عن الدين اليهودي يقول: "عندما يحتاج المسيحي إلى نقود فعلى اليهودي أن يستعمل معه الربا المرة بعد الأخرى، حتى لا يمكنه أن يدفع ما عليه إلا بتنازله عن جميع أمواله، فإن تنازل فبها، وإلا طلب حقه منه أمام المحاكم ووضع يده على أملاكه بواسطتها[3]".

لقد تطرف اليهود في هذا الركن من أركان الحياة الاجتماعية حتى وصل بهم الأمر إلى عبادة المال واستغلال الآخرين بأي ثمن يسمح لهم جمع أكبر قدر ممكن من الأموال إلى أيديهم، بحيث يَكون دُولة بينهم فقط؛ مما يسمح لهم في النهاية - كما أسلفنا القول - بالسيطرة على مقدرات الأمم والشعوب[*].

(١) المراجع السابقة نفسها: الأول ص١٦٢، والثاني ص٨٧، والثالث ص٦٨.

(٢) يُنظر روهلنج وشارل لوران (نفس المرجع) ص٨٨، وشميس، عبد المنعم (نفس المرجع) ص٧٠.

(٣) يُنظر روهلنج وشارل لوران (المرجع نفسه) ص٨٩، وشميس عبد المنعم (المرجع نفسه) ص٧١، وبولس حنا مسعد (المرجع نفسه) ص١٦٤.

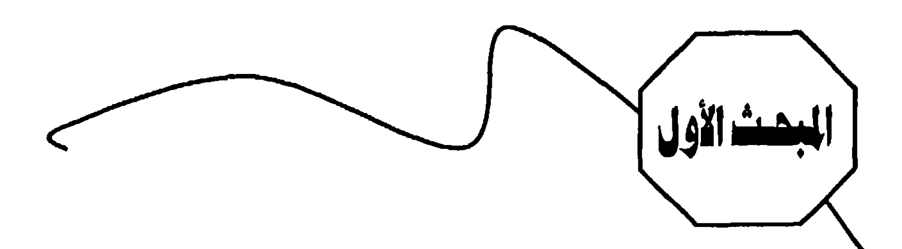
(*) وبالمقارنة مع المنهج الإسلامي فقد جاء الإسلام ليضع منهاجًا اقتصاديًا يحول دون تراكم الأموال في يد أقلية، فحارب الربا الذي استخدمه اليهود كسيف يقطعون به النظم الاقتصادية للبشر، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا... ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. وقد توعد الله من يصر على التعامل بالربا بالحرب، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.. ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

الفصل الثالث

التطرف والعنف

في التلمود وأقوال الحاخامات

- المبحث الأول: التلمود وأثره في التطرف وأهميته عند اليهود.
- المبحث الثاني: تطرف التلمود في التعاليم والعقيدة.
- المبحث الثالث: التطرف والعنف التلمودي ضد المسيح والمسيحية.
- المبحث الرابع: التطرف والعنف عند الحاخامات.



التلمود وأثره في التطرف وأهميته عند اليهود

المطلب الأول: ابتداع التلمـود وأثره في تطرف اليهود وعنفهم

لم تكن التوراة وحدها هي المؤثر الفعال في تطرف اليهود وعنفهم على مر التاريخ إذ برز في تاريخهم كتاب مقدس يعد من أشد الكتب تطرفًا وعنفًا ضد الإنسانية؛ بل هو كما يقول شميس: "أخطر من كتاب "كفاحي" الذي كتبه أدولف هتلر، وجعله خلاصة الفلسفة الدموية الإرهابية، التي قادت البشرية إلى الحرب العالمية الثانية"[1] ذلك هو التلمود[*] كتاب العقيدة الأشد عنفًا وامتصاصًا للدماء من كتاب هتلر.[2]

ولكي نبين حقيقة هذا الكتاب وأثره على اليهود لا بد لنا أن نتعرف على تاريخه وأبرز تعاليمه ذات الأثر المباشر في تكوين روح التطرف والعنف عند اليهود باعتباره (أي التلمود) كتابًا مقدسًا عندهم، وهم ملزمون بتنفيذ تعاليمه.

(١) شميس، عبد المنعم (التلمود كتاب إسرائيل المقدس) ص٣.

(*) التلمود: talmud، وهي مشتقة من كلمة "لامد" العبرية التي تعني الدراسة والتعلم كما في عبارة "تلمود توراة"، أي: دراسة الشريعة، وتعود كل من كلمة تلمود العبرية، وكلمة تلميذ العربية إلى أصل سامي واحد، والتلمود يعني تعاليم ديانة اليهود وأدبهم. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص١٤١، وكتابه أيضًا (اليد الخفية) ص٢١، والزويي ممدوح (الدعاية الصهيونية) ص٣٢.

(٢) شميس، عبد المنعم (المرجع السابق نفسه) ص٣.

فالتلمود في نظر اليهود هو التوراة الشفهية "وزيادة على القانون المكتوب على ألواح من الحجر الذي تسلمه موسى من ربه على جبل سيناء، فقد تسلم موسى أيضًا من الله تفسيرات وشروحًا لهذا القانون، وهو ما يدعى بالقانون الشفهي".[1]

يذكر دل ديورانت أن الكتبة ورجال الدين اليهودي كانوا يقولون: إن موسى ترك لشعبه الشريعة الشفوية وتلقاها التلاميذ عن المعلمين، ووسعوا فيها جيلاً بعد جيل".[2]

ويذكر روهلنج أنه: "بعد المسيح بمئة وخمسين سنة خاف أحد الحاخامات المسمى "يوضاس"[*] أن تلعب أيدي الضياع بهذه التعاليم فجمعها في كتاب سماه "المشنا"".[3]

ومعنى كلمة "المشنا": الشريعة المكررة؛ لأن المشنا تكرار لما ورد في توراة موسى عليه السلام، وليس المشنا إيضاحًا وتفسيرًا وتكميلاً لهذه الشريعة؛ بل هو تكرار لما ورد بها[4]، وكما نسب اليهود التوراة الحالية المحرفة إلى موسى عليه السلام فهم أيضًا يزعمون أن المشنا ترتفع إلى سيدنا موسى عليه السلام؛ لذلك يسمون المشنا التوراة الشفوية.

ظلت شرائع المشنا تروى بلا رقيب ولا حسيب وتسودها الفوضى الكاملة إلى القرن الأول قبل المسيح يقول ميلتسينر: "إن أول جهد بذل لإقرار شيء من النظام والمنهج في تلك الكتلة المختلطة من المرويات هو الذي قام به الحاخام اليهودي "هليل" - رئيس المجلس الديني الأعلى "السنهدرين" - في أيام هيرودس - أمير اليهود الذي ولد المسيح في زمانه - فهذا الإمام هو الذي خطط تقسيم هذه المرويات إلى أقسامها الستة المعروفة[**].

---

(١) يُنظر: براناتيس أي بي. (فضح التلمود) إعداد زهدي فاتح، ص٢٩، وقارن: شميس (المرجع نفسه) ص٥، وسوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص١٧٣.

(٢) دل ديورانت (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران، ١٤ /١١، وقارن: شلبي، أحمد (اليهودية) ص٢٧٠.

(*) يوضاس: يهودا، والاسم المذكور تحريف أوروبي، يُنظر: روهلنج (الكنز المرصود) ترجمة يوسف نصر الله، ص٤٧.

(٣) روهلنج (المرجع نفسه) ترجمة يوسف نصر الله، ص٤٧.

(٤) يُنظر: روهلنج (المرجع السابق نفسه) ص٤٧، وشلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص٢٧.

(**) الأقسام الستة هي كما يأتي: القسم الأول: "زراعيم" خاص بالزراعة، ويشمل أحكام الصلوات والبركات. القسم الثاني: "موعد" خاص بالأعياد والسبوت، القسم الثالث: "ناشيم" خاص بالنساء وما يتعلق بأحكام الزواج والطلاق، القسم الرابع: "نزيكين" خاص بالأضرار والتعويض عنها بما في ذلك القصاص والعقوبات، القسم الخامس: "كوداشيم"، أي: المقدسات، ويحتوي على الشرائع الخاصة بالقرابين وخدمة الهيكل، القسم السادس: "توهوروت" خاص بالطهارات وما هو حلال وما هو ==

ثم جاء من بعده إمام آخر هو "عقيبا" فنظم بعض التفاصيل الجزئية في داخل هذه الأقسام الستة، وجاء من بعده الإمام "مئير" فأكمل نصوص المشنا، وأضاف إلى نظامها مزيدًا من الأحكام، أما الذي قيدها كتابة في وضعها الذي نعرفه فهو الإمام "يهودا هاناسي"، وكان ذلك حوالي نهاية القرن الثاني بعد الميلاد"(1)، ولم يكن عمل يهودا هاناسي مجرد تبويب وتنظيم؛ بل إنه أكمل المرويات، وقام بعملية تمحيص وتدقيق طرد بموجبها من المشنا مجموعة من النصوص، "ومع كل ذلك - كما يقول ظاظا - ما يزال علماء اليهود حتى الآن يشكون من أن يكون الربى يهودا قد قيد المشنا بالكتابة".(2)

ومع ذلك فإنه عندما انتهى الربى يهودا هاناسي من تقييد نص المشنا في صورته النهائية، تركزت جهود العلماء اليهود على شرحها في مراكز تجمعهم في العراق وفلسطين، وكان شرحهم يسمى "جمارا" بمعنى: التكملة والإتمام(3)، ويطلق على هؤلاء الشراح "أمورائيم"، أي: المفسرون أو المتكلمون، وهم الذين يلقون المحاضرات الشفوية تعليقًا وشرحًا للمشنا أمام تلاميذهم الذين عندما يصلون إلى النضج العلمي يصبحون طبقة أخرى من الأمورائيم، وهكذا فإن طبقات الأمورائيم - كما يقول ظاظا - "هي الاستمرار الديني والفكري في ظل الجمارا لطبقات "التنائيم" في ظل المشنا، والتنائيم "معلمو الشريعة" هم الأحبار في ستة قرون الأولى بعد ميلاد المسيح.(4)

وخلاصة القول أن: "المشنا هي خلاصة الشريعة الشفوية ونصوصها مكتوبة بالعبرية. و"الجمارا" هي شرح المشنا ومكتوبة بالآرامية. و"التلمود" هو الاسم الجامع للمشنا والجمارا معًا.

== حرام من المأكولات والمشروبات وغيرها، يُنظر: ظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص٦٧-٦٨، وشميس، عبد المنعم (المرجع نفسه) ص٩، والأب براناتيس آي، بي (فضح التلمود) ص٢٦-٢٧.

(١) ظاظا، حسن (المرجع نفسه) ص٦٦.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٦٧.

(٣) يُنظر: ظاظا، حسن (المرجع نفسه) ص٨٢، وشميس، عبد المنعم (المرجع نفسه) ص٨، نويهض، عجاج (بروتوكولات حكماء اليهود) ٢/ ١٦٤.

(٤) يُنظر: ول ديورانت (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران، ١١/١٤ وظاظا، حسن (المرجع نفسه) ص٨٣، وقارن: عجاج نويهض (المرجع السابق نفسه) ٢/ ١٦٤، ومصطفى كمال عبد العليم، وسيد فرج (اليهود في العالم القديم) ص٢٠.

وقد تم شرح المشنا في بيئتين مختلفتين ومستقلتين، هما: فلسطين والعراق، وقد أدى ذلك إلى ظهور تلمودين، فالتلمود الذي تم شرحه في فلسطين يسمى التلمود الأورشليمي تمسحًا وتبركًا بمدينة القدس، أما التلمود الذي تم شرحه في العراق فيسمى التلمود البابلي تذكيرًا بقوة البحث الديني في العراق منذ الأسر البابلي.[1]

ويمتاز التلمود الأورشليمي بأن كل موضوع من موضوعاته التي يعالجها مسبوق بنص المشنا الذي يفسره ويشرحه، وبالمقارنة مع التلمود البابلي فإنه يبلغ ثلث حجم الأخير، وهو مدون باللغة الآرامية الغربية، ويبدو ناقصًا مشوهًا في ترتيبه ومظهره إذا ما قورن بسميه البابلي، وقد استغرق تأليف التلمود الأورشليمي مدة طويلة تمتد من القرن الثاني إلى أواخر الخامس بعد الميلاد، أما التلمود البابلي الذي كتب باللغة الآرامية الشرقية فقد استمر تأليفه من أوائل القرن الرابع بعد الميلاد إلى القرن السادس الميلادي.

ويعد التلمود البابلي أفضل من الأورشليمي لما له من تأثير بالغ على اليهود واليهودية طيلة القرون اللاحقة، زيادة على حجم مادته التي تبلغ ثلاثة أضعاف التلمود الأورشليمي، وأسلوبه المنفتح في المناقشة، حيث يغطي البابلي بشرحه كل نص المشنا، بينما ظل الشرح الأورشليمي ناقصًا، ثم إن أحبار اليهود يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر في الفكر اليهودي مما كان يحظى به شراح فلسطين، وإذا أطلق لفظ "التلمود" فإن المقصود به البابلي دون منازع، وذلك على سبيل الأفضلية والتفوق.[2]

وقد كثرت الشروح والحواشي على المشنا والجمارا، وأقبل عليها اليهود باهتمام يفوق إقبالهم على التوراة نفسها في كثير من الأحيان، وأهم تلك الشروح والحواشي - كما يقول ظاظا - يرجع إلى العصر الإسلامي، ومن أمثلة ذلك شرح الربي حنانئيل القيرواني الذي عاش في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وكذلك شرح الرِّبِّي سليمان الإسحاقي.[3]

---

(١) ظاظا، حسن (المرجع نفسه) ص٨٣.

(٢) يُنظر: عرفان عبد الحميد (اليهود عرض التاريخ) ص٨٥، ورزوق، د. أسعد (التلمود والصهيونية) ص١٠٦، وظاظا حسن (المرجع نفسه) ص٨٣-٨٤، ووافي، علي عبد الواحد (اليهودية واليهود) ص٢٥.

(٣) ظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص٨٩.



كما كثرت المقدمات المؤلفة لمساعدة دارسي التلمود، وأهمها ما كتبه الربي إسحاق الفاسي المتوفى في الأندلس ١١٠٣م بعنوان "هلخوت" أي: قواعد وأحكام.(١)

وقام كثير من علماء اليهود بمحاولات لإعادة ترتيب التلمود واستخلاص الأحكام الشرعية والفتاوى منه، وتخليصها مما يتخللها من استطرادات وحكايات وأساطير ومن أهمهم: موسى بن ميمون(*) الذي ألف كتابًا لعله أهم ما ظهر في تاريخ اليهود، صاغ فيه ابن ميمون كل أحكام التلمود والتوراة بأسلوب عبري سهل، وجعله في أربعة عشر جزءًا.(٢)

وكذلك يعقوب بن آشر بن يحيئيل، وله كتاب مشهور جدًا في نفس الموضوع اسمه "طوريم" أي: السطور أو الصفوف أو النظم، والمؤلف عاش بالأندلس في القرن الرابع عشر، كما أن الربي يوسف كارو، وهو إيطالي عاش في القرن السادس عشر، قد انتفع بالكتابين السابقين، وألف كتابه المشهور باسم "شولحان عاروخ" أي: المائدة المرتبة، وهو كتاب يحتوي على شرائع التلمود مرتبة ترتيبًا أدق من سابقيه مع الاختصار، وقد ترجم إلى كثير من اللغات.(٣)

وقد طبع التلمود طبعات كثيرة، فكانت أول طبعة كاملة في البندقية(**)، حيث ظهرت في اثني عشر مجلدًا من القطع الكبير ١٥٢٠-١٥٢٣م، وأشرف على نشرها دانيال بومبرج، وتحتوي هوامش هذه الطبعة على أشهر شروح التلمود، وصدرت طبعات قيل: إنها طبعت في الخفاء، تحتوي مجلداتها العبرية على أبذأ كلام ينال من كرامة السيد المسيح، والبابوية، فلما قامت القيامة على اليهود من أجل ذلك،

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٩٠.

(*) موسى بن ميمون (١١٣٥-١٢٠٤) مفكر وفيلسوف يهودي، ولد في قرطبة بالأندلس، وكنيته أبو عمران، أحد تلامذة الفيلسوف العربي ابن رشد، وهو من اليهود الذين ظهروا في حمى الدولة الإسلامية العربية بالأندلس، وقد كان من الأقوال المأثورة بين اليهود قولهم: "لم يظهر رجل كموسى من أيام موسى إلى موسى"، وذلك لأنه كان بارعًا في آداب الدين والعهد القديم والطب والعلوم والرياضة والفلسفة، يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٣٨٦، ونويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢/ ٧٦.

(٢) ظاظا، حسن (المرجع نفسه) ص٩٠، وقارن: رزوق، أسعد (التلمود والصهيونية) ص١٧٨.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص٩٠، وقارن: رزوق، أسعد (المرجع نفسه) ص١٨٠.

(**) البندقية: (فينيسيا) إقليم يقع شرق إيطاليا، يسميها الإيطاليون ملكة البحار. يُنظر: غربال شفيق: (الموسوعة العربية الميسرة) ص٤٠٩، ص١٣٥٦.

وأحرقت كتبهم، وفيها التلمود، طبعت كتب التلمود طبعة أخرى خالية بعض الشيء من الكلام البذيء، وبقيت الطبعة الأولى الكاملة في حيازة اليهود سرًا، وهذا ما يؤكده المطلعون على خفايا اليهود.[1]

ومع ذلك فإن بعض الطبعات التي ظهرت في العصر الحديث قد عادت إلى طبع النص الأصلي؛ حيث يؤكد د. صابر طعيمة ذلك بقوله: "إنه بعد طبعة بازل ١٥٨١م التي كانت خالية من بعض فقرات معينة تفضح اليهود، وتكشف أطماعهم في العالم كله، فإن الجماعات اليهودية قامت بطبع هذه الفقرات منفصلة وقامت بتوزيعها على اليهود لحشرها فيما بينهم بين صفحات التلمود، في الأماكن التي انتزعت منها.

ومع ذلك فإنه قد ثارت مضايقات وشكاوى من الذين أتيح لهم أن يطلعوا على تعاليم التلمود إثر ظهور طبعتيْ أمستردام ١٦٠٠م وكراكوفيا ١٦٠٥م، فاجتمع أحبار اليهود في صورة مجمع مقدس، وقرّروا حذف الفقرات المريبة في كل طبعة تطبع في المستقبل بحيث يترك فراغ مكان تلك الفقرات المحذوفة، مكتفين بتلقينها للشباب والتلاميذ شفويًا.. إلا أنه بالرغم من الحذف والتبديل والتغيير المتوالي فإن الطبعات التي ظهرت بعد ذلك لا تزال زاخرة بالفضائح والشنائع المخجلة".[2]

والتلمود المطبوع باللغة الإنجليزية، بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته، يبلغ ٣٦ مجلدًا من القطع الوسط، وقد نقل الجزء الأول إلى العربية سنة ١٩٠٩م، وهو يذكر أهم الرجال في كل جيل من أجيال علماء التلمود.[3]

وقد ظهرت عام ١٩٦٠م طبعة جديدة للتلمود أيضًا باللغة الإنجليزية، وقد أشرف على إخراجها عدد من كبار الربانيين، بحيث يختص كل رباني بمجلد، وقد وضع الحاخام إسرائيل برود مقدمة هذه الطبعة، ومما جاء في مقدمته "أن الكتب المقدسة وآثار الربانيين، والتلمود والمشنا، لها بالغ التأثير في أنفسنا تأثيرًا شمل مظاهر وجودنا اليهودي، وفسر معاني حياتنا، فالمصادر والينابيع التي كان منها كل هذا يجب علينا

---

(١) يُنظر: نويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢/ ١٦٧، وظاظا، حسن (المرجع نفسه) ص٩١.

(٢) يُنظر: طعيمة، صابر (التاريخ اليهودي العام) ٢/ ١١٠، وقارن: سوسة، أحمد (العرب واليهود في التاريخ) ص١٧٦.

(٣) يُنظر: نويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢/ ١٦٦، وسوسة، أحمد (المرجع نفسه) ص١٧٦.

أن نستوعبها استيعابًا صحيحًا، وهذا ما ينبغي أن يكون المهمة الأولى لدينا لا تعلوها مهمة أخرى عند المعلمين والطلاب والدارسين في كل مكان، وفي هذا الصدد، وسيرًا نحو هذه الغاية لا نرى في هذه الترجمة الإنجليزية للتلمود إلا كل سبب من أسباب التيسير المراد.

ثم يتابع الحديث بشأن دراسة التلمود بقوله: "ومن الناحية الأخرى، فإن طالب دراسة التلمود يجد في هذه الترجمة المعتمدة، المتميزة بالصحة والدقة، خير معوان له في تحقيق ما يصبو إليه ويرغب فيه - ثم يختم بقوله: "والتلمود على الرغم مما لحقه من التشويه والتحقير عمدًا من أصحاب الغرض والقصد هو هو، أحد الكتب التي تحمل ثقافة عالمية، وله من السعة ما يجعله أشبه بدائرة معارف هي الآن في متناول الدارس اليهودي".[1]

أثر التلمود على اليهود:

يقول المسيري: "منذ نهاية القرن السابع للميلاد، ومع مطلع القرن الثامن صار التلمود هو العامل الجوهري في التجربة الدينية للجماعات اليهودية، إذ أصبح المعيار السائد المقبول في كل ما يتعلق بحياة اليهود وأعمالهم ونشاطهم الفكري، حتى أننا حينما نتحدث عن "اليهودية" بعد ذلك التاريخ فإننا في واقع الأمر نتحدث عن "اليهودية الحاخامية" أي "التلمودية"، وقد استخدم التلمود حتى نهاية القرن التاسع عشر أساسًا للتربية بين أعضاء الجماعات اليهودية، فكان الدارسون في كثير من الجماعات اليهودية في الغرب يستذكرونه سبع ساعات يوميًا طوال سبع سنوات".[2]

أما د. أسعد رزوق فيقول: "إن سلطة التلمود تظهر لنا بوضوح من خلال الحقيقة التاريخية التي جعلت دراسته بمثابة الفرضية الدينية".[3]

---

(١) نويهض، عجاج (المرجع نفسه) ٢. ١٧٠.

(٢) المسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص٢٦.

(٣) رزوق، أسعد (التلمود والصهيونية) ص١٨٨.



ويعلن إسرائيل أبراهمز قوله: "لقد بقي اليهودي على قيد الحياة عبر التلمود ولا يزال التلمود حيًا في حياة اليهودي".[1]

أما المؤرخ اليهودي الألماني هاينريخ غريتس فيقول عن التلمود: "إنه ذلك الأثير الذي صانهم من الفساد، وتلك القوة الدائبة التي تغلبت على الخمول.. لا بل ذلك النبع الأزلي الذي أبقى الذهن دائم التوقد والنشاط. وبكلمة واحدة فإن التلمود هو مربي الأمة اليهودية ومعلمها".[2]

"أما هذه التربية التلمودية - كما يعلق رزوق - فلم تكن تربية سيئة أبدًا - على حد قوله - أي قول المؤرخ اليهودي الألماني سالف الذكر - لأنها أثمرت أحسن النتائج وأفضلها، فالتلمود - كما يقول المؤرخ اليهودي - هو صاحب الفضل الأول في تحقيق الإنجازات الآتية:

١) لقد أنمى التلمود وتعليمه لدى اليهود درجة من الأخلاق لا يستطيع الأعداء إنكارها عليهم، وذلك رغم التأثير المزعج لكل من العزلة والإهانة والإضعاف المنظم للمعنويات.

٢) صان الحياة الدينية والأخلاقية في اليهودية وأسهم في ترقيتها ورفع مستواها.

٣) كان بمثابة الراية التي التفّت حولها الجاليات اليهودية المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها، وصانت اليهود من الانشقاق والانقسامات الطائفية.

٤) أسهم التلمود في تعريف الأجيال اللاحقة بتاريخ الآباء والأجداد.

٥) أنتج حياة فكرية عميقة الغور، بحيث حافظت تلك الحياة على اليهود المضطهدين والمحرومين من الجمود والركود، وأنارت لهم شعلة العلم".[3]

ويصف "فاير واكسمان" تأثير التلمود في الحياة اليهودية بالعبارات الآتية: "لقد أصبح التلمود بعد التوراة كتاب اليهودي، وتقدم درسه في كثير من الأحيان على دراسة التوراة، وشحذ الشبان اليهود أذهانهم بواسطة تعقيداته الصعبة، وقياساته

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ص١٨٧.

(٢) رزوق، أسعد (المرجع نفسه) ص١٨٨.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص١٨٨.



المنطقية الدقيقة لكي يكتسبوا فطنة الفكر، وسرعة الخاطر، ومن أساطيره اليانعة وحكاياته الغريبة استمد اليهود إلهامًا وعزاءً في شدائد الحياة وصراعها، فأصبحت تعابيره الحكمية وأقواله المأثورة تؤلف جزءًا لا يتجزأ من كلام اليهودي اليومي، كما صارت كل لهجة ينطق بها اليهودي مشبعة بها، حتى أن الجهلاء يستخدمونها في كلامهم".[1]

لا شك أن أقوال المؤرخين والباحثين اليهود السالفة الذكر تشيد كلها بدور التلمود وأثره على اليهود، لكنها - كما رأينا - تتجنب إيراد كل إشارة من شأنها أن تبين لنا بصورة مباشرة وصريحة شيئًا يسيرًا عن دور التلمود في تطرف اليهود وعنفهم طيلة حياتهم، وعليه فإنه مثلما ساهم بالتأثير الإيجابي؛ فإن تعاليمه المتطرفة والمظلمة سيكون لها الدور الخطير في التأثير على تصرفات اليهود السلبية مع بعضهم أو مع الآخرين على وجه الخصوص، على اعتبار أن التلمود بمجمله - كما بين المؤرخون والباحثون اليهود - له تأثير بالغ في نفوس اليهود، فإذا كان التلمود بمثابة المعلم الأكبر لليهود فلا نستبعد مساهمته في تغذية روح التطرف والعنف والعنصرية والاستعلاء إزاء العالم الآخر من غير اليهود.

يقول برنارد لازار: "حافظ اليهودي دينيًا على فكرة الاستعلاء والتفوق، واستمر في النظر بأنفة واحتقار إلى جميع الذين كانوا غرباء عن شريعته، أما الذي علمه أن يكون كذلك فهو كتابه التلمود، المليء بعصبية ضيقة وضارية".[2]

ويعترف المؤرخ اليهودي غريتس بوجود شوائب في التلمود، وقام بتصنيفها تحت الفئات الأربع الآتية:[3]

١) يحتوي التلمود على كثير من التفاهات والمعابثات التي يعالجها الربانيون بقدر كبير من الجدية والخطورة.

٢) يعكس التلمود شتى الممارسات والآراء الخرافية التي كانت سائدة في مكان ولادته، وهي تؤمن بفعالية العلاجات العجائبية والعقاقير الشيطانية والسحر

(١) (المرجع السابق نفسه) ص١٩٠.

(٢) رزوق، أسعد (المرجع نفسه) ص١٩٢.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص١٩٤.

والرقيات والتعاويذ إلى جانب تفسير الأحلام، وهذه الأمور كلها تتنافى مع روح الديانة اليهودية.

٣) يتضمن التلمود أيضًا أمثلة متفرقة ومنعزلة على الأحكام والمراسيم القاسية ضد أبناء الأمم والديانات الأخرى.

٤) ويحبذ التلمود شرحًا وتفسيرًا مغلوطًا للكتاب المقدس، فيقبل التفسيرات الخاطئة التي ينفر منها الذوق السليم ويأباها.

وعن تأثير التلمود على أخلاق اليهود وممارساتهم وعقائدهم يقول الحاخام أبشتاين: "إن التلمود لا يزال، بعد التوراة، تلك القوة الروحية والأخلاقية الخصبة التي تشد أواصر الحياة اليهودية وتوحد بينها، فالطقوس والشعائر، وقوانين الزواج لدى الإنسان اليهودي الحديث تستقي عناصرها مباشرة من التلمود، مع العلم بأن التلمود هو الذي أضفى الصبغة النهائية على تلك العقائد الدينية والأخلاقية التي تؤلف في معظمها الديانة اليهودية في يومنا هذا".[1]

ويظهر أثر التلمود على اليهود في جميع نواحي حياتهم من خلال القوانين والتعاليم التي تضبط حياتهم الخاصة أو سلوكهم تجاه الآخرين، وعلى سبيل المثال؛ فإن أثر التلمود واضح على قوانين الأحوال الشخصية في الكيان الصهيوني، فالتشريعات التي تضبط قضايا الزواج والطلاق في هذا الكيان لا تختلف عن الأحكام التلمودية الواردة في أسفار سدر ناشيم، فاليهودي هو المولود لأم يهودية، أو من اعتنق اليهودية على يد حاخام، وعملية التهود ليست هينة، إذ يصر الحاخام على التقيد بالشعائر التلمودية ومن بينها الحمام الطقوسي الذي يجب أن تخضع له الأنثى التي تريد التهود، فتدخل الحمام عارية تمامًا بحضور ثلاثة من الحاخامات وتحت أنظارهم[2] هكذا يكون التطرف!!

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ص١٩٥.

(٢) المسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص٢٤، وقارن: عصاصة، سامي (هل اليهودية التلمودية دين ؟) ص١١٠.

وقد أثر التلمود في الفكر الصهيوني، حيث وجد المفكرون الصهاينة ما يدعم اتجاهاتهم فقد جاء في سفر "عفودة زاره" - على سبيل المثال لا الحصر - "ينبغي أن لا تؤجر البيوت لغير اليهود في أرض إسرائيل، ناهيك عن الحقول"[(١)] يقول المسيري: "وهذه هي إحدى القواعد الأساسية للصندوق القومي اليهودي"[(٢)]، كما أن الصهاينة يقتبسون من التلمود عبارات مثل: "من يقيم خارج أرض إسرائيل هو مثل إنسان بدون إله"[(٣)] وهي دعوة صريحة لاستقدام اليهود لاستيطان فلسطين!!

ومن تأثير التلمود على سلوك اليهود تجاه الآخرين أن زين لهم القضاء على الآخرين، فشرائع التلمود وتقاليده الأخلاقية كانت تفترض وجود مستوطن يهودي أصلي وجهًا لوجه أمام غرباء وثنيين غير مرغوب فيهم ويقيمون بين ظهراني اليهود، كما أن إقامة الاتصال مع هؤلاء قد تجر إلى الخطيئة والإثم، لذا جرى اعتبار الإقدام على طرد هؤلاء وحتى القضاء عليهم بمثابة واجب مقدس.[(٤)]

إن النظرة التلمودية المتطرفة تتطلب من اليهود أن يستخدموا مقياسين أخلاقيين: واحدًا للتعامل مع اليهود، والآخر للتعامل مع غير اليهود.[(٥)]

وبمثل هذه التعاليم - التي طفح بها التلمود، والتي سنتحدث عنها لاحقًا - صاغ اليهود حياتهم وأخلاقهم حتى امتزجت روحهم بها فأ . - روحهم هي روح التطرف والعنف والعدوان.

المطلب الثاني: مكانة التلمود وأهميته عند اليهود

يحتل التلمود عند اليهود مكانة ومنزلة خاصة منذ قديم الزمان، إذ إنهم يقدسونه ويعدونه كتابًا منزلاً مثل التوراة، ويتطرف اليهود فيقولون: إنه أعظم من التوراة،

(١) المسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص٣٢.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٣٢.
(٣) (المرجع السابق نفسه) ص٣٢.
(٤) رزوق، أسعد (التلمود والصهيونية) ص١٩٨.
(٥) المسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص٢٩.



كيف لا وقد جاء في صحيفة من التلمود: "أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشنا فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس الجمارا فعل أعظم فضيلة".(١)

يقول المسيري: "كان يُنظر إلى التلمود في بداية الأمر على أنه يأتي في المرتبة الثانية بعد التوراة، ولكنه أصبح بعد حين يلقب بالتوراة الشفوية، أي صار مساويًا لتوراة موسى في المرتبة، ولم يعد في وسع أي يهودي مخالفته، وأخذت درجة قداسته في الازدياد والاتساع حتى أصبح أكثر قداسة من التوراة ذاتها.

وقد قال أحد الحاخامات: "يا بني كن حريصًا على مراعاة أقوال الكتبة [أي: الحاخامات واضعي التلمود] أكثر من حرصك على أقوال التوراة؛ لأن أحكام التوراة تحوي الأوامر والنواهي، أما شرائع الكتبة، فإن من ينتهك واحدة منها يجلب على نفسه عقوبة الإله" وقد جاء أيضًا: "من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى، وهي أفضل من أقوال الأنبياء"(٢).

وجاء في التلمود: "أن التوراة كالماء والمشنا كالخمر والجمارا كالخمر المعطر، والعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر ومعطر... ولهذا السبب فإن العالم لا يمكنه الثبات بدون التوراة والمشنا والجمارا، فالشريعة هي كالملح، والمشنا كالبهار، والجمارا كالتوابل، والعالم لا يستطيع أن يعيش بدون ملح وبهار وتوابل".(٣)

يقول سنقرط: "اليهود يقدمون التلمود على التوراة، وهو موقف ينفرد به اليهود من دون سائر حملة الرسالات، فليس من المعقول أن يكون الفرع أثبت وأفضل من

(١) روهلنج (الكنز المرصود في قواعد التلمود) ص٥٠.

(٢) المسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص٢٧-٢٨، وقارن: روهلنج (المرجع السابق نفسه) ص٥٠، عبد الناصر، شوقي (بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود) ص٣١، وطلفاح، خير الله (حقيقة اليهود) ص٢١٠.

(٣) التل، عبد الله (جذور البلاء)، ص٧٣-ص٧٤، وقارن: روهلنج (المرجع نفسه) ص٥١.

الأصل، وفي التلمود ذاته من الأقوال ما يحث على ذلك..."إن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجمارا فليس له إله"[1].

وقال الحاخام روسكي المشهور: "التفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى"[2].

وجاء في أحد كتبهم المسمى (الهمار) وهو شرح على التوراة "أن الإنسان لا يعيش بالخبز فقط، والخبز هو التوراة، بل يلزمه شيء آخر، وهو أقوال الله كقواعد وحكايات التلمود"[3] وقال الرابي مناحم: "إن الله يستشير الحاخامات على الأرض حين توجد معضلة لا يستطيع حلها في السماء[4]، وجاء في التلمود أن جميع كلمات الربانيين في كل عصر ومصر، هي من كلام الله، ولذلك فإنها أعظم من كلام الأنبياء، ولو كانت متناقضة ومتنافرة، ومن يسخر منها، ويقارع صاحبها، ويتأفف منها، يرتكب إثمًا عظيمًا كما لو سخر من الله وقارعه وتأفف منه".[5]

وجاء في التلمود أنه لو أراد الله أن يكتب التلمود برمته على الورق لما وسعته الأرض صحفًا مكتوبة[6].

وفي معرض التقديس للتلمود والإيمان المطلق بكل ما دونه الحاخامات فيه، ورد في التلمود أن خلافًا ما قد وقع بين الإله وعلماء اليهود حول أمر ما، وبعد أن طال الجدل، تقرر إحالة الأمر موضع الخلاف إلى أحد الحاخامات الذي حكم بخطأ الإله، الذي اضطر إلى الاعتراف بخطئه[7]، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

(١) سنقرط، داود عبد العفو (جذور الفكر اليهودي) ص٩٤. وقارن طعيمة، صابر (اليهود في موكب التاريخ) ص٤٦٧.
(٢) روهلنج (المرجع نفسه) ص٥١.
(٣) (المرجع السابق نفسه) ص٥١.
(٤) طعيمة، صابر (اليهود في موكب التاريخ) ص٤٦٧.
(٥) التل، عبد الله (جذور البلاء) ص٧٤.
(٦) (المرجع السابق نفسه) ص٧٤، وروهلنج (المرجع نفسه) ص٥١.
(٧) المسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص٢٨، وروهلنج (المرجع نفسه) ص٥٢. وطعيمة، صابر (اليهود في موكب التاريخ) ص٤٦٧.

ويؤكد ابن جزم الأندلسي - رحمه الله - على أهمية التلمود عند اليهود قائلاً: "إن التلمود هو معولهم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم، وإنه من أقوال أحبارهم بلا خلاف من أحد منهم".[1]

ونستطيع أن نستنتج مما جاء في التلمود وأقوال الحاخامات أن التلمود ليس من الكتب المنزلة كما يعتقد اليهود لعدة أسباب، منها:

١) جملة التعاليم الواردة في التلمود، والتي تصور الله تعالى بصورة البشر حين يشعر - جل جلاله - بالخطأ والندم ونحو ذلك - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - وهذا كافٍ في حد ذاته لإثبات استحالة قداسة التلمود.

٢) اعتقاد اليهود أن لكل الحاخامات سلطة إلهية، وكل ما قالوه يعد صادرًا من الله، وهنا يذكر التلمود "أن الحاخامات المتوفين مكلفون بتعاليم المؤمنين في السماء".[2]

٣) ادعاء الحاخامات أن كلامهم المتناقض في التلمود هو كلام الله، ومن لم يعده أو قال: إنه ليس كلامًا لله فقد أخطأ في حق الله تعالى[3]، هكذا يزينون التناقض والأخطاء التي يستحيل أن يتصف بها كتاب عقلاني.. فكيف بكتاب سماوي!!

وهناك جملة أسباب سنقف عندها عند حديثنا عن نظرة التلمود للإله - تبارك وتعالى - مما يقطع زيادة على ما سبق بلا أدنى شك أن التلمود من صنع الحاخامات الذين أرادوا أن يضفوا على أنفسهم هالة من القداسة والنزاهة والتفضيل هم منها براء.

(١) ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ٢/ ١٦.
(٢) روهلنج (المرجع نفسه) ص٥١-٥٢.
(٣) (المرجع السابق نفسه) ص٥٢.

المبحث الثاني

تطرف التلمود في التعاليم والعقيدة

المطلب الأول: التطرف والعنف في التعاليم التلمودية

يعد التلمود بما يتضمنه من تعاليم ونصوص أخطر وثيقة ضد الإنسان والإنسانية، إذ يدعو إلى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات لإقامة كيان يسيطر على البشرية جمعاء بكل الوسائل المتاحة من احتكار وغش وسلب وكذب وخداع، واستباحة أموال ودماء الأغيار، ونحو ذلك من الوسائل الممكنة.

يقول شميس - وهو يتحدث عن التلمود: "ليس هذا الكتاب وثيقة دينية كما شاء دعاة الصهيونية أن يزعموا، وهو ليس من كتب الشرائع الدينية كما أحب الصهيونيون أن يتقولوا، ولكنه وثيقة سياسية خطيرة صنعها بعض الحاخامات اتباعًا للخطة السرية الرهيبة التي دأبوا على اتباعها منذ آلاف السنين، ويهمنا أن نكشف القناع عن هذه الوثيقة الخطيرة، وهي (التلمود) الذي يعتبر كتاب السياسة الإرهابية الصهيونية"(١).

إن من الشعارات السائدة شعار "اعرف عدوك"، نعم قد نستطيع أن نعرف عن العدو الكثير من وسائله وأساليبه الدعائية، واستعداداته العسكرية، وقوته وضعفه

(١) شميس، عبد المنعم (التلمود كتاب إسرائيل المقدس) ص ٥.



لكننا لا نستطيع أن نصل إلى حقيقته وحقيقة خطره، وسر تطرفه ما لم نتعرف على تعاليم تلموده التي تقوده في شتى نواحي الحياة، فتعكس تصرفاته في ضوئها..

إن التلمود بما يحتويه من تعاليم لا يمت إلى القداسة أو الطهارة بصلة - كما يعتقد اليهود بقداسته - إذ إن المعروف أن الكتب السماوية المقدسة لا تحض إلا على الخير ولا تقود إلا إلى المنفعة والنجاة في الدنيا والآخرة بينما هذا التلمود لا يحض إلا على الشر، ولا يقود إلا إلى سفك الدماء ونشر الرذيلة والفساد من أجل سيطرة أتباعه على العالم وإذلال العالمين من غير اليهود.

يقول الدكتور سامي عصاصة في عبارة وضعها على غلاف كتابه[1]: "هناك مقاطع مهمة من تلمود اليهود لا تصلح إلا كمبادئ لعصابات عنصرية ولصوصية ودموية حاقدة، أشد سوءًا من كل تصوراتنا عن المافيا؛ فالمافيا لا ترتكب الجرائم إلا عند الضرورة من أجل المصلحة، أما التلمودية فتدعو إلى إبادة الشعوب من أجل الإبادة البحتة، إنها لا تشكل قواعد لدين سماوي أو غير سماوي، وإنما هي استهتار مميت بالديانة السمحة، بل هي إهانة لا تغتفر لكل من هو على إيمان".

أما بولس حنا مسعد فيقول - وهو يتحدث عن الصهيونيين: "إننا لو تعمقنا في درس أحوالهم، وأمطنا اللثام عن خفاياهم، لوجدنا منبت البلاء في تعاليمهم ومعتقداتهم التلمودية"[2].

وإليك أخي القارئ بعضًا من هذه التعاليم[3]:

- "إن الإنسان مهما كان شريرًا في الباطن وأصلح ظواهره، فإنه يخلص" وبناءً عليه؛ فإنه يكفي في شريعة التلمود أن يظهر اليهودي بشكل الحمل الوديع، ثم يعتقد ما شاء، ويفعل ما يشاء.

(١) عصاصة، سامي (قراءة في كتاب إسرائيل شاحاك: هل اليهودية التلمودية دين؟)
(٢) مسعد، بولس حنا: (همجية التعاليم الصهيونية) ص٨٥.
(٣) اعتمدنا في إيراد هذه التعاليم على كل من: روهلنج (الكنز المرصود) ترجمة يوسف نصر الله، ص٧٣ - ص١٠٢، ومسعد، بولس حنا: (المرجع نفسه) ص ١٣٨ - ص١٩٧، وعطية، علي إمام (الصهيونية العالمية وأرض الميعاد) ص١١٨ - ص١١٩، ومحمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص٥٧- ص٦٣، السعدني، مصطفى (أضواء على الصهيونية) ص٨٦ - ص٨٩، ونويهض، عجاج (بروتوكولات حكماء صهيون) ٢/ص ١٨٢ص١٩٦.

- "اليهود أحب إلى الله من الملائكة، وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه، فمن يصفع اليهودي كمن صفع الله"، وفي مقابل هذا؛ فإن التلمود يصف المسيحيين بأنهم أولاد الأرملة.

- "إذا ضرب أممي يهوديًا فالأممي(*) يستحق الموت".

- وتأكيدًا لمبادئ الاستعلاء اليهودي والتفوق العنصري على بقية الشعوب حث التلمود على اتخاذ الناس عبيدًا؛ لأن اليهود هم الشعب الذي اختاره الله دون بقية الشعوب؛ لذا "فإن الشعب المختار هو وحده الذي يستحق الحياة الأبدية، أما باقي الشعوب فمثلهم مثل الحمير"، وقد جاء أيضًا: "أنتم يا أمة إسرائيل تدعون بشرًا أما ما عداكم من الأمم فوحوش".

- ويعد التلمود "النطفة التي خلقت منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان".

- كما أن هؤلاء الخارجين عن دين اليهود "خنازير نجسة، وهم أشبه بالحمير، وبيوتهم أقرب إلى زرائب الحيوانات".

- ولذلك "لا قرابة بين اليهود والأمم الخارجة عن دين اليهود".

- "وأن الله لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة في الأرض، ولما خلقت الأمطار، والشمس، ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش، والفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وباقي الأمميين".

ويعد اليهود كل خارج عن مذهبهم غير إنسان، ولا يصلح أن تستعمل معه الرأفة، ويعتقدون أن غضب الله موجه إليه، وأنه لا يلزم أن تأخذ اليهود شفقة عليه.

- وذكر في التلمود أنه "ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم". ومحظور على اليهود تلموديًا أن يحيّوا الكفار بالسلام ما لم يخشوا ضررهم أو عدوانهم، فاستنتج الحاخامات أن النفاق جائز، وأن اليهودي يمكنه أن يكون مؤدبًا مع الكافر، ويدعي محبته كاذبًا إذا خاف وصول الأذى إليه.

(*) الأممي: هو الفرد من الجنس البشري غير اليهودي.



- جاء في التلمود: "أنه جائز استعمال النفاق مع الكفار (أي الخارجين عن الدين اليهودي")".

- "ومصرح لليهودي إذا قابل أجنبيًا أن يوجه له السلام، ويقول له "الله يساعدك أو يباركك" على شرط أن يستهزئ به سرًا، ويعتقد أنه لا يمكنه أن يفعل خيرًا ولا شرًا".

- وحيث إن اليهود يعدون أنفسهم مساوين للعزة الإلهية، فتكون الدنيا بما فيها خاصتهم، ولهم عليها حق التسلط، ولذلك جاء في التلمود صراحة: "إذا نطح ثور يهودي ثورًا أمميًا فلا يلتزم اليهودي بشيء من الأضرار، ولكن إذا كان الأمر بالعكس يلتزم الأممي بجميع قيمة الضرر الذي حصل لليهودي، وذلك لأنه ذكر في التوراة أن الله سلط اليهود على الأجانب".

وعلى ذلك فإن السرقة من الأجانب ليست سرقة عندهم؛ بل استردادًا لأموالهم، فسرقة الأجنبي جائزة؛ لأنهم يعتقدون أن أمواله مباحة، ولليهودي الحق في وضع اليد عليها.

- والتلمود يبيح غش الأممي وجاء في ذلك أنه: "يلزم اليهودي أن لا يجاهر بقصده الحقيقي حتى لا يضيع اعتبار الدين أمام أعين باقي الأمم".

- "مصرح لك أن تغش مفتش الجمرك الخارج عن الديانة اليهودية، وتحلف له يمينًا كاذبة على شرط أن تنجح فيما لفقته من الأكاذيب".

وجاء في التلمود: "أن الرابي صموئيل كان رأيه أن سرقة الأجانب مباحة، وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب، كان يظنها الأجنبي نحاسًا، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط وهو ثمن بخس، وسرق درهمًا أيضًا من البائع".

- وإلى جانب ذلك يحرم التلمود رد الأشياء المفقودة لغير اليهود، فقد جاء في التلمود: "أن الله لا يغفر ذنبًا ليهودي يرد للأممي ماله المفقود، وغير جائز رد الأشياء المفقودة من الأجانب، وكذلك كل من اشتغل يوم السبت؛ لأنه إذا رد مال هؤلاء المفقود، فإنه بفعله هذا يقوى الكفرة، ويظهر اليهودي بذلك أنه يحب الوثنيين، ومن أحبهم فقد أبغض الله".

- وجاء في التلمود: "غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا"[1].
- وفي التلمود مباح قتل غير اليهودي، بل إن القتل واجب عند التمكن من إجرائه، فقد جاء في التلمود: "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدًا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها؛ لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين".
- وجاء في موضع آخر "إذا وجد أحد اليهود كافرًا في حفرة فعليه أن لا يخرجه منها حتى لو وجد فيها سلمًا يمكن الكافر أن يخرج بواسطته منها وجب على اليهودي نزعه محتجًا بأنه أخرجه حتى لا ينزل عليه قطيعه، وإذا وجد حجرًا بجانب الحفرة وجب عليه وضعه عليها، ويقول: إني أضع هذا الحجر ليمر عليه قطيعي.
- "وعلى اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله من الأجانب، فإذا لم يفعل ذلك فإنه يخالف الشرع".
- وقال التلمود: "من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر؛ لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانًا لله".

أيُّ تطرف هذا الذي يسمح باستباحة دماء الأبرياء من الناس دون ذنب سوى أنهم من غير اليهود؟ أية عنصرية هذه؟ وأية جريمة هذه التي ترتكب تحت ستار التعاليم الدينية التلمودية؟ وأية شريعة هذه التي تنص على أن: "اليهودي الذي يقتل أحد الأغيار يكون مذنبًا فقط بارتكاب معصية ضد شرائع السماء، وهي معصية غير قابلة لعقوبة صادرة عن محكمة، أما التسبب بصورة غير مباشرة بمقتل أحد الأغيار فهذا ليس معصية على الإطلاق".

وتعليقًا على هذه القضية يقول د. عصاصة: "لو شئنا التدقيق في هذا القول لتلمسنا كفرًا سافرًا يستتر وراءه، فلو قتل حاييم اليهودي سعيدًا المسلم أو حنا المسيحي لما جاز للقضاء البشري النظر في الجريمة، حتى ولو اعترف حاييم بأعلى صوته أنه قاتل؛ فتعاليم التلمود ترمي بملف القضية دفعة واحدة إلى يوم الحساب... إنه تآمر صامت مع

(١) يراجع ما ذكرناه بشأن الربا في الفصل السابق.



القاتل وسكوت عن ذنبه مما يشجع اليهود على ارتكاب الموبقات تجاه الأغيار وعدم الاكتراث بحياتهم.. أما التأجيل إلى الأبد فيشير إلى أن قضاء اليوم الآخر لن يكون... وبهذا التأجيل فإنه يشكك في وجود الإله العادل أصلاً"[1]، وبإلقاء نظرة إلى مثال القتل غير المباشر؛ حيث يسمح التلمود لليهودي بإزالة السلم الذي يستطيع أحد الأغيار استخدامه للنجاة من الموت.

يقول عصاصة: "فما هذه السخافات والسفاسف؟ وهل نحن بصدد لعبة يمارسها الأطفال في ألعابهم الجماعية؟ وكيف يوصف سحب السلم الذي يؤدي إلى موت أسير الحفرة على أنه عمل قتل غير مباشر؟ وماذا نسمي إذن أن يحفر يهودي حفرة في طريق أحد الأغيار فيغطيها بقماش، أو بأغصان، ثم يذهب "قرير العين" إلى داره أو إلى كنيسة فيصلي راجيًا ربه أن يسقط فيها رجل من الأغيار فتدقُّ عنقه؟... فالقتل غير المباشر لا يعاقب عليه اليهودي؛ لأن القتل كما يراه التلمود هو أن يمسك اليهودي بآلة الموت، وينفذ بيده قتل الأغيار، وغير ذلك هو قتل غير مباشر يعفى مرتكبه من محاكمة على وجه الأرض"[2].

- ومن تعاليم التلمود أن اليهودي لا يخطئ، إذا اغتصب الأجنبيات (غير اليهوديات)، فقد جاء في التلمود: "أن لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات"[3].
- ومن تعاليم التلمود أيضًا أن اليمين لا تلزم اليهودي، فلا يعد اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب يمينًا؛ لأنه كأنه أقسم لحيوان، والقسم لحيوان لا يعد يمينًا، لأن اليمن إنما جعلت لحسم النزاع بين الناس ليس إلا، وعليه فإنه يجوز لليهودي أن يحلف زورًا، ولو أدى عشرين يمينًا كاذبة بحيث لا يعرض أحد إخوانه اليهود لضرر ما، ويمكن لليهود أن يتحصلوا على مغفرة لهذه الأيمان ولجميع ذنوبهم في يوم عيد الغفران، أو حتى في أي وقت كان من حاخام واحد أو ثلاثة شهود.[4]

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ص ٩٢ – ص٩٣.

(٢) يُنظر عصاصة، د. سامي (المرجع نفسه) ص٩٣، وفي هذا الموضع يشرح المؤلف باختصار مفيد موضوع التشريع التلمودي في قضية القتل.

(٣) يُنظر إلى الموضوع بتوسع في الفصل السابق عند حديثنا عن (الجنس في التوراة).

(٤) روهلنج (المرجع نفسه) ص٩٩ – ص ١٠١.

- وجاء في التلمود أيضًا أنه: "يلزم أن يقتل الإنسان بيده الكفرة مثل يسوع الناصري وأتباعه ويلقيهم في هاوية الهلاك"[1].
- ومما جاء في التلمود: "العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم".
- ويحث التلمود جميع اليهود على بذل جهدهم لمنع وصول غير اليهود إلى السلطة حتى يحين الوقت لتولي اليهود إياها ، وإلا فسيظلون مشتتين وأسرى؛ لذلك يصرح التلمود في وصايا جامعة: "اهدم كل قائم.. لوث كل طاهر.. احرق كل أخضر.. اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود".

تلك هي بعض من تعاليم التلمود التي تكشف اللثام عن الوجه الحقيقي لليهودي التلمودي، وسوف نقف عند نحوها من نصوص ووصايا وتعاليم تلمودية نستكمل من خلالها الموقف التلمودي المتطرف من أسس العقيدة في الله واليوم الآخر، ثم العنف التلمودي بحق المسيح عليه السلام والمسيحيين من بعده.

وأخيرًا؛ فإن من يخالف تعاليم التلمود من اليهود يعاقب بالحرمان الذي نصه: "بناءً على حكم إلهنا إله الآلهة؛ يحرم فلان بن فلان من المحكمتين: محكمة أول درجة، والمحكمة العليا ، ومن القديسين والملائكة ، ومن الجمعيات الكبيرة والصغيرة، ويصاب بالقروح والأمراض الخبيثة كلها ، ويكون منزله مسكنًا للجن، ويكون نجمه مظلمًا في السماء ، ومن المغضوب عليهم، ويطرح جسده للوحوش المفترسة وللثعابين، ويفرح أعداؤه، ومن يريد له الشر، وتعطى أمواله من الذهب والفضة لغيره، وتسقط تلك الأموال تحت سلطة العدو ، ويلعن أولاده حياته، ويكون ملعونًا... ويلفظ عن قبور بني إسرائيل، وتُعطى امرأته لغيره، ويميل إليها آخرون بعد موته، ويسقط هذا الحرمان على فلان بن فلان، ويكون من نصيبه".

ولذلك فإن التلمود بحق يعد أخطر وثيقة ضد الإنسانية جمعاء؛ لما جمع بين صفحاته السوداء من تعاليم ونصوص ووصايا تفوح منها رائحة التطرف والعنف بحيث تملأ الكون كله ، فهل يرضى الله العزيز الحكيم الرحيم الكريم المنزه العظيم عن هؤلاء التلموديين، وهم يدعُون إلى ارتكاب الفظائع والوحشية في حق الناس جميعًا لا

(١) يُنظر هذا الموضوع بتوسع في المبحث اللاحق الذي يتعلق بعداء التلمود للمسيح والمسيحية.



فرق في ذلك بين مسلم ومسيحي، معتبرين أنفسهم هم خاصة الله، وأن الله إلههم وحدهم... وأن هذا الإله الذي يتحدثون عنه هو إله اليهود ورب الصهيونيين فحسب... وليس الله رب العالمين، سبحانه وتعالى عما يصفون.

المطلب الثاني: التطرف التلمودي في العقيدة

أولاً: التطرف التلمودي في الإله:

يشكل التصور التلمودي للإله نكسة للفكر التوحيدي وتطرفًا شديدًا في تحريف المبادئ التي نادى بها الأنبياء (عليهم السلام).

، فالتلمود يخلع العديد من الصفات الإنسانية واليهودية على الإله، فالعصمة ليست من صفاته، فالله - كما يصوره العنف التلمودي - يكون مشغولاً خلال اثنتي عشرة ساعة يوميًا: يقرأ التوراة في الثلاث ساعات الأولى، ويحكم العالم في الثلاث ساعات التالية، ويفكر في إفناء العالم، ثم يترك كرسي القضاء إلى كرسي الرحمة، ويجلس في الثلاث ساعات التالية يرزق العالم كله من أكبر الحيوانات إلى أصغرها، وفي الثلاث ساعات الأخيرة، يلعب مع التنين أو الحوت - ملك الأسماك[1].

وقال الرابي مناحم: "إنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع (أسمود) (Asmode) - ملك الشياطين - في مدرسة السماء، ثم ينصرف (أسمود) منها بعد صعوده إليها كل يوم لكي يقتبس العلم[2].

والحوت كبير جدًا يمكن أن يدخل في حلقه سمكة طولها ٣٠٠ فرسخ دون أن تضايقه، وبالنسبة لحجمه الكبير رأى الله أن يحرمه من زوجته؛ لأنه إن لم يفعل ذلك لامتلأت الدنيا وحوشًا أهلكت من فيها، ولذلك حبس الله الذكر بقوته الإلهية، وقتل الأنثى، وملحها، وأعدها لطعام المؤمنين في الفردوس[3].

(١) يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (اليد الخفية) ص ٢٧، وروهلنج (الكنز المرصود) ص ٥٥.
(٢) يُنظر: روهلنج (المرجع نفسه) ص٥٥، ومسعد، بولس (همجية التعاليم الصهيونية) ص١١٠.
(٣) يُنظر: روهلنج (المرجع نفسه) ص٥٥، وشميس، عبد المنعم (التلمود كتاب إسرائيل المقدس) ص ٢٨.



ولم يلعب الله مع الحوت بعد هدم الهيكل، كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء، بعد أن زينها بملابسها، وسرح لها شعرها، وقد اعترف الله بخطئه في هدم الهيكل، فصار يبكي، ويمضي ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد قائلاً: تبًا لي لأني أمرت بخراب بيتي، وإحراق الهيكل، ونهب أولادي، وشغل الله مساحة أربع سنوات فقط بعد أن كان ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان[1].

وعندما يسمع الله تمجيد الناس له يطرق رأسه ويقول:

"ما أسعد الملك الذي يمدح ويبجل مع استحقاقه لذلك، لكن لا يستحق شيئًا من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء"[2].

والإله في التلمود - . بشكل كامل لشعبه المختار، ولذا فهو يعبر عن ندمه على تركه اليهود في حالة تعاسة وشقاء، حتى أنه يلطم ويبكي كل يوم، فتسقط من عينيه دمعتان في البحر، فيُسمع دويهما من بدء العالم إلى منتهاه، وتضطرب المياه، وترتجف الأرض في أغلب الأوقات، فتحصل الزلازل!![3].

وأما تخطئة القمر لله، فإنه قال له: أخطأت حيث خلقتني أصغر من الشمس، فأذعن الله لذلك، واعترف بخطئه وقال: اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي لأني خلقت القمر أصغر من الشمس[4].

وليست العصمة من صفات الله في رأي التلمود، لأنه غضب مرة على بني إسرائيل، فاستولى عليه الطيش، فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك، بعد أن هدأ غضبه، ولم ينفذ قسمه؛ لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة[5].

---

(١) يُنظر: شميس، عبد المنعم (المرجع نفسه) ص ٢٩، وروهلنج (المرجع نفسه) ص ٥٦، وقارن، مسعد، بولس: (همجية التعاليم الصهيونية) ص١١١.

(٢) روهلنج (الكنز المرصود) ص٥٦، وشميس، عبد المنعم (المرجع نفسه) ص٢٩، وقارن، مسعد، بولس: (المرجع نفسه) ص١١١.

(٣) (المراجع السابقة نفسها والمواضع نفسها).

(٤) (المراجع السابقة نفسها والمواضع نفسها).

(٥) شلبي، أحمد (مقارنة الأديان اليهودية) ص ٢٧١ – ص ٢٧٢.

وجاء في التلمود: أن الله إذا حلف يمينًا غير قانونية، احتاج إلى من يحلله من يمينه، وقد سمع الله - تعالى، أحد عقلاء الإسرائيليين، وهو يقول: من حللني من اليمين التي أقسمت بها، وحينما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله منها، عدّوه حمارًا، لأنه لم يحلل الله من يمينه، ولذلك نصبوا ملكًا بين السماء والأرض اسمه "مي" لتحليل الله من إيمانه ونذوره عند الضرورة[1].

وكما أن الله حنث في يمينه، فقد كذب أيضًا - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - بقصد الإصلاح بين إبراهيم وزوجته سارة، وبناء على ذلك يكون الكذب حسنًا لأجل الإصلاح[2].

ويقرر التلمود أن الله هو مصدر الشر، كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسنّ له شريعة، فلم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهج الشريعة، فوقف الإنسان حائرًا بين اتجاه الشر في نفسه وبين الشريعة المرسومة إليه، وعلى هذا فإن داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا واتصاله بامرأته لأن الله هو السبب في كل ذلك[3].

ويتواصل العنف التلمودي في وصف الإله سبحانه بصفات الحوادث والنقص... ويبدو ذلك على الأخص فيما يذكره التلمود عن جسم الإله وضخامة أعضائه.

فقد ذكر العلامة ابن حزم الأندلسي - رحمه الله - أن سفرًا من أسفار التلمود يسمى "سفر توما" قد وصف جبهة خالقهم وعظم مساحتها، فقال: إنها من أعلاها إلى أنفه خمسة آلاف ذراع، وأنه قد جاء في سفر آخر من أسفار هذا الكتاب يقال له "سيدر ناشيم" أن في رأس خالقهم تاجًا فيه ألف قنطار من ذهب، وفي إصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب، وأن الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه "صندلفون"[4].

(١) روهانج (المرجع نفسه) ص٥٧، وشميس، عبد المنعم (المرجع نفسه) ص٣١، ومسعد، بولس: (المرجع نفسه) ص ١١٣.
(٢) (المراجع السابقة نفسها والمواضع نفسها).
(٣) شلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص ٢٧٢.
(٤) ابن حزم الأندلسي (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ١/ ١٦٣.



وذكر ابن حزم أيضًا أنه قد جاء في بعض أسفار التلمود أن رجلاً اسمه إسماعيل كان قد سمع الله تعالى يئن كما تئن الحمامة إثر خراب بيت المقدس، ويبكي وهو يقول: الويل لمن أخرب بيته، وضعضع ركنه، وهدم قصره، وموضع سكينته، ويلي على ما أخربت من بيتي، ويلي على ما فرقت من بنيّ وبناتي، قامتي منكسة حتى أبني بيتي، وأرد إليه بنيّ وبناتي، فلما شعر الله بوجود إسماعيل بجواره، أخذ بثيابه وقال له: أسمعتني يا بني يا إسماعيل؟ قال: لا يا رب. فقال له الرب: يا بني يا إسماعيل بارك عليّ، فبارك عليه ومضى"[1].

ويستدل من أسفار تلمودهم كذلك أنهم كانوا يخصصون عشرة أيام من أول أكتوبر يعبدون فيها ربًا آخر غير إلههم، ويطلقون عليه اسم الرب الصغير، وهذا الرب الصغير هو صندلفون، الملك خادم التاج الذي في رأس معبودهم[2].

ولقد ازدادت عقيدتهم انحرافًا ووحشية حتى أن أسفار تلمودهم - كما يقول د. وافي - "تحثهم على ذبح الآدميين من غير بني إسرائيل، وتقديمهم قربانًا لإلههم، ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم وأفراحهم الدينية.. وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقرب به اليهودي إلى ربه، وما تقر به عين إلههم"[3] وسنتحدث عن ذبح الآدميين بالتفصيل لاحقًا، إن شاء الله ذلك، عندما نصل لعداء اليهود للمسيحيين وتعاليم التلمود المتطرفة التي تنص على ذلك.

ثا : التطر التلمودي في ا ونظر طين[4]:

يقسم التلمود الملائكة إلى قسمين:

الأول: من لا يطرأ عليه الموت، وهو الذي خلق في اليوم الثاني.

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ١ / ١٦٤.

(٢) (المرجع نفسه) ١ / ١٦٥.

(٣) وافي، د. علي عبد الواحد (اليهودية واليهود) ص٤٠.

(٤) اعتمدتُ في بيان هذا الموضوع على أهم الكتب، وهي التي رجع إليها معظم الباحثين والمؤلفين، وهي: روهلنج (الكنز المرصود) ص٥٨، ومسعد، بولس حنا: (همجية التعاليم الصهيونية) ص١١٥، وبالاستطاعة المقارنة مع التل، عبد الله (جذور البلاء) ص٧٥، وشميس، عبد المنعم (التلمود كتاب إسرائيل المقدس) ص ٣٢.

الثاني: من يطرأ عليه الموت، وهو قسمان أيضًا:

- من يموت بعد مكثه زمنًا طويلاً قدّر له فيه الحياة بأجله، وهو الذي خلق في اليوم الخامس.
- ومن يموت في يوم خلقه بعد أن يرتل لله، ويقرأ التلمود، ويسبح التسابيح، وهو الذي خلق من النار، وقد أهلك الله منهم جيشًا جرارًا بواسطة إحراقه بطرف إصبعه الخنصر.

وعلى حسب التلمود؛ فإن الله تعالى يخلق كل يوم ملكًا جديدًا عند كل كلمة يقولها، فهؤلاء الملائكة يأتون إلى عالم الوجود بسرعة كما يخرجون منه.

أما وظائفهم؛ فمنهم من وظيفتهم حفظ الأعشاب التي تنبت في الأرض، وهم واحد وعشرون ألفًا بعدد أنواع الأعشاب، كل واحد يحفظ النوع الذي يُناط به، ومنهم الملك (جريكمو) للبرد، وميخائيل للنار وإنضاج الثمار.

ويوجد جملة ملائكة أخرى معروفة أسماؤهم لدى الحاخامات، بعضهم مخصص بالخير، وبعضهم بالشر، وبعضهم لبثّ المحبة والصلح، وبعضهم لحفظ الطيور والأسماك والحيوانات المتوحشة، وبعضهم مختص بصناعة الطب، وبعضهم لمراقبة حركة الشمس، والقمر والكواكب.

ويقول الحاخام موسى بن ميمون: "إن الأجرام السماوية هي ملائكة صالحة، وذلك لأن لتلك الأجرام عقلاً وقوى للمعرفة والتعقل، فتراهم يعقلون ويفهمون!!"

ويزعم التلمود أن عمل الملائكة الرئيس هو سكب النوم على عيون البشر، وحراستهم في الليل، أما في النهار فإنهم يصلون عن البشر، ولذلك يجب أن نلجأ إليهم ونطلب منهم ما نريد.

ويحسب التلمود؛ فإن الملائكة لا تفهم اللغة السريانية ولا الكلدانية، فعلى من يطلب منها شيئًا أن لا يوجه إليها الخطاب بإحدى هاتين اللغتين.



وتجهل الملائكة هاتين اللغتين لسبب مهم وهو - كما يزعم التلمود - أنه يوجد لدى اليهود صلاة غير مفهومة يصلونها باللغة الكلدانية، فقد جاء في التلمود أن الملائكة يجهلون هذه اللغة حتى لا يحسدوا اليهود على صلاتهم.

وعلى حسب رواية أخرى، فإن الملائكة تفهم جميع اللغات، غير أنها تكره هاتين اللغتين، كراهية كلية، ولا تسمع من يطلب منها شيئًا بهما.

هذا بالنسبة لتطرف التلمود في الملائكة، أما في مقابل الملائكة؛ فإن التلمود يرى أن الله تعالى خلق الشياطين يوم الجمعة عندما خيم الغسق، ولم يخلق لهم أجسادًا ولا ملابس، لأن يوم السبت كان قريبًا، وما كان لديه الوقت الكافي ليعمل كل ذلك!! وعلى حسب رواية أخرى لم يخلق لهم أجسادًا عقابًا لهم؛ لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الإنسان بدون جسد.

والشياطين على جملة أنواع، فبعضهم مخلوق من مركب ناري ومائي، وبعضهم مخلوق من الهواء، وبعضهم من الطين، أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر لا تصلح إلا لصنعها.

وبعض الشياطين تحدروا من صلب آدم، لأنه بعد أن لعنه الرب رفض أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلاً شقيًا تعيسًا، وفي ذلك الوقت بانت له شيطانتان فجامعهما وولدتا شياطين.

ويزعم التلمود أن آدم عاشر شيطانة اسمها (ليليت) عشرة زوجية مدة مئة وثلاثين سنة، وقد أنجب منها شياطين وأقزامًا، أما حواء فإنها كانت على غرار آدم، وعاشرت شيطانًا مئة وثلاثين سنة عشرة زوجية، وكان لها منه أولاد.

ويقول التلمود: إن سليمان عليه السلام استخدم أمهات الشياطين المشهورات، وكان يجامعهن، وبحسب التلمود؛ فإن الإنسان يستطيع قتل الشيطان في بعض الظروف، ومثال ذلك عندما يكون اليهودي مشغولاً بصنع الحلوى في عيد الفصح حسب الشريعة اليهودية، أما نوح عليه السلام فإن التلمود يزعم أنه أنقذ كثيرًا منهم؛ لأنه حملهم معه في السفينة، كما أن الشياطين في التلمود يحبون الرقص بين قرون الثيران الصاعدة من المياه، وفي وسط النساء الراجعات من الجنازة.

وقد أسهب التلمود كثيرًا في الحديث عن الشياطين، ويتضح ذلك من خلال كتابات العلماء الذين اعتمدنا عليهم في هذا الباب، وهنا يقول بولس حنا مسعد: "ولو كنا نريد شرح ما يخرف به التلمود لما كفانا مجلد ضخم برأسه، لأن عند اليهود مجلدات كبيرة مخصصة للخرافات وأنواع السحر"[1].

وقال معلم السحر اليهودي (إليفاس ليفي): "إن التلمود هو أول كتاب أساسي لكل أنواع السحر"[2].

وحيث إن التلمود هو كتاب السحر الأول في العالم فقد جاء فيه: أن أحد مؤسسي المذهب اليهودي التلمودي كان بمقدوره أن يحيى الإنسان بالسحر بعد قتله، وأنه كان يخلق في كل ليلة عجلاً بمساعدة أحد الربانيين ويأكلانه معًا، وأن يهوديًا آخر ادعى أنه يستطيع إبدال القرع والبطيخ بالظباء والجداء (أي غزلان ومعيز)، وساحر آخر قلب المياه إلى عقارب، وحوَّل امرأة إلى حمار كان يركبه في نزهاته.

ويعتقد أصحاب المذهب التلمودي أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان يستعمل السحر، وعلمه لغيره، حتى كان يربط في عنق كل مريض حجرًا يرد له صحته، وقد وصل هذا الحجر أخيرًا إلى الربانيين التلموديين فكانوا بقوته يعيدون الحياة إلى الذين ماتوا، وقد حصل أن أحد الربانيين قطع رأس أفعى بسنه ولمسها ثانية بحجره فرجعت إليها الحياة؛ بل إنه كان يلمس بهذا الحجر الطيور التي ماتت فتعود إليها الحياة وتطير ثانية، وكذا الأسماك المملحة دبت فيها الروح بقوة السحر[3].

يقول التل: "إن ممارسة اليهود للسحر قديمة منذ أيامهم في بابل ومن قبلها في أيام موسى عليه السلام، ونقل علماء كثيرون في أوروبا أمور السحر وعاداته وطقوسه، وكما مارسها اليهود، وكما وردت في التلمود ونشروها في أوروبا المسيحية في أوقات متقطعة"[4].

(١) مسعد، بولس: (همجية التعاليم الصهيونية) ص ١٢١.
(٢) يُنظر: روهلنج (المرجع نفسه) ص٦٢، ومسعد، بولس (المرجع نفسه) ص ١٢١.
(٣) يُنظر: (المرجعان السابقان): الأول ص٦٢، والثاني ص ١٢١.
(٤) التل، عبد الله (جذور البلاء) ص٧٦، وقد ذكر أشهر ما كتب عن السحر اليهودي التلمودي، يحسن الرجوع إلى عناوينها حسب ما ذكرها التل، ص ٧٦ من هذا المرجع.

ثانياً: التطرف اليهودي في الأرواح والجنة والنار:

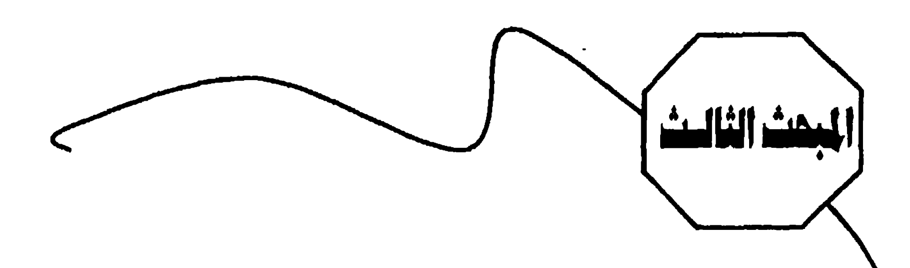
يتطرف التلمود عندما يزعم أن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح، بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من أبيه، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة إلى باقي الأرواح؛ لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات(1).

ويقول التلمود بالتناسخ، وهو فكر تسرب لبابل من الهند، وأخذه حاخامات اليهود من المجتمع البابلي، فقد ذكر التلمود أن روح اليهودي تخرج بعد موته وتشغل جسمًا آخر، فإذا مات أحد الجدود - مثلاً - تخرج روحه وتشغل أجسام نسله الحديثي الولادة.

وذكر التلمود أن اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديًا أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات، ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذابًا أليمًا مدة اثني عشر شهرًا، ثم تعود ثانيًا وتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات، ثم الوثنيين، ثم ترجع إلى أجساد اليهود بعد تطهيرها، وهذا التناسخ قد فعله الله رحمة باليهود؛ لأنه - سبحانه وتعالى - أراد أن يكون لكل يهودي نصيب في الحياة الأبدية.(2)

أما عن النعيم والجحيم؛ فإن التلمود يقول بأن النعيم مأوى الأرواح الزكية، وأن مآكل المؤمنين في النعيم هو لحم زوجة الحوت المملحة، والثور البري، والطير اللذيذ الطعم، والأوز السمين للغاية، أما الشراب فهو من النبيذ القديم المعصور ثاني يوم خليقة العالم، ولا يدخل الجنة - حسب زعم التلمود وتطرفه - إلا اليهود، أما الجحيم فهو مأوى الكفار، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين، وأن هذا الجحيم لغير اليهود من المسلمين والمسيحيين، وقد أشار القرآن الكريم إلى مزاعمهم وتطرفهم هذا(*). كما سبق أن أشرنا إلى هذا الموضوع ضمن موقف التوراة المتطرف من البعث واليوم الآخر.

(1) يُنظر: روهلنج (المرجع نفسه) ص٦٦، وشلبي، أحمد (المرجع نفسه) ص٢٧٢.
(2) يُنظر (المرجعان السابقان): الأول ص٦٧ والثاني ص٢٧٢.
(*) قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا ... ﴾ (البقرة: ١١١)، ﴿ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: ١١١).



التطرف والعنف التلمودي ضد المسيح والمسيحية

المطلب الأول: التطرف التلمودي ضد المسيح (عليه السلام)

جاء في التلمود: "أن يسوع الناصري (أي عيسى عليه السلام - وحاشاه مما يقولون) موجود في لجات الجحيم، بين الزفت والنار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري بانديرا[*] بمباشرة الزنى، وأن الكنائس النصرانية هي بمستوى قاذورات، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، وأن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع المسيحي لا يكون عهدًا صحيحًا، يلزم اليهودي القيام به، وأن من الواجب دينًا أن يلعن ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني، وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل"[1].

ويطلق لفظ المسيح[**] عند اليهود على المخلّص، فقد اختمرت فكرة المخلص عند اليهود في عصر ما قبل مجيء المسيح عيسى عليه السلام، حيث كانوا ينتظرون مخلّصًا ومنقذًا لهم بفارغ الصبر، يُملّكهم الأرض ويجعلهم سادة العالم.

(*) بانديرا: زعموا أنه اسم زوج مريم، وذلك بقصد إخفاء اسمه الحقيقي. يُنظر الطهطاوي، محمد عزت: (الميزان في مقارنة الأديان) ص٦٧.

(١) يُنظر: روهلنج (الكنز المرصود في قواعد التلمود) ترجمة يوسف نصر الله، ص ٢٧ - ص ٢٨، وأبو الروس، إيليا (اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية) ص١٢٠.

(**) المسيح: لغة مأخوذ من المسح، والمسح هو إمرارك يدك على الشيء السائل أو المتلطخ تريد إذهابه بذلك، كمسحك رأسك من الماء، وبالعبرية "مشيحا" ومعناه المبارك، ينظر: ابن منظور ==

وعندما جاء عيسى ابن مريم عليه السلام، رأى اليهود أن هذا المولود الجديد سيكون هو المخلِّص، إلا أن فألهم قد خاب، لأن عيسى عليه السلام جاء يحمل معه جملة تعاليم(*) تخالف طبائعهم الفاسدة، وتخلصهم من نفوسهم المريضة، وتعلمهم الأخلاق الكريمة التي نبذوها وراء ظهورهم، فاختلف طريقهم مع طريقه، فكفروا به، وبدءوا يكنون له العداء، فتعرض عليه السلام لسخطهم ولم يؤمن به إلا القليل منهم، ولا يزال اليهود إلى يومنا هذا ينتظرون مسيحهم(**) الذي يملكهم الأرض ويجعلهم سادة العالم، أما عيسى فقد ثاروا عليه وتآمروا على قتله، ونابذوه هو وأتباعه أشد العذاب.[1]

يقول فرانك ج باول: "عندما ظهر المسيح عليه السلام ودعا اليهود إلى اتباعه، رفض اليهود منذ البداية الإقرار بنبوته، والاعتراف بأنه المسيح المنتظر، الذي بشرت به التوراة، وكتب الأنبياء، وذهبوا في جحودهم لنبوته إلى أبعد مدى، فاعتبروه ثائرًا خارجًا على اليهودية، يستحق القتل والرجم.

ومن ثم فقد بدءوا بالكيد له ولأتباعه لدى "بيلاطس" - الحاكم الروماني - وعقدوا له محاكمة دينية خاصة أمام مجلس السنهدرين - أعلى هيئة قضائية في

== (لسان العرب) ٣ / ٤٣٠ مادة مسح وغربال، شفيق(الموسوعة العربية) ص ١٩٨١، وملكاوي، محمد عبد القادر (المناظرة الكبرى) ص٢٠٢.

(*) ومن جملة هذه التعاليم التي تخالف طبائعهم وبسببها كفروا به، وناصبوه العداء ما يأتي:
أ. دعوته عليه السلام لهم بتوحيد الله وعدم الشرك به.
ب. التبشير بنبوة محمد ﷺ، ولقد كره اليهود أن يكون نبي من العرب فحاربوا عيسى عليه السلام لأنه بشّر به ﷺ.
ج. أن الله لا يخص جنسًا برعاية دون جنس وهذا مخالف لطبيعتهم الفاسدة في انهم شعب الله المختار.
د. ومن التعاليم التي من أجلها كره اليهود عيسى عليه السلام أن أحل لهم الحصاد يوم السبت، ومنع فكرة الذبائح من أجل المفاخرة والتباهي، وهدمه تعاليم الأحبار المضللة، ونحو ذلك من التعاليم التي خالفت هوى اليهود مما أوجب عداءهم له عليه السلام. ينظر: الحاج، محمد أحمد (النصرانية من التوحيد إلى التثليث) ص٨٠ – ص٨٨ بتصرف وشلبي، أحمد (المسيحية) ص٤٦.

(**) مسيحهم: هو المسيح الدجال (اي الكذاب) وقيل المسيح لأنه مسح خلقه أي شوّه، واليهود إنما ينتظرون المسيح الدجال مسيح الضلالة، وذكر ابن القيم أن اليهود يعتقدون أن هذا المنتظر متى جاءهم يجمعون بأسرهم إلى القدس وتصير لهم الدولة، ويخلو العالم من غيرهم، ويحجم الموت عن جنابهم المنيع مدة طويلة، وقد عوضوا من الإيمان بالمسيح ابن مريم انتظار مسيح الضلالة الدجال فإنه هو الذي ينتظرونه حقاً، وهم عساكره وأتبع الناس له، ويكون لهم في زمانه شوكة ودولة إلى أن ينزل مسيح الهدى ابن مريم فيقتل منتظرهم. ينظر: ابن قيم الجوزية (هداية الحياري) ص٤٢٤، وابن منظور (لسان العرب) ٣/ ٤٣٠ مادة مسح في المعنى اللغوي.

(١) ينظر: شلبي، أحمد (مقارنة الأديان – المسيحية) ص ٧٦ – ص٧٧.



اليهود - ووُجه إليه اتهام بأنه نبي مزيف، وأنه كان ساحرًا، وأنه كان يعلّم بدين جديد، وكان يحرص على عبادة الله بما لا يتفق مع شريعة موسى ﷺ، وأنه كان يقوض الأصول الدينية القومية، وادعى زورًا أنه المسيا المنتظر، وادعى زيفًا أنه ابن الله معادلاً نفسه بالله، وكان ذلك كله يشكل إهانة لله عقوبتها الموت"[1].

ثم قدموه إلى بيلاطس - الحاكم الروماني - ليقتله بتهمة إفساد الأمة، والامتناع عن أداء الجزية للقيصر، والادعاء بأنه المسيح الملك وطالبوه بصلبه[2].

وازداد العنف اليهودي ضراوة حين رموه في تلمودهم بما يخدش الشرف وينال الكرامة، فسبوه، وقذفوه في عرضه، حيث ادعى التلمود أنه ابن غير شرعي حملته أمه وهي حائض، وأنه مجنون، ومشعوذ ومضلل... ونحو ذلك[3].

ويورد ابن القيم أن اليهود ينسبون عيسى ﷺ لزانية[*]، وحاشاه وحاشا أمه الصديقة الطاهرة البتول، ويزعمون أن زوجها يوسف بن يهودا[**] وجد البانديرا عندها على فراشها أو شعر بذلك فهجرها وأنكر ابنها[4]. هكذا طعن التلمود في شرف والدته سيدة نساء العالمين.

علاوة على ذلك، فقد قالوا في الكتب السرية التي لا تتاح للمسيحيين فرصة الاطلاع عليها بسهولة: إن روح إيسو "Esau" دخلت من المسيح، وأنه لذلك كان شريرًا، بل كان إيسو نفسه[5]. كما أن التلمود يعد المسيح:

١) مجنونًا ومخبولاً وأحمق.

٢) ساحرًا ومشعوذًا، تعلم السحر أثناء وجوده في مصر.

(١) محمد، عبد الراضي (التطرف اليهودي) ص ٤٧.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص ٤٧.
(٣) الأب اي. بي. براناتيس (فضح التلمود) ص٥٧.
(*) جاء في إنجيل يوحنا ٨: ٤١ أن اليهود قالوا لعيسى ﷺ وهم يعيرونه بأمه: "ما نحن أولاد زنى، ولنا أب واحد وهو الله".
(**) يوسف بن يهودا: ذكر إنجيل متى أنه زوج مريم العذراء، وهو من بيت داود، من بيت لحم (متى ١:١٦،٢٠)، وأنه مارس مهنة التجارة (متى ١٣: ٥٥).
(٤) ابن قيم الجوزية (هداية الحياري) تحقيق محمد الحاج، ص ٥٣١.
(٥) الأب اي. بي براناتيس (فضح التلمود) ص٤٧.

٣) وثنيًا، أسقط نفسه في الهرطقة والوثنية والأخلاق السيئة، وألحق بنفسه العار.

٤) مضللاً أفسد إسرائيل وهدمها.

٥) مدفونًا في جهنم، مات كبهيمة، ودفن في كومة قذارة؛ حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة، وحيث أبناء إيسو (المسيحيون) وأبناء إسماعيل، بالإضافة إلى المسيح ومحمد - حاشاهم - غير المختونين والنجسين، كالكلاب النافقة... هؤلاء جميعًا مدفونون معًا.

٦) معبودًا كإله بعد ما قتله أتباعه.

٧) المصلوب الذي لقي ميتة حقيرة بشنقه على الصليب عقابًا له على جرائمه وعقوقه.[١]

ويقول التلمود: إنه قبل "صلب" المسيح أعلن في المدينة عن طريق النداء العام أن يحضُر الذين يريدون الشهادة ببراءة المسيح، ولكن أحدًا لم يتقدم، وأنه قبل صلبه مساء عيد الفصح[*] اليهودي رمى بالأحجار[٢].

ويقول التلمود: إن تلاميذ المسيح "ملحدون"، ويطلق التلمود عليهم أسماء شائنة فاضحة، ويتهمهم بإتيان أفعال قبيحة. كما أن "العهد الجديد" (الإنجيل) يسمى بـ كتاب الإثم "Sinful Book"[٣].

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٦٤ – ص٧٢. وقارن خان، ظفر الإسلام (التلمود تاريخه وتعاليمه) ص٦١ – ٦٢.

(*) عيد الفصح Passover: وبالعبرية "بيساح"، وهو عيد خبز الفطير، ويسمى أيضًا عيد "الفسح"، أي: الفرج بعد الضيق، وكلمة الفسح كلمة عبرية تعني العبور أو المرور أو التخطي، ومن هنا كانت التسمية Passover بالإنجليزية نسبة إلى عبْور أو مرور، ويرمز هذا العيد إلى خلاص بني إسرائيل من العبودية في مصر، وخروجهم منها بقيادة موسى عليه السلام، ويقع بين الخامس عشر والثاني والعشرين من شهر نيسان، وهو من أكثر الأعياد أهمية عند اليهود، ومن أهم مظاهر هذا العيد: الاقتصار في الأكل على خبز الفطير تذكيرًا لليهود بالعجلة التي كان عليها بنو إسرائيل أثناء هروبهم من مصر لواذًا وسراعًا مع التشديد على عدم تناول الخبز أو الطعام المخمر والملح؛ لأنه أثناء خروجهم من مصر لم يكن لديهم وقت لذلك. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٢٧٦، وظاظا، حسن (الفكر الديني اليهودي) ص١٨٠ – ١٨٩، وفتاح، د.عرفان عبد الحميد (اليهودية عرض تاريخي) ص ١٣٨ – ١٤٠.

(٢) خان، ظفر الإسلام (المرجع نفسه) ص٦٢.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص ٦٢ – ٦٣.



أما عن تعاليم المسيح ﷺ كما هي في التلمود فهي:

١) كذب: فالمسيح في التلمود هو الذي يتبع تعاليم كاذبة يبتدعها رجل يدعو إلى العبادة في اليوم الأول التالي للسبت.

٢) هرطقة: إشارة إلى هرطقة حواريِّ المسيح؛ إذ إنهم - حسب زعم التلمود - يبشرون بالهرطقة.

٣) مستحيلة الإدراك: حيث إن القانون المسيحي المكتوب هو: إذا ضربك يهودي على أحد خديك، أدر له خدك الآخر أيضًا، ولا تردّ له في أي حال الصفعة، ومن هذا القانون: أحب أعداءك، اعمل المعروف مع الذين يكرهونك، وصلِّ لمن يسيئون إليك، ومن يأخذ لك معطفك لا تحرمه من أخذ سترتك... إلخ، إلا أن أحدًا من المسيحيين لم يحافظ على هذا القانون، حتى المسيح نفسه لم يتصرف بموجب ما علّمه لغيره، فحينما ضرب أحدهم يسوع على وجهه لم يدر له خده الآخر، بل إنه غضب بسبب هذه الصفعة، وسأل لماذا تضربني؟

وكذلك حين أمر الكاهن الأعلى الجميع بضرب بولس على فمه لم يدر هذا خده الآخر، بل لعنة قائلاً: سوف يضربك الله بقوة... إلخ، يقول التلمود: إن هذا مناقض لمعتقداتهم، ومهدم للأساس الذي يقوم عليه دينهم؛ لأنهم يتباهون بأن قانون يسوع من السهل إدراكه... إذا كان بولس نفسه الذي يمكن أن يقال: إنه منفذٌ تعاليم يسوع، لم يستطع إدراك وصية يسوع، فمن ذا الذي يستطيع أن يبرهن على ذلك من بين الآخرين الذين عاشوا معه؟[1].

إن مطاردة اليهود للمسيح ﷺ من أجل قتله، إنما تنم عن أخلاقهم وقسوتهم وتعطشهم لسفك الدماء ليس لشيء إلا لأنه - حسب زعمهم - جاء بتعاليم تخالف طبائعهم الفاسدة - كما سبق أن بيّنا - وحُكم التوراة عندهم أن من جاء ليبطل

(١) الأب آي. بي. براناتيس (فضح التلمود) ص ٧٣ - ص٧٦.

أحكام التوراة فإنه يُقتل؛ فمن شروط النبوة في التلمود الذي يلزمه اليهود لزومهم للتوراة أنه "إذا جاء نبي وادعى نزول الوحي عليه من الله وصدق على التوراة، ولكنه أضاف إليها وصية جديدة زعم نزولها عليه بالوحي، أو أمر بإبطال أحد أحكام التوراة، يُقتل...

فمتى قام النبي بكافة هذه الشروط، وكانت نبوته لا تخالف التوراة المنقولة بشيء من الأشياء احترمت أقواله، وعدّ في مصاف الأنبياء، وإلا رفضت نبوته وحوكم أو عُدّ مجنونًا كما جرى غير مرة في تاريخ بني إسرائيل"[(١)].

ومما ورد في كلام المسيح قوله: "لم آت لأحل الناموس، بل لأتمم"[(٢)]، إذن؛ فقد أضاف المسيح أشياء كثيرة على التوراة، فهو في نظر اليهود مجنون، وقد حاكموه؛ لأنه خرج على قاعدة الناموس - حسب زعمهم - وقبلوا أن يكون دمه عليهم وعلى أولادهم[(٣)].

يقول التل: "ثم تمت عملية الصلب بطريقة همجية بشعة، مارس اليهود خلالها فنون التعذيب الجسماني والمعنوي، وأظهروا الكامن من الشر في أعماق نفوسهم، ومع أن القرآن الكريم يقرر أن اليهود لم يصلبوا المسيح، وإنما صلبوا شبيهه[(*)]، فإن نية قتل المسيح كانت متوفرة لديهم، وأنَّ رفعه إلى السماء كان فوق إراداتهم، وهم يحملون وزر ظلمهم وغدرهم بالمسيح عليه السلام إلى قيام الساعة[(٤)].

وبعد المسيح حمل الحواريون رسالته، ولاقوا من اليهود أفظع أنواع الاضطهاد والجحود، فقد دأب اليهود على محاربة الدين المسيحي وأتباعه، وانتهزوا كل فرصة مواتية لذبح النصارى وتدبير المؤامرات ضدهم وكان التلمود هو الموجه الحقيقي للعنف اليهودي.

(١) أبو الروس، إيليًا (اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية) ص١٧١.
(٢) الإنجيل: متى ٥ : ١٧.
(٣) أبو الروس، إيليا (المرجع نفسه) ص١٧١.
(*) قال تعالى: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ) (النساء: ١٥٧).
(٤) التل، عبد الله (جذور البلاء) ص٨٩ - ص٩٠.

المطلب الثاني: العنف التلمودي ضد المسيحية والمسيحيين

رأينا فيما سبق التطرف والعنف التلمودي ضد المسيح نفسه ﷺ، ورأينا كم هم يحتقرونه، وطالما أن هذه هي معتقداتهم بحق المسيح، فليس من الممكن أن نتوقع أنهم يستطيعون تكوين رأي أفضل عن أتباعه ﷺ.

فالتلمود يعد المسيحيين وثنيين وأسوأ نوع من الناس، وأنهم أكثر سوءًا من المسلمين القتلة، الفاسقين، الحيوانات القذرة، كالغائط؛ بل إنهم لا يستحقون أن يسموا بشرًا، فهم بهائم بأشكال آدمية؛ بل إنهم أهل لتسميتهم ببهائم: بقر، حمير، خنازير، كلاب... لا؛ بل إنهم أسوأ من الكلاب، يتناسلون بطريقة أردأ من البهائم، أصلهم شيطاني بهيمي، أرواحهم تولد من الشياطين وإلى الشياطين تعود في الجحيم بعد الممات، وإنه لا تختلف جثة مسيحي ميت عن حيوان[1].

وإليك تفصيل التلمود لذلك[2]:

١) وثنيون: بما أن المسيحيين يتبعون تعاليم ذاك الرجل[*] الذي يعده اليهود مضللاً ووثنيًا، وبما أنهم يعبدونه، فإنه من الواضح مما سبق أنهم جديرون بتسميتهم وثنيين.

٢) المسيحيون أسوأ من المسلمين: فلا يجوز حتى استخدام نبيذهم للمنفعة الشخصية.

٣) قتلة: فعلى اليهودي أن لا يرافق الأغيار، لأنهم مدمنو إراقة الدماء، وإذا رافق غوي - (مفرد غوييم أو جوييم) - يهوديًا فعلى اليهودي السير إلى يمينه حتى إذا ما رفع غير اليهودي يده ليضرب اليهودي استطاع هذا بسرعة أكبر منعه بيده اليمنى.

(١) الأب. آي. بي. برانايتس (المرجع نفسه) ص٨٦.

(٢) يُنظر فيما اعتمدناه من أقوال التلمود بحق المسيحيين ما نقله إلينا الأب أي. بي. براناتيس (المرجع نفسه) ص٨٥ - ١٥١ وروهلنج (الكنز المرصود) ترجمة يوسف نصر الله، ص ١٠٣ - ١١٢.

(*) ذاك الرجل: هو نعت من بين عدة نعوت أطلقت على المسيح ﷺ بقصد سبه وشتمه، ومن تلك النعوت الأخرى: أحمق، مثل ذلك الرجل، المجذوم، غشاش بني إسرائيل، الرجل الذي شنق ابن الحطاب، نجار بن النجار... يُنظر: خان، ظفر الإسلام (التلمود تاريخه وتعاليمه) ص٦١، والأب أي. بي براناتيس (المرجع نفسه) ص٥٥ - ص٥٦.

٤) زناة: ولذلك غير مسموح اقتراب حيوانات اليهود من الجوييم، وغير مسموح للنساء كذلك، كما أنه لا يعهد بالحيوانات إلى رعيان من الجوييم، ولا الأطفال لمربيهم.

٥) نجسون: لأنهم يأكلون أطعمة نجسة، ولأنهم أنفسهم لم يتطهروا (من الخطيئة) على جبل سيناء(*).

٦) يشبهون الروث: فحين تخرج النسوة اليهوديات من الحمام من واجبهن الحرص على الالتقاء بصديق أولاً لا بأي شيء نجس أو مسيحي إذ إن المرأة إذا التقت بعد الاستحمام بشيء نجس أو مسيحي، وأرادت في الوقت نفسه أن تبقى مقدسة فعليها أن تعود وتستحم مرة أخرى.

٧) ليسوا كالبشر؛ بل هم بهائم: فمن يصب زيتًا فوق أحد الجوييم، وفوق أجساد ميتة من الحيوانات يعفى من العقاب، كذلك يعفى من العقاب من قصد قتل حيوان فقتل إنسانًا بالخطأ، أو من قصد قتل أحد الجوييم فقتل إسرائيليًا.

٨) المسيحيون يختلفون شكلاً فقط عن البهائم: فالله خلقهم في أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل وخدمة بني إسرائيل ليل نهار، فالحيوانات الكائنة بأشكال إنسانية عليها أن تخدمهم.

٩) حيوانات: فحين يقول التلمود: خنزير بري؛ فهو يعني المسيحيين، وكذلك حين يقول: أنا أملك بقرًا وحميرًا.

١٠) أسوأ من حيوانات: فعند اليهود محرم أكل الحيوانات الجريحة، ولذا يجب طرحها للأغراب في طرقاتهم، وقيل بأنه ممكن طرحها للكلاب، ويفهم من ذلك أن الكلب أكثر احترامًا عندهم من المسيحي أو غير اليهودي.

١١) يتناسلون كالبهائم: فالجماع الجنسي للجوييم كالجماع الجنسي للبهيمة، وأن الزواج المسيحي ليس زواجًا صحيحًا، وزواجهم من اليهود أو زواج اليهود منهم باطل، وأنهم ينجبون رضعًا مثل الكلاب.

(*) يعتقد اليهود أن الأفعى دخلت في حواء وسكبت فيها النجاسة، لكن اليهود تطهروا من ذلك حين استمروا واقفين على جبل سيناء بينما لم يكن الجوييم في ذلك الحين على جبل سيناء فلم يتطهروا. يُنظر: الأب أي. بي. براناتيس (فضح التلمود) ص ٩٠.

١٢) أبناء الشيطان: لأنهم كانوا أولاد الأفعى العتيقة التي أغوت حواء، ولأنهم غير مختونين.

١٣) أرواح المسيحيين هي أرواح شريرة ونجسة: فتعاليم اليهود تقول: إن الله خلق طبيعة ذات شقين: أحدهما طاهر والآخر نجس، ومن الشق النجس تحدرت أرواح المسيحيين.

١٤) إلى الجحيم يذهبون بعد الممات: فإبراهيم يجلس عند بوابة جهنم، ويمنع أي شخص مختون من الدخول بينما يسقط جميع غير المختونين في قرار الجحيم؛ فالمسيحيون غارقون في الجحيم.

١٥) كهنتهم عرّافون: بالعبرية "كوماريم" كذلك يدعون باسم "غالاشيم" أي: الحالقون؛ لأنهم يحلقون رؤوسهم.

١٦) أما عن كنائس المسيحية (أماكن عبادتهم) فتدعى في التلمود: بيوت الباطل، وبيوت الحماقة، وبيوت الوثنية، وبيوت ضحك الشياطين، ولذلك محرم عند اليهود الدخول إلى كنيسة مسيحية؛ بل حرام على اليهودي الاقتراب منها إلا تحت ظروف معينة، كما يحرم على اليهودي الإصغاء إلى الموسيقى الكنائسية أو الإعجاب بها، ويحرم النظر إلى تماثيلهم وأوثانهم، ولا يجوز لليهودي أن يكون بيته قرب كنيسة.

١٧) كئوس قربانهم أوعية فحش تقدم قربانًا لصنم.

١٨) كتبهم المقدسة كتب الهرطقة ومجلدات الشر وكتب الشياطين، وأن جميع التلموديين متفقون على أنه يجب إتلاف كتب المسيحيين، أما أسماء الله في هذه الكتب فتمزق وتخفى بعيدًا حتى لا يشملها الحرق، وعند بعضهم تحرق.

١٩) صلواتهم خطيئة وطيش وإثم.

٢٠) أعيادهم أيام محن وكوارث، وهي أعياد تافهة وشريرة وحقيرة، وهي أيام الشيطان ومحرمة عند اليهود.

ل المسيحيين اليهود و يا التلمود المتطر :

نتيجة لما سبق؛ فإن على كل يهودي يبتغي رضى الله إطاعة جميع الوصايا والأوامر التي تتعلق بالوثنيين غير اليهود جميعًا، لهذا يفرض على اليهودي: أولاً: تجنب المسيحيين. ثانيًا: العمل على إفناء المسيحيين.

أما أولاً: فيما يتعلق بوجوب تجنب المسيحيين وعدم التعامل أو الاحتكاك معهم فلأربعة أسباب كما يأتي:

١) **لأنهم لا يستحقون المشاركة في العادات اليهودية:** فاليهودي من شعب الله المختار، وهو مختون ذو منزلة رفيعة سامية، لا يشاركه في مستواها أحد، حتى الملاك لا يستحق أن يتساوى مع اليهودي؛ لأن اليهودي مساو للإله تقريبًا، وكل ما ومن في العالم له، وجميع الأشياء يجب أن تكون في خدمته، ولا سيما الحيوانات التي لها أشكال آدمية، وهكذا فمن الواضح أنهم يعدون جميع أنواع التعامل مع المسيحيين مفسدة، وانتقاصًا من كرامة اليهود، وعلى هذا فالمفروض على اليهود أن يتعهدوا بالابتعاد قدر المستطاع في عيشهم وتعاملهم عن المسيحيين:

أ. فعلى اليهودي إذا التقى في الطريق مسيحيًا، واضطر إلى تحيته فبشكل مقتضب وفظ وبرأس ملتوٍ، كما لا يجوز لليهودي دخول بيت مسيحي في يوم عيده ليحييه.

ب. على اليهودي أن لا يرد على تحية مسيحي ليتجنب الانحناء أمامه؛ لذا من الأفضل تحيته أولاً لتجنب الرد عليه.

ج. على اليهودي أن لا يمثل أمام قاضٍ مسيحي، ولا يجوز قبول المسيحي شاهدًا أمام القضاء.

د. لا يجوز لليهودي أن يأكل طعامًا مسيحيًا.

هـ. على اليهودي أن لا يحاكي المسيحي في أي عمل: فلا يجوز لليهودي أن يتصرف مثل المسيحي، ولا يجوز لليهودي أن يرتدي ثيابًا كثيابهم، ولا أن يمشط شعره مثلهم.

٢) **لأنهم نجسون:** فالتلمود يعلم أن المسيحيين هم شعب بمجرد لمسه فقط تصبح الأشياء نجسة، وقد جاء في التلمود أن رجلاً كان يسكب نبيذًا من جرة إلى أخرى بواسطة أنبوب، وحين اقترب أحد الجوييم، ولمس الأنبوب بيده، طرح جميع النبيذ بعيدًا عن كلا الجرتين، ولذلك على اليهودي إذا اشترى إناء من مسيحي، حتى وإن كان جديدًا، فيجب على اليهودي غسله في حوض كبير يتسع لعشرة جالونات من الماء.

٣) **لأنهم وثنيون:** وعليه فلا يجوز - حسب التلمود - بيع أو شراء أي شيء من الوثنيين قبل ثلاثة أيام من أعيادهم، ومحرم أيضًا قبول أو تقديم أي مساعدة منهم أو إليهم ولا تبادل قرش واحد من المال معهم، ولا تُسدَّد أي ديون لهم أو تُستوفَى أي ديون منهم، ومحرمة جميع الأعياد الخاصة بالمسيحيين، وعلى اليهودي عدم استعمال أي شيء يتعلق بالديانية المسيحية، أو حتى بيع المسيحيين أي شيء يتعلق بديانتهم الوثنية.

٤) **لأنهم أشرار:** لم يقتنع اليهود بأمر أكثر من اقتناعهم بما يمكن أن يلحقه المسيحيون بأطفال إسرائيل، ولذلك محرم على اليهودي التعامل مع الفئات المسيحية الآتية:

أ. **المرضعات:** لأن حليبهن يحجّر قلب الطفل، وينشئ في داخله قلبًا شريرًا.

ب. **المعلمين:** لأنهم سيرشدون الأطفال إلى الهرطقة.

ج. **الأطباء:** خشية إيذاء اليهود إلا إذا ثبت أن المريض سيموت؛ لأن ساعة إضافية من الحياة ليست خسارة، وإذا لزم دواء فلا يُشترى من المسيحيين.

د. **الحلاقين:** لأنه لا يجوز الحلاقة عندهم إلا إذا كان اليهودي يرى نفسه في مرآة.

أما ثانيًا: فيما يتعلق بوجوب إفناء المسيحيين: فإنه يجب على اليهودي أن يبذل كل ما في وسعه لتحطيم الإمبراطورية العامة غير التقية الخاصة بالمسيحيين التي تحكم العالم، وبما أنه يستحيل إفناء المسيحيين في كل مكان، فإن "التلمود" يلزم بأنه من الواجب إلحاق الضرر بهم بكل طريقة ممكنة، وذلك يؤدي إلى الحط من شأن قوتهم

مما يساعد على قرب هلاكهم النهائي، ومع ذلك فإنه من الواجب على اليهودي في الظروف السانحة قتل المسيحيين، وليفعل ذلك بدون رحمة.

١) فعن كيفية الإضرار بالمسيحيين يرشد التلمود إلى عدة أمور منها:

أ. الامتناع عن نفعهم؛ لأنه من يفعل خيرًا للأغيار فلن يقوم من الموت، وتجوز منفعتهم أحيانًا من أجل مساعدة بني إسرائيل وضمان السلام والأمن فقط، ومحظور على اليهودي منح هبات للمسيحيين، ومحرم عليه بيع أرضه للمسيحي، ومحرم تعليم التجارة للمسيحيين.

ب. يجب الإضرار بأعمال المسيحيين على النحو الآتي:

- يجب أن لا يشي أحد إذا دفع المسيحيون أكثر مما ينبغي ليهودي.
- المفقود الذي يخص اليهود يجب أن لا يعاد إليهم.
- يجوز الاحتيال على المسيحيين وخداعهم، ويستطيع اليهودي التظاهر بالمسيحية للاحتيال على المسيحيين.
- يجوز لليهودي التعامل بالربا مع المسيحيين.

ج. يجب الإضرار بالمسيحيين في المسائل الشرعية: وذلك بالسماح لليهودي بالكذب والحلف بيمين كاذبة لإدانة مسيحي، كما يجوز لليهودي أن يحلف يمينًا كاذبًا بضمير صافٍ.

د. يجب الإضرار بالمسيحيين على صعيد الأمور الحياتية الضرورية: مثل الامتناع عن مساعدة مريض مسيحي، والامتناع عن مساعدة المرأة عند مخاضها، والامتناع عن مساعدة مسيحي يواجه خطر الموت.

٢) وعن وجوب قتل المسيحيين يأمر التلمود فعل ذلك على الأوجه الآتية:

أ. يجب قتلهم دون رحمة.

ب. يحكم بالموت على اليهود الذين يتعمدون (أي يتحولون إلى المسيحية).

ج. يجب قتل أمراء روما أولاً وإبادة مملكتهم (روما الفاسدة)؛ لكي تستعيد إسرائيل الحياة.

د. جميع المسيحيين حتى أفضلهم يجب قتلهم.

هـ. اليهودي الذي يقتل مسيحيًا لا يقترف إثمًا، بل يقدم إلى الله أضحية مقبولة.

و. الأضحية الوحيدة الضرورية، بعد هدم الهيكل في القدس هي إفناء المسيحيين.

ز. الذين يقتلون المسيحيين سيحتلون مكانًا ساميًا في الجنة.

ح. على اليهود أن لا يكفوا عن إبادة الجوييم، وأن لا يدعوهم في أمان، ولا يخضعوا لهم.

ط. لا يحول أي عيد ولا أية مسألة مهما كانا مقدسين دون ضرب عنق مسيحي.

ي. الهدف الوحيد من جميع نشاطات اليهود وصلواتهم هو تحطيم الديانة المسيحية.

وقد سعى اليهود بجدية ودأب دائمين إلى وضع معتقداتهم تجاه المسيح والمسيحيين موضع التطبيق والتنفيذ، فكانت مؤامرتهم الأولى ضد المسيح ﷺ عندما أغروا الحاكم الروماني بيلاطس بصلبه، ثم توالت مؤامراتهم ضد المسيحيين عامة مطبقين تعاليم تلمودهم، ولا سيما فيما يتعلق منها بقتل المسيحيين.

وقد اعترف السيد ريتشارد بورثون الذي درس التلمود وعلاقته بغير اليهود بقوله: "إن أهم نقطة في المعتقدات اليهودية الحديثة هي أن الأجانب أي الذين لا ينتمون إلى الدين اليهودي ليسوا سوى حيوانات متوحشة، حقوقها لا تزيد عن حقوق الحيوانات الهائمة في الحقول"[1].

كما نقل الدكتور الألماني أريك بسكوف - المتخصص في دراسة تعاليم اليهود - قول اليهودي البريطاني أرنولد ليز Arnolod Leese: "إن من حكمة الدين وتوصياته قتل الأجانب الذين لا فرق بينهم وبين الحيوانات، وهذا القتل يجب أن يتم بطريقة

(١) التل، عبد الله (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية) ص٨٠.

شرعيـة، والذيـن لا يؤمنـون بتعـاليم الـدين اليهـودي وشـريعة اليهـود يجـب تقـديمهم قرابين إلى إلهنا الأعظم"[١].

وينقل السيد ريتشارد بورثون قول التلمود عن مناسبات اليهود: "عندنا مناسبتان دمويتـان ترضـيان إلهنـا "يهـوه": إحـداهما عيـد الفطـائر المزوجـة بالـدماء البـشرية، والأخرى مراسيم ختان أطفالنا"[٢].

ويعد عيدا البوريم والفصح من الأعياد المقدسة عند اليهود، ولا تتم الفرحة فيهما إلا بتناول الفطير الممزوج بالدماء البشرية، إذ إن الاعتقاد الديني السائد لدى اليهود تبعًا لنصوص التلمود أنهم إذا لم يضعوا دم المسيحي في خبز الفطير، في عيد الفصح، فإن الفطير ينتن، ودم المسيحي ضرورة؛ لأنه تذكار لما أمر الله به بني إسرائيل بأن يلطخوا أبواب بيوتهم بدم الحمل المذبوح في عيد الفصح عندما كانوا تحت عبودية فرعون، ثم هم يستعملون هذا الدم في الرش على طاولات الطعام قبل العشاء السري، ويضعون منه قليلاً في الخمر، ثم يلعنون الديانة المسيحية"[٣].

وعـن حقيقـة ارتكـاب اليهـود لجـرائم اسـتنزاف الـدم البـشري يعـترف الحاخـام "ناوفيطوس" "المنتصر" بذلك ويقول: "أريـد تنبيـه المسيحيين، حتـى لا يقعـوا في الفخـاخ التي ينصبها لهم اليهود ليلقوهم في الحجب التي لا تخترقهـا الأبصار، وهنـاك حيـث لا يسمع لهم صوت أنين، ولا تستجاب لهم استغاثة، يستنزفون دماء عروقهم بصورة لا يستطيع أن يراها إنسان ولا حيوان، إلا من تكون المبادئ التلمودية جرت في عروقه، وها أنا الآن بعد إطراحي ونبذي هذه المبادئ تنبض فريضتي وتأخذني القشعريرة من مجرد مرور صورة تلك المشاهد في وهمي مع أني حين كانت مبادئ التلمود راسخة في فكري ومقبولة لدى حكمي، كنت أمارس بيدي هذه الراجفة الآن، والقوية حينئذ طريقة استنزاف الدم، إن هذه اليد كانت تتدنس بسفك الدم الزكي، ولا تتطهر إلا بأخذ القلم وإظهار هذا السر"[٤].

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٧٩.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٨٠.

(٣) أبو الروس، إيليا (اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية) ص٥٥، وقارن: التل، عبد الله (المرجع نفسه) ص ٨٠ - ٨١.

(٤) أبو الروس، إيليا (المرجع نفسه) ص٥٦.

طري " استنزا ' ا م البشري:

هناك طريقتان لاستنزاف الدم البشري:

أحدهما: بواسطة البرميل الإبري وهو عبارة عن برميل يتسع لجسم الضحية، مثبت على جميع جوانبه إبر حادة تغرز في جسم الضحية عند وضعها في البرميل لتسيل الدماء ببطء، من كل جزء من أجزاء الجسم، مقرونة بالعذاب الشديد الذي يعود باللذة على اليهود الذين ينتشون برؤية الدم ينزف من الضحية، ويسيل من أسفل البرميل إلى إناء معد لجمعه.[1]

والأخرى: بذبح الضحية كما تذبح الشاة، وتصفية دمها في وعاء، أو بقطع شرايين الضحية في مواضع عدة ليتدفق الدم من الجروح، ويجمع في وعاء، ويسلم إلى الحاخام الذي يقوم بإعداد الفطير المقدس ممزوجًا بدم البشر إرضاء لإله اليهود "يهوه" المتعطش لسفك الدماء. وكان اليهود في الماضي يفضلون دم المسيحي؛ نظرًا للأحقاد الدينية التي يضمرونها للمسيحية والمسيحيين[2].

أبرز ' ي ا ' بائح التلمود ي " :

اشتهرت حوادث اختطاف غير اليهود في كثير من دول العالم من قبل اليهود لاستنزاف دمائهم واستخدامها في فطير أعياد اليهود، إلا أن ما سجل من هذه الحوادث قليل جدًا إذا قيس بتلك التي لم تسجل، وذلك إما لجهل الشعوب المضيفة لليهود، أو لضعف التحريات البوليسية عن مئات الأطفال المفقودين في كل بلد من بلاد العالم، أو لفقدان الصحف في حقبة معينة من التاريخ أو لعدم إقبال الكُتاب على تسجيل هذه الحوادث في كراسات خاصة، كل ذلك أدى إلى طمس العديد من معالم الجرائم اليهودية.

ولكن نشأة الصحف السيارة بعد ذلك جعلت تسجيل أهم الوقائع والأحداث شغل الرأي العام في ذلك الزمان، وقد عني كثير من الكتاب بتدوين كثير من هذه

(١) التل، عبد الله (خطر اليهودية) ص٨١.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٨١.

الوقائع، وكان من أبرزهم الأستاذ "أرنولد ليز" اليهودي البريطاني الذي وقف ضد الإجرام اليهودي؛ فجمع أهم حوادث الذبح البشري المشهورة ودونها في كتابه: (Jewish Ritual Murder - Arnold Leese - London 1938) الذي نشره سنة ١٩٣٨م، ومن ذلك ما جمعه "حبيب فارس" - اللبناني الأصل - عن تلك الذبائح في كتابه "صراخ البريء في بوق الحرية والذبائح التلمودية" المطبوع بالمطبعة الجامعة بمصر[1].

وسنقتصر في هذا الموضوع على ذكر بعض المذابح التلمودية التي تكشف عن مدى التطرف والعنف اليهودي التلمودي، وإليك أخي القارئ قطرة من بحر هذه المذابح:

☒ جريمة دمشق الكبرى: (ذبح الأب توما الكبوشي وخادمه إبراهيم عمار)

من الواضح أن العنف التلمودي والتطرف اليهودي الأعمى قد قاد اليهود لارتكاب أفظع جريمة وحشية عرفتها دمشق عام ١٨٤٠م، حين استنزف اليهود دم البادري توما الراهب الكبوشي الإيطالي بعد ذبحه، وقد ضج بها الشرق والغرب، نظرًا لمكانة الذبيح الدينية والإنسانية، وقد سجلها الكاتب الفرنسي "جان دريو" في كتابه (مذبحة الأب توما والتلمود.. Assassinat de P. thomas et 1e Talmud Paris 1922) كما سجلها عدد لا بأس به من الكتّاب والباحثين والمهتمين[*]، أما الرواية التي نعتمدها هنا فهي رواية حبيب فارس في كتابه (صراخ البريء في بوق الحرية والذبائح التلمودية) بالصورة التي نقلها عدد من المؤلفين عن هذا الكتاب[2].

(١) يُنظر: التل، عبد الله (خطر اليهودية) ص٨٢، أبو الروس، إيليا (اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية) ص٦٥.

(*) ومن أهمهم: حبيب فارس في كتابه المذكور أعلاه في المتن، روهلنج وشارل لوران، ترجمة يوسف نصر الله في (الكنز المرصود)، والدكتور أسد رستم - أحد أساتذة التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الأمريكية - في كتابين، هما: (الأصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا)، و(المحفوظات الملكية المصرية بيان بوثائق الشام)، وإيليا أبو الروس في (اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية) وغير هؤلاء.

(٢) يُنظر ما اعتمدناه في هذه الجريمة كل من: أبي الروس، إيليا (المرجع نفسه) ص٧٧ - ص١١٣، التل، عبد الله (المرجع السابق نفسه) ص٩٧ - ص ١٠٤، روهلنج (الكنز المرصود) ص٣٣ - ص٤١ من مقدمة المترجم نصر الله، ص ١١٥ - ص٢١٨ بقلم شارل لوران في القسم الثاني من الكتاب نفسه، عصاصة، سامي (قراءة في كتاب إسرائيل شاحاك: هل اليهودية التلمودية دين؟) ص ٢٠١ - ص٢٠٣.

ومفاد الرواية باختصار شديد هو أن الأب توما طُلِبَ إلى حارة اليهود لتطعيم ولد وقاية له من الجدري، فلبى الدعوة سريعًا، وفي طريق عودته إلى ديره، كان بالقرب من بيت الولد المريض دار داود هراري، وكان معدودًا من أتقى اليهود في الشام، وكان صديقًا للأب توما، فلما رآه مارًا أمام داره، استدعاه للدخول، فلبى دعوته ودخل، فلما صار في إحدى الغرف، أُغلق الباب، وانقض جميع الحاضرين على البادري، وربطوا يديه ورجليه، بعد أن وضعوا منديلاً على فمه، ثم تركوه إلى الليل حتى جاء الحاخام، فاستدعوا حلاقًا اسمه سليمان اليهودي، وأمروه أن يذبح القسيس توما، فخاف هذا الرجل وامتنع، فجاء الرجل التقي بين اليهود داود هراري صديق الأب توما، وأخذ السكين ونحره!! إلا أن يده أخذت ترتجف فتوقف عن إكمال العمل، وجاء في الحال أخوه هارون لمساعدته، وكان سليمان الحلاق قابضًا لحية الأب توما، أما الحاضرون فيتناولون الدم في إناء، ثم يضعونه في زجاجة بيضاء أرسلت فيما بعد إلى الحاخام باشي يعقوب العنتابي.

وبعد أن تمت تصفية دم الذبيح قاموا بإحراق ثيابه، وتقطيع جسده، وسحق عظامه، ثم طرحوا الجميع في أحد المصارف المجاورة لمنزل الحاخام موسى أبو العافية.

فلما طال وقت رجوع البادري توما قلق عليه خادمه إبراهيم عمار الذي كان يعلم بذهابه إلى حارة اليهود، فتوجه إلى هناك ليسأل عنه، وهناك جرى به ما جرى بمعلمه.

وقد تم كشف الحادثة فيما بعد؛ حيث ضبطت المجموعة القاتلة، وأدلوا باعترافات تفصيلية، أما كشف الحادثة، فكان على الصورة الآتية:

أن الأب توما كان قد دعي لوليمة عند طبيب والي دمشق في ١٦/فبراير/١٨٤٠م، ولكنه لم يذهب بسبب فقده وعدم رجوعه إلى الدير، وجرى البحث عنه إذ ذاك دون فائدة، وفي صباح اليوم الثاني جاء الذين كانت عادتهم الحضور لسماع قداس الأب توما، فمن حضر منهم أولاً ظن أنه نائم، ومن حضر أخيرًا ظن أن القداس قد انتهى والقسيس خرج لأشغاله مع أن بعضهم قرع الباب، فلم يجاوبه أحد، وبعضهم قال: إنه شاهد الأب توما عشية أمس متوجهًا لحارة اليهود، فقلقوا وأعلموا الباقين بالأمر، فوقع بين الشعب هيجان مما اضطر الحكومة للبحث والتدقيق؛ حيث اشتغل قنصل فرنسا في هذه القضية وأعطاها اهتمامه بسبب أن الأب توما كان فرنسيًا.

وقد ظهر أثناء التحقيق التفصيل الكامل للجريمة بعد أن تم القبض على المجرمين القتلة، وتمت محاكمتهم بعد استجوابات تفصيلية موثقة تقشعر منها الأبدان، ولمجرد الاطلاع على العنف التلمودي والتطرف الأعمى اليهودي نقتبس عدة فقرات من سجلات التحقيق بعد أن قدمنا ملخصًا للواقعة البشعة:

محضر يوم السبت: ٢٦ من ذي الحجة ١٢٥٥هـ، الموافق: للأول من آذار (مارس) ١٨٤٠م: أُحضر إسحاق هراري أولاً، وسئل عما يعرفه عن قتل الأب توما الكبوشي فأجاب:

- "لقد أحضرنا الأب توما إلى منزل داود هراري، وكان إحضاره بموجب اتفاق فيما بيننا وذبحناه في المنزل من أجل دمه، وقد حفظنا دمه في زجاجة في منزل الحاخام موسى أبو العافية تنفيذًا لتعليمات ديننا...".
- لماذا يلزمكم الدم بموجب تعليمات دينكم؟
- إنه يلزم لوضعه في الفطير.
- وفي أي مكان قمتم بذبحه؟
- في الغرفة الجديدة المفروشة - في الإيوان المربع.
- من الذي قام بالذبح؟
- داود الهراري.
- كيف عملتم من أجل جمع الدم عند ذبحه؟
- تم إحضار طبق نحاس - طشت - لهذه الغاية.

وباستطاعة القارئ متابعة قضية التحقيق كما سجلها شارل لوران بكل تفاصيلها، وكما جاء في سجلات التحقيق اليومية في كتاب (الكنز المرصود)، ترجمة يوسف نصر الله، ص ١١٥ - ص٢١٨، وكذلك يُنظر المراجع التي أشرنا إليها سابقًا في هذه القضية.

وقبل أن نغادر هذه الجريمة البشعة نؤكد اختلافنا مع ما ذهب إليه الدكتور حسن ظاظا في كتابه (الفكر الديني اليهودي) ص١٨٤ - ص١٨٨، حين تحدث عن الحادثة وكأنها مجرد تهمة، حتى وإن حدثت كما يقول ظاظا، فإنها تكون بسبب الجهل والحقد والرغبة في الثأر والانتقام، ثم يقول: من المحتمل - وكأنه غير مصدق

بما حدث - أن يكون هؤلاء الجهلة من اليهود قد استحدثوا هذه البدعة الوحشية إشباعًا لما في نفوسهم.

والحقيقة أن "مونتيفيوري" وكراميوج أتيا موفدين من اليهود في فرنسا إلى محمد علي باشا وفاوضاه حول ثمن مالي لإطلاق سراح المتهمين اليهود في دمشق، فقبل ذلك مقابل ستين ألف كيس من الذهب، وكان كل كيس يحوي ٥٠٠ قرش من الذهب. أما المتهمون فستة عشر شخصًا، توفي منهم اثنان أثناء التحقيق، وأربعة منهم نالوا العفو؛ لأنهم أقروا بالحقيقة، وأحدهم هو موسى أبو العافية، الذي أسلم، وتسمى بمحمد أفندي. أما العشرة الباقون فحكم عليهم بالإعدام إلا أن محمد علي باشا أصدر فرمانًا بإخلاء سبيلهم بعد أن أغراه اليهود بالذهب والمال، وقد تم الإفراج عن المتهمين في ٥ من سبتمبر (أيلول) ١٨٤٠م[1].

☒ ومن الذبائح التلمودية أيضًا ما حدث في فرنسا ١٢٤٧م حينما عثر على جثة طفلة في الثانية من عمرها، مستنزف دمها من جروح في عنقها ومعصمها وقدمها، اعترف اليهود بحاجتهم لدمها، ولم يفصحوا عن طريقة استخدامه في طقوسهم الدينية، وقال البابا في وقتها: إن ثلاثة من اليهود أُعدموا في هذه القضية، كما اعترفت دائرة المعارف اليهودية في الجزء الثالث صفحة (٦) بأن إعدامهم تم بعد اعترافهم بالجريمة[2].

☒ وفي ألمانيا عذب اليهود في عيدهم طفلاً مسيحيًا يدعى Werner لمدة ثلاثة أيام، ثم علقوه من رجليه، واستنزفوا دمه لآخر قطرة. عثر على الجثة في النهر، وعُدَّ الطفل قديسًا، واتخذت المدينة من يوم صلبه ١٩ من أبريل ذكرى سنوية لتلك الجريمة البشعة[3].

(١) يُنظر: روهلنج وشارل لوران (الكنز المرصود)، ترجمة يوسف نصر الله، ص٢١٦ - ص٢١٨، وعصاصة، سامي (قراءة في كتاب إسرائيل شاحاك: هل اليهودية التلمودية دين؟) ص ٢٠٢ - ص٢٠٣، والتل، عبد الله (خطر اليهودية) ص٩٧ - ص١٠٤.

(٢) التل، عبد الله (خطر اليهودية) ص٨٥.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص٨٦.



☒ وفي لندن ١٨٨١م قبيل عيد الفصح من تلك السنة تجرأ اليهود على الإمساك بطفل يدعى "رودبر" وأماتوه صلبًا، وجثته مدفونة إلى جانب كنيسة القديس إدمون، وقبره باق إلى اليوم[١].

☒ وفي إيطاليا اختفى طفل عمره ثلاث سنوات يدعى سيمون، ثم عثر عليه في ترعة، وبعد التحقيق ثبت أن الطفل لم يمت غرقًا؛ بل مات من استنزاف دمه بواسطة جروح في العنق والمعصم والقدم، اعترف اليهود بالجريمة وسوغوا ذلك بحاجتهم للدم من أجل إتمام طقوسهم الدينية، وقد أعدم سبعة من اليهود في تلك القضية[٢].

☒ وفي سنة ١٩٦١م، وقبيل عيد الفصح اليهودي في بلدة مارجلان[*] اختطفت امرأة يهودية تدعى مازول يوسوبوفا Masol Yuzupova طفلاً عمره سنتان، وقد استنزفت دماءه لذات الغرض، فلما علم أبو الطفل الذبيح بالحادثة قام على رأس مظاهرة كبرى هجم فيها المتظاهرون على بيت المرأة يوسعونها ضربًا حتى كادوا يجهزون عليها لولا تدخل رجال الشرطة الذين اقتادوها للتحقيق معها[٣].

☒ وفي بيروت - لبنان ذبح اليهود المدعو فتح الله الصائغ، وأخذوا دمه لاستعماله في عيد الفصح[٤].

☒ وفي طرابلس الشام اعتنقت اليهودية "بنود" الدين المسيحي بعد أن رأت بعينها جرائم اليهود المروعة، وذبحهم الأطفال الأبرياء من أجل خلط دمهم بفطير العيد، ودخلت الرهبنة وماتت باسم الراهبة "كاترينا"، وتركت مذكرات خطيرة عن جرائم اليهود وتعطشهم لسفك الدماء، وسردت في مذكراتها الحوادث التي شهدتها بنفسها، وهي التي وقعت في أنطاكية وحماة طرابلس الشام، وفيها ذبح اليهود طفلين مسيحيين وفتاة مسلمة، واستنزفوا دماءهم واستعملوها في فطير العيد[٥].

(١) أبو الروس، إيليا (اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية) ص١١٩.
(٢) التل، عبد الله (المرجع نفسه) ص٨٨.
(*) مارجلان: بلدة تبعد مئة ميل عن طشقند عاصمة جمهورية أزبيك uzbek السوفيتية. يُنظر: أبو الروس إيليا (المرجع نفسه) ص١٢٤.
(٣) أبو الروس، إيليا (المرجع نفسه) ص١٢٤ - ص١٢٥.
(٤) التل، عبد الله (المرجع نفسه) ص ٩٦.
(٥) (المرجع السابق نفسه) ص٩٦.



وهناك العديد من الجرائم اليهودية التي طالت معظم دول العالم حتى ضج العالم بها ، فكانت هذه الذبائح مدعاة للانتقام من اليهود ، ثم "إن هذه الجرائم - كما يقول التل - التي عرفت في التاريخ، وجرى فيها تحقيق، ووصلت إلى المحاكم لا تساوي شيئًا بالنسبة لجرائم اليهود التي لم يعلم بها أحد ، وآلاف الأطفال وغير الأطفال الذين يختفون في جميع أنحاء العالم هم في الغالب ضحايا الطقوس الدينية اليهودية ، ودماءهم لا بد أن تكون قد استقرت في بطون اليهود مع فطير أعيادهم القذرة"[١].

ومن ملاحظات التل على هذه الجرائم قوله: إن "اليهود يفرحون إذا كانت الفضيحة من بين أصدقائهم، ويتلذذون بذبح الإنسان البريء؛ لأنهم يعتقدون أنهم يؤدون واجبًا دينيًا مقدسًا.

كما أن البركة تحل عليهم بشكل أوفى إذا أتيح لهم أن يعذبوا الضحية قبل موتها ، فبقدر ما تتعذب الضحية ، وتُستنزف دماؤها ببطء بقدر ما يرضى إله اليهود ويبارك أبناءه المخلصين.

حاول اليهود إنكار هذه المذابح بيد أن الحوادث التي أخذ التحقيق فيها مجراه وثبتت ضدهم كثيرة وكافية لكشف حقيقة ديانتهم، كما أن العدد الكبير من كبار اليهود الذين ارتدوا عن دينهم قد أدلوا باعترافات كاملة عن جرائم الذبح البشرية ، ومن هؤلاء موسى أبو العافية الذي أسلم في أثناء التحقيق في قضية الأب توما ، حيث أدلى باعترافات خطيرة عن التلمود ، وما ورد فيه من تعاليم عنيفة ومتطرفة تعد رمزًا للإجرام والوحشية والهمجية"[٢].

من الواضح أن التعاليم التلمودية قد لعبت دورًا خطيرًا ومتطرفًا لأبعد الحدود من حيث توجيه اليهود نحو العنف والإرهاب وارتكاب الجرائم ضد غيرهم من البشر، وبما أن التعاليم التلمودية صبت جام غضبها أيضًا على المعابد المسيحية ومؤسساتها وأبنائها وحضارتها ، فقد تفنن اليهود في محاربة المسيحية ومدارسها ودعاتها ، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - ما يأتي:

(١) التل، عبد الله، (المرجع السابق نفسه) ص١٠٤.
(٢) (المرجع نفسه) ص١٠٤ - ١٠٥.



- في فلسطين المحتلة طبعوا مئات الألوف من المنشورات بحجم الليرة اليهودية وعلى شكلها، وكتبوا عليها: "اطردوا المبشرين القذرين من بلادنا"[1].

- قصف ونسف العديد من الكنائس والأديرة[*] في فلسطين، ومن ذلك ضرب دير الفرنسيسكان "دير المخلص" - كما يقول المؤلف - القائم على مقربة من كنيسة القبر المقدس بمدافع الهاون ١٩٤٨م، وأسفر الضرب عن وقوع قتلى وجرحى في اللاجئين إلى ملجأ الأيتام في الدير[2].

- وفي حيفا بفلسطين المحتلة قام اليهود بمهاجمة مقبرة طائفة الروم الكاثوليك، فحطموا صلبانها ونبشوا بعضها[3].

- قام اليهود بتحويل كنيستين إلى زرائب للحيوانات، وهما: كنيسة الروم الكاثوليك، وكنيسة الروم الأرثوذكس في قرية معلول التي تبعد زهاء عشرة كيلو مترات من الناصرة، وعلى جدران الكنيستين كتبت كلمات مشينة ورسومًا قذرة، وقد وقّع فاعلوها بإمضاءاتهم، وزادوا على ذلك عناوينهم[4].

وهكذا لم يتوان اليهود بإلحاق الأذى والضرر بالمسيحيين؛ تنفيذًا لتعاليم تلمودهم المتطرفة، وما فعله اليهود بالمسيحيين فعلوه أيضًا بالمسلمين على اعتبار أن كلا الطرفين من (الأغيار، الجوييم) وسنقف عند عدائهم للمسلمين في الصفحات اللاحقة من هذا البحث، إن شاء الله، ليتأكد القارئ من مدى عداء اليهود وحقدهم ومدى تطرفهم وعنفهم بحق غيرهم حتى يقضوا عليهم قضاء مبرمًا أو يدخلوا في دينهم بحيث يتهود كل من على الأرض.

والصحيح أن رغبة اليهود التلموديين هي ألا يبقى على وجه الأرض إنسان من الأغيار، لأن هؤلاء الحاخامات من اليهود لا يعدون أيَّ كائنٍ حيًّا حتى ولو اعتنق اليهودية ما لم يكن هذا الكائن مولودًا من أم يهودية.

---

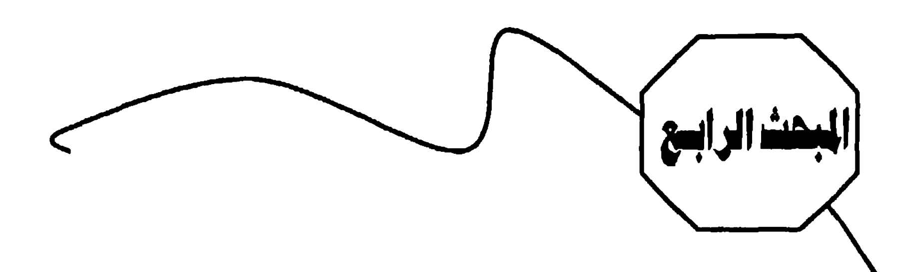
(١) أبو الروس، إيليا (المرجع نفسه) ص٤٨.

(*) يُنظر: أبو الروس، إيليا (المرجع نفسه) ص٣٧ – ص٤٥.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٣٧ – ص٤٥.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص٣٧ – ص٤٥.

(٤) (المرجع السابق نفسه) ص٣٧ – ص٤٥.



التطرف والعنف عند الحاخامات

المطلب الأول: مكانة الحاخامات ودورهم في ظهور التطرف والعنف

إن للحاخامات عند اليهود قدسية ومكانة عالية، لا يرتفع إلى مستواها أحد حتى الأنبياء، إذ إن للحاخامات منزلة تضاهي منزلة الإله... بل إنهم يجعلون لأنفسهم مكانة فوق الإله - سبحانه وتعالى علوًا كبيرًا - كيف لا وهم يجعلون كلمتهم هي العليا فوق كلمة الكل، وليس أدل على ذلك ما شهد به التلمود من أن الله تعالى قد اعترف بغلطه أمام أحد الحاخامات، وذلك حين وقع اختلاف بين الباري - سبحانه وتعالى - وبين علماء اليهود في مسألة، وبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات، واضطر الله أن يعترف بغلطه بعد حكم الحاخام المذكور، بل والاعتذار للحاخامات"[1].

وبناءً على ذلك فإن أقوال الحاخامات أفضل مما جاء في شريعة موسى عليه السلام، وقد جاء في التلمود: "من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة... لأن أقوالهم أفضل مما جاء في شريعة موسى"[2].

(١) يُنظر: روهلنج (المرجع نفسه) ص٥٣، والسعدني، مصطفى (أضواء على الصهيونية) ص٧٧.
(٢) روهلنج (المرجع نفسه) ص٥٠.

ثم إن اليهود يعتقدون أن لكل الحاخامات سلطة إلهية، وكل ما قالوه يعد صادرًا عن الله، وفي هذا يقول الرابي مناحم كباقي الحاخامات: "إن الله تعالى يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في السماء"[1] وزيادة في التأكيد على ما ذهب إليه التلمود في وضع الحاخامات في مكانة أفضل من مكانة الأنبياء يقول صاحب كتاب يهودي اسمه (كرافت): "اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة؛ لأن أقوالهم هي قول الله الحي".[2]

ولا شك في أن المكانة الرفيعة التي حظي بها حاخامات اليهود تجعل لهم سلطة عليا وكلمة مسموعة بين جميع أوساط اليهود، ولذلك قبل اليهود كل ما جاء في التلمود على عِلاّته نظرًا لأنه أصلاً من وضع الحاخامات، كما قبلوا قبل ذلك كل ما جاء في التوراة المحرفة المتداولة الآن التي وضعها هؤلاء الحاخامات، وفي هذا الشأن يقول السعدني: "كما أن التوراة كانت قد حرفت مع الهيكل عندما دمر نبوخذ نصر أورشليم، وقام الحاخامات بكتابة التوراة الثانية وتدوينها من الذاكرة، فكان الأمر يستلزم وضع الحاخامات في مكان رفيع بعيدين عن شبهات الخطأ حتى لا يشك يهودي في قيمة التوراة وصحتها".[3]

لذلك كان موسى بن ميمون يقول: "مخافة الحاخامات هي مخافة الله"[4]، وقال أحد الحاخامات: "رأيت الله على كرسي مرتفع، فقال: باركني يا ابني، فباركته وشكرني وانصرف"[5].

وجاء في التلمود "أن من يعارض حاخامًا أو يجادله؛ فقد أخطأ، وكأنه يعارض العزة الإلهية ويجادلها ويتململ منها".[6]

(١) المرجع السابق نفسه) ص٥١-٥٢.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٥٢.
(٣) السعدني، مصطفى (المرجع نفسه) ص٧٨.
(٤) يُنظر: روهلنج (المرجع السابق) ص٥٢، وشميس، عبد المنعم (التلمود كتاب إسرائيل المقدس) ص٢٤.
(٥) السعدني، مصطفى (المرجع نفسه) ص٧٨.
(٦) يُنظر: روهلنج (المرجع نفسه)ص٥٢، والسعدني، مصطفى (المرجع نفسه) ص٧٨.

كما أن الحاخامات - في نظر اليهود - معصومون عن الخطأ إذ إن كلامهم مهما كان فيه من تناقض فهو معتبر، وهنا يقول الحاخام مناحم في أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها: "إنها كلام الله مهما وجد فيها من التناقض، فمن لم يعتبرها، أو قال: إنها ليست أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى".(١)

وزيادة في التحذير فإنه جاء "أن أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها منزلة من السماء، ومن يحتقرها، فمثواه جهنم وبئس المصير"(٢).

وحيث إن الحاخامات يأمرون بالطاعة العمياء لهم؛ فقد ذكر أنه حصلت مشاحنة يومًا بين حاخامين: أحدهما يدعى الرابي (شايا)، والثاني (باركبارة)، وحلف كل منهما أن أحد الحاخامات قد حلف كذا... وكذا مما ادعوه، ولم يفصل في الخلاف الحاصل بينهما، فجاء الحاخام (روسكي) وقال: "إن الحاخامين المذكورين قالا الحق، لأن الله جعل الحاخامات معصومين من الخطأ"!!(٣)

وليت الأمر يتوقف عند عصمة الحاخامات وحدهم، فقد ذهبوا إلى تعلقها بكل ما يتعلق بهم أيضًا فقيل: "إن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئًا محرمًا".(٤)

ثم إن الإنسان اليهودي إذا أراد أن يعرف الحقيقة من جملة تلك الأقوال المتناقضة أمامه فله أن يفرق بقلبه، ويختار ما يشاء منها، لأنها كلها كلام الله".(٥)

وقد بقيت تلك المكانة بتلك القداسة للحاخامات يتمتعون بها إلى اليوم، وقد استغل الحاخامات هذه المكانة للتأثير على المجتمع اليهودي، والسيطرة على التفكير والعقلية اليهودية لحقب طويلة من الزمن، وبالفعل فقد نجح هؤلاء الحاخامات بالتأثير على مسارات المجتمع اليهودي المتعددة والمختلفة سواء الدينية منها أم الاجتماعية أم السياسية أم الاقتصادية أم غير ذلك.

---

(١) يُنظر: روهلنج (المرجع نفسه) ص٥٢، وشميس عبد المنعم (المرجع نفسه) ص٢٤.
(٢) (نفس المرجعين السابقين، ونفس الموضوعات).
(٣) (نفس المرجعين السابقين) الأول ص٥٢-٥٣. والثاني ص٢٤-٢٥.
(٤) (نفس المرجعين السابقين) الأول ص٥٢-٥٣، والثاني ص٢٤-٢٥.
(٥) (نفس المرجعين السابقين) الأول ص٥٢-٥٣، والثاني ص٢٤-٢٥.

وقد لاحظنا الكثير من تعاليم هؤلاء الحاخامات سواء ما كان منها في العقيدة من تهجمهم على الإله - سبحانه وتعالى - والتأثير على اليهود بعدم الإيمان باليوم الآخر، وبانتشار تعاليم السحر ونحو ذلك. أو ما كان منها في الأخلاق بما رأيناه من شذوذ المجتمع اليهودي أخلاقيًا. أو ما كان منها في النواحي الاقتصادية ومعاملة اليهود بالربا والغش والسرقة، أو ما كان منها في النواحي السياسية من نظرة التعالي على جميع المجتمعات البشرية من غير اليهود، وضرورة السيطرة على جميع دول العالم، حيث إن الله - حسب التأثير الحاخامي - قد منحهم السلطة المطلقة على كل من وما على الأرض، ولذلك فإن اليهود يتصرفون في النواحي السياسية وفق هذا المبدأ الذي رسمه الحاخامات بدقة متناهية بهدف السيطرة على العالم بكل الوسائل الممكنة أمامهم.

ومما يدلل على بقاء هذا التأثير الحاخامي في المجتمع اليهودي إلى يومنا هذا ما يحققونه من انتصارات في الانتخابات اليهودية في كيانهم المزعوم، إذ إن أيًا من الأحزاب اليهودية الأخرى لا يستطيع أن يشكل حكومة دون الائتلاف مع الأحزاب الحاخامية الدينية المتطرفة، ففي مجلة الوعي الإسلامي ١٩٩٧م مقال من إعداد وترجمة عبد المنعم أحمد يقول فيه: "يتمتع هؤلاء المتطرفون الدينيون بدعم ثلاثة وعشرين نائبًا عنهم في الكنيست، وبذلك فإن الجماعات الدينية المتطرفة تسيطر على الائتلاف الوزاري القائم على السلطة لدرجة أنه عين أربعة حاخامات في الحكومة.. وفي نفس هذا المقال جاء أيضًا - أن الحاخامات المتطرفين استطاعوا أن يتخذوا قرارًا بإغلاق جميع المحلات يوم السبت بما في ذلك المحلات الواقعة في "رمات أفيف" وهي أهم الضواحي التي يسكنها أكثر الناس علمانية في تل أبيب".[1]

ومن جملة الدور الذي لعبه الحاخامات في ظهور التطرف والعنف داخل المجتمع اليهودي نفسه ما قام به "إيجال عامير" في ٤ من نوفمبر ١٩٩٥ من اغتيال إسحاق رابين[*] - رئيس وزراء الكيان الصهيوني آنذاك - بناءً على التعاليم التوراتية والأقوال

---

(١) عبد المنعم أحمد (المتطرفون يشددون قبضتهم على المجتمع الإسرائيلي) مقال في مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٧٨، صفر ١٤١٨هـ - مايو، يونيو ١٩٩٧م، ص٨٠-٨١.

(*) إسحاق رابين (١٩٢٢-١٩٩٥م) أحد رؤساء وزراء الكيان الصهيوني سابقًا، ولد في القدس عام ١٩٢٢م، تولى رابين رئاسة الحكومة الصهيونية لمرات عديدة، كما شغل مناصب وزارية متنوعة ==

الحاخامية التي تنادي بامتلاك جميع الأراضي التوراتية، ولذلك كان قتل رابين على يد عامير، بأمر من الرب والجماعات المسلحة - كما يدعي إيجال عامير - الذين ينادون بإعدام كل من يفرط في الأرض الموعودة "يهودا والسامرة" - حسب زعمهم - ويسلمها للعرب.[1]

ثم إن المذابح(*) التي نفذها اليهود في الفلسطينيين، إنما هي جزء من تعاليم الحاخامات لليهود، وهي انعكاس للتأثر اليهودي بتلك التعاليم المدونة في التوراة والتلمود من وضع الحاخامات.

ومن ضمن الصور التي تتجلى فيها روح العنف الحاخامية، البادرة التي قام بها الحاخام الأكبر في الكيان الصهيوني حين سلَّم قائد العدوان على سيناء في العام ١٩٥٦م نسخة من التوراة قائلاً للجنود: "إنكم ستدخلون ترابًا مقدسًا.. لأنه في هذه الأرض استلم معلمنا موسى الكتاب".[2]

وقد قدمت صحيفة هآرتس(**) اليهودية وصفًا لحفلة تخرج عسكرية في إحدى مستعمرات نحال، ومما جاء في هذا الوصف: "يمر الموكب الصغير بين صفين من الرجال المسلحين، ثم يمر الكتاب - مجموعة قوانين الدين اليهودي - المخصص لمعبد هذه الوحدة محمولاً على قطعة من المخمل الأزرق، مرفوعة على أسنة الحراب يحمله الضابط الديني في الوحدة، وإلى يمينه الحاخام الأكبر للجيش العقيد جورين.[3]

== في وزارات متعددة، زيادة على كونه من العسكريين الجنرالات البارزين في الكيان الصهيوني، وقد لعب دورًا عدائيًا عنيفًا ضد الانتفاضة الفلسطينية، وذلك حينما أصدر أوامره للجيش الصهيوني بتكسير عظام أطفال الحجارة، وقد تم اغتياله في تل أبيب على يد إيجال عامير - أحد تلامذة الحاخامات المتطرفين ١٩٩٥م، يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص١٩٥.

(١) جارودي، رجاء (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)، ترجمة دار الغد العربي، ص٣٥.

(*) سوف نتحدث عن هذه المذابح بالتفصيل في الفصل القادم، إن شاء الله تعالى.

(٢) يُنظر: العابد، إبراهيم (العنف والسلام، دراسة في الاستراتيجية الصهيونية) ص٣٢، والطنطاوي، حسين (الصهيونية والعنف) ٢/ ١٩.

(**) هآرتس: كلمة عبرية تعني الأرض، وهي صحيفة يومية يهودية، أسست عام ١٩١٩م، وساهم مشاهير الكتاب الصهاينة في تحريرها والكتابة فيها مثل جابوتنسكي وغيره، وهي الصحيفة الصباحية الوحيدة "المستقلة"، يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٤٠٧.

(٣) يُنظر: العابد إبراهيم (المرجع نفسه) ص٣٢، والطنطاوي، حسين (المرجع نفسه) ٢/ ١٩.



وهكذا يتعمق الارتباط بين رجال الدين اليهودي والحاخامات، وما يمثلونه من تعاليم دينية من جهة وبين أعضاء منظمة ناحال التي تقوم بدور بارز في أعمال العنف والعدوان ضد البلاد العربية من جهة أخرى.

وقد رسخ الحاخامات جوانب العنف من الفكر اليهودي من خلال تصوير الأمة اليهودية في نشأتها على أنها جماعة محاربة؛ حيث أعطى أحد حاخاماتهم (إليعازر) صكًا لهم: "بأن السيف والقوس هما زينة الإنسان"؛ ولذا فمسموح أن يظهر الإنسان بهما يوم السبت.(1)

وقد برز في حياة اليهود مجموعة من المفكرين اليهود كانوا بمثابة الحاخامات والزعامات الدينية المؤثرة في صياغة الفكر اليهودي صياغة متطرفة(*) قادت اليهود عامة والمتدينين منهم خاصة إلى اعتناق مبدأ العنف وسيلة فاعلة لتحقيق الأهداف المرسومة للسيطرة والاستعلاء، ومن هؤلاء الحاخام "آرون ليفي" - الحاخام الأكبر للقدس - الذي وجه نداءً للعالم لإعادة بناء أسوار المدينة اليتيمة (القدس) وبناء معبد الرب قائلاً: "ليتجمع كل رجال الشعب اليهودي القادرين على حمل السلاح، وليأتوا إلى فلسطين"(2)

وبالفعل فقد انتهج السياسيون والكتاب الصهيونيون تلك الدعوات الحاخامية المتطرفة، وجعلوها نصب أعينهم ومحل اهتمامهم وفلسفة حياتهم، وأهم مبادئهم ودعواتهم، فهذا هو هرتزل(**) الذي يقول: "إن الإنسان مهما بلغ من الثراء والقوة غير

(1) الطنطاوي، حسين (المرجع نفسه) ٢/١٥.

(*) سوف نعرض لهذا الفكر الحاخامي المتطرف ضمن المطلب القادم، إن شاء الله تعالى.

(2) الطنطاوي، حسين (المرجع نفسه) ٢/ ١٥-١٦.

(**) هرتزل (١٨٦٠م - ١٩٠٤م) ثيودور هرتزل، وهو مؤسس وزعيم الحركة الصهيونية، وأول رئيس للمنظمة الصهيونية العالمية وللمؤتمرات الصهيونية العالمية الستة الأولى، ولد في مدينة بودابست (عاصمة المجر حاليًا) في العام ١٨٦٠م، مارس المحاماة والصحافة، وقد نجح ١٨٩٧م في عقد المؤتمر الصهيوني الأول في بازل الذي انبثقت عنه المنظمة الصهيونية العالمية، ثم عقد خمسة مؤتمرات أخرى في السنوات السبع التي تلت ذلك التاريخ، وتمكن خلالها من تأسيس الصندوق الاستعماري اليهودي وعددًا من المؤسسات التي سهلت احتلال فلسطين في الخمسين سنة التي تلت تأسيس الحركة، وقد مات هرتزل في ١٩٠٤/٧/٣، ودفن في فيينا ثم نقل رفاته إلى القدس المحتلة سنة ١٩٤٩م، يُنظر: هرتزل، ثيودور (يوميات هرتزل) إعداد أنيس صايغ، ترجمة هلدا صايغ، ص٧-٨، والمسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية) ص٤١٥.

قادر وحده على اقتلاع شعب من أرضه. القوة وحدها تستطيع أن تفعل ذلك.. وفكرة الدولة تمتلك بالتأكيد هذه القوة".[1]

أما جابوتنسكي(*) فقد كرّس كل كتاباته ونشاطه من أجل تهجير اليهود إلى فلسطين باستعمال العنف واغتصاب الأرض بأي ثمن، وإبادة ساكنيها من العرب، ومن أجل ذلك كان يقول: "السياسة هي القوة.. يجب على الصهيونية أن تسعى لكي تصبح قوة"[2]، وكان - أيضًا - يحرض اليهود على أن لا يتركوا السيف في تقاليدهم قائلا: "إن الاقتتال بالسيف ليس ابتكارًا ألمانيًا؛ بل إنه ملك لأجدادنا الأوائل؛ فالتوراة والسيف أُنزلا علينا من السماء"[3].

لم يكن جابوتنسكي هو الوحيد الذي لعب دورًا خطيرًا في تكريس قواعد العنف في الفكر اليهودي؛ فقد اعترف في سيرته الذاتية بأنه تأثر بكتابات المفكرين الصهيونيين: "بنسكر"(**) وهرتزل، وليلينبلوم(***)، وإن كان أكثر صراحة في

(١) الطنطاوي، حسين (المرجع نفسه) ١٦/٢.

(*) جابوتنسكي (١٨٨٠-١٩٤٠) وهو فيلاديمير جابوتنسكي، ولد في روسيا، ومات في الولايات المتحدة، وقد درس القانون في سويسرا وإيطاليا، واشترك في المؤتمرات الصهيونية الأولى، ويعد من أهم مؤسسي الصندوق القومي اليهودي، كما قاد وحدات الهاجاناة لقمع الفلسطينيين في القدس ١٩٢٠، دفع منظمة الأرجون الإرهابية التي تولى قيادتها حتى موته إلى إلقاء القنابل دون تمييز على المدنيين العرب، وتحولت منظمته إلى حزب حيروت بعد قيام الكيان الصهيوني، وقد نقل ما تبقى من رفاته إلى القدس ليدفن في نفس مقبرة هرتزل. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص١٤٧، وصايغ، أنيس: (الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية) ص٤٢٧-٤٣١.

(٢) ربيع، د. محمد (أزمة الفكر الصهيوني) ص١٦٩.

(٣) الطنطاوي، حسين (المرجع نفسه) ص١٦.

(**) بنسكر: (١٨٢١-١٨٩١م) وهو يهودا لايب (ليو)، طبيب روسي صهيوني سياسي، وقد تزعم بنسكر حركة "أحباء صهيون"، وأسلوبه وأفكاره يشبهان أفكار وأسلوب هرتزل إلى حد كبير، يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص١٠٤، وهرتزل، ثيودور (يوميات هرتزل) إعداد أنيس صايغ، ترجمة هلدا صايغ ص٥٠٩، وقارن: رزوق، أسعد (التلمود والصهيونية) ص٢٠٩.

(***) ليلينبلوم: موشيه ليب (١٨٦٤-١٩١٠م) أحد قادة حركة أحباء صهيون، كان من علماء التلمود، وانخرط في سلك الحركات الثورية، ثم تحول إلى صهيوني متطرف، وقد جمع شتات أفكاره في كتيب باسم (إحياء إسرائيل على أرض أجدادنا)، وفيه يتحدث عن غربة اليهود الأزلية وضرورة الاستيطان في فلسطين. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص٢٣٤، وقارن، رزوق، أسعد (التلمود والصهيونية) ص٢٠٨.

التعبير عن اتجاهاتهم الحقيقية، وذلك بالتأكيد على أهمية النشاط العلمي واللجوء إلى العنف لتغيير مجرى الأحداث.[1]

وقد كان أثر جابوتنسكي على اليهود واضحًا في استخدام العنف ضد العرب، فالصهيونية لا تستطيع إنكار فضله في تنظيم عمليات القتل والإرهاب ضد العرب عام ١٩٢٠م، بل إن الصهيونية تعده رمزًا لها في العدوانية والعنف، وزعيمًا لأكثر أجنحتها تطرفًا[2]، وقد سار مناحيم بيجين[*] على خطى أستاذه وزعيمه جابوتنسكي في تأكيد أهمية العنف إذ يقول: "إن قوة التقدم في تاريخ العالم ليست السلام؛ بل السيف"[3].

والحقيقة أننا إذا أردنا الاستطراد والتوسع في بيان الدور الخطير الذي لعبه حاخامات اليهود وقادة الصهيونية في ظهور التطرف والعنف وتسلح اليهود بهما فلن ننتهي عند حد، وتكفي الإشارة إلى أن المكانة التي حظي بها الحاخامات ثم الزعماء الصهيونيون هي التي مهدت الطريق أمام اليهود عامة ليقبلوا بكل دعوات هؤلاء المتطرفين الذين غرروا بهم منذ عهد المنفى إلى الآن حتى أ . - فكرة التطرف والعنف تسيطر على وجدانهم وضمائرهم، ففدا الإرهاب سلاحهم الأساسي، واستمر الحاخامات والزعماء المتطرفون في تغذية هذا الشعور في كل جيل يبرز عندهم حتى أن جابوتنسكي يرشد أبناء اليهود إلى مقولة: "تعلم كيف تطلق الرصاص" لا إلى مقولة: "تعلم كيف تقرأ".

(١) ربيع، د. محمد (أزمة الفكر الصهيوني) ص١٧٠.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٧٠.
(*) مناحيم بيجين: عراب العنف في الكيان الصهيوني، وتلميذ المنظر الصهيوني الإرهابي المتطرف فيلاديمير جابوتنسكي، تولى قيادة منظمة الأرجون الإرهابية من ١٩٤٣م، التي اشتهرت بمذابحها ضد المدنيين الفلسطينيين، وفي أواخر عام ١٩٤٨م، أسس حزب حيروت المتطرف، من أشد المعارضين للانسحاب من أراضي التي احتلوها عام ١٩٦٧م، وقد تولى رئاسة حكومة الكيان الصهيوني من ١٩٧٧-١٩٨٣، وكان قبل ذلك من المتمردين على بريطانيا؛ حيث ٠ - بريطانيا مبلغ خمسة آلاف جنيه إسترليني لمن يقبض عليه حيًا أو ميتًا، يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص١١٥، وبيجين، مناحيم (الإرهاب) ترجمة معين أحمد محمود، غلاف الكتاب، والسعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٤٣.
(٣) الطنطاوي، حسين(المرجع نفسه) ٢/١٦.



ولذلك سنتعرف في المطلب القادم على الفكر الحاخامي المتطرف من خلال أقوال أبرز حاخامي اليهود وقادتهم؛ لكي نختم هذا الفصل بشهادة حق من أفواههم أنفسهم، وهم يدينون أنفسهم، معترفين بأنهم هم أساتذة التطرف والعنف والإرهاب ومعاوله في كل أنحاء العالم.

وأخيرًا يقول المؤرخ "أرنولد توينبي"، وهو يدين العنف والإرهاب اليهودي: "حينما يثور الفدائي لكرامته وحقه في الحياة.. تتعالى أصوات المتباكين على الأمن والسلام محذرة من الإرهاب بعد أن خرست نفس هذه الأصوات عشرات السنين عن إدانة وكبح الإرهاب الحقيقي في الشرق الأوسط!!"[1]

المطلب الثاني: التطرف والعنف في الفكر الحاخامي والصهيوني

تشكل ملامح التطرف والعنف السمات البارزة في فكر الحاخامات والقادة الصهيونيين، ويظهر ذلك بوضوح من خلال تصوراتهم، ودعواتهم المتطرفة التي تعكس صفات الأنانية والعنصرية واللامبالاة والانعزالية والكآبة والقسوة والعنف ونحو هذه الصفات التي تأصلت في شخصياتهم المعقدة والمتناقضة ليترجموها على أرض الواقع.

وتأتى صفة القسوة والعنف في طليعة هذه الصفات المتأصلة، وعن هذه الصفة يقول حسني عبد الحافظ: "وهذه الصفة مرجعها الرئيسي هو كتبهم المحرفة وعقائدهم الباطلة، والملهم الأول للتقاليد العسكرية، والمنظم لقوانين القسوة والعنف في نظرهم إنما هو يشوع.

ويرى الحاخامات أن ما يُمارس الآن من قبل الجيش والكتل والمنظمات الدينية، هو واجب ديني بالدرجة الأولى، ومن يطالع رواية العهد القديم يرى أن يشوع هو القائد الفذ الذي نفذ عملية غزو أرض كنعان، والبطل المثالي الذي حقق عشرات المعجزات بوحشيته وأساليبه القاسية في التعامل مع غير اليهود.. فقد احتل المدن الفلسطينية ولم

(١) (المرجع السابق نفسه) ٢/٢٨.



يكن احتلاله لها عن طريق حروب ومواجهات شريفة، حيث دخلها وأباد سكانها من بشر وماشية(*).

لقد كان يشوع أول من نفذ وصية حمل تابوت العهد، وما زال جيش (الكيان الصهيوني) متبعًا لها في جميع وحداته وفصائله، حيث يقوم نفر من الجند بحمل تابوت، بداخله كتاب العهد القديم، وقد نقش عليه (انهض بالله ودع أعداءك يتشتتون، واجعل الذين يكرهونك يهربون أمامك) وتوصي التوراة - المزيفة بنت صهيون - بوصايا تدل على مدى الحقد والكراهية والعنف للغير"[1].

وحيث إننا طالعنا في الصفحات السابقة التعاليم التلمودية والوصايا المتطرفة التي وضعها الحاخامات المتطرفون، فإننا سنلاحظ التطبيق العملي لما صاغه الفكر الحاخامي في نفوس اليهود وتصرفاتهم تجاه الأغيار، فتعال معي - أخي القارئ - لنتعرف كيف يفكر حاخامات اليهود وقادة الصهيونية في ظل الاستراتيجية الصهيونية.

جاء في كتاب (غوش إيمونيم - الوجه الحقيقي للصهيونية) أن فتاة يهودية أرسلت برسالة إلى الحاخام شلومو أفنير قالت فيها: "بينما كنت مسافرة في سيارة باص شاهدت منظرًا هزني من الأعماق، فبينما كانت السيارة تسير بسرعة، توقفت فجأة وكان بابها مفتوحًا، وأدى وقوفها المفاجئ إلى سقوط امرأة عربية، كانت تقف بالقرب من الباب، وكادت السيارة أن تدوسها، وقد حدث ذلك في الوقت الذي كان فيه رجل متدين كبير في السن يقف بقرب المرأة، ولم يحاول الإمساك بها وإنقاذها، وكان باستطاعته أن يفعل ذلك، ولم يكتف هذا الرجل المتدين بموقفه اللامبالي، فقد زجر شخصًا آخر متدينًا عندما حاول تقديم المساعدة للمرأة العربية، ودار نقاش في سيارة الباص، وقد هزني هذا الموقف من الأعماق، فهل الشريعة اليهودية تأمرنا

(*) للاستزادة يُنظر الفصل السابق (التطرف والعنف في التوراة)

(1) حسني عبد الحافظ (العنف عند الحاخامات) مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٣٤٥ - جمادى الأولى ١٤١٥هـ - أكتوبر ١٩٩٤م - ص٧٨.

بتقديم المساعدة لإنقاذ عربي أو أجنبي آخر؟ وكيف يجب معاملة العربي أو الأجنبي في الحياة اليومية؟ وهل يجب معاملته باحترام كاليهودي؟ "

لقد أجاب الحاخام أفنير على رسالة الفتاة بشكل مطول، نوجز إجابته فيما يأتي:

"إن جميع الأجانب هم صورة من الله، ولكن صورة الله الماثلة في شعب إسرائيل هي أرفع وأسمى... ويحق لأبناء إسماعيل الإقامة هنا، ولكن شريطة أن يسلموا بحكم إسرائيل، ويوافقوا على أن السيادة السياسية هي لشعب إسرائيل، وعلى أن يكونوا مواطنين مخلصين ومطيعين لهذه الدولة، وكما قال الحاخام موشيه بن ميمون أن لا يرفعوا رؤوسهم في إسرائيل"[1].

إن إجابة الحاخام توحي بعدم تقديم المساعدة إذ إنه شرط المساعدة بالخضوع والخنوع لليهود. ولقد سئل الحاخام لينفجر: ماذا تقترح عمله إزاء العربي الذي يرفض أن يكون مواطنًا قنوعًا؛ بل يريد لنفسه دولة يعيش بها سيد نفسه؟ فأجاب: "إن العربي سيجد مكانه بالطبع في إحدى الدول العربية التي يتمتع فيها العرب بالسيادة"، أما الحاخام حاييم دافيد هليفي - الحاخام الرئيسي لمدينة تل أبيب - فإنه يتمنى أن يستمر العرب في الحرب؛ لكي تسفر هذه الحرب عن تفريغ إسرائيل من الأجانب[2].

إن مثل هذه الأفكار قد ظلت حية في ضمير الحاخامات، ووجدت لها أرضًا خصبة عند قادة الصهيونية الذين أدركوا منذ البداية استحالة قيام كيان مستقل يجمع شتات اليهود دون اللجوء إلى اعتماد لغة القوة والسلاح، ولقد برز هذا الإدراك في أقوال الحاخامات ووصاياهم، وفي كتابات القادة الأوائل للحركة الصهيونية.

يقول هرتزل الذي يعد بمثابة الأب للحركة الصهيونية التي اختطت العنف طريقًا للوصول إلى أهدافها: "إنه لا يتم تأسيس دولة الآن بالأسلوب ذاته الذي كان يستعمل قبل ألف سنة.. إذ إنه من السخف أن نعود إلى الوراء إلى المستويات الأولى من

---

(١) روينشتاين، داني (غوش إيمونيم - الوجه الحقيقي للصهيونية) ترجمة غازي السعدي، ص٤٧.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٤٧.



الحضارة، فإذا أردنا أن نطهر بلدًا من الوحوش الضارية. طبعًا لن نحمل القوس والرمح، ونذهب فرادى في أثر الدببة كما كان الأسلوب في القرن الخامس في أوروبا، بل سننظم حملة صيد جماعية ضخمة ومجهزة، ونجمع الحيوانات ونرمي وسطهم قنابل شديدة الانفجار"[1].

هكذا تصور هرتزل بناء الدولة اليهودية بالسلاح وبالعنف الجماعي المنظم، وهذا ما أكده جوزيف بيرديشفسكي[*] الذي عد زمن السيف هو زمن الحياة في معناها الجوهري، وأن الرجال والأمم لا يحيون إلا بالسيف، أي: بقوتهم وقوة زنودهم وجرأتهم الحيوية، وهو يعني كذلك أن طريق القوة والعنف هو طريق قيام الدولة[2].

أما جابوتنسكي فقد أكد أيضًا أن السيف لا يمكن إلغاؤه، داعيًا إلى الاحتفاظ به، وهو بهذا يكرر ما دعا إليه الحاخامات من قبله، مبينًا الدور التاريخي للسيف وما يرمز إليه في حياة الشعب اليهودي، كما أنه يعد أولئك الذين يموتون وهم يحاربون العرب في فلسطين يجب أن يبقوا نماذج لا تغيب أبدًا عن عقول الشباب اليهودي[3].

وطالما ردد بيجين كلام أستاذه جابوتنسكي مؤكدًا على أهمية العنف في التاريخ، معتبرًا أن السيف، وليس السلام، هو سر التقدم في تاريخ العالم[4]، ولقد سلك بيجين طريق العنف والقتل والإرهاب في سبيل قيام الدولة حتى أصبح عرّاب

(١) يُنظر العابد، إبراهيم (العنف والسلام) ص٩، والفتلاوي، سهيل حسين (الصهيونية حركة استعمارية استيطانية توسعية) ص٥٢.

(*) جوزيف بيرديشفسكي (١٨٦٥ - ١٩٢١م) كاتب روسي ومفكر صهيوني، ولد في أوكرانيا، ذاعت شهرته في الأدب التلمودي، له مجموعة من الكتابات جمعت في عشرين مجلدًا، وقد نشرها باسم مستعار "ميخاجوزف بن جوريون"، يرى أن السيف هو صاحب القول الفصل في الحياة. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم..) ص١١٥، وصايغ، أنيس (الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية) ترجمة لطفي العابد، ص١٨١.

(٢) صايغ، أنيس (الفكرة الصهيونية) ترجمة لطفي العابد، ص١٨٥، وقارن: المسيري، عبد الوهاب (نهاية التاريخ دراسة في بنية الفكر الصهيوني) ص١٠٦.

(٣) العابد، إبراهيم (المرجع السابق) ص١١، وقارن: الطنطاوي، حسين (الصهيونية والعنف) ص١٦.

(٤) المسيري، عبد الوهاب (نهاية التاريخ دراسة في بنية الفكر الصهيوني) ص١٠٥، وقارن الطنطاوي، حسين (المرجع نفسه) ص١٦.

الإرهاب وفيلسوف العنف، وهو القائل في كتابه (الثورة)[*]: "من خلال الدم والنار والدموع والرماد، قد ولد نوع جديد من الكائنات البشرية، نوع لم يعرفه العالم على الإطلاق خلال أكثر من ١٨٠٠ عام، هو "اليهودي المحارب"... ذلك اليهودي الذي اعتبر العالم أنه مات ودفن إلى الأبد، قد بعث!!"[١].

إن المطلع على كتابه هذا يجد صفحاته تنبض بالحقد والكراهية، والقسوة والعنف، فصاحبه لا يتوارى من ذلك، بل يلوح به ويعرضه للجميع، وهو الذي يقول فيه: "نحن نقاتل فإذن نحن موجودون"[٢].

من الواضح أن العنف يعد جزءًا أساسيًا من برنامج القادة الصهيونيين، فلكي تتحول أسطورة "أرض الميعاد" إلى حقيقة واقعة كان يلزم الحد الأقصى من العنف؛ لذلك سيطرت فكرة العنف على وجدان الرواد، فالرائد لم يكن فلاحًا وحسب؛ بل كان أيضًا (الشومير) الحارس الذي يدافع عن الأرض التي سرقها.

وحيث إن الإرهاب كان سلاحًا أساسيًا ومباشرًا "لتحرير الأرض" من السكان الأصليين، وكان من الضروري تأسيس منظمات لها طابع مزدوج: زراعي عسكري؛ حتى تترجم الرؤية الصهيونية نفسها إلى واقع[٣]، ولا شك أن العنف في الفكر الحاخامي والصهيوني ليس وسيلة فحسب؛ بل هو غاية في حد ذاته، فاليهودي كإنسان - حسب التصور الصهيوني - يحتاج لممارسة العنف لتحرير نفسه من نفسه ومن ذاته[٤].

ولقد ظلت الحركة الصهيونية عبر تصريحات وأقوال زعائمها، وعبر كتابات المؤيدين لها، والمدافعين عنها وعبر ممارستها الإرهابية، هي الصورة الحقيقية للفكر

(*) بيجين، مناحيم (الثورة)، وقد ترجمه إلى العربية معين أحمد محمود، وجعل اسمه بعد الترجمة (الإرهاب)، وهو الموجود بين يدي، ولذلك عند الإحالة سأشير إليه بالطريقة الآتية: بيجين، مناحيم (الإرهاب)، ترجمة معين أحمد محمود..

(١) بيجين، مناحيم (الإرهاب) ترجمة معين أحمد محمود، ص٢١.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٧٥.

(٣) يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (نهاية التاريخ) ص١٠٧، والطنطاوي، حسين (المرجع نفسه) ١٩/٢.

(٤) (المرجعان السابقان): الأول ص١١١، والثاني ص٢٠.

اليهودي بصفة عامة مهما رفعوا من لافتات تدعو إلى التعايش والسلام، ومهما تقنعوا بأقنعة يخفون بها وجوههم الحقيقية، فإن ذلك لا يعدو كونه مرحلة يقتلون بها روح المقاومة والجهاد في نفوس أمة الإسلام، ومن ثم سهولة تحقيق الهدف الأعلى ألا وهو إحكام السيطرة الكلية على العالم أجمع حسب خرافاتهم السخيفة.

جاء في كتاب محسن عنبتاوي وهو يتحدث عن الآثار المترتبة على عملية السلام مع اليهود، وبالتحديد وهو يتحدث عن الآثار العسكرية قول "بن جوريون"(*): إذا أرادت إسرائيل الوجود؛ فإن عليها أن تتابع القتال دومًا، ومن أهمها قتل روح الجهاد في أمة الإسلام، وتدمير الروح المعنوية في النفوس، وتحطيم الأمل بإمكانية النصر على اليهود، والرضا بالأمر الواقع ومحاربة كافة التوجهات الجهادية والعسكرية في الدول بحجة الأمن والطمأنينة والسلام.. وإفراغ منظمة التحرير الفلسطينية من مضمونها القتالي، وتوجيه عملية الصراع إلى صراع إقليمي بين الدول العربية أو صراع طائفي داخلها، أو صراع قومي بين القوميات الموجودة في العالم العربي والإسلامي، وستكون فرصة ذهبية لليهود للإعداد لجولات قادمة من الاحتلال العسكري والهيمنة والتوسع[1].

وطالما ردد بن جوريون: "أن الإمبراطورية الإسرائيلية سوف تمتد من النيل إلى الفرات، وأن إسرائيل لا يمكن أن تعيش إلا بالقوة والسلاح"[2].

ولقد حاول حاييم وايزمان(**) أن يرسم لنفسه صورة الرجل الإنساني الداعي للسلام والرافض للحرب والعنف إلا أنه في حقيقته كغيره من زعماء الحركة

(*) "بن جوريون": (١٨٨٦ - ١٩٧٣م) وهو دافيد بن جوريون، زعيم صهيوني عمالي، وعالم توراتي، ولد في بولندا، هاجر إلى فلسطين عام ١٩٠٦، وقد ساهم في إنشاء حزب الماباي، وساهم في إنشاء الكيان الصهيوني؛ حيث أشرف على تكوين رئاسة الحكومة المؤقتة، وأعلن بنفسه قيام كيانه دون الإشارة إلى حدوده، وأسس جماعة الحارس، ثم الهاجاناة، شغل منصب وزير الدفاع في كل الوزارات التي شكلها، يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص١٠٦.

(١) عنبتاوي، محسن (لماذا نرفض السلام مع اليهود؟) ص٤٢.

(٢) الطنطاوي، حسين (المرجع نفسه) ٢/ ١٦.

(**) حاييم وايزمان: (١٨٧٤ - ١٩٥٢م) زعيم صهيوني، وعالم كيميائي، وأول رئيس لدولة الكيان الصهيوني، ولد في روسيا، نجح في طلبه لاستصدار وعد بلفور، يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص٤٢٩، ووايزمان (مذكرات وايزمان) ص٥ - ١٦.

الصهيونية إذ إنه - كما يذكر إبراهيم العابد: لم يكن خافيًا عليه، وهو يدعو لإقامة الدولة في فلسطين بالذات أن فلسطين آهلة بالسكان الذين أظهروا منذ صدور وعد بلفور رفضهم الشديد للتخلي عن أرضهم، وبالتالي فإن استمرار وايزمان في التمسك بفلسطين يعني بوضوح اختياره أو موافقته على السير فوق الأشواك وعبر أنهار الدم.

كما أنه يصر على إقامة الدولة تحت كل الظروف، وبكل الوسائل المتاحة ومهما كانت العقبات؛ إذ إنه يقول: "إن الفكرة الرئيسية للصهيونية وجدت قبل هرتزل، وقبل زماننا، وهي لا زالت - كما كانت - سعيًا تاريخيًا مثابرًا للعودة إلى فلسطين. إن ذلك هو الهدف وكل ما عداه وسيلة فقط"[1].

ويذكر العابد "أن الكولونيل الإنجليزي الصهيوني "ماينرتزهاجن" الذي كان مسؤولاً عن الشؤون السياسية في فلسطين في بداية عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، والذي لعب دورًا بارزًا في خدمة الحركة الصهيونية كتب الملاحظات الآتية عن وايزمان:

١) "أن وايزمان عدو عنيف بطبيعته للعرب، وأن كلمة (يهودي) أو (صهيوني) تعني بالنسبة له التقدم وقلب النظام القائم في فلسطين، أما كلمة (عربي) فتعني الركود واللاأخلاقية أو الحكومة المتعفنة، والمجتمع الفاسد غير الأمين.

٢) قال لي وايزمان بأن الدولة اليهودية يجب أن تمتد عبر شرقي نهر الأردن، وإلا فإن فلسطين لن تتسع لملايين اليهود الذين سيهاجرون إليها.

٣) تكلم هربرت صموئيل - أول مندوب سام بريطاني إلى فلسطين - وأكد على الحاجة إلى التعاون مع العرب، وقال بأن اليهود لن يحرزوا أي نجاح في فلسطين دون كسب جانب العرب، وهنا نظر وايزمان إليَّ، وغمز بعينه استخفافًا بالتعاون بين النسناس والأرنب.

٤) أن وايزمان يخفي فهمه الحقيقي للصهيونية وأحلامه في فلسطين يهودية[2].

---

(١) العابد، إبراهيم (العنف والسلام) ص١٤.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٥ - ص١٦.



وهكذا فإن وايزمان كان يعمل بالتدرج لتحقيق الأهداف الصهيونية، كما أنه كان يخفي أحيانًا عقيدة العنف والإرهاب في داخله من أجل تحقيق أهداف الصهيونية أيضًا، ويأتي دافيد بن جوريون ليكمل اتجاه الحركة الصهيونية نحو العنف والقوة وسيلة لتحقيق أهدافها، ويعد بن جوريون واحدًا من القادة الصهيونيين الذين تشربوا العنف في داخلهم؛ إذ إنه يقول: "إن الموضع في فلسطين لا يمكن أن يسوى إلا بالقوة العسكرية"[1].

ولقد صدق الدكتور أوسكار ليفي حين قال: "نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه"[2].

ومن نظرات اليهود المتطرفة نحو العرب ترى حركة غوش إيمونيم[*] أن العربي وحش شيطاني يجب الانتقام منه إلى الأبد، وقد أصدرت هذه الحركة منشورات تصور العربي على أنه وقح وعدواني، وأنه لا يوجد عربي معتدل؛ لأن العربي والاعتدال هما على طرفي نقيض، لا يمكن التوفيق بينهما، وتدعو هذه الحركة إلى إفناء العرب[3].

وفي حوار أجرته صحيفة هآرتس الصهيونية بين أحد الجنود الذين اشتركوا في تنفيذ مجزرة كفر قاسم[**] وبين الضابط المسؤول عن المجزرة:

سؤال من الجندي: ماذا تفعل بالأطفال والنساء؟

جواب من الضابط: يجب أن يعاملوا كالآخرين بدون رحمة.

(١) (المرجع السابق نفسه) ص١٧.
(٢) الجندي، أنور (المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي) ص١٥٤.
(*) غوش إيمونيم: هي حركة استيطانية تكونت في بداية الفترة التي أعقبت حرب تشرين عام ١٩٧٣، وتعمل هذه الحركة بصفتها الروح الشريرة للسياسة الصهيونية؛ حيث يتجاهل أفرادها القانون ويبثون الإرهاب والرعب بين السكان العرب بقصد دفعهم إلى الجلاء عن أرضهم تمهيدًا لإقامة المزيد من المستوطنات عليها، "وهي كما يصفها أعضاؤها "حركة عفوية دون بطاقة عضوية ودون مؤسسات"، وقد نشط عمل حركة غوش إيمونيم الاستيطاني منذ بداية تأسيسها، وكانت أولى المستوطنات التي أقامتها مستوطنة "ألون موريه"، يُنظر: السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٣٠٧.
(٣) ربونشتاين، داني (غوش إيمونيم – الوجه الحقيقي للصهيونية)، ترجمة غازي السعدي، ص٤٩.
(**) يُنظر إلى المذبحة في الفصل القادم.

سؤال: ماذا تفعل بالجرحى؟

جواب: يجب أن لا يكون هناك جرحى.

سؤال: ماذا تفعل بالسجناء؟

جواب: يجب أن لا يكون هناك سجناء.

ولقد ثبت في المحكمة أن الأوامر بقتل كل عربي يوجد خارج بيته، قد صدرت من السلطات العليا، لم يكن هذا الحادث إذًا من فعل المتطرفين، بل من فعل السلطات الرسمية في (الكيان الصهيوني)، ولم يكن حادثًا انتقاميًا للدفاع عن النفس، أو لرد عدوان مسلح؛ بل ضد سكان مدنيين وعزل من السلاح[1].

ومن الجدير ذكره أن العنف والقسوة والوحشية على الطريقة الحاخامية أمور مباحة ومصرح بتدريسها رسميًا في جميع المراحل الدراسية في الكيان الصهيوني.. يقول د. رشاد الشامي: "إن النصوص التوراتية هي التي تغذي الوجدان الإسرائيلي بمبررات العنف والقسوة والوحشية الحيوانية التي تدرس في المدارس الإسرائيلية دون أن تحظى بأي معالجة نقدية تذكر"[2].

"وفي عددها الصادر بتاريخ ٢٩ / ١٢ / ١٩٦٦م نشرت صحيفة جروسالم بوست اليهودية خبرًا مفاده أن "ثلاثة آلاف من الطلبة الثانويين في (الكيان الصهيوني) قد انضموا إلى حلقات خاصة لدراسة تاريخ حرب ١٩٤٨م تحت إشراف قسم التربية الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم.

ويلتقي هؤلاء الطلاب في هذه الحلقات بعد ساعات الدراسة العادية، حيث ينقسمون إلى مجموعات حسب مناطق السكن، ويقوم القادة العسكريون السابقون للمناطق، كلٌّ حسب منطقته، بشرح تفاصيل المعارك التي دارت في المناطق، ولا يخفى على أحد أن هذه (الحرب الفاسدة) التي تدرس بتفاصيلها للطلبة في (الكيان

(١) العابد، إبراهيم (المرجع نفسه) ص ٤٦ - ٤٧.

(٢) الشامي، د. رشاد عبد الله (الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية) ص١٧١.



الصهيوني) ما قامت إلا بتحريض من الحاخامات، وأن الدماء العربية التي أُريقت خلالها كان نصيب النساء والأطفال أكثر بكثير من نصيب الشباب، فما يسمونها بـ (حرب التحرير) لم تكن سوى مذابح وحشية ارتكبت بحق شعب أعزل حرمه العالم من الدفاع عن نفسه"[1].

وفي دراسة ميدانية أكاديمية قام بها الباحث السيكلوجي جورج تامارين من جامعة تل أبيب، وشارك فيها ١٠٦٦ طالبًا من الصفوف ما بين الرابع والثامن (أي أن أعمارهم تتراوح ما بين ٩ - ١٤ سنة) وكانت حول ردود الفعل المتعلقة بتعاليم يشوع، وما ارتكبه من مجازر في المدن الفلسطينية التي استولى عليها - حسب زعمهم - وما يرتكب من فظائع في حق العرب الآن؛ تبين أن ٦٠٪ أكدوا أن تعاليم يشوع هي النبراس لهم، وأن ما فعله كان منطقيًا جدًا، وطالبوا بالفناء الكلي للسكان العرب المدنيين المقيمين في (دولتهم)! في حالة إذا ما نشب صراع مسلح مع العرب، أو طردهم أو تشتيتهم إذا لم ينشب مثل هذا الصراع[2].

وتتجلى روح التطرف والعنف في الفكر الحاخامي حين أُدين الربي ميشامشكين بالتخطيط لإصابة الحشود السكانية المدنية العربية، وذلك لنيته بإلقاء قنبلة يدوية وسط جمهور عربي بالقدس؛ حيث قرر المتهم قبل أن يقوم بالعملية أن يتشاور مع حاخام مستوطنة "آلون موريه"، وقد سأله عما إذا كان مسموحًا بأن يلقي قنبلة لكي يقتل مواطنين عربًا، ووفقًا لأقوال المتهم أجابه الحاخام بأن عليه أن يدرس المسألة من ناحية الشريعة، ولن يستطيع أن يرد عليه فورًا، وقد أشار عليه "على أية حال" بقوله: "لا يبدو أن إجابتي ستكون إيجابية، لأنك قد تصيب يهوديًا أيضًا"[3].

(١) حسني عبد الحافظ (العنف عند الحاخامات) مجلة الوعي الاسلامي، العدد ٣٤٥ - جمادي الأولى ١٤١٥هـ - أكتوبر ١٩٩٤م - ص٧٨.

(٢) الشامي، د. رشاد (المرجع نفسه) ص١٧١ - ص١٧٢، ومعتز سيد عبد الله (الاتجاهات التعصبية) ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

(٣) الشامي، رشاد عبد الله (المرجع نفسه) ص١٧٧، نقلاً عن صحيفة هآرتس الصهيونية بتاريخ ١/ ٨/ ١٩٧٨م.

وفي مقال تحت عنوان "شريعة الجهاد في التوراة ضمن المجلة الناطقة بلسان طلبة جامعة بارايلان، وهي جامعة للدراسات الدينية، عالج الربي يسرائيل هيس في مقاله الوضع الراهن المتصل بعلاقة (الكيان الصهيوني) بالشعوب الأخرى، ولا سيما الشعوب العربية، وقد ختم مقاله بما لا يدع مجالاً للبس بقوله: "سوف يقترب اليوم الذي ندعي فيه جميعًا لشريعة الحرب المقدسة، هذا من أجل إبادة عماليق" وعماليق هم الشعوب العربية"(1)، وقد أعلن الحاخام العسكري للكيان الصهيوني موشيه جورين أن الحروب الثلاث التي جرت بين إسرائيل والعرب كانت لتحقيق نبوءات أنبياء إسرائيل"(2).

هكذا يكون العنف مقدسًا في نظر الحاخامات والقادة الصهيونيين، ويتبين ذلك أيضًا بوضوح فيما ذهب إليه الحاخام فبدون، وهو يقول: "إنه وقت الحرب بحسب القانون الديني اليهودي يجب على الجنود الإسرائيليين أن يقتلوا أعداءهم المذنبين ذوي السلوك الجيد، فقد قيل: اقتل النخبة من غير اليهود، فيجب ألا يوثق بغير اليهودي الذي لا يؤذي جنودنا؛ لأنه لا ريب سيحاول أن يؤذيهم في مرحلة أخرى من القتال، إما بإعانة العدو بالإمدادات، أو بالمعلومات عنا..".

وانتهى الحاخام بقوله: "إذا صادفت قواتنا المدنيين سواء في الحرب أو خلال مطاردة أو غارة؛ فهؤلاء بحسب القانون اليهودي يجب أن يقتلوا إذا كان من غير الممكن التأكد من أنهم عاجزون عن رد الضربة لنا، ولكن بما أنه يجب عدم الوثوق بالعربي في أي حال من الأحوال، فهذا يعني أنه من غير الممكن إذا كان هذا العربي أو ذاك قادرًا على رد الضربة أم لا، وبالتالي توجد طريقة واحدة للتعامل مع العربي ألا وهي قتله"(3)، ويقول الحاخام أشبيزاي قاصدًا الإرهابيين العرب - حسب زعمه: "يجب أن نستخدم كل الطرق الممكنة حتى نردعهم"(4).

---

(1) الشامي، رشاد عبد الله (المرجع نفسه) ص١٧٨.

(2) (المرجع السابق نفسه) ص١٧٣.

(3) شاحاك، إسرائيل، (حقيقية بيجين وشركائه) ص١٣٢ - ١٣٣.

(4) (المرجع السابق نفسه) ص١٤٧.

ويصف حسني عبد الحافظ في مقاله (العنف عند الحاخامات) حركة كاخ[*] التي أسسها الحاخام الإرهابي كهانا[**] بأنها أكثر وحشية ودموية من النازية الهتلرية، فشعار هذه الحركة عبارة عن قبضة مرفوعة في الهواء تعبيرًا عن القوة والقسوة، وهو شعار يشبه إلى حد كبير شعار النازية في ألمانيا الهتلرية..

ويقول عبد الحافظ: "إن حركة كاخ الصهيونية التي هي أسوأ من النازية، والتي نفذ أحد أفرادها مجزرة الحرم الإبراهيمي الشريف[***] إنما هي صوت معبر عن الفكر اليهودي الأصيل والرسمي، فإذا كان قادة (الكيان الصهيوني) يخفون حقيقة مشاعرهم من مبادئ وأهداف هذه الحركة وراء ستار من دخان السياسية الكاذبة والدبلوماسية المزيفة، فإن زعماء هذه الحركة يعملون في العلن...

وكان الكاتب اليهودي "أوري أفنيري"[****] قد كشف عن نوايا هؤلاء القادة من خلال تصرفاتهم فقال: "إنني أعرف أن الكهانية لا تتكلم باسمها فحسب، وإنما باسم أولئك الذين يجلسون على قمة أحزاب العمل والليكود وهتحياه والمفدال، أولئك الذين يؤيدون ويدعمون كهانا في جميع تصرفاته وتصريحاته، فلقد بحثوا عن شخص يقوم عنهم بهذه الأعمال القذرة فوجدوا ذلك في شخص كهانا"[1].

(*) حركة كاخ: تأسست سنة ١٩٧٢م، وتمت بداخلها شبكة معقدة من المجموعات الإرهابية المسلحة. ويعد الحاخام مائير كهانا أحد أبرز عرّابي العنف في الكيان الصهيوني، مؤسس هذه الحركة وزعيمها الروحي، وهو المشهور بمواقفه العنصرية المتطرفة ضد العرب، ومنذ تأسيس الحركة بدأ أعضاؤها بالاعتداء على العرب في الجامعات والمعاهد، وقد بلغت ذروة هذه الاعتداءات في عامي ١٩٨٢، ١٩٨٣، كما قامت هذه الحركة بعدة عمليات إرهابية بهدف طرد العرب من أراضيهم. يُنظر: السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢١٨.

(**) مائير كهانا: من مواليد ١٩٣٢ في الحي النيويوركي، وهو من عائلة حاخامية، كان عميلاً للمخابرات الأمريكية، ثم عمل مع مجموعات المافيا، عمل على رأس حركة أطلق عليها اسم (دوف)، وتعني (قمع الخونة)، ثم حول حركته إلى حزب ليتم انتخابه في الكنيست، يُنظر: السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٣١.

(***) يُنظر إلى تفاصيل هذه المجزرة في الفصل القادم.

(****) أوري أفنيري: صحفي يهودي، ولد عام ١٩٢٣ في ألمانيا، أسس جماعة هاعولام هازية، انتخب عضوًا في الكنيست عام ١٩٦٥، معجب بالحلم الصهيوني، وتأييده للسلام ينبع من اعتبارات تكتيكية، ويؤمن بالقدس عاصمة لدولتين، ومبنية على الاعتراف بوجود شعبين. يُنظر: المسيري/ عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص٧٨ - ٧٩.

(١) حسني، عبد الحافظ (المرجع نفسه).

يقول كهانا: "إن الديموقراطية والصهيونية تقفان على طرفي نقيض.. وإنني أقف إلى جانب الصهيونية... وإننا سنحرر أرض إسرائيل الممتدة من النيل إلى الفرات... وإن السلام مع العرب يعد كبيرة من الكبائر من وجهة النظر الحاخامية؛ لأن إله إسرائيل قطع عهدًا على نفسه بإعطائها كلها لأبناء إسرائيل"(١).

إنه من الحقائق الثابتة التي تؤكدها شواهد التاريخ أن كل ما ارتكبه اليهود من مجازر وحشية إنما هو بتحريض من حاخاماتهم الذين أباحوا الحرمات، ودنسوا المقدسات، وليس أدل على ذلك سوى ما رأيناه في سياق هذا الفصل، وسوف نقف عند مجازرهم البشعة التي تعكس فكرهم وتصورهم المتطرف نحو الأغيار - كما يقولون - في الفصل القادم، إن شاء الله تعالى، والتي تبين بوضوح أن مرتكبي هذه المجازر هم الذين ساروا على نفس المنهج الذي خطه لهم يشوعهم بقوله: "لا يقف أحد في وجهك حتى تفنيهم"(٢).

وهنا يقول جارودي: "ومن شارون(*) إلى الحاخام مائير كهانا، فذلك تجسيد للطريقة التي سيتبعها الصهاينة حيال الفلسطينيين... ألم تكن مسيرة يشوع هي مسيرة مناحيم بيجين عندما قضى على سكان دير ياسين... ألم يكن طريق يشوع هو الطريق الذي وضعه يورام بن بورات في جريدة يديعوت أحرونوت(**) الصادرة في ١٤/ ١٩٧٢/٧م "لا صهيونية واستعمار للدولة اليهودية بدون إبعاد العرب وطردهم والاستيلاء على أراضيهم"... أما وسائل وأساليب هذا الاستيلاء على الأرض فقد حددها رابين

(١) (المرجع السابق نفسه).
(٢) سفر التثنية ٧ : ٢٤.
(*) أرئيل شارون: ولد عام ١٩٢٨ في قرية ميلان في فلسطين المحتلة، خريج حقوق في جامعة تل أبيب عام ١٩٦٢م، انضم إلى مدرسة الإرهاب الأولى الهاجاناة، عُين رئيسًا للوحدة ١٠١، وهي وحدة إرهابية سرية، شارك في حروب الكيان الصهيوني، وشغل مناصب وزارية عديدة، وتوج أعماله الإرهابية بعملية غزو لبنان، فكان المخطط والمنفذ لمذابح صبرا وشاتيلا يؤمن بالأردن موطنًا للفلسطينيين، وهو مهندس عمليات مصادرة الأراضي وزرع المستوطنات. يُنظر: السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٣٥٦.
(**) يديعوت أحرونوت: وتعني آخر الأنباء، وهي صحيفة يومية مسائية يهودية مستقلة، أسست عام ١٩٤٨م، وهي متطرفة في عدائها للعرب، وتراس هيئة تحريرها عضو سابق في جماعة شتيرن. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص٤٤٤.

عندما كان جنرالاً على الأرض المحتلة: تكسير عظام ملقي الحجارة من أطفال الانتفاضة"[1].

ويقول جارودي: "وبنفس اليقين اندفع الدكتور باروخ جولد شتاين - وهو مستوطن من أصل أمريكي - وقتل أكثر من سبعة وعشرين فلسطينيًا، وجرح أكثر من خمسين وهم يصلون في الحرم الإبراهيمي. كان باروخ عضوًا في جماعة متطرفة تأسست برعاية أرئيل شارون، ويعد باروخ الآن موضع تبجيل المتطرفين الذين يأتون إلى قبره بالزهور، وينحنون لتقبيله، فهو الأمين على تقاليد يشوع - كما يصوره اليهود - الرامية إلى القضاء على كل شعوب كنعان من أجل الاستيلاء على أراضيهم"[2].

بهذه الصورة التي رأيناها من واقع التطرف والعنف الحاخامي والصهيوني يتجلى الفكر اليهودي أمام الجميع، ليعلن عن نفسه أنه فكر متطرف يقوده حاخامات متطرفون وصهيونيون إرهابيون، وتلك هي شهاداتهم على أنفسهم كما تابعناها من خلال أقوالهم وممارساتهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ (البقرة: ٢١٧).

---

(١) جارودي، رجاء (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) ص٦١ - ٦٢.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٦٢.



الفصل الرابع

التطرف والعنف الصهيوني في العصر الحديث

- المبحث الأول: العنف الصهيوني في أوروبا.
- المبحث الثاني: العنف الصهيوني في الدولة العثمانية والعالم العربي.
- المبحث الثالث: العنف الصهيوني في فلسطين.

المبحث الأول

العنف الصهيوني في أوروبا

المطلب الأول: جذور العنف الصهيوني في أوروبا

تفرق اليهود بعد تخريب القدس وتدميرها عام ١٣٥م- كما ذكرنا سابقًا - إلى شتى دول العالم، وبدأ لهم بذلك عصر تشرد طويل، وفي كل هذه البلاد - كما يقول الجندي - حاولوا أن يؤسسوا دولة أو مجتمعًا فباءت محاولتهم بالإخفاق - ويتابع الجندي قوله- بأن اليهود صنعوا أيديولوجية عنصرية طامعة تستهدف امتلاك العالم كله واتخاذ فلسطين منطلقًا لها، ويذكر الجندي أنهم صنعوا الأيديولوجية في المدة التي كانت بين الضربتين: ضربة الأسر (٥٨٦ ق.م)، وضربة التدمير الروماني (عام ٧٠م وعام ١٣٥م).

وفي ضوء هذه الغاية صيغت العناصر الجوهرية للكتب المقدسة عند اليهود، وقد كان لهذا العصر - عصر الشتات والتشرد لليهود- تحدياته التي شكلت هذه الفلسفة اليهودية التلمودية الصهيونية[١].

استمر عصر الشتات الذي بدأ عام ٧٠ ميلادية حتى اليوم، وكشف هذا العصر عن أن اليهودية يهوديتان: إحداهما التي هاجرت من المشرق، وتدفقت مشتتة في

(١) الجندي، أنور (المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي)، ص٣١.



أوروبا، والأخرى هي تلك الجماعات التي نشأت بأوروبا أصلاً، ولم تكن لها علاقة ببني إسرائيل، وهذا يدفعنا مجدداً للتأكيد على أن يهود العالم على اختلاف مذاهبهم ومواطنهم لا ينتمون جميعًا بأي حال من الأحوال إلى يعقوب عليه السلام "إسرائيل".

وفي هذا يقول علي إمام عطية: "تسلل اليهود إلى أوروبا، وأضاعوا أصلهم بالاختلاط منذ العهد الروماني... وكان نتيجة هذا الاختلاط أن أثبت علماء الأجناس البشرية أن يهود أوروبا كانوا ذوي وجوه مختلفة وتقاطيع ليست متحدة أو متجانسة، بحكم هذا الاختلاط الذي يضيع الأصول، ويفقد السلالة التي توارثوها من أصل واحد ودم واحد"[١].

أصل يهود أوروبا:

يذكر علي إمام عطية "أن التاريخ أثبت في بطونه أن شعبًا يهوديًا تكوَّن قبل ميلاد المسيح عليه السلام بقرنين أو ثلاثة في الحوض الشمالي لنهر الرين بأوروبا، ثم تفرع هذا الشعب البشري الذي اعتنق الدين الموسوي إلى مجموعات متفرقة عديدة إلى سلالات مختلفة من بني الإنسان"[٢]. ومن الجدير ذكره أن اليهود الذين نشئوا في حوض نهر الرين بأوروبا ليسوا من نسل "إسرائيل"، والذين يمثلون الآن تسعة أعشار يهود العالم، وقد لقب علماء الأجناس البشرية هؤلاء اليهود بـ: "الإشكنازم" (الإشكنازيين)[*]، وكانت لهم لغة تسمى "يدش" (Yiddish)[٣].

---

(١) عطية، علي إمام (الصهيونية العالمية وأرض الميعاد)، ص٩٦.

(٢) (المرجع السابق نفسه)، ص٩٩.

(*) الإشكنازيون: "إشكنازم" بالعبرية، لم يستقر الإشكناز في ألمانيا فحسب؛ بل انتشروا في أوروبا، ويتحدثون اليديشية (خليط من العبرية والألمانية)، وحروفها تكتب بالعبرية، وقد اتسعت دلالة المصطلح بحيث أصبح يتضمن كل يهود الغرب بما في ذلك يهود الولايات المتحدة وفرنسا وهولندا وانجلترا، ويشكل الإشكناز غالبية يهود العالم، وقد ركزت الصهيونية كل جهودها على تهجير اليهود الإشكناز إلى فلسطين. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم..)، ص٧٦، وعرفان عبد الحميد (اليهودية عرض تاريخي)، ص١٢٠، ٢٠٦.

(٣) يُنظر: الجندي، أنور (المخططات التلمودية..) ص٣٢، وعطية، علي إمام (الصهيونية العالمية وأرض الميعاد)، ص٩٩.

أما اليهود السفارديم (السفارديون)(*)؛ فهم الذين تواجدوا في الشرق الأدنى وجنوب أوروبا وشمال أفريقيا وانجلترا وفرنسا وأخيرًا في الدولة الإسلامية العربية بالأندلس بعد أن طردوا من تلك الدول، ثم في الدولة العثمانية بعد سقوط الأندلس[1]. وهناك أيضًا اليهود الشرقيون المقيمون منذ الأحقاب القديمة في آسيا الصغرى وباقي دول الشرق[2].

وبعد ذلك هل لليهود الآن صلة بيعقوب عليه السلام "إسرائيل"؟ أعتقد جازمًا أنه لا صلة لهم البتة بيعقوب عليه السلام، ومما يؤكد هذا شهادة الكاتب والعالم الباحث ريبلي Ripley الذي قتل هذا الموضوع بحثًا وتمحيصًا؛ حيث قال: "من المرجح أن كثيرًا من الدم المسيحي قد امتصه اليهود بواسطة الزواج الخفي أو الزواج المخالف للقانون في العصور الوسطى؛ فلقد سُنت قوانين كثيرة في تلك العصور، تحرم على اليهود أن يتخذوا خادمات من النصارى، ولكن هذه القوانين المتعنتة كانت قليلة الجدوى، إن لم تكن عديمة الأثر، لأننا نجد أحد الأساقفة في بلاد المجر مثلاً سنة ١٢٢٩م يقرر أن كثيرًا من اليهود كانوا يعيشون عيشة غير شرعية مع زوجات من النصارى، وأن المتحولين إلى الديانة اليهودية يعدون بالآلاف؛ بل بمئات الألوف..

وقد كان هذا التحريم مقصورًا على الحرائر، وأما الإماء فلم يكن هنالك تشريع يحميهن؛ لأن الرق في هذه العصور الوسطى كان منتشرًا.. وأن تسعة أعشار يهود العالم يختلفون عن سلالة أجدادهم الأوائل بني إسرائيل اختلافًا كثيرًا، وأن الزعم بأن اليهود جنس نقي، جنس خالص وموحد، إنما هو حديث خرافة.

(*) السفارديون: "سفارديم" بالعبرية، وهم يهود أسبانيا وحوض البحر الأبيض المتوسط، ويطلق المصطلح على كل اليهود الذين ليسوا من أصل إشكنازي، وجدير بالذكر أن عبرية السفارد مختلفة عن عبرية الإشكناز، وهذا يعود إلى أن يهود البلاد العربية كانوا منذ أيام الأندلس لا يتحدثون إلا بالعربية. يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم..)، ص٢١٣.

(١) يُنظر: الجندي، أنور (المخططات التلمودية..) ص٣٢، وعطية، علي إمام (الصهيونية العالمية وأرض الميعاد) ص٩٩.

(٢) عطية، علي إمام (المرجع نفسه) ص٩٩.



ولقد أصاب العلامة "رينان" في تأكيده أن كلمة يهودي ليس لها معنى محدد في علم سلالة البشر، وأجناس الإنسان، أي ليس لها معنى أنثروبولوجيا، لا في أوروبا ولا في حوض نهر الرين..

وصدق العلامة "لامبروزو" في ملاحظته التي أبداها من أن اليهود الحديثين - يهود العالم الجديد - هم أدنى إلى الجنس الآري منهم إلى الجنس السامي... وهم عبارة عن طائفة دينية تميزت بميزات اجتماعية واقتصادية، وانضم إليهم في جميع العصور أشخاص من شتى الأجناس، من مختلف صنوف البشر، وجاء هؤلاء المتهودون من جميع الآفاق، فمنهم "الفلاشا" سكان الحبشة، ومنهم الألمان ذوو السحنة الألمانية المعينة، ومنهم "التامل"، أي: اليهود السود في الهند، ومنهم "الخزر" من الجنس التركي.

ومن المستحيل أن نتصور أن اليهود ذوي الوجه البديع والشعر الأشقر.. وذوي العيون الصافية اللون الزرقاء ممن نلقاهم اليوم في أوروبا الوسطى يمتُّون بصلة القرابة- قرابة الدم- إلى إسرائيلي أو يهود فلسطين القدماء"[1].

ونتساءل مرة أخرى: هل من المعقول أن جميع يهود العالم اليوم يرجعون بأصلهم إلى يعقوب عليه السلام وذريته الذين عندما هاجروا إلى مصر في زمن يوسف عليه السلام لم يتجاوز عددهم السبعين، وفوق ذلك توالت عليهم سنوات القحط تارة والتعذيب والإفناء والإبادة تارة أخرى، فهل نصدق أن هذه الملايين الموزعة في جميع أنحاء العالم وأكثرهم في فلسطين، كلهم من أصل رجل واحد!!!

ثم إننا لو نظرنا إلى تقاطيع وجوههم ولون بشرتهم لدلنا ذلك بوضوح على بطلان زعم الصهاينة الذي يقضي بنقاء أصلهم وعدم اختلاطهم بغيرهم، وأنهم جميعًا ينحدرون من أب واحد وجد واحد!!

إذ كيف نستطيع أن نوفق بين الأبيض والأسود، أو بين الأصفر وغيره، وبين الطويل والقصير، وبين من له أنف يشبه أنوف الهنود، وبين من له أنف يشبه أنوف

[1] عطية، علي إمام (المرجع نفسه) ص١٠٠، وقارن الجندي، أنور (المخططات التلمودية..) ص٣٨.

الأوروبيين أو الأمريكيين أو العرب أو غيرهم.. فهذا حتمًا يقضي على الخرافة التي يدعونها من أنهم من أصل واحد.

ويذكر علي إمام عطية "أن كثيرًا من يهود ألمانيا في القرن العشرين، وفي ظل الحكم النازي بالذات، أثبتوا بوثائق رسمية أنهم آريون من جنس آري يخالف جنس إسرائيل، أي أنهم من جنس جرماني صميم.. وأثبت آخرون بالطرق العلمية وتحليل الدم أنهم من أصل بلقاني"[1].

أثر اليهود المتطرف في أورو :

تسلل اليهود إلى الغرب، واختلطوا بالرومانيين وأهالي أوروبا، وكان عملهم هو الربا وتجارة الرقيق، وقد تاجروا بأعراضهم وأعراض غيرهم في سوق الفجور حبًا للمال والسيطرة، وكان لهم دور خطير في الإمبراطورية الرومانية، فقد تمكنوا من السيطرة على قيادتها، ودفعوها إلى الدمار، وقوضوا أركانها عن طريق هدم الأخلاق وإفساد الناس.

يقول "فونك ووغنال" في موسوعته اليهودية: "كان لليهود في عهد "جوستنيان" - أحد أباطرة الرومان - أثر فعال في شؤون الإمبراطورية جعلهم يتمتعون بالحرية الدينية التامة.. وكانوا يقومون بواجبات المواطنين نحو الدولة في ولاء وخضوع، وفي سياسة جعلتهم يستولون على المناصب الثانوية.

وكانت تجارة الرقيق مصدر رزقهم والسبيل الأوسع لجمع أموالهم. وكيف لا تحابي الإمبراطورية من يتيح لرجالها المتعة والتنعم بالجمال الزائف الرخيص؟! ولقد اعتنق بعض الرومانيين اليهودية حبًا في جمع الأموال عن هذا الطريق "تجارة الرقيق"، وشجعهم اليهود على مزاولتها"[2].

(١) عطية، علي إمام (المرجع نفسه) ص١٠٥.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٩٦.

والثابت في جميع مراجع التاريخ[1] أن سبب سقوط الإمبراطورية الرومانية راجع إلى السير في الفجور خلف خطوات الصهاينة الفجرة، وأن نفوذ اليهود في إفساد الإمبراطورية كان من أهم الدوافع لهذا السقوط وذلك التدهور الذي انتهى بالضياع لهذا الملك الواسع الأرجاء.

ورد جيبون في كتابه (انحطاط الإمبراطورية الرومانية وسقوطها) - رد سقوط روما إلى نفوذ اليهود، وقال: إن بوبيا - زوجة نيرون الذي أحرق روما - كانت يهودية[2] .

وقد امتد نفوذ اليهود إلى كل أجزاء أوروبا، وكان لهم دور خطير في معظم دول أوروبا. ففي انجلترا حصل اليهود عام ١٨٥٨م على جميع الحقوق البرلمانية، وفتح لهم باب تسلم الوظائف الكبرى، وقد عين أول يهودي هو "مونتيفيور" محافظًا لمدينة لندن عام ١٨٣٨م، وفي عام ١٨٤٧م انتخب البارون ليونيل دي روتشيلد عضوًا في البرلمان، وكان روتشيلد أول لورد يهودي عين في مجلس اللوردات بانجلترا سنة ١٨٨٦م.

وتوالت المناصب عليهم في القرن التاسع عشر حتى عين في أوائل القرن العشرين أول وزير منهم ١٩٠٩م وهو هربرت صموئيل، وقد استوطن اليهود مستعمرات بريطانيا بفضل كبار الموظفين، وكان لهم الدور الخطير في الاحتلال البريطاني لمصر وحفر قناة السويس وديونها وبيع أسهمها[3] .

كان اليهودي هربرت صموئيل أول مندوب سامٍ لبريطانيا في فلسطين حيث بادر بأن أسس الإدارة المدنية بفلسطين من اليهود، وعدَّ اللغة العبرية لغة رسمية زيادة على اللغة الإنجليزية والعربية، وعمل هربرت على إغراق فلسطين بالمهاجرين اليهود[4] .

وعلى الرغم من احتضان بريطانيا للصهيونية إلا أن اليهود لم يتوانوا في ضرب الإنجليز وقتلهم ورفع راية الإرهاب والعنف ضدهم، ويذكر شلبي أن اليهود قاموا

(1) (المرجع السابق نفسه) ص٩٦.

(2) يُنظر: الجندي، أنور (المخططات التلمودية.) ص٣٣، وعطية، علي إمام (المرجع نفسه) ص٩٦.

(3) يُنظر: الجندي، أنور (المرجع السابق نفسه.) ص٣٣- ص٣٤، وعطية، علي إمام (المرجع السابق نفسه) ص٩٧-٩٨.

(4) شلبي، أحمد (اليهودية) ص١١١- ١١٢.

بقتل كل من تحوم حوله شبهة التواني في خدمة الصهيونية، وبلغ استهانتهم بالسيد الذي رباهم وآواهم أن شنقوا رجال البوليس على قارعة الطريق، وأعلن بن جوريون أن الوكالة اليهودية بفلسطين لن تستطيع أن تساعد في وقف هذا الإرهاب"[1].

وفي عهد هنري الثامن لعبت الأصابع اليهودية دورًا خطيرًا في الحملة البشعة ضد الكنيسة، فقد اعتمد هنري الثامن توماس كرومويل اليهودي الأصل لقيادة الحملة ضد الكنيسة لما اشتهر به من الكفر والإلحاد، وكان كرومويل عند حسن ظن الملك فطغى في البلاد، وأحرق الكنائس وقتل الرهبان دون رحمة أو شفقة حتى استحق عن جدارة لقب جزار الرهبان"[2].

وظهر بعد ذلك النائب أوليفير كرومويل الذي قاد ثورة خلع بها الملك شارل عن العرش، وأعلن قيام الحكم الجمهوري بعد أن زعم أن "يهوه" أوحى له بذلك باعتباره رسولاً أوفده لينقذ الشعب البريطاني من الخطيئة، وكان يتشبه بالقاضي اليهودي جدعون ويلقب جنوده بجنود "يهوه"، ويستمد نظرياته من تعاليم التوراة والتلمود.. واشتهر باحتقاره للأناجيل وأتباعها، وأصدر قانونًا حرّم بموجبه على المسيحيين العمل أيام السبت، وأرغمهم على قراءة التوراة طيلة أيام الأحد، وألغى جميع الطقوس الدينية المسيحية، وحَرَّم على الناس دخول الكنائس، وقتل كل من دخلها، وكان طيلة أيام حكمه التي دامت حتى عام ١٦٦٠ يطبق في البلاد الشرائع اليهودية بحذافيرها، ولقد ذاقت البلاد إبان حكمه أمرَّ العذاب"[3].

ثم إن اليهود قد رسَّخوا أقدامهم في جميع مرافق البلاد بعد عودة الملكية إليها، وسيطر اليهود على مقدرات البلاد المالية بما كان من نفوذ واسع في سوق المضاربات (البورصة)، واستطاع اليهود عن طريق المال الدخول إلى أعرق البيوت الإنجليزية والسيطرة عليها"[4].

---

[1] (المرجع السابق نفسه) ص١١٤.

[2] ناجي، س (المفسدون في الأرض) ص٢٦٥.

[3] ناجي، س (المرجع السابق نفسه) ص٢٦٦.

[4] (المرجع السابق نفسه) ص٢٦٧.

وقد تغلغل النفوذ اليهودي في المراكز الرفيعة في المملكة البريطانية مع تعاقب السنوات حتى أنه تم تعيين اليهودي شارويلز وزيرًا لشؤون الطاقة الذرية ١٩٥١م، وقد أ . - الأمة الإنجليزية مهددة برمتها، ولهذا نجدها اليوم وغدًا تسير في ركابهم ولا تتخلى عنهم مهما كان الأمر[1].

- وفي ألمانيا: يعدد المؤرخ الأستاذ الدكتور أحمد بدوي بعض ما شاهده من خيانات اليهود لألمانيا بقوله: أنا أعلم - وأُشهد الله على ما أعلم- أن أدولف هتلر لم يكن متجنيًا ولا ظالمًا عندما وقف يدفع عدوان اليهود عن وطنه، بعد أن أكلوا أرزاق هذا الوطن وحاولوا إذلاله، فقد خرج الشعب الألماني من الحرب العالمية الأولى مغلوبًا على أمره، كسير الجناح، فانتهز اليهود تلك المحنة، وعملوا على تجويعه وإذلاله والعبث بكرامته وعرض أهله، فملئوا مدن البلاد بدور الفسق والدعارة، يتَّجرون فيها بأخلاق الشبان من الجنسين بغية الكسب والإثراء، ورموا هناك بذور الخلاف السياسي والاقتصادي حتى مزقوا الألمان أحزابًا مختلفة[2].

وقد عمل اليهود على نشر الأفكار المناوئة لتعاليم الكنيسة، فسادت الفوضى الفكرية والدينية في ألمانيا، وضعف إيمان الناس بالكنيسة، التي كانت في حينها ترزح تحت سيطرة الرأسمالية اليهودية، بواسطة اليهودي المالي يعقوب فوجر الذي أقرضها المال الكثير حتى عجزت الكنيسة عن تسديد ديونها، فرضخت لمشيئة اليهود، وسارعوا إلى نشر كل ما كان يسيء لها وللنصرانية.

وفي خضم هذه البلبلة الفكرية ظهر على مسرح الأحداث المصلح "لوثر" الذي اعترض على الكنيسة لإصدارها صكوك الغفران بغية سداد ديونها، فقام النزاع بين لوثر والبابا ليون العاشر في عام ١٥١٥، ونتج عن ذلك خروج لوثر عن الكنيسة الكاثوليكية، وقيام الكنيسة الألمانية المستقلة، واندلعت نيران الحروب الدينية بين أنصار المصلح لوثر والملك شارلكان حامي الكنيسة القديمة، فوجد اليهود في هذه

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٢٧٢.

(٢) شلبي، أحمد (اليهودية) ص١٠١.

الحروب فرصتهم الذهبية ليدمروا الكنيسة القديمة، فسارعوا إلى وضع أموالهم تحت تصرف لوثر ومن شايعه من الأمراء مقابل فوائد خيالية.

واندفع لوثر يدافع عن اليهود، فاستغل اليهود هذا الوضع لمصالحهم الخاصة؛ فاستولوا على أكثر الصناعات والأعمال الحرة، وسيطروا على النقد في جميع أنحاء البلاد، وازداد نشاطهم في نشر الإلحاد واللاأخلاقية بين أفرد الشعب الألماني؛ حتى أصبح الفرد الألماني يستهجن تعاليم الكنيسة ويسخر منها، ويستعيض عنها بالفلسفات المنبثقة عن التلمود والمصادر المعادية للدين المسيحي، ولما تفاقم أمر دعوتهم لاحظ لوثر جسامة الخطأ الذي ارتكبه في حماية اليهود، فاضطر للقيام بعمل مضاد، ومن ثم أعلن رأيه فيهم[1].

يقول لوثر: "أيقنت أن اليهود أناس غلاظ الأكباد، انحرفوا عن شريعة موسى، وزوروا كتبه وأقواله، فأما معابدهم ما هي إلا مواخير للفسق والفجور، فيجب علينا إحراق كتبهم المزورة، وتدمير معابدهم القذرة، لننقذ شعبنا من خطرها، فلو عاد موسى بنفسه للحياة لأمر بحرقها وإزالتها من الوجود، واليهود لا يهمهم إلا النهب والسلب، وهم وحوش كاسرة، وأفاع سامة، يجب مطاردتهم حيثما كانوا، والقضاء عليهم كما يُقضى على الكلاب المسعورة"[2].

وقد عدد هتلر خيانات اليهود لألمانيا؛ فذكر منها: استنزاف أموال الشعب بالربا الفادح، وإفساد التعليم، والسيطرة لصالحهم على المصارف والبورصة والشركات التجارية، والسيطرة على دور النشر، والتدخل في سياسة الدولة لغير مصلحة الدولة، وفي القمة من خياناتهم التجسس ضد ألمانيا الذي احترفه عدد كبير منهم[3].

- وفي أسبانيا: تظاهر اليهود باعتناق المسيحية، وتمكنوا من اختراق صفوف الرهبان، وأخذوا ينشرون في صفوف النصارى المبادئ الهرطقية سرًا، ومع الزمن انكشف أمرهم، فقامت الكنيسة بفضح ألاعيبهم، وأحدثت محكمة التفتيش التي

(1) ناجي، س (المفسدون في الأرض) ص٢٧٢- ٢٧٥.

(2) (المرجع السابق نفسه) ص٢٧٢.

(3) شلبي، احمد (اليهودية) ص١٠١.



أظهرت خداع اليهود للكنيسة، فأُعدم من اليهود من أُعدم، وفر من البلاد من سنح له الهرب، إلا أن ذلك لم يمنع اليهود من المثابرة على الكيد للأسبان، ولهذا وضعوا أموالهم تحت تصرف نابليون ليحتل أسبانيا، وفي القرن العشرين قدموا المساعدات للثوار الذين دفعوهم لمقاتلة الملكية والكنيسة، ويؤلبون على دولتها جميع الدول التي كانت تخضع لمشيئتهم، وعلى الرغم من إخفاق الثورة الأسبانية التي كان اليهود يشعلون أوارها، إلا أن اليهود حققوا فيها أحد أهدافهم المقدسة، وهو جمع المال الذي يمنحهم العظمة والقدرة على العطاء[1].

- **وفي المجر**[2]: سادت الفوضى أرجاء البلاد على أثر معاهدة فيرساي التي قضت بتمزيق دولة المجر، فتعددت الأحزاب، وتطاحنت فيما بينها للفوز بمقاعد الحكم، فانتهز اليهود هذه الفرصة، وقاموا بأعمال الشغب والفوضى بحجة حماية اليهود الذين لم يكن عددهم يتجاوز ١٥٪ من مجموع السكان، وبغية إرهاب المواطنين أصدر هارون كوهن الملقب بـ(بلاكون) أوامره إلى أنصاره من غلاة الثوار في روسيا إلى اغتيال زعماء الأحزاب المناوئة، واستعمال القسوة والوحشية في قتالهم مع الآخرين، فشرعوا في أعمال القتل والاغتيال على أوسع نطاق.

وأعلن بلاكون الثورة على الحكومة، فانهارت تحت ضرباته الوحشية، وانتزع الحكم من كارولي، وتربع على عرش المجر في أول شهر مارس عام ١٩١٩م، والتف حوله الماسون يدعمونه بالمال والأنصار، ويشجعونه على البطش والتنكيل بالشعب المجري دون تمييز، فغدت البلاد جحيمًا لا يطاق إذ عمت المجازر الرهيبة كافة أوساط الشعب.

ولقد برهن اليهود في حينه على أنهم ما زالوا على وحشيتهم التي تدفعهم توراتهم بها، فقتلوا ألوف العمال والفلاحين، واقتلعوا عيون خصومهم، وبقروا بطون نساء معارضيهم، فامتلأت أقبية السجون والمعتقلات، وحتى قاعات المجلس النيابي، بجثث ضحاياهم.

---

(١) ناجي، س (المفسدون في الأرض) ص٢٨٤- ٢٩٣.

(٢) يُنظر إلى هذا الموضوع بتوسع في (المرجع السابق نفسه) ص٢٩٤- ٢٩٨.

وكان اليهودي "كلن كارفن" الذي يدير المباحث المجرية لا يتورع عن إصدار أوامره لأنصاره بأن يجردوا نساء الخصوم من ثيابهن أمام الناس، وفي رابعة النهار، وأن يعتدوا على عفافهن على مشهد من المواطنين، ثم يقتلوهن بالرصاص كالكلاب المسعورة في قارعة الطريق.

ويُورد سليمان ناجي في كتابه "المفسدون في الأرض" جرائم اليهود على ضفاف نهر الدانوب ما يعجز عن وصفه القلم واللسان، إذ كان اليهود يقودون نساء الفلاحين ليلاً إلى رياض الدانوب، ويغتصبونهن أمام أزواجهن وأطفالهن، ويقتلعون عيون أقربائهن وأطفالهن أمامهن، وللحيلولة دون سماع الناس استغاثاتهن، كانوا يديرون المحركات الكبيرة، ليغطي هديرها أصوات الاستغاثة.

وقد أغار اليهود على مقدسات الشعب المجري، فقتلوا الرهبان، وأحرقوا الأناجيل والكنائس، ونهبوا المعابد، وأذاقوا الشعب المجري أمرَّ أنواع العذاب، حتى تدخلت الدولة الرومانية وأنقذت الشعب المجري من بلاكون اليهودي وأتباعه الذين لم تدم مدة حكمهم إلا أربعة أشهر ونيف.

- **وفي فرنسا:** سيطر اليهود- كالعادة - على الاقتصاد، وعملوا في مجال القروض بالربا الفاحش ومجال الرقيق الأبيض[1].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن تجارة الرقيق الأبيض كانت من أهم الوسائل اليهودية قديمًا وحديثًا للسيطرة على أي شيء يريدونه، وقد مر معنا قبل قليل ممارسة اليهود لهذه الوسيلة في معظم دول أوروبا قديمًا، أما حديثًا فقد نشرت صحيفة السبيل الأردنية ما يثبت استمرارية اليهود في هذه التجارة حتى يومنا هذا، إذ جاء فيها "أن اليهودي (إيلي) الذي يسكن منطقة بيت يام - إحدى ضواحي مدينة تل أبيب - كان يستعرض صحيفة هآرتس الصادرة صباح يوم ٢٠٠٠/٥/١٩م، والتي كانت تتحدث عن صلب تجارته (تجارة الرقيق الأبيض- المومسات الشقراوات)، ولم يكن الأمر مفاجأة بالنسبة له. بل إنه كان مسرورًا وهو يتحدث ذات مرة لإحدى القنوات الصهيونية- المحلية، ويفخر بأنه يمتع الشباب الإسرائيلي المكبوت من خلال فتيات

(١) الجندي، أنور (المخططات التلمودية) ص٣٤.

شقراوات مقابل أجر زهيد.. مؤكدًا أنه يخدم (الكيان الصهيوني) من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.

وتذكر الصحيفة أن دولة الكيان الصهيوني تعد إحدى أهم الدول التي تعمل في هذه التجارة دون أن تتعرض للذين يعملون فيها بسوء.. حيث توجد هناك شركات إسرائيلية سياحية وبعضها خدماتية تقوم بالإشراف على هذا النوع من التجارة زيادة على شركات مشتركة إسرائيلية وروسية تقوم بإحضار الفتيات تحت شعارات عمل كثيرة، والبعض يأتين بعلمهن مباشرة على أنهن سيعملن داعرات مومسات.

وتتابع ـ السبيل بالقول: إن أسبوعية "يروشاليم" الإسرائيلية كشفت في أحد أعدادها أن هذا النوع من التجارة يدفع الشباب اليهودي في أوروبا وأمريكا من الذين أحجموا عن الحضور إلى إسرائيل إلى الحضور إليها من خلال تنمية السياحة ووجود الرفاهية، وهذا بدوره يزيد من عدد سكان (إسرائيل)[1].

وزيادة على تلك الوسائل التي استخدمها اليهود في تخريب فرنسا، فقد كان لهم الدور الأكبر والخطير في إشعال الثورة الفرنسية التي كانت بمثابة جريمة اليهود الكبرى بفرنسا[*].

تنبه الأوروبيون لخطر اليهود في بلادهم، وكان ذلك مدعاة لطردهم أحيانًا وقتلهم أحيانًا أخرى، وفي هذا يقول "فرانك لي بريتون" - مؤلف كتاب (الصهيونية والشيوعية): "إن الحقبة التي طرد فيها اليهود تميزت بأنها عصر النهضة التي بزغت شمسه على أوروبا بعد ذهاب اليهود، وأن عصر الانبعاث لم يبزغ في الحضارة الأوروبية إلا بعد أن انتزعت الأمم الأوروبية السيطرة التجارية من الجيتو"[2]. إلا أن اليهود عادوا مرة أخرى إلى أوروبا مصطحبين معهم فسادهم وإفسادهم في مختلف مجالات الحياة.

يقول الجندي: "وإنهم (أي اليهود) بعد أن عادوا قد سيطروا سيطرة تامة على الاقتصاد الغربي، وأن المجتمع الغربي وفكره، قد دخلا دائرة الاحتواء اليهودي

---

(1) للتوسع يُنظر: (صحيفة السبيل) العدد ٣٣٧- السنة السابعة- الثلاثاء، ٦-١٢/ حزيران/٢٠٠٠م، ص١٤، تحت عنوان تجارة الرفيق الأبيض "إسرائيل" مسألة تثير الجدل!!، من تقرير نزار رمضان.

(*) يُنظر تفاصيل الثورة الفرنسية في المطلب القادم.

(2) الجندي، أنور (المخططات التلمودية) ص٣٥.

بشدة... واصطنعت اليهودية التلمودية أساليب جديدة امتلكت بها إرادة السيطرة على الملوك والرؤساء وأعضاء المجالس النيابية والقضائية جميعًا، عن طريق المؤسسة الخطيرة الماسونية، وكان هذا هو عصر التنوير الذي يفاخر به الغرب المسيحي من غير أن يعرف مدى الخطر الذي طوق به التلموديون عنقه"[1].

وهكذا رأينا كيف كانت الممارسات اليهودية الصهيونية الإجرامية في كل أرجاء أوروبا، بما يثبت مفهوم الروح العدوانية المتطرفة عند اليهود تجاه البشر من غير اليهود؛ ليس لسبب إلا لكونهم من الأغيار "الجوييم" الذين يجب قتلهم حسب تعليمات التوراة والتلمود كما مرّ معنا سابقًا. ويظهر مدى التطرف والعنف الصهيوني في أوروبا على لسان القس لومان- مؤلف كتاب (نابليون واليهود)- حين يقول: "كان على المسيحيين أن يزيلوا من الوجود منهاج أبالسة الجحيم المسمى بالتلمود، والشبيه بالصخرة الملساء التي تخفي تحتها وكر الثعابين القاتلة، قبل أن ترسخ تعاليمه السامة في عقول اليهود، وتحولهم إلى أفاعٍ تتربص للانقضاض على العالم كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً"[2].

ويعترف اليهودي الدكتور أوسكار ليفي بدور اليهود في تخريب وتدمير المجتمعات العالمية، ولم يبرئ نفسه من هذا الدور إذ نجده يقول: "لقد زعمنا أننا خلقنا لإنقاذ العالم من الهلاك، وتفاخرنا على الإنسانية بأننا من الشعب المختار، وادعينا بأن المسيح وجميع الأنبياء هم منا، مع أننا منذ فجر التاريخ نسعى دون هوادة لتعميم الخراب والدمار في العالم، وشل تقدم الإنسانية بشتى السبل والوسائل، ولقد قضينا بفلسفتنا ومبادئنا الهدامة على كل منجزات البشرية الأدبية والمادية ودمرنا حضارتها، وحلنا دون انتشار الأفكار البناءة في مجتمعاتها، حتى أوصلناها إلى وضعها المؤسف الذي يبكي ضميري ويدمي جوارحي، وعندما يخطر لي أنني أعرف هوية الذين سببوا هذه الكوارث التي حلت بالعالم، يأخذني الغضب على نفسي، وينتابني الخجل والتقزز من نفسي؛ لأنني أنتسب إلى هؤلاء المجرمين"[3].

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٤١.
(٢) ناجي، س (المفسدون في الأرض) ص٤٥٨.
(٣) (المرجع السابق نفسه) ص٤٥٨.



المطلب الثاني: اليد اليهودية في الثورات العالمية

ألقينا الضوء فيما سبق على الدور اليهودي المتطرف في أوروبا وأثره في سلب الثروات عن طريق الغش والربا الفاحش، وأثره أيضًا في الفساد الأخلاقي عن طريق تجارة الرقيق والإباحية، ثم تغلغلهم في أوساط المتنفذين في مختلف دول أوروبا بما يملكونه من أموال وعرض رخيص مهَّد لهم الطريق لامتصاص دماء الآخرين؛ فأشعلوا الثورات والحروب العالمية بما يخدم مخططاتهم التلمودية التي تهدف إلى إحكام السيطرة على العالم بأسره.

فمن مخططات اليهود لتدمير العالم إحداث الثورات والحروب بين دول العالم، ففي عام ١٩٥٨م- ١٨٧٠م وضع مخطط عسكري لإقامة ثلاث حروب عالمية وثلاث ثورات كبرى، وذلك لهدم الأديان وتقويض صرح المجتمعات، وإقامة الحكومة العالمية الواحدة تحت سلطان اليهود[١].

وكان (آدم وايزهاويت) هو أحد واضعي ذلك المخطط الوحشي، وهو أحد رجال الدين المسيحي، وأستاذ علم اللاهوت في جامعة (إنغولدشتات) الألمانية، فارتد عن المسيحية واعتنق الإلحاد، وتقمصت في روحه طبيعة الشر، ففي عام ١٧٧٠م اتصل به كبار المرابين اليهود في ألمانيا بعد أن وجدوا فيه ضالتهم، ووضعوا خطتهم للسيطرة على العالم عن طريق فرض عقيدة الإلحاد والشر على البشر جميعًا، أو على الأصح على من يتبقى منهم حيًا في حالة نجاح المؤامرة القاضية بتدمير المجتمعات والشعوب والأمم وإثارة المجازر والمذابح وتفجير الثورات، وإقامة الأنظمة الإرهابية الدموية، وتخريب الحكومات[٢].

ولم يقتصر دور وايزهاويت على رسم مخطط المؤامرة العالمية؛ بل قام بتنظيم المحفل الماسوني الذي كلف بقيادته وتنفيذ خططه والإشراف عليه باسم جماعة حكماء

---

(١) الميداني، عبد الرحمن (مكايد يهودية) ص٢٥٣.

(٢) كار، وليام غاي (أحجار على رقعة الشطرنج) ترجمة سعيد جزائري، ص٩، وكتابه أيضًا (اليهود وراء كل جريمة) شرح وتعليق خير الله طلفاح، ص٥-٦.

صهيون الذين يطلق عليهم حاخامات الكنيس اليهودي اسم النورانيين، وهدفهم هو العمل على تكوين حكومة عالمية واحدة"[1].

ولما كانت فرنسا وانجلترا أعظم قوتين في العالم آنذاك (أي نهاية القرن الثامن عشر) أصدر وايزهاويت أوامره إلى جماعة النورانيين للعمل على تحطيمهما من الداخل حتى يتسنى السيطرة عليهما، لذلك نظموا مع محفل النورانيين خطة واسعة ذات شقين، تقضي من ناحية أولى بتوريط بريطانيا في عدد من الحروب الاستعمارية لا تنتهي حتى تصل هي وإمبراطوريتها إلى درجة الإنهاك. وتقضي من ناحية ثانية بإعداد وإثارة ثورة فرنسية كبرى تقوض دعائم المجتمع الفرنسي، وكانت تلك الثورة هي التي تفجرت في عام ١٧٨٩، وأطلق عليها الثورة الفرنسية الكبرى"[2].

ويذكر وليام كار "أنه في الوقت الذي كان فيه كارل ماركس يكتب البيان الشيوعي تحت إشراف جماعة من النورانيين، كان البروفسور كارل ريتر من جامعة فرانكفورت يعدُّ النظرية المعادية للشيوعية تحت إشراف جماعة أخرى من النورانيين أنفسهم، بحيث يكون بمقدور رؤوس المؤامرة العالمية استخدام النظريتين المتعاكستين في التفريق بين الأمم والشعوب بصورة ينقسم فيها الجنس البشري إلى معسكرين متناحرين، ثم يتم تسليح كل منهما ودفعهما للقتال، وتدمير بعضهما، وتدمير المؤسسات الدينية والسياسية لكل منهما.

وقد أكمل العمل الذي شرع فيه ريتر ذلك الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه، وكان هذا المذهب هو الأساس الذي تفرع عنه فيما بعد المذهب النازي، وهذه المذاهب هي التي مكنت عملاء النورانيين في إثارة الحربين العالميتين: الأولى والثانية"[3].

ويوضح وليام كار الهدف من الحرب العالمية الأولى، وهو إتاحة المجال للنورانيين للإطاحة بحكم القياصرة في روسيا، وجعل تلك المنطقة معقلاً للحركة الشيوعية

---

(١) (المرجعان السابقان) الأول ص١٠، والثاني ص٦.

(٢) (المرجعان السابقان) الأول ص١٢، والثاني ص٩.

(٣) كار، وليام غاي (أحجار على رقعة الشطرنج) ترجمة سعيد جزائري، ص١٦. ويستطيع القارئ مراجعة كتابي وليام كار: (أحجار على رقعة الشطرنج)، و (اليهود وراء كل جريمة)؛ ليتعرف على الدور اليهودي الخطير في الحربين العالميتين: الأولى والثانية.

الإلحادية، ثم التمهيد لهذه الحرب باستغلال الخلافات بين الإمبراطوريتين: البريطانية والألمانية، وجاء بعد انتهاء الحرب بناء الشيوعية كمذهب، واستخدامها لتدمير الحكومات الأخرى وإضعاف الأديان.

أما الحرب العالمية الثانية فكان المخطط المرسوم لها أن تنتهي بتدمير النازية وازدياد سلطان الصهيونية السياسية حتى تتمكن أخيرًا من إقامة دولة إسرائيل في فلسطين. أما الحرب العالمية الثالثة فقد قضى مخططها بأن يقوم النزاع بين الصهيونية السياسية، وبين العالم الإسلامي بغية تدمير العالم الإسلامي والإسلام؛ فإذا نشبت هذه الحرب المدمرة أنهكت العالم الإنساني كله، وأوصلته إلى درجة الإعياء والتسليم[1]. وبذلك يستطيع النورانيون إحكام سيطرتهم على العالم، ويكون لهم السلطان المطلق والدولة التي لا ينازعهم عليها منازع.

ويذكر سنقرط أنه بسبب تواجد الكتل اليهودية الكبيرة الفاعلة في أوروبا، كان من الطبيعي أن يكون لهم الأثر الكبير في إحداث وافتعال الكثير من الثورات الكبيرة فيها، أما الثورات والحروب التي حدثت بعيدًا عن متناول أيديهم، ولا سيما تلك التي حدثت في آسيا وأفريقيا بصورة عامة، فقد كان أثرهم فيها ضئيلاً جدًا، وإلا لكنا قد أرجعنا سبب الحركات التحررية في العالم الثالث إليهم[2].

وكي لا نتطرف في القول كثيرًا مع من يرى أن اليهود وراء كل ثورة أو حرب. فإننا مع من يرى أن اليهود كان لهم يد طولى في التخطيط والتمهيد والاشتراك غير المباشر في تنفيذها، واقتناص مغانمها وذلك بدفع وكلائهم وعملائهم لإشعال تلك الحروب وتلك الثورات، ومدهم بالمال وتسخير الإعلام لخدمة أهدافهم، وسوف يظهر هذا جليًا من خلال ما سنعرضه بعد قليل من ثورات كان لليهود دور في إشعالها واقتناص مغانمها، ومن تلك الثورات:

(١) يُنظر: (المرجع السابق نفسه) ص١٨، والميداني عبد الرحمن حسن (مكايد يهودي) ص٢٥٤- ص٢٥.
(٢) سنقرط، داود عبد العفو: (اليهود في المعسكر الغربي) ص٩.

▪ **الثورة الإنجليزية (١٦٤٠- ١٦٦٠م):** فبعد أن طرد الملك إدوارد الأول - ملك انجلترا - اليهود من بلاده قرر سادة المال اليهود في فرنسا وهولندا وألمانيا الانتقام من انجلترا، وذلك ببذر بذور الشقاق بين الملك وحكومته وبين أرباب العمل والعمال، وبين الكنيسة والدولة، واستطاعوا أولاً أن يقسموا الشعب الإنجليزي إلى معسكرين: بروتستانتي وكاثوليكي، ثم انقسم المعسكر البروتستانتي إلى طائفتين: الملتزمين والمستقلين[١] .

ولما وقع الخلاف بين ملك انجلترا شارل الأول وبين البرلمان، سارع اليهودي مناسح ابن إسرائيل - أحد كبار الصيارفة في هولندا - بعرض الأموال الطائلة على القائد المعارض الإنجليزي "أوليفر كرومويل" إذا هو استطاع تنفيذ مشروعهم الخفي الرامي إلى الإطاحة بالعرش البريطاني، وقد قبل كرومويل هذا العرض، فانهالت عليه الإمدادات اليهودية بالسلاح والعتاد والأموال بوفرة، وتدفق إلى انجلترا عن طريق التهريب مئات من الثوريين المحترفين انضموا إلى الشبكات الخفية التي كان يديرها اليهود برئاسة اليهودي "دي سوز" الذي عينه الزعيم البرتغالي اليهودي الأصل "فرنانديز كارفاجال" سفيرًا لبلاده في انجلترا، وكان زعماء الاضطرابات اليهود يستمعون ويخططون لمؤامراتهم وألاعيبهم في داره المتمتعة بالحماية الدبلوماسية[*]، فكانت داره مركزًا لعمليات التحضير للثورة[٢] .

وعندما شرعت الشبكات الخفية في العمل برزت على شكل منظمات إرهابية، وبدأت في عمليات العنف والإرهاب على نطاق واسع بهدف ترويع السكان، وإشاعة جو من الذعر والقلق يمهد للحرب الأهلية والصدام المسلح مع الجيش[٣] .

(١) كار، وليام غاي (احجار على رقعة الشطرنج) ترجمة سعيد جزائري، ص٦٣، و (اليهود وراء كل جريمة) شرح خير الله طلفاح، ص٦٢.

(*) والملاحظ أن هذه السياسة اليهودية أصبحت مثالاً يحتذى، إذ إن سفاراتهم في البلدان أوكار للتآمر والجاسوسية.

(٢) (المرجعان السابقان): الأول ص٦٤، والثاني ص٦٢- ٦٣.

(٣) كار، وليام (اليهود وراء كل جريمة) شرح خير الله طلفاح، ص٦٣.



وقد نجح اليهود بالفعل في تنفيذ مخططهم في هذه الثورة، ولم يكن نجاحهم مقتصرًا على التخلص من شارل الأول وأتباعه؛ بل في السيطرة على اقتصاديات انجلترا، وعلى مقاليد الأمور فيها، وهذا ما أثبتته أحداث التاريخ فيما بعد[1].

وهكذا نستطيع أن نرى بوضوح الأيدي اليهودية الخفية في هذه الثورة وفي الثورة الفرنسية كما سنرى بعد قليل.

- **الثورة الفرنسية (١٧٨٩م)**: حرّك اليهود أموالهم صوب فرنسا: يشترون الضمائر، ويحضّرون للثورة، وكالعادة باشر اليهود بنشر الفساد والإباحية، وروجوا لذلك تمهيدًا للسيطرة العامة. يقول الجندي: "فقد يسر اليهود للفرنسيين الانغماس في حياة الترف والفجور، وزينوا باريس لتكون مدينة النور والأزياء والخمور، والملاهي، والدعارة، والانحلال والإباحية.. وفي أقل من نصف قرن حول اليهود فرنسا إلى ماخور كبير يؤمه جميع طالبي المتعة الحرام من مختلف بقاع الأرض"[2].

ويقول أيضًا: "كانت الثورة الفرنسية هي أول ثمار الفلسفة الماسونية والتخطيط الماسوني.. واستهدفت في الأساس تحقيق غاية كبرى، هي تحطيم الجدار الذي يفصل المسيحيين عن اليهود في أوروبا، وتقليص نفوذ الكنيسة، وتحطيم المقررات التي فرضتها على عزلة اليهود في أحياء الجيتو، وإقامة الدولة العلمانية التي ينفصل فيها الدين عن المجتمع.. ومن ثم السيطرة على أوروبا سيطرة كاملة"[3].

وتؤكد الكاتبة نستاويستر في كتابها (لويس السادس عشر وماري أنطوانيت): "أن الثورة الفرنسية ترجع إلى جهود الجمعيات السرية الخفية. ولا سيما محافل البناء الحر (الماسونية)، وأن هذه الهيئات السرية قد لعبت من وراء الستار دورًا عظيمًا لإضرام نارها"[4].

---

(١) كار، وليام (أحجار على رقعة الشطرنج) ص٦٧، وللتوسع يستطيع القارئ مراجعة كتابي وليام كار المعتمدين هنا للتعرف على تفاصيل الثورة وأهم الأحداث التي أعقبتها من حروب وفتن كان لليهود اليد الطولى فيها.

(٢) الجندي، أنور (المخططات التلمودية..) ص٥٣.

(٣) الجندي، أنور (الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة) ص٢٦٥.

(٤) (المرجع السابق نفسه) ص٢٦٥.



لقد كان اليهود من وراء الثورة الفرنسية التي جاءت لهم بالشعار المزيف (حرية- مساواة- إخاء) ذلك الشعار الذي اخترعته الماسونية اليهودية لتخدع به العالم، ويكفي دليلاً على ذلك أن كبار الممولين للثورة الفرنسية- كما تعترف بذلك (دائرة المعارف اليهودية- Arnold leese p. 13) كانوا من اليهود أمثال: دانيال أتزج، وديفيد فريد لاندر، وهرز سير فبير.. وغيرهم[1].

ويذكر الرفاعي في كتابه[2] أن "نيكر اليهودي السويسري كان وزيرًا للمالية لويس السادس عشر - ملك فرنسا - الذي أغرق فرنسا بالديون، لكن الملكة ماري أنطوانيت بما لها من قوة الشخصية كانت عقبة في طريق خطط اليهود الماسون، وتلقت منهم الإنذار تلو الإنذار لتفسح لهم مجال العمل فلم تعبأ بهم. فرسموا خطة تجويع فرنسا..؟ ثم أشاعوا أن الملكة قد أوصت على عقد ماسي بربع مليون جنيه "وهو مبلغ ضخم في ذلك الحين" بينما شعبها يتضور جوعًا..

واستغلت الصحافة الواقعة تحت نفوذ اليهود الحادث المختلق لنشر هذه الفرية في الشعب الجائع، فاشتعلت الفتنة وسارت المظاهرات تطالب بقتل الملك، وكان من أبرز رؤوس الفتنة "دى لاكوس" - مدير القصر الملكي - وهو يهودي أسباني، وديفيد الرسام وهو يهودي كان يرأس لجنة الأمن العام، وفتك اليهود ومعهم الشعب الأعمى بالملكة بعد أن سبق زوجها لويس السادس عشر إلى المقصلة، كما فتكوا بعشرات الألوف من أبناء فرنسا، واتبع الثوار طريقة اليهود التلمودية فذبحوا الأسرى والمساجين، وذبحوا النساء والأطفال ورجال الدين المسيحي، وهدموا الكنائس والأديرة، ونهبوا أموالها، وصادروا أملاكها".

إن اليهود أنفسهم لا ينكرون مسؤوليتهم في إشعال نار الثورة، ويعترفون صراحة بأنها من مبتكراتهم، والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى، وعلى سبيل المثال نذكر أن اليهود صرحوا في مؤتمرهم الذي عقدوه في بروكسل عام ١٩١٠م بأن الثورة الفرنسية قامت على أكتافهم، وأن حلفاءهم الماسون عملوا على تثبيت أقدامهم في

---

(١) الرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن (حقيقة اليهود) ص٦١.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٦٢.



الأرض الفرنسية، كما أعلن اليهود في هذا المؤتمر أن الماسونية ليست سوى مؤسسة يهودية وُضِعت قواعدها ومبادؤها في المعابد اليهودية، وهي دائمًا وأبدًا في ركابهم"[1].

ومن مظاهر العنف التي ارتكبها اليهود إبان الثورة الفرنسية ما ذكره "جان بليبر" - أحد معاصري الثورة - من أن حكومة الثورة الائتلافية- ومعظمها من الماسون وعملاء اليهود- قررت تأديب مدينة ليون، فأرسلت اليهودي فوشيه ليقود حملة التأديب، إذ إنه وبمجرد وصوله أمر باحتلال الكنائس والمعابد، وسلب ما كان فيها من الأموال والتحف، وتحويلها إلى مواخير واسطبلات، ثم تدنيسها وتدمير ما كان فيها من صلبان وشعارات دينية، ومن ثم أمر أن يُؤتى بحمار، ويُلبس لباس الكهنوت، وبعد أن نفذت أوامره علق في رقبة الحمار مجموعة من الأناجيل، وربط بذيله صورة المسيح، وطوفه في شوارع المدينة، ولما وصل الحمار إلى ميدان تيرو حيث جمع الناس، سقاه أمام الناس بالكأس المقدس، ومن ثم أحرق الأناجيل وصورة المسيح في الميدان المذكور.

وألقى خطابًا ندد فيه بالمسيح والمسيحية بأقذر الألفاظ وأحقرها، وبعد يومين، أي: في ٤ من كانون الأول عام ١٧٩٣م، ساق أربعة وستين معتقلاً إلى ساحة الإعدام، وأعدمهم رميًا بالرصاص، ومن ثم أمر جنوده بأن يُجهِزوا عليهم بالسيوف، فقطعت رؤوس الضحايا وعلقت في واجهات الكنائس ونواصي الشوارع، وفي اليوم الثاني نفذ حكم الإعدام في مئتين آخرين بنفس الصورة، ثم أمر بهدم المدينة، وأطلق عليها اسم المدينة المحررة، بعد أن كانت تدعى بليون.

وقد رفع فوشيه تقريرًا بمنجزاته هذه، جاء فيه أنه كان يشعر بلذة وسعادة مفرطة حينما كان يقوم بهذه الأعمال"[2]. وقد عمَّت المذابح التي قادها اليهود فرنسا بأكملها، وتذكر المصادر المعاصرة للثورة العديد من القصص المروعة، وتروى أن

---

(١) ناجي، س (المفسدون في الأرض) ص١٦٠.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٦١- ١٦٢.



اليهودي فريرون الذي كلف بمدينة طولون أفنى من سكانها عشرات الألوف حتى هبط تعدادهم من ثلاثين ألف نسمة إلى سبعة آلاف فقط، ثم أمر بتدميرها"[1].

كما قامت الفرق اليهودية في مدينة رين بقتل المئات من الأبرياء، واعتدى أفرادها على مئات النساء، وبقروا بطون الحبالى منهن بحجة اشتراكهن في المظاهرات المعادية للثورة"[2].

أما اليهودي فاسترمان - رئيس لجنة حماية الثورة في منطقة سافوناي - فقد امتاز بتطبيق قانون التحريم التوراتي القاضي بإفناء حتى الماشية، فيُذكر عنه أنه قتل جميع سكان المنطقة وأفنى ماشيتها، ومن ثم رفع تقريرًا إلى لجنة السلامة العامة قال فيه: "تنفيذًا لتعليماتكم، لقد حطمنا جماجم جميع أطفال المنطقة تحت سنابك خيلنا، وقتلنا رجالها ونساءها جميعًا، ولم يبق فيها أحد يمكنه أن ينجب في المستقبل لمناوءة الثورة، وقد أفنينا الأسرى، حتى أصبحت الأزقة والشوارع تعج بجثث الموتى، وسدت مفارق الطرق، بأكوام الجماجم التي جمعت على شكل أهرامات ضخمة، فلتطمئن لجنتكم الموقرة، ولتكن على ثقة بأنني لم أترك في المنطقة ما يسبب لي تأنيب الضمير أو الندم في المستقبل"[3].

واشتهر اليهودي "آمي" - ممثل الثورة في مدينتي مونتورناى وإبيس - بإعدامه النساء والأطفال حرقًا في أفران المدينة، وفي رابعة النهار، بزعم تسلية جنوده بهذه المشاهد المفجعة"[4].

والحقيقة أن هناك العديد من المشاهد المفجعة والجرائم المروعة التي تزخر بها المصادرة المعاصرة للثورة الفرنسية، والتي تروي عن مظاهر التطرف والعنف اليهودي في فرنسا، وللتوسع في هذا الموضوع يحسن مراجعة كتاب سليمان ناجي (المفسدون

(١) (المرجع السابق نفسه) ص١٦٣.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٦٣.
(٣) (المرجع السابق نفسه) ص١٦٤.
(٤) (المرجع السابق نفسه) ص١٦٥.



في الأرض) الذي يقول فيه: "ويكفي أن نعلم أن عدد من قتلوا على أيدي اليهود في مدينة باريس وحدها وفي غضون يوم واحد بلغ الألف قتيل. ولأخذ فكرة صحيحة عما وصل إليه الحقد اليهودي في فرنسا، ومدى تفاخرهم بما قاموا به إبان هذه الثورة، يكفي القارئ أن يزور حاليًا أحد قصور أغنياء اليهود في باريس، ليشاهد فيه اللوحات الزيتية التي تمثل ما فعله اليهود من المجازر الرهيبة، ويسمع أصحابها وهم يتحدثون عنها، وعما ترمز إليه كل واحدة منها، وعمن رسمها، أحاديث تفاخر واعتزاز مشيعة بروح التشفي والانتقام، ليتضح له مدى علاقة اليهود بهذه الثورة، وما اكتسبوه من إشعال نيرانها"[1].

إن الناظر إلى أوضاع فرنسا عقب الثورة يجد السيطرة اليهودية واضحة على جميع مقاليد الأمور فيها إذ سيطر اليهود على المرافق الصناعية التي حققت لهم السيطرة السياسية المطلقة، كما سيطروا على أسواق المضاربات المالية. وأقاموا المصارف الكبرى، وسيطروا على مؤسسات الطباعة والنشر والدعاية والإعلام، كما أن معظم الزعماء السياسيين البارزين كانوا من اليهود.

وعلى سبيل المثال: شكل اليهودي ليون بلوم وزارته ١٩٣٦م من مجموعة من اليهود، وتعاقبوا فيما بعد على المشاركة في وزارات متعددة، وقد تحكم اليهود في مصير فرنسا دون أن يجرؤ أحد على الوقوف في وجههم، وارتكبوا العديد من الجرائم المالية والأخلاقية وغيرها، وعجزت القوانين الفرنسية أن تقف أمام تلك الجرائم البشعة، إذ إن ملفات الشرطة الفرنسية تزخر بقصص الجرائم اليهودية التي أُوعز إليها بحفظها[2].

وينقل الجندي في كتابه عن أحد المؤرخين قوله: "إن الثورة الفرنسية غدت في حقيقتها من أسباب شقاء العالم، وإذلال الشعوب، وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التي خططت للثورة وموّلتها، ونفذتها، وجنَت أرباحها، ويكفي أن نذكر الحقيقة

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ص١٦٦.

(٢) للتوسع في التعرف على مدى السيطرة اليهودية على فرنسا، وعلى فظاعة الجرائم التي ارتكبوها هناك يُنظر: (المرجع السابق نفسه) ص١٤٦- ٢٢٠.

المرة، وهي أن فرنسا منذ ثورتها اليهودية الماسونية عام ١٧٩٨م تحولت تدريجيًا إلى مزرعة يهودية بمالها وثقافتها وعلمها وسياستها واقتصادها، كما أصبحت فرنسا بفضل التسامح المخل الذي فرضته الثورة بؤرة فساد؛ توزع الرذيلة والقسوة والفجور على العالم بأسره، كما تولى اليهود عملية تحويلها إلى ماخور للترفيه عن الأثرياء والأفاقين والمغامرين الذين يرحلون إلى فرنسا للاستمتاع بالفن اليهودي الفرنسي والمدنية اليهودية المدمرة، وقد أضحى اليهود بعد الثورة هم القوة الحقيقية التي ترهب الشعب الفرنسي"[١].

وهكذا احتل اليهودي مكانه في كل شيء، وكأنه المواطن الأصيل، وفقد الفرنسي كل شيء بعد تلك الثورة التي أوهمته بالشعارات الزائفة (حرية- مساواة- إخاء)، وفي واقع الأمر لم تكن الثورة إلا ثورة يهودية، لم يَجْنِ منها الشعب الفرنسي إلا سفك دمائه وخسارة وطنه وكرامته؛ لذا أرى من الأفضل تسمية الثورة بالثورة اليهودية بدلاً من الثورة الفرنسية، والغريب أن يصور بعض الكتاب المخدوعين الثورة الفرنسية بأنها عمل تاريخي عظيم خدم الإنسانية، وأعطى وثيقة حقوق الإنسان، والواقع يشهد أن الثورة خدمت الإنسان اليهودي فقط خدمة عظيمة، وحررت جميع اليهود في أوروبا، ومنحت يهود فرنسا بالذات حقوق المواطنة الكاملة، وبذلك أعطت الثورة اليهودي وحده وثيقة حقوق الإنسان ونزعتها عن غيره، فهل حقًا طبقت الثورة شعاراتها المزيفة؟!.

إن اليهود لا يكلون ولا يملون عن التخطيط والقول والعمل من أجل تحقيق غاياتهم التوراتية والتلمودية المتطرفة في السيطرة على العالم أجمع بكل الوسائل المتاحة مهما كانت عنيفة وبشعة، يقول اليهودي ماركوس رافاج الروماني: "نحن اليهود نقف وراء جميع الحروب، وإن الحرب الأولى قامت لتحقيق سيطرتنا على العالم"[٢].

(١) الجندي، أنور (المخططات التلمودية) ص٥٥. وكتابه أيضًا (الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة) ص٢٦٨.

(٢) الرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن (حقيقة اليهود) ص٦٥.



ولعب اليهود دورًا خطيرًا في إشعال العديد من الثورات العالمية، فكانت الثورة الشيوعية (١٩١٧م) من تصميمهم وتدبيرهم[1]، وآ[illegible] عن استيلاء اليهود على السلطة، وانتقامهم من الشعب الروسي بقتلهم الآلاف من الشيوخ والنساء والأطفال، وقد امتدت الثورة الشيوعية اليهودية إلى أقطار أوروبية أخرى، وكان المنفذون في كل ثورة هم من اليهود، ففي هنغاريا قامت ثورة شيوعية بقيادة اليهودي "بيلاكوهين"، وفي رومانيا بقيادة اليهودية "آنابوكر"، وقد امتدت الشيوعية ببلائها وإلحادها معظم دول العالم[2].

كما امتدت الأيدي اليهودية الخفية لتعبث بالثورة الأمريكية، فتنبه زعماء الثورة وعلى رأسهم واشنطن وفراكلين إلى خطرهم. يقول فرانكلين- وهو أحد رؤساء أمريكا السابقين: "هناك خطر جسيم تتعرض له الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا الخطر هو اليهود، فحيثما حل اليهود هبط المستوى الأخلاقي والشرف التجاري.. فإذا لم تُقصِهم الولايات المتحدة عن دستورها؛ فإنهم سوف يغيرون نظام الحكم الذي من أجله سالت دماؤنا، إنني أحذركم أيها السادة من أنكم إذا لم تقضوا على اليهود؛ فستحل عليكم لعنة أولادكم في قبوركم"[3].

ولقد صدق ما تنبأ به هذا الرئيس، فقد استطاع اليهود بما يملكونه من أموال أن يتغلغلوا في تركيبة الحكومات الأمريكية، وفي إنجاح من يرونه مناسبًا من بين المرشحين لرئاسة الولايات المتحدة من خلال تأثيرهم المالي القوي في الانتخابات الأمريكية للرئاسة[4]، وفي اعتقادي أن ما يجري الآن في العالم من نكبات وويلات ومؤامرات وفتن وحروب معظمها من صنع اليهود، وأن ما يدعيه اليهود من رفع شعار

(١) طعيمة، صابر (اليهود في موكب التاريخ) ص٤٢١.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٧٨- ٨٠. وباستطاعة القارئ مراجعة كتاب سليمان ناجي: (المفسدون في الأرض) ص٢٣١- ٢٦٣؛ ليرى أثر اليهود في الثورة الشيوعية، ومكاسبهم التي حققوها بعد نجاحهم في إشعال نارها.

(٣) سنقرط، داود عبد العفو (اليهود في المعسكر الغربي) ص٨٢- ٨٣.

(٤) (المرجع السابق نفسه) ص٨٣- ٩١، ويستطيع الناظر اليوم أن يقتنع بالدور اليهودي في إيصال من يرونه أكثر تنفيذًا لمخططاتهم إلى سدة الحكم.

السلام والتعايش السلمي إنما هو امتداد للشعار الذي رفعوه للثورة الفرنسية، ويهدفون من ورائه إلى الحصول على الوقت اللازم الذي يمكنهم من تقوية جيوشهم وأجهزتهم الحربية، ويمكنهم أيضًا من وقف سباق التسلح السائد لدى الدول المعادية لهم، وإرغام هذه الدول على تدمير أسلحتها الذرية وتخفيض جيوشها الجرارة؛ لأن ذلك حسب زعمهم لا يتوافق مع إقامة السلام الذي يجب أن تنعم به الشعوب.

ومن ثم يتسنى لهم إشعال نار حرب عالمية ثالثة يكونون هم المنتصرين فيها، وتتحقق لهم بذلك السيطرة المطلقة على العالم التي ما زالوا يحلمون بها، ويعملون دون هوادة في الوقت الحالي إلى مناصرة عملية السلام؛ لكي تحقق أغراضهم الخبيثة كما حققت لهم شعارات الثورة الفرنسية سابقًا أحلامهم الماكرة.

هكذا عملت اليد اليهودية الخفية في الثورات والحروب العالمية، وهي كذلك إلى يومنا هذا، وستستمر ما داموا قادرين على ذلك، وما دام العرب والمسلمون غافلين.

المبحث الثاني

العنف الصهيوني في الدولة العثمانية والعالم العربي

المطلب الأول: المؤامرة الصهيونية في هدم الخلافة الإسلامية

في الوقت الذي كان اليهود يتعرضون فيه للمذابح في الدول الغربية، كان حكام المسلمين يحافظون عليهم، فكان اليهود يعيشون حياة هانئة مستقرة، يمارسون مختلف نشاطاتهم التجارية والدينية والاجتماعية والسياسية، وهم لا ينكرون العصر الذهبي الذي عاشوه تحت حكم الإسلام في الأندلس خاصة، وفي الدولة العربية عامة. وليس غريبًا في منطق الخلق اليهودي نكران الجميل، فقد دفع المسلمون عامة والعرب خاصة ثمن تسامحهم وعطفهم وحمايتهم لليهود، ونتج عن ذلك سقوط الخلافة الإسلامية العثمانية، واغتصاب فلسطين وما رافق ذلك من بغي وعنف وإرهاب وقتل وتدمير...

بداية التواجد اليهودي في تركيا:

لجأ اليهود إلى تركيا هربًا من الاضطهاد الذي جلبوه على أنفسهم، فبعد أن غابت شمس العدالة عن الأندلس ١٤٩٢م، واستولى الأسبان على غرناطة بدأ التفتيش عن



اليهود وقتلهم، مما دفع اليهود إلى الاستجارة بالدولة العثمانية، التي أجارتهم على الفور، وأنقذتهم من المذابح التي تعرضوا لها في أسبانيا، وأسكنتهم في ثغورها.

كما أن الأتراك عندما فتحوا المجر ١٦٧٤م وجدوا أمامهم جماعات من اليهود في أوضاع رديئة، فقاموا بنقل مجموعات كبيرة منهم إلى المدن الرئيسية في الدولة العثمانية، وبعد أن استقروا بدءوا بالسيطرة على المرافق الاقتصادية، إذ إن اليهود لم يجدوا المأوى فقط في الدولة العثمانية؛ بل وجدوا الحرية التامة بحيث استطاعوا النفوذ إلى المراكز الحساسة[1].

ا وْ "و ما ' ' " :

ولكي يسهل على اليهود تحقيق أهدافهم، تظاهروا باعتناق الإسلام، وبدلوا أسماءهم بأسماء إسلامية، واندمجوا في صفوف الشعب، وجنّدوا لمناصرتهم كثيرًا من الأتراك، وقد عرف هؤلاء بيهود الدونمة[*]، وكان على رأسهم الحاخام اليهودي "شبتاي تسفي"[**]. الذي ادعى أنه المسيح المنتظر، وذلك في القرن السابع عشر؛ حيث راجت في تلك الأيام شائعة مفادها أن المسيح سيظهر كي يقود اليهود، وأنه سوف يحكم العالم من فلسطين، ويجعل القدس عاصمة للدولة اليهودية المزعومة[***].

---

(١) النعيمي، أحمد نوري (اليهود والدولة العثمانية) ص٢٣- ٣٧.

(*) الدونمة: وهي في اللغة مشتقة من الكلمة التركية "دونمك" التي تعني العودة أو الارتداد، والمفهوم الاجتماعي لها: المرتد أو المتذبذب، بينما تعني في الناحية الدينية مذهبًا دينيًا جديدًا دعا إليه الحاخام شاباتاي تسفى. يُنظر: النعيمي، أحمد نوري (المرجع نفسه) ص٣٨.

(**) شبتاي تسفي (١٦٢٦- ١٦٧٦). ولد بمدينة ازمير التركية من ابوين يهوديين مهاجرين من أسبانيا، ادعى أنه المسيح المنتظر، أشهر إسلامه وتعلم اللغتين: العربية والتركية، ودرس القرآن، وقد حذا حذوه كثير من أتباعه الذين أصبح يطلق عليهم "الدونمة"، ولما اكتشف الأتراك أمره نفوه إلى البانيا ومات هناك بوباء الكوليرا عام ١٦٧٦م. وتعد الحركة الشباتية واحدة من الحركات اليهودية الماشيحانية الحديثة، والتي انتهت بظهور الحسيدية (الحركة الدينية الصوفية) يُنظر: المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص٢٢٦، وقطب، محمد علي (يهود الدونمة) ص١٢- ٤٢.

(***) جدير بالذكر أن اليهود لم يعترفوا بعيسى عليه السلام مسيحًا، وعليه فإنهم أخذوا ينتظرون مسيحًا منهم يساعدهم على إقامة دولة كبيرة لهم، ويرغم العالم على اعتناق الدين اليهودي. يُنظر: النعيمي، أحمد نوري (اليهود والدولة العثمانية) ص٤٠.

وكان شبتاي يلتقي في أزمير بالوفود اليهودية التي قلدته تاج "ملك الملوك"، ثم قام شبتاي بتقسيم العالم إلى ثمانية وثلاثين جزءًا، وعيَّن لكل منها ملكًا اعتقادًا منه بأنه سيحكم العالم كله من فلسطين[1]؛ حيث كان يقول في هذا الصدد: "أنا سليل سليمان بن داود حاكم البشر، وأعتبر القدس قصرًا لي"[2].

ويذكر النعيمي أنه ظهر في هذه الحقبة الزمنية شخص آخر ينافس شبتاي وهو كوهين، وادعى هو أيضًا أنه المسيح؛ حيث تقدم بشكوى إلى السلطان أكد فيها أن شبتاي ينوي القيام بحركة تمردية في سبيل تأسيس دولة يهودية في فلسطين[3].

ونتيجة لذلك فقد ألقي القبض على شبتاي وأودع في السجن، وعرض عليه الإسلام، فاعتنق الإسلام تخلصًا من الموت، وتسمى باسم محمد عزيز أفندي، وبهذا كان شبتاي أول شخص في التاريخ من الدونمة ومؤسس مذهب هذه الطائفة[4].

ويذكر قطب أن شبتاي سمح له بدعوة اليهود إلى الإسلام فانتهزها فرصة وانطلق بين اليهود يواصل دعوته إلى الإيمان به، ويحثهم على تجمعهم معلنين في ظاهرهم الإسلام مبطنين اليهودية، فجاءه الأتباع من كل مكان، ولبسوا الجبب والعمائم، وهم يمارسون الصهيونية في الخفاء[5]. وكان شبتاي يقول لأتباعه: إنه كالنبي موسى الذي اضطر أن يبقى مدة من الزمن في قصور الفراعنة[6].

وأخيرًا قبض على شبتاي، ونفي إلى ألبانيا، ومات فيها ١٦٧٥م، وظل أنصاره وأتباعه يحيون ذكراه كما ظل يهود الدونمة من كبار الصهاينة، ومن زعماء

(١) عطية، علي إمام (الصهيونية العالمية وأرض الميعاد) ص٢٤٨، وقارن مع قطب، محمد علي (يهود الدونمة) ص٢٨.

(٢) عطية علي إمام (المرجع نفسه) ص٢٤٨.

(٣) النعيمي أحمد نوري (اليهود والدولة العثمانية) ص٤٢.

(٤) قطب، محمد علي (يهود الدونمة) ص٣٥.

(٥) قطب، محمد علي (يهود الدونمة) ص٣٩.

(٦) عطية، علي إمام (الصهيونية العالمية وأرض الميعاد) ص٢٤٩.

الصهيونية المنتشرين في تركيا وغيرها من الدول يعملون للحركة الصهيونية في تفانٍ وولاء وإخلاص"[1].

وكان للدونمة أثر كبير في الإضرار بالعالم الإسلامي، إذ أسهموا إسهامًا مباشرًا في كل ما من شأنه هدم القيم الإسلامية لدى المجتمع، وتخريب الخلق والسلوك لدى المسلمين، وهنا يبين قطب ذلك بقوله: "لقد هاجموا أولاً وبعنف حجاب المرأة المسلمة... ودعوا إلى السفور والتحلل من خلال الصحف، فألهبوا ظهور الناس بسياط ألسنتهم وأقلامهم بدعوى التحضر ومواكبة روح العصر، ثم دعوا إلى التعليم المختلط في الجامعات والمدارس ليزول الحياء من وجه الشباب وقلوبهم، وبدأت السخرية اللاذعة تظهر في المقالات لتنال من بعض التقاليد وعادات المجتمع الإسلامي...

ونشروا الرسائل والكتب الكثيرة التي تتضمن الهجوم السافر أحيانًا والمبطن أحيانًا أخرى، فكانت معاول هدم لا تنفك ضرباتها تتلاحق وتتابع لتقوض الصرح الكبير، ولم يجرؤ أحد من الناس في ذلك الحين على التعرض لهؤلاء في أي صحيفة أو مجلة، لأن أكثر الصحف والمجلات كانت مملوكة لهم، ثم إنه سرعان ما يتقدم أصحاب الجرائد والمجلات بالشكاوى إلى أقطاب الدولة؛ ليصار إلى مصادرة الردود المعارضة لهم، والتنكيل بأصحابها، وأقطاب الدولة هؤلاء هم الاتحاديون- جماعة الاتحاد والترقي- الذين كان أكثرهم من "الدونمة"، أو من تلاميذهم وحملة آرائهم والمنفذين لمخططاتهم"[2].

ومن التخريب الديني والاجتماعي إلى الهدم السياسي للدولة العثمانية، فمن المعروف تاريخيًا أن كبار رجال جمعية "الاتحاد والترقي" كانوا على علاقات متينة "بالدونمة" فقد كتب الأديب والمؤرخ الفرنسي "جانبرون" مقالاً في مجلة "المحراب" في ١٥ من كانون الثاني ١٩٢٤ أشار فيه إلى طائفة الدونمة جاء فيه: "أصحاب المصيدة هم أذكى الأقوام والأجيال التي تعيش في مدينة "سلانيك" انتسب معظمهم إلى "جمعية الاتحاد والترقي"...

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٢٤٩.

(٢) قطب، محمد علي (المرجع نفسه) ص٥٦- ٥٧.



وخلاصة القول أنهم قادوا الجانب الأكبر من ثورة "تركيا الفتاة"، هذه الثورة قام بها أساسًا اليهود "الدونمة" الذين لبسوا زيَّ المسلمين زورًا.. وظلوا يهودًا في الحقيقة، كان لهم نصيب كبير ويد طُولى في الاستبداد على مقدرات الشعب التركي.. إلى الوضع الحالي"[1].

وكتب محمد رؤوف ليسكوفيكلي - الذي كان عضوًا في جمعية الاتحاد والترقي ويعمل وفق ما تخططه له هذه الجمعية - بعد إبعاده إلى سلانيك أن هذا الإبعاد شرف عظيم يناله ليصبح أحد أبطال الحرية، ولقد حظي ليسكوفيكلي في سيلانيك برعاية الدونمة وعطفهم وتقديرهم، وفي عام ١٩١١م نشر مذكرات عن كفاحه من أجل الحرية وجمعها في كتاب أسماه: ((كيف كانت جمعية الاتحاد والترقي)).

ويقول فيه: "والغريب أن الدونمة الذين يقيمون حصرًا في تلك المدينة" سلانيك"، ويُتهمون بالطمع الشديد بسبب اشتغالهم بالتجارة، هؤلاء كانوا أشد صراعًا من أجل الحرية من غيرهم من المسلمين، ولقد لقينا أثناء كفاحنا من أجل الحرية مساعدات وتضحيات جسامًا من الدونمة، إن حبهم الشديد للحرية الذي يتناقض مع حرص هذه الجماعة على جمع المال والثروة أوقع الشبهة في قلوب بعض أعضاء "جمعية الاتحاد والترقي" حقبة من الوقت"[2].

وإمعانًا في السعي الحثيث لهدم الخلافة وتقويض الدولة العثمانية؛ فقد استغلوا صحافتهم لتشويه الإسلام والمسلمين، وفي هذا يحدثنا المؤرخ التركي السيد جواد أتيلهان ويقول: "حال وصول اليهود إلى تركيا بادروا إلى ترويج الإشاعات وإطلاق الأضاليل والأكاذيب للتشنيع بالدولة العثمانية، التي رحبت بقدومهم، فاستنبطوا القصص الخيالية لتشويه سمعة السلاطين وللحط من قدر الإسلام والمسلمين، وكانوا يرسلون تلك الأخبار الملفقة والقصص المختلفة إلى صحافتهم المهودة في أوروبا لتنشرها على أوسع نطاق بغية الإساءة لمن أحسنوا إليهم"[3].

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٥٩- ٦٠.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٦٢- ٦٣.

(٣) ناجي، س (المفسدون في الأرض) ص٣١٢.

وقد عمد اليهود في تركيا إلى تأسيس المحافل الماسونية والجمعيات السرية، وورّطوا خيرة رجال الأمة في الانتساب إليها والاندماج في صفوفها وهيئاتها السياسية العاملة لمصلحتهم، ومن ثم أحدثوا جمعية تركيا الفتاة التي رعوها ومولوها حتى اشتد عودها، وهذه الجمعية هي التي دعت الشعب إلى التمرد على السلطان عبد الحميد برفضه التنازل عن فلسطين لليهود على الرغم من العروض التي عرضها عليه هرتزل(*)، وقد باشرت الصحافة اليهودية بمهاجمته وتلفيق التهم عليه، وتحريض الدول الغربية والشعوب الخاضعة لنفوذه عليه، مما أدى إلى تدهور الحالة العامة في البلاد[1].

وفي الوقت نفسه تمكن الماسون من التغرير بمحمود شوكت باشا - قائد الجيش التركي في سلانيك (مركز الثقل اليهودي) - وحرّضوه على التمرد، فقام القائد محمود شوكت باحتلال العاصمة في (تموز ١٩٠٨م)، واعتقل السلطان، ونفاه إلى سلانيك، واستلمت جماعة الاتحاد والترقي الحكم، وكلفت ثلاثة من غلاة الماسون بالإشراف على أمور الدولة وهم: أجاويد، وقره صو، المترسالم، فلم يرق انتقاؤهم للقائد محمود شوكت الذي لم يكن ماسونيًا فاصطدم بهم، فأوعزوا إلى أنصارهم باغتياله.

وفي ١٩٠٩م كلفوا محمد رشاد بالعرش دون أن يكون له من السلطة والنفوذ إلا بقدر ما تسمح له بذلك جمعية الاتحاد والترقي التابعة للماسون[2]، ويشير الرفاعي إلى أن مصطفى كما أتاتورك(**) كان من أبرز أعضاء هذه الجمعية.

(*) ومما قاله السلطان (رحمه الله) في هذا الصدد: "إني لا أستطيع أن أتنازل عن شبر واحد من الأراضي المقدسة؛ لأنها ليست ملكي، بل هي ملك شعبي. وقد قاتل أسلافي من أجل هذه الأرض، ورووها بدمائهم. فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن.. أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون عليَّ من أن أرى فلسطين قد بُترت من دولة الخلافة، وهذا أمر لا يكون، وإني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة"، يُنظر: النعيمي، أحمد نوري (اليهود والدولة العثمانية) ص١٢٨- ١٣٢، والرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن (حقيقة اليهود) ص٨١- ٨٢.

(١) ناجي، س (المفسدون في الأرض) ص٢١٥.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٣١٦- ٣١٧.

(**) مصطفى كمال أتاتورك: (١٨٧٨- ١٩٣٨م) من مواليد سلانيك، انضم أتاتورك إلى المحفل الماسوني "فيداتا"، وقد انتمى أتاتورك إلى جمعية الاتحاد والترقي، حيث دأب أتاتورك على الاحتماء بحصانة==

ويؤكد الرفاعي أنه بعد إقصاء السلطان عبد الحميد (رحمه الله) ونقل السلطة إلى مجرمي جمعية الاتحاد والترقي، أخذت النكبات تتوالى على الدولة الإسلامية، إذ نجح أتاتورك بعد هدم الخلافة وتوزيع الوجود السياسي للمسلمين في تنفيذ خطته على الشكل الآتي[1]:

١) ألغى الخلافة الإسلامية وحطم الدولة الإسلامية العظيمة، وذلك بفصل تركيا عن باقي أجزاء الدولة العثمانية.

٢) أعلن العلمانية وفصل الدين عن الدولة؛ حيث انتشرت هذه البدعة في معظم بلاد المسلمين فيما بعد.

٣) اضطهد العلماء المسلمين، وقتل العشرات منهم، وعلق جثثهم على أعواد الشجر.

٤) أغلق كثيرًا من المساجد، وحرّم الأذان والصلاة باللغة العربية.

٥) أجبر الشعب على تغيير زيّه الإسلامي، ولبس الزي الأوروبي.

٦) ألغى الأوقاف، ومنع الصلاة في جامع أيا صوفيا، وحوّله إلى متحف.

٧) ألغى المحاكم الشرعية، وفرض القوانين المدنية السويسرية.

٨) فرض العطلة الأسبوعية يوم الأحد بدلاً من يوم الجمعة.

٩) ألغى التقويم الهجري، وألغى قوانين الميراث والزواج والأحوال الشخصية المستمدة من الشريعة الإسلامية، وحرّم تعدد الزوجات، وساوى بين الذكر والأنثى في الميراث.

== اليهود، وكان أتاتورك يتظاهر بالتدين، وعندما استتب له الأمر، وأصبح أبًا للأتراك كما كانوا يسمونه (أتاتورك) شرع ينفذ خطته التي رسمها له اليهود لهدم الخلافة، وهي التي نحن بصدد بيانها في المتن. توفي أتاتورك بعد أن تعفن جسده من الخمر، وتسلم دفة الحكم بعده ولي عهده عصمت إينونو الذي استمر ينفذ سياسة أتاتورك. يُنظر: النعيمي، أحمد نوري (المرجع نفسه) ص٢٠٥- ٢٠٦، والرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن (حقيقة اليهود) ص٨٤- ٨٨.

(١) يُنظر: الرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن (المرجع نفسه) ص٨٥- ٨٧.



١٠) شجَّع الشباب والفتيات على الدعارة والفجور، وأباح المنكرات، وضرب بنفسه المثل الأعلى على انحطاط الخلق والإدمان على الخمر والفساد.

١١) قضى على التعليم الإسلامي في جميع المراحل الدراسية، ومنع مدارس القرآن الكريم، واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية، وسعى إلى حذف الكلمات العربية من اللغة التركية إمعانًا في البعد عن الإسلام.

١٢) فتح باب تركيا لليهود الذين نبذتهم ألمانيا، واستعان بأساتذة يهود لتوسيع أقسام الجامعة التركية.

١٣) أسس حزب الشعب، ومارس عن طريقه كل وسائل الإرهاب والبطش بالشعب التركي المسلم.

وأصبحت تركيا مزرعة يهودية، وكانت أول دولة إسلامية تعترف بالكيان الصهيوني في فلسطين؛ حيث تبادلت تركيا مع الكيان الصهيوني السفراء، وتعاونت مع هذا الكيان في مختلف النواحي الاقتصادية والسياسية والعسكرية[١]. وتقيم تركيا حاليًا حلفًا عسكريًا مع الكيان الصهيوني ينص على التعاون المشترك في مواجهة أي عدوان، كما أنه بإمكان أي منهما استخدام المجال الجوي للبلد الآخر لأغراض عسكرية ضد أي طرف آخر، وقد وقِّعت هذه الاتفاقية في شهر شباط من عام ١٩٩٦م.

وقد صرَّح وزير الدفاع التركي السابق في شهر نيسان من ١٩٩٦م بأنه بإمكان الكيان الصهيوني استخدام المجال الجوي والمطارات التركية وفقًا للاتفاق الموقَّع بين البلدين، وقد باشرت بالفعل الطائرات الصهيونية ومنذ الشهر الخامس من عام ١٩٩٧م بالهبوط في المطارات التركية[٢].

(١) يُنظر: قهوجي، حبيب، (استراتيجية الصهيونية وإسرائيل تجاه المنطقة العربية والحزام المحيط بها) ص١٦٦– ١٦٨.، وتكروري، نواف هايل (أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة) ص٦٨٣.

(٢) تكروري، نواف هايل (المرجع نفسه) ص٦٨٣، ويعد هذا الكتاب نفيسًا في موضوعه، وهو في هذه الجزئية يشرح أهداف ومخاطر التحالف مع الكيان الصهيوني؛ لذا أنصح القارئ بالرجوع إليه، ص٦٨٣ وما بعدها.

وهكذا يسجل التاريخ للصهاينة جريمتهم الكبرى في هدم الخلافة الإسلامية ويضيفها إلى مسلسل جرائمهم وأحداث عنفهم المتراكمة في سجلهم الأسود عبر التاريخ.

المطلب الثاني: اليهود في العالم العربي

عاش اليهود في الوطن العربي منذ عهد قديم جدًا؛ إذ يرجع وجودهم إلى القرن السادس قبل الميلاد، زمن اقتيادهم إلى بابل على يد نبوخذ نصر؛ فكان أكثر وجود اليهود في ذلك الوقت في الجزء العراقي من الوطن العربي، ثم تدفقت موجات جديدة من اليهود لتشمل أجزاء أخرى في المنطقة العربية، وكان ذلك في القرن الأول الميلادي بعد فرارهم من ضربة تيطس الرومانية، وما تبعها في القرن نفسه من ضربة إدريانوس.

ويذكر العديد من الباحثين أن اليهود بعد الضربات الرومانية هذه قد تفرقوا في الأقطار المجاورة وفلسطين، وكانت الجزيرة العربية مقصد الكثيرين منهم كما كانت شمال أفريقيا ومصر من الوطن العربي ملاذًا للعديد منهم[1].

وإثر سقوط الدولة الإسلامية العربية في الأندلس غادرها اليهود إلى تركيا وشمال أفريقيا، وكانت بعد ذلك مؤامراتهم الخبيثة في إسقاط الخلافة والوصول إلى القدس[2]، وبعد قيام الكيان الصهيوني الغاصب على أرض فلسطين ركّز هذا الكيان جهوده على اقتلاع أكبر عدد ممكن من يهود البلاد العربية ونقلهم إلى فلسطين المحتلة، على الرغم من أن عددهم في ذلك الوقت يقارب الـ ٦٪ من يهود العالم[3].

يقول الدجاني: "وخلال عقد واحد من الزمن (١٩٤٨- ١٩٦٧م) تعرض اليهود في المنطقة العربية لأعنف حملة صهيونية لجذبهم وتهجيرهم إلى الكيان الصهيوني،

---

(١) يُنظر: الخربوطلي، علي حسن (العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود..) ص٣٨، وطعيمة، صابر (اليهود في موكب التاريخ) ص٣٦٠، وشلبي، أحمد (اليهودية) ص٩٤- ٩٥.

(٢) الجندي، أنور (المخططات التلمودية...) ص٣٢.

(٣) الدجاني، هشام (اليهودية والصهيونية) ص١١٤- ١١٥.



واشترك في هذه الحملة عدة أطراف دولية ومحلية، وتمكنت هذه الحملة في نهاية العقد المذكور من أن تهجر الغالبية العظمى ليهود البلاد العربية، وأن تقتلعهم من أوطانهم وتحملهم إلى الكيان الصهيوني أو إلى المهاجر الأوروبية والأمريكية...

وبعد حرب حزيران ١٩٦٧م عادت الدوائر الصهيونية إلى التحريض، والقيام بحملة دعائية وسياسية جديدة، لتهجير البقية الباقية من يهود المنطقة العربية، بحجة أنهم يتعرضون للاضطهاد وسوء المعاملة، وساهم في هذه الحملة التي تركزت بصورة خاصة على يهود العراق ومصر وسوريا عدد من أبرز المؤسسات الصهيونية الأمريكية[1].

كان التواجد اليهودي في الوطن العربي واضحًا في معظم دوله، وكان أكثرهم يعيش في العراق ومصر واليمن وشمال أفريقيا، وقد تمتعوا بكافة حقوقهم في هذه البلاد وبالتساوي مع سكان البلاد العربية المسلمين والمسيحيين، إلا أنهم سرعان ما بادروا هذه الدول بالعداء من خلال ممارسات العنف والإرهاب ضد أبنائها، وذلك بعد هجرتهم إلى فلسطين؛ يساندون المغتصب، وينخرطون في جيشهم، وكم رأينا وسمعنا عن أصل جنودهم وضباطهم وقادتهم ووزرائهم، فهذا يهودي يمني وذاك مغربي وآخر عراقي و...إلخ

نظرة جزة عن اليهود في ا ول العر.. :

١. اليهود في العراق:

تعد الطائفة اليهودية العراقية من أقدم الطوائف اليهودية في العالم، إذ يرجع تاريخها إلى العام ٥٨٦ق.م عندما اقتادهم نبوخذ نصر إلى بابل.

لم يتعرض اليهود في العراق إلى نفي أو اضطهاد؛ بل كانوا يعيشون بأمان ورفاهية وكانوا يتمتعون بالحرية الاقتصادية والدينية وغيرها، فكانت لهم مدارسهم وكنسهم[2].

---

(١) الدجاني، هشام (المرجع نفسه) ص١١٥- ١١٦.

(٢) السوداني، صادق حسن (النشاط الصهيوني في العراق) ص٧- ٨.

وقد لقي اليهود في عهد الدولة الإسلامية العربية كل اهتمام وتقدير، وعُوملوا معاملة جيدة باعتبارهم من أهل الكتاب؛ بل إن بعضهم ارتقى مناصب مرموقة في عهد الدولة العباسية، وقدّر عدد اليهود في عهد الخليفة المستنجد العباسي بأربعين ألفًا في بغداد وحدها يعيشون في أمان[1].

ويذكر ألفريد ليلينتال: "أن يهود العراق عاشوا بسلام في تلك البلاد آلاف السنين منذ أن دمر نبوخذ نصر المملكة اليهودية، حتى أنهم تمكنوا في العهد الإسلامي من اكتساب ثقة الخلفاء والقادة العرب، ونالوا حقوقهم المدنية والدينية، ومارسوها بحرية مطلقة، وفي بدء العهد الاستقلالي بالعراق، تولى شؤون وزارة المالية وزير يهودي، كما بلغ عدد المعابد اليهودية أكثر من ستين كنيسًا في مختلف أنحاء البلاد"[2].

بعد قيام الكيان الصهيوني نشطت المنظمات الصهيونية في محاولة اجتذاب يهود العراق إلى فلسطين، وبدأ وكلاء الصهيونية في العراق حربًا نفسية مستغلين الوضع النفسي العام الناجم عن حرب فلسطين، فقد أوحى العملاء الصهاينة إلى اليهود العراقيين بأن ضمان بقائهم على قيد الحياة قد صار أمرًا مشكوكًا فيه[3]، وبدأت بالفعل أعداد من يهود العراق في التسلل إلى الخارج عن طريق إيران[4].

ولعبت بريطانيا دورًا معروفًا في الضغط على الحكومة العراقية لفتح أبواب الهجرة ورضخت الحكومة العراقية للضغوط، وصدر في الشهر الثالث من عام ١٩٥٠م قرار عن الحكومة بفتح باب الهجرة وإسقاط الجنسية العراقية عن كل يهودي يغادر العراق، وهنا اندفع عملاء الصهيونية لدفع أكبر عدد ممكن من يهود العراق للهجرة إلى إسرائيل، وقد لجأ هؤلاء عندئذ إلى أعمال التفجير وإثارة القلاقل ضد السكان

---

(١) (المرجع السابق نفسه) ص٨.

(٢) ليلينتال، ألفريد (ثمن إسرائيل) ترجمة: حبيب نحول وياسر هواري، ص١٤٦.

(٣) السوداني، صادق حسن (المرجع نفسه) ص١٨٦.

(٤) (المرجع السابق نفسه) ص١٨٩.

اليهود ومعابدهم ومساكنهم من أجل إلقاء الرعب في قلوبهم ودفعهم نحو الهجرة، وأدت هذه الأعمال بالفعل إلى ارتفاع عدد المهاجرين[1].

وقد حدثني الدكتور محسن عبد الحميد - حفظه الله - قائلاً: "في سنة ١٩٥٠ كنت في السليمانية، ورأيت قوافل اليهود وعوائلهم يغادرونها وهم يبكون، وكنا نتأثر لهذا المنظر؛ إذ لم نسمع قط في السليمانية وفي كركوك أنهم تعرضوا إلى اضطهاد، وكان اليهود يتجولون في القرى والأرياف على سبيل التجارة، وكان واحد منهم واسمه "يانتوب" شريكاً لخالي، وكان ينام في ناحية أغجلر شهراً في بيت خالي، ويأكل معهم كأنه أحد أفراد العائلة[*].

وفي سنة ١٩٧٠م خطت الحكومة العراقية خطوة إيجابية حين وجهت الدعوة إلى اليهود العراقيين الذين غادروا البلاد للعودة إلى العراق والعيش بالتساوي مع سائر المواطنين[2].

٢. اليهود في مصر:

يعود وجود الطائفة اليهودية في مصر إلى القرن السادس قبل الميلاد، وقد تحسنت أوضاعهم في القرن التاسع عشر؛ مما شجع اليهود الأوروبيين أن يأتوا إلى مصر، حتى بلغ عدد اليهود في مصر أكثر من ستين ألف نسمة[3].

ومع الاحتلال البريطاني لمصر دخلت أعداد كبيرة منهم هرباً من الاضطهاد الأوروبي، وازدهرت أحوال اليهود بصورة عامة في مصر، ويشير بعض الباحثين إلى أن اليهود تمتعوا بالعديد من الامتيازات التي ضمنت لهم المساواة مع المواطنين في مختلف المجالات، ومنها: التعليمية والإعلامية والدينية والاقتصادية والسياسية، حتى شارك

(١) يُنظر: الدجاني، هشام (المرجع نفسه) ص١١٨- ١١٩، وليلينتال، ألفريد (المرجع نفسه) ص١٤٧، والسوداني، صادق حسن (المرجع نفسه) ص١٩٢- ٢٣٧. وبين هذه الصفحات يستطيع القارئ أن يطلع على الأعمال الإرهابية الصهيونية لتهجير اليهود من العراق.

(*) من كلام المشرف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد (وثيقة تاريخية).

(٢) أسود، عبد الرزاق محمد، (الموسوعة الفلسطينية) ١/٧٦.

(٣) يُنظر: حداد، مهنا يوسف (الرؤية العربية لليهودية) ص٢٥٤. والدجاني هشام (مرجع سابق) ص١٢٢.

بعضهم في الوزارات والبرلمانات المصرية، وقد كان يوسف قطاوي وزيرًا للمالية في وزارة سعد زغلول عام ١٩٢٤م، وكان حاييم ناحوم أحد النواب اليهود في مصر، وكذلك يوسف بتشوتو وغيرهم"[1].

وقد لعبت المخابرات الصهيونية دورها في تهجير اليهود المصريين، وكان للصندوق القومي اليهودي نشاطه الواسع في مصر منذ عام ١٩٢٤، ونتيجة لأزمة ١٩٥٦م فقد غادر آلاف اليهود مصر متوجهين إلى أمريكا واستراليا، وقد استمرت حركة الهجرة في عقد الستينيات، وساهمت حرب حزيران ١٩٦٧ في تقليص عدد اليهود بحيث لم يتبق منهم إلا العدد القليل جدًا، ومع ذلك فهم يمارسون حياتهم وطقوسهم الدينية بصورة طبيعية"[2].

وهنا يشهد الأستاذ الدكتور محسن عبد الحميد - المشرف على هذه الرسالة - قائلاً: "وأنا أشهد على ذلك حيث كنت في القاهرة يومئذ أدرس الماجستير في جامعة القاهرة، ولم أسمع أن يهوديًا تعرض إلى المضايقة أو الاضطهاد".

٣. اليهود في سوريا:

يعود تاريخ اليهود في سوريا إلى ما قبل القرن الأول الميلادي، وقد وصل عددهم عام ١٩٤٧ إلى حوالي ثلاثة عشر ألفًا، هاجر الكثيرون منهم بعد عام ١٩٤٨م إلى لبنان، وقد تقلص عددهم عام ١٩٥٥ إلى ما بين خمسة آلاف إلى ستة آلاف، وقد ظل هؤلاء يمارسون حياتهم الطبيعية كالمعتاد، وكان لهم مؤسساتهم الخاصة بالطائفة وبعد عام ١٩٦٧م، ونتيجة للحملة الصهيونية، تناقص عدد اليهود، وعلى الرغم من أن الحكومة السورية لم تسمح رسميًا بالهجرة إلا أن العديد من الشباب اليهود تمكنوا من التسلسل خارج البلاد، وبقي العدد القليل منهم مستقرين بعد أن تراجعت نوازع الهجرة عنهم"[3].

---

(١) يُنظر: الدجاني، هشام (المرجع نفسه) ص١٢٣ و حداد، مهنا يوسف (المرجع نفسه) ص٢٦٢- ٢٧٣.

(٢) الدجاني، هشام (المرجع نفسه) ص١٢٠-١٢١.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص١٢٤- ١٢٧.

٤. اليهود في اليمن:

يذكر بعض المؤرخين أنه من الممكن أن يعود تاريخ اليهود في اليمن إلى عهد سليمان عليه السلام على الرغم من تحول الكثير منهم إلى الإسلام إلا أنهم بقوا يشكلون مجتمعًا كبيرًا نسبيًا[١]. أما يهود عدن فلم يُعرف بالضبط من أين أو متى جاء هؤلاء اليهود إلى عدن، فربما جاءوا إليها من اليمن في رحلاتهم البحرية، واستقروا هناك منذ القرن الخامس الميلادي[٢].

ويعلل العقيلي سبب الجهل بأصل وجود اليهود وأحوالهم بأن احتلال الأحباش طمس معالم اليهودية والوثنية، كما أن بعض البطون اليهودية قد اضطرها الخوف إلى الدخول في النصرانية[٣].

عمل اليهود في اليمن في المجالات الحياتية المتنوعة، ومن أهمها: الاستيراد والتصدير والأعمال التجارية والصناعية والحرف اليدوية، ولا سيما المجوهرات، وصناعة الأحذية، وقد غادر معظمهم اليمن؛ حيث استطاعت المنظمة الصهيونية أن تنقل عددًا كبيرًا منهم إلى فلسطين عن طريق التوسط البريطاني عام ١٩٤٨، ١٩٤٩م، واتسمت هجرتهم إلى فلسطين بالطابع الديني؛ إذ روجت المنظمة الصهيونية لهم دعاية قدوم المسيح المنتظر، ونجحت بهذه الدعاية في استقطابهم، ولم يبق في اليمن عام ١٩٥٨م سوى ست مئة يهودي يعيشون في صنعاء وبعض المناطق النائية[٤].

٥. اليهود في المغرب:

يعود تاريخ اليهود في مراكش إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وجاءت بعد ذلك موجات من المهاجرين من أسبانيا في مطلع العصور الحديثة، وكذلك من فرنسا

(١) حداد، مهنا يوسف (المرجع نفسه) ص٢٥٢، والعقيلي محمد أرشيد (اليهود في الجزيرة العربية) ص٧٣- ٨٥.

(٢) حداد، مهنا يوسف (المرجع نفسه) ص٢٥٣.

(٣) العقيلي محمد أرشيد (المرجع نفسه) ص٨٤.

(٤) حداد، مهنا يوسف (المرجع نفسه) ص٢٧٨- ٢٨٣.



وإيطاليا، واستقروا في شمال البلاد، واختلطوا بالسكان، وقد تمتعوا بحقوق المواطنة الكاملة، ففي عام ١٩٤٠ حين حاولت حكومة فيشي الفرنسية اضطهاد اليهود بتطبيق القوانين النازية، نجح سلطان مراكش (الملك محمد الخامس) في حماية يهود بلاده بصفتهم مواطنين عربًا[١].

وبعد استقلال المغرب ضمت أول حكومة وزيرًا يهوديًا هو (ليون بن زاكون) ويذكر عباديا - رئيس الطائفة اليهودية في الدار البيضاء عام ١٩٥٨م - أن اليهود يشغلون ١٥٪ من أعلى المناصب الإدارية في البلاد، وأنهم متساوون مع سائر المواطنين، وقد شاركوا في مختلف النشاطات السياسية[٢].

وعلى الرغم من الوضع الجيد الذي تمتع به يهود المغرب، فقد هاجر خلال عقد واحد من الزمن (١٩٤٨- ١٩٥٨م) قرابة ٤٥ ألف يهودي. إذ لعبت المنظمة الصهيونية دورًا كبيرًا في تهجير اليهود إلى أسبانيا عن طريق البحر بصورة سرية، وقد غرق أحد القوارب المحملة بالمهاجرين اليهود نتيجة إطلاق النار عليه من قبل السلطات المغربية عند اكتشافها لأمر الهجرة السرية[٣].

ويمكن القول بأن الهجرة الجماعية قد توقفت في نهاية الستينيات، بل إن اليهود بدءوا يعودون إلى المغرب بعد أن رأوا أن وضعهم في مراكش أفضل بكثير من وضعهم في فلسطين المحتلة[٤].

٦. اليهود في تونس[٥]:

سكن اليهود تونس منذ زمن طويل، وذلك قبل أن تفتحها الجيوش الإسلامية في نهاية القرن السابع الميلادي، وكان اليهود في تونس ينتمون إلى جنسيات متعددة لا

---

(١) الدجاني، هشام (المرجع نفسه) ص١٣٤.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٣٤- ١٣٥.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص١٣٦.

(٤) (المرجع السابق) ص١٤٠.

(٥) يُنظر: حداد، مهنا يوسف (المرجع نفسه) الصفحات: ٢٥٥، ٢٦٤، ٢٨٥.



يجمعهم سوى الدين، وقد ازداد عدد اليهود في تونس في النصف الأول من القرن العشرين؛ إذ تقدر نسبتهم حوالي ٣,٢٣٪ من مجموع سكان تونس، وكانوا يسكنون في حارات خاصة بهم، وتمتع اليهود في تونس بحقوق المساواة مع المواطنين التونسيين، كما تقلدوا مناصب وزارية، وعلى الرغم من الضمانات التي قدمتها الحكومة التونسية لليهود بمنحهم المساواة الكاملة إلا أنهم ساهموا في حركة الهجرة نحو فلسطين؛ يحملون معهم جميع ممتلكاتهم وأموالهم، واستقر عدد يهود تونس بعد عام ١٩٦٧م عند عشرين ألفًا تقريبًا، ويعيش من بقي منهم اليوم في استقرار، يمارسون نشاطاتهم المختلفة كسائر المواطنين بحيث تم التجانس في المجتمع التونسي.

٧. اليهود في الجزائر[1]:

تواجد اليهود في الجزائر قبل الاستعمار الفرنسي (١٨٣٠) بوقت طويل، وقد جاء أكثرهم من أسبانيا، ومنذ احتلال فرنسا للجزائر تمتع اليهود فيها بامتيازات كثيرة جعلتهم في مركز أفضل من سائر السكان، إذ أُعطى رئيس الطائفة صلاحية حماية ورعاية شؤونها وصلاحية جمع الضرائب، كما أن فرنسا منحتهم الجنسية الفرنسية اكتسبوا بموجبها القوة الاقتصادية والسياسية، وزاد هذا في هجرة اليهود من أسبانيا وإيطاليا إلى الجزائر؛ إذ بلغ عدد اليهود عام ١٩٥١م ما يقرب من ١٤٠ ألفًا، وكان معظم اليهود يقفون إلى جانب بقاء الجزائر فرنسية عندما تولت جبهة التحرير الجزائرية النضال الوطني من أجل الاستقلال، بل إن بعض اليهود وقفوا إلى جانب منظمة الجيش السري التي قامت بحملة من الإرهاب والفوضى ضد الجزائريين، وذلك من أجل بقاء الوجود الفرنسي.

وخلال النصف الأول من عام ١٩٦٢، أي قبيل إعلان الاستقلال، غادر الجزائر حوالي ٥٠٪ من يهودها إلى فرنسا، وقد اعترفت [illegible] "يديعوت أحرونوت" بأن جهود الوكالة اليهودية لإقناع يهود الجزائر الذين هاجروا إلى فرنسا، بالهجرة إلى فلسطين لم تسفر عن أية فائدة، وقالت مصادر يهودية أخرى: إن ٩٩٪ من مهاجري الجزائر

---

(1) اعتمدنا في تغطية هذا الموضوع على: حداد، مهنا يوسف (المرجع نفسه) ص٢٥٦، ٢٦٥، ص٢٨٥، والدجاني، هشام (المرجع نفسه) ص١٣٠- ١٣٢.

اليهود قد آثروا الاستقرار في فرنسا، وأما الذين هاجروا إلى فلسطين فجميعهم من الطبقة الفقيرة، ولم يبق في الجزائر حسب إحصاءات عام ١٩٦٣ إلا قرابة ثلاثة آلاف يهودي، وعددهم قد تناقص بعد ذلك.

وهكذا كفر اليهود بالنعمة التي كانوا يتمتعون بها في الدول العربية وراحوا يشاركون الصهيونية حملاتها المتطرفة والإرهابية ضد الدول العربية، وبعد أن كان الكثيرون من اليهود الذين يفدون إلى الدول العربية هربًا من الاضطهادات التي كانوا يلاقونها في الغرب، أصبحوا هم مضطهدي غيرهم بعد أن هاجروا إلى فلسطين غزاة مغتصبين.

المطلب الثالث: أبرز مظاهر العنف الصهيوني في العالم العربي

أصبح العنف مظهرًا مألوفًا في الشخصية اليهودية الصهيونية عبر التاريخ، إذ يعد التطرف والعنف من أبرز طباع اليهود منذ القدم، والمتتبع لأحداث اليهود القديمة، التي تدرجنا معها في سياق هذا البحث، يجد أن اليهود هم اليهود، لم تتغير أخلاقهم على مر العصور، بل إن أخلاقهم في العصر الحديث بدت أكثر عنفًا وأشد تطرفًا.

وما شاهدناه من ممارساتهم الإرهابية في أوروبا من مكايد ومؤامرات وإشعال الثورات الكبرى والحروب العالمية لأكبر شاهد ودليل على ضخامة حقدهم وتطرفهم وعنفهم بحق الأمم والشعوب، ذلك أن تلك الأخلاق التي يستمدون منها عنفهم إنما نبتت أصولها من أساطير أسفارهم التوراتية والتلمودية التي غذتها بالأحقاد والكراهية والاستعلاء والعنصرية، وكان من آثارها الانغلاق عن البشر، واعتبارهم دونهم، وأنهم وما يملكون ملك وعبيد لهم، وتعطشهم الشديد لسفك دماء غيرهم وتدميرهم بالعنف والغدر والتآمر والإرهاب، وتبرير كل وسيلة مهما كانت غير شريفة أو غير إنسانية للوصول إلى غاياتهم وأهدافهم، بل وجحود المعروف ونكران الجميل، ومقابلة الإحسان بالإساءة، وعدم الولاء لأحد أو الثقة بأحد، وعدم التقيد بأي عهد، وازدراء كل ما هو غير يهودي.

ولقد ابتلي عالمنا العربي بهذه الفئة العدوانية الحاقدة الغادرة، وكانت هناك من المظاهر العدائية والعدوانية، والمؤامرات الصهيونية الغادرة المتمثلة في أعلى درجات العنف والإرهاب ما لا نستطيع حصره في هذه الصفحات؛ ولذلك سنشير إلى أبرز تلك المظاهر العنيفة، ليتجلى لنا بوضوح مدى ما تتطبع به الشخصية اليهودية من طابع التطرف والعنف الذي اتسمت به عن باقي الأمم منذ فجر تاريخها.

وكما بينا فإن سيل الإرهاب والعنف الصهيوني يعود إلى مئات؛ بل آلاف السنين وما زال يتدفق إلى يومنا هذا، يجرف في طريقه آلاف الضحايا، ويخلّف وراءه مئات المجازر والمذابح البشرية التي سجلها التاريخ في صفحاته شاهدًا ودليلاً على أخلاق اليهود المتطرفة التي لا تنفك عنهم، وسوف نتتبع في هذا الجزء من البحث بعضًا من أبرز مظاهر العنف الصهيوني في العالم العربي، وذلك كما يأتي:

ا ور الصهيوني في الإ. دة ا . ي " ' . العراقي بفعل ا را ' لسم:

قد يستغرب السذّج من الناس الدور الصهيوني في استمرار الحصار المفروض على الشعب العراقي الذي يذهب ضحيته آلاف الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال، والحقيقة أن اليد الصهيونية الإرهابية تلعب الدور الأخطر في استمرار المذبحة التي تنفذها الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وكافة قوى الشر المتحالفة مع اللوبي الصهيوني وكيانه الغاصب بحق الشعب العراقي.

وكي نكشف عن الدور الصهيوني في هذه الحرب التدميرية التي تستهدف الشعب العراقي وقوته وحضارته ننبه إلى التغلغل الصهيوني في الإدارة الأمريكية ومراكز اتخاذ القرار فيها؛ حيث يقول وكيل وزارة الخارجية الأمريكية السابق "جورج بول": إن الأمر لا يقتصر على مجرد النفوذ القوي المؤيد لإسرائيل في الإدارة الأمريكية، وإنما الأمر يتعدى ذلك إلى حد أنّ السلطات الأمريكية نفسها لا تستطيع مناقشة أي قرار يمس المصالح الإسرائيلية دون أن تعلم به إدارة تل أبيب مسبقًا"[1].

---

(1) الكيلاني، إسماعيل (الخلفية التوارتية للموقف الأمريكي) ص١٨٣، ويستطيع القارئ أن يطلع على هذا الكتاب؛ ليرى مدى الأثر اليهودي في المواقف الأمريكية؛ لأننا لن نسترسل في المتن عن هذا الموضوع؛ حتى لا نخرج عن جوهر موضوعنا.

وقد أكد الرئيس الأمريكي الأسبق جيمي كارتر إيمانه بالعلاقات الخاصة المبنية على التراث المشترك والالتزام المشترك بالقيم والأخلاق الديموقراطية بين أمريكا والكيان الصهيوني، موضحًا أن العلاقة الخاصة تقع ضمن المصالح الأخلاقية والاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية[1].

ويذكر ألفريد ليلينتال "أن الصهيونية كانت تشتري عن طريق المال تأييد الساسة النافذين سواء في البيت الأبيض أو في دوائر واشنطن الرسمية وبهذه الوسيلة استطاع زعماء الصهيونية وأنصارها بما لديهم من مال ونفوذ ودهاء أن يمسكوا الحبل من طرفيه، وينتهجوا سياسة مزدوجة لرشوة الحزبين القويين الديمقراطي والجمهوري"[2].

ويؤكد السامرائي أن الولايات المتحدة الأمريكية واقعة كليًا مع الباطل الصهيوني، وليس لها منذ قيام [الكيان الصهيوني] حتى اليوم موقف واحد أو قرار أو تصرف إلا وهو ضد الحق العربي ومع الباطل الصهيوني[3].

وهذا يبين الدور اليهودي والنفوذ الصهيوني في التأثير في صنع القرار الأمريكي، فبالنظر إلى الإدارة الأمريكية، التي يرأسها كلينتون، نجد سيطرة اليهود - الذين لا يزيدون على ٣٪ من عدد سكان الولايات المتحدة الأمريكية - على أرفع ثلاثين منصبًا في هذه الإدارة، وعلى أربعة وعشرين سفارة لواشنطن في دول العالم يديرها سفراء يهود من أشد مؤيدي الكيان الصهيوني، وهذا يؤكد - دون شك - حجم ما وصل اليهود إليه من نفوذ وتأثير في السياسة الأمريكية[4].

---

(١) الحسن، يوسف (البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني) ص٨٤. وأيضًا فإننا ننصح القارئ بالرجوع إلى هذا الكتاب؛ حيث يعد دراسة مهمة في الحركة المسيحية الأمريكية وما لها من أثر فاعل في توجيه الموقف الأمريكي لصالح الكيان الصهيوني.

(٢) ليلينتال، ألفريد (ثمن إسرائيل) ترجمة حبيب نحولي وياسر هواري، ص٩٨.

(٣) السامرائي، عبد الله سلوم (الولايات المتحدة الأمريكية والمؤامرة على الأمة العربية) ص٢١٠. وفي هذا الكتاب أيضًا الغنية في تغطية ما أردنا أن نشير إليه من أثر اليهود على القرار الأمريكي؛ لنؤكد الدور الصهيوني في حصار العراق.

(٤) منصور، أحمد (النفوذ اليهودي في الإدارة الأمريكية) ص٧. وللاستزادة راجع هذا الكتاب بعناية. ويُنظر أيضًا جارودي، روجيه (العولمة المزعومة.. الواقع.. الجذور.. البدائل) ترجمة محمد السبيطلي، ص٢١٠ وما بعدها. ويُنظر أيضًا: (مجلة فلسطين المسلمة) العدد السادس، السنة السابعة عشرة، حزيران (يونيو) ١٩٩٩م، صفر ١٤٢٠هـ، ص٥.

وعليه؛ فإننا نستطيع أن نؤكد تورط اليهود فعليًا في الإبادة الجماعية التي يتعرض لها الشعب العراقي جرَّاء الحصار المفروض عليه ظلمًا وعدوانًا، وإذا كان الدور الصهيوني في هذه الإبادة الجماعية مستترًا؛ فإن ضمان أمن كيانه المصطنع الغاصب، واستمرار تفوقه على كل قوى المنطقة هو الهدف الأساسي للحكومات الغربية المتحالفة معه، ولا سيما أمريكا وبريطانيا اللتين حسمتا خيارهما، وباتت سياستهما في المنطقة منطبقة تمامًا مع السياسة الإرهابية الصهيونية المتطرفة، التي تعمل ليل نهار على تحقيق الحلم التوراتي من النيل إلى الفرات، فقد جاء في التوراة: "لنسلك أهب هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات"[1].

وقد أعلن مناحيم بيجين عن هذا الحلم قائلاً: "إننا نرى شمالنا في سهول سوريا ولبنان الخصيبة... وشرقنا في وديان الفرات ودجلة الغنية... حيث يوجد زيت العراق، وفي الغرب بلاد مصر... ولن يتحقق لنا ازدهار ما لم نرغم العرب على الخضوع الكامل"[2]. وهذا الحلم يوشك أن يتحقق؛ فالحملة الصهيونية الأمريكية ما زالت متواصلة لتركيع الهامة العراقية إن استطاعوا!؟.

أما مشروعات التسوية، واتفاقيات السلام المزعومة فلم تُنهِ الصراع، وإنما نقلت تركيزه من الساحة الفلسطينية ودول الطوق إلى دول عربية وإسلامية أخرى بات الكيان الصهيوني يستشعر الخطر منها، لذلك كان من مصلحة هذا الكيان إنهاء أي قوة في العالم تهدد كيانه الغاصب وفق مخطط ماكر تتصل خيوطه من منابع النيل والعبث فيها إلى شواطئ الفرات ومحاولة إبادة أهله من خلال تكريس الحصار، وتحييد العالم العربي، وتذويبه قطعة قطعة، ودولة دولة عبر اتفاقيات السلام وما يلحقها من تطبيع وإفساد، أو عبر عواصف الصحراء وثعالبها العسكرية؛ ليتم بعد ذلك صهرها وتقويضها وتحقيق الحلم الصهيوني من النيل إلى الفرات.

إن المؤامرة الصهيونية في تثبيت واستدامة الحصار على العراق ليست لها مسوغ سوى إشباع الرغبات الصهيونية في إلحاق المزيد من الضرر بالشعب العراقي وتدمير قواه البشرية والعسكرية؛ ليبقى هذا الكيان الغاصب هو الأقوى في المنطقة، فقد

---

(١) سفر التكوين ١٥: ١٨.

(٢) شايدل، فرانتز (إسرائيل المتدية) ترجمة محمد جديد، ص١٤٢.

جاء في مقال لعبد الكريم حمودي نشرته مجلة فلسطين المسلمة: "أن الدور الصهيوني في الأزمة العراقية بارز منذ البداية، ودور اللوبي الصهيوني في التحريض على العراق ليس بخافٍ على أحد، لذلك لم يكن اعتراف "يديعوت أحرونوت الصهيونية ببعيد عن الحقيقة عندما نشرت في عددها الصادر بتاريخ ٣٠ من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٩٨م "أن إسرائيل تساهم بقسط غير بسيط في هذا الصراع".

كما أن صحيفة هآرتس في ٢٠ من كانون الثاني (يناير) قالت: "إن صدّام غيّر وجه الشرق الأوسط وكسر [حاجز] عدم المساس بالعمق الإسرائيلي كما حول قدرة إسرائيل الردعية إلى أضحوكة ومهزلة عندما زج بشعب كامل في الغرف المغلقة، وأدخل زعامته في حالة شلل تامة "ويتابع حمودي قوله: وفي ضوء هذا الواقع فإن المراقبين يؤكدون أن المستفيد الأول من توجيه ضربة عسكرية جديدة إلى العراق هو [الكيان الصهيوني] الذي يسعى لأن يكون هو القوة الإقليمية الوحيدة"[(١)].

وقد وصف وزير العدل الأمريكي الأسبق "رمزي كلارك" العقوبات المفروضة على العراق بأنها مذبحة وإبادة جماعية، وتشكل انتهاكًا خطيرًا لحقوق الإنسان... حيث قتلت العقوبات حتى الآن ما يزيد على مليون ونصف مليون عراقي"[(٢)].

ومن أقواله أيضًا: "إن نتائج العقوبات الأمريكية المفروضة على العراق تدميرية سواء الجسدية أو العقلية أو الروحية تفوق في آثارها قنبلة هيروشيما الأمريكية"[(٣)].

ومن مظاهر العنف الصهيوني بحق العراق ما قامت به الطائرات الصهيونية المقاتلة في السابع من حزيران (يونيو) سنة ١٩٨١م من تدمير المحطة النووية العراقية "مجمع السابع عشر من تموز" على الرغم من أن العراق كان يصر دائمًا على أن مشروعه هذا

(١) حمودي، عبد الكريم (الصهاينة يدفعون باتجاه الحرب لتفتيت العراق وتكريس سيطرتهم على المنطقة) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثالث، السنة السادسة عشرة، آذار (مارس) سنة ١٩٩٨م، ذو القعدة ١٤١٨هـ، ص١٩- ٢١.

(٢) خبر صحفي في (مجلة فلسطين المسلمة) العدد الثاني، السنة الثامنة عشرة، شباط (فبراير) سنة ٢٠٠٠م، ذو القعدة ١٤٢٠هـ، ص٨.

(٣) يُنظر (مجلة فلسطين المسلمة العدد نفسه)، ص٧٦.



مصمم لأغراض سلمية، ولتزويد الطاقة لبغداد أساسًا[1]. كما أن المسؤولين في وكالة الطاقة النووية الدولية أكدوا على أن الجهود العراقية كانت سلمية الطابع. وأن المفاعل العراقي كان يخضع لعمليات كشف ومراقبة دورية على يد الخبراء التابعين للوكالة المذكورة[2].

وتجدر الإشارة إلى أن العراق هو أحد الأقطار الموقعة على الاتفاقية الدولية المتعلقة بحظر انتشار الأسلحة النووية، في حين أن الكيان الصهيوني لم يوقع على تلك الاتفاقية!![3].

ا الصهيوني في . ن:

ومن مظاهره ما قامت به القوات الصهيونية من مجازر وممارسات إرهابية ضد الشعبين: اللبناني والفلسطيني على الأرض اللبنانية.

وحيث إننا لا نستطيع هنا سرد العمليات الإجرامية والاعتداءات الإرهابية التي قامت بها القوات الصهيونية على أرض لبنان لبيان عظم حجم عنفهم وإرهابهم وتطرفهم؛ فإننا نكتفي بذكر بعض تلك الممارسات التي تكشف النقاب عن الوجه الحقيقي لليهود وأعوانهم.

فقد قام اليهود في أعقاب عدوانهم عام ١٩٦٧م، وحتى اليوم على شن الآلاف من الهجمات العسكرية الجوية والبحرية والبرية، واستهدفت العديد من القرى والمخيمات والمدن اللبنانية والفلسطينية، وقد استخدم اليهود في هذه الهجمات القنابل والصواريخ والرشاشات وكافة الأسلحة المدمرة، ومنها المحرمة دوليًا، وقد أدى ذلك إلى قتل وإبادة الآلاف من المدنيين وغيرهم، وتهجير الآلاف الأخرى من بيوتهم، وهجر قرى

---

(١) أوستروفسكي، فيكتور (عن طريق الخداع- صورة مروعة للموساد من الداخل) ص١٠، ٢٩.

(٢) المؤسسة العربية للدراسات والنشر (القوة العسكرية الإسرائيلية) ص١٢٩.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص١٢٩.



بأكملها من الجنوب اللبناني، ولم تسلم المؤسسات الإنسانية العامة من مستشفيات ومدارس ونحوها من القصف الصهيوني الغادر(*).

العنف الصهيوني على مطار بيروت: فقد قامت قوات صهيونية محمولة جوًا بتاريخ ١٩٦٨/١٢/٢٨م بهجوم على مطار بيروت الدولي، ودمرت ثلاث عشرة طائرة مدنية كانت جاثمة على أرض المطار، وقد أدان مجلس الأمن الدولي هذه القرصنة في قراره رقم ٢٦٢ بتاريخ ١٩٦٨/١٢/٣١م[1].

ومن مظاهر العنف الصهيوني ما نشرته صحيفة هآرتس في عددها الصادر يوم ١٩٧٨/٣/٢١م من نبأ كشف النقاب عن مجزرة بشرية رهيبة ارتكبها الجنود اليهود أثناء عملية اجتياح جنوب لبنان آنذاك؛ حين قتلوا حوالي سبعين عجوزًا وامرأة وطفلاً من المسلمين كانوا قد لجئوا إلى داخل المسجد في قرية الخيام طلبًا للأمان، ووصف المراسل اليهودي المجزرة قائلاً: "إن عملية ذبح المسلمين جرت بسرعة، وإن الجنود اليهود بالاشتراك مع جنود سعد حداد نفذوا المذبحة بدم بارد"[2].

ومن مظاهر العنف الصهيوني أيضًا ما قامت به الطائرات الحربية الصهيونية معززة بالمدفعية الثقيلة من قصف وهجمات مكثفة في المدة ما بين ١٤- ١٩٨١/٧/٢٢م استهدفت التجمعات السكانية في بيروت وعدة مدن ومناطق أخرى، وقد أسفرت هذه الهجمات عن قتل مئتين وسبعة وثلاثين شخصًا، وإصابة المئات الآخرين، وتدمير مئات المنازل[3].

ومن أبرز مظاهر العنف الصهيوني في لبنان الاجتياح الصهيوني الذي بدأ فعليًا يوم الخامس من حزيران عام ١٩٨٢م، الذي ارتكب الكيان الصهيوني خلاله أعنف الأعمال الوحشية؛ حيث استخدم أنواع الأسلحة المختلفة المحرمة دوليًا، ودمر المدن

(*) يستطيع القارئ مراجعة كتاب: السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٦٣- ٢٩٠؛ ليطلع بنفسه على تفاصيل العديد من تلك الهجمات الصهيونية موثقة بتواريخ حدوثها.

(١) يُنظر الدباغ، محمد وجدي (الأيديولوجية الصهيونية وإسرائيل) ص١٣٠، والسعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٦٤.

(٢) علي، زياد محمود (عداء اليهود للحركة الإسلامية) ص٣٠.

(٣) السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٧٦.



والقرى والمخيمات وارتكب المجازر منتهكًا بذلك كافة القوانين والأنظمة والأعراف الدولية، وإليك أخي القارئ توضيح ذلك(*).

قامت القوات الصهيونية الغازية خلال عملية الاجتياح بتدمير الأحياء السكنية والمدارس والمستشفيات ومؤسسات الأطفال تدميرًا وحشيًا شاملاً ومدروسًا، وحولت قوات الغزو شطرًا كبيرًا من بيروت إلى أنقاض، وكذلك العديد من المدن والقرى والمخيمات الآهلة بالسكان، ودكت مخيمات اللاجئين، وفقد أكثر من ست مئة ألف لبناني وفلسطيني مساكنهم، وقطعت عنهم الكهرباء والمياه والمواد الغذائية.

ولقد قصف الطيران الصهيوني بصورة منتظمة المستشفيات والعيادات على الرغم من وجود أعلام وشعارات الصليب الأحمر الدولي مما تسبب في مقتل آلاف المدنيين، وفي هذا الصدد أثار التقرير الذي وضعه فريق من الأطباء والممرضات اليونانيين بقولهم: "لقد رأينا جرحى ومرضى سحقتهم الدبابات الإسرائيلية"، وأسفر قصف مستشفى الأمراض العقلية عن مقتل سبعة وعشرين شخصًا، وخلافًا للمعاهدات الدولية فقد منعت القوات الصهيونية وصول الدم والأدوية والعقاقير لصالح الصليب الأحمر، وقصفوا بالصواريخ السفينة الألمانية "م- س- فلورا" وهي تفرغ حمولتها من الأدوية واللقاحات وبلازما الدم والتجهيزات الطبية.

كما ألقت الطائرات الصهيونية - في أثناء الاجتياح - متفجرات على شكل لعب زاهية الألوان لها أشكال مختلفة، وكان الأطفال يلتقطونها لتتفجر بين أيديهم. كما ذكر أطباء كنديون ويونانيون عملوا في لبنان خلال عملية الاجتياح أنهم أجروا عمليات جراحية لمرضى شوهتهم نار القنابل العنقودية والفسفورية، وكانت أجساد الضحايا تبدو أشبه بالغربال. كما استخدم المعتدون الصهاينة في لبنان غاز الشلل العصبي الذي يسبب القيء وأوجاع الرأس والهلوسة والشلل.

وخلال عملية الاجتياح ارتكب العدو الصهيوني أعمال الإبادة الجماعية على أوسع نطاق، ولا سيما بين صفوف الفلسطينيين، فقد أصدر وزير الحرب الصهيوني شارون أوامره بتصفية الفلسطينيين الموجودين على الأراضي اللبنانية، وتنفيذًا لهذه الأوامر

(*) اعتمدنا في تغطية هذا الموضوع- الاجتياح الصهيوني للبنان عام ١٩٨٢م- على كتاب: السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٧٧- ٢٨٧. وللاستزادة أنصح القارئ بالرجوع إليه ضمن الصفحات المشار إليها.

ارتكبت الطغمة العسكرية الصهيونية ليلة ١٧- ١٨ من أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢ جريمة بحق أبناء الشعب الفلسطيني في مخيمي صبرا وشاتيلا الواقعين في أطراف بيروت الغربية. ومن أبرز مظاهر مجزرة صبرا وشاتيلا البشعة ما يأتي[1] :

قيام أرئيل شارون - وزير الحرب الصهيوني - بإعطاء الضوء الأخضر لعملائهم من عصابات سعد حداد اللبنانية وميليشيات النمور التابعة للرئيس السابق كميل شمعون ومجموعات أخرى من العملاء بدخول المخيمين لتنفيذ المجزرة المتفق عليها.

بدأت المذابح مع حلول الظلام في الحي المقابل للقوات الصهيونية، واستمرت المذابح حوالي أربعين ساعة دون انقطاع، وأفاد الناجون أن المذابح اتخذت منذ بدايتها حجمًا كبيرًا، فكانت النيران تطلق على كل شيء يتحرك، وكانت القوات المهاجمة تقتحم البيوت وتصفي سكانها، حتى أن بعض العائلات قتلت في أثناء تناول طعام العشاء، أو في أثناء نوم أفرادها، وفي كثير من الأحيان لم يكتف المهاجمون بالقتل بل مثلوا بضحاياهم، فهشموا رؤوس الأطفال، وقطعوا أطراف الضحايا، واغتصبت النساء، حتى الفتيات الصغيرات لم يسلمن من الاغتصاب، ولم يتوانَ المهاجمون عن قتل الرجال والنساء والأطفال والشيوخ بالبلطات والسكاكين.

انتشر الموت في كل مكان، كما نشطت الجرافات في أعمال الهدم ودفن الجثث في قبور جماعية، وفي الساعة السادسة من صبح يوم الثامن عشر طلبت القوات المهاجمة من السكان مغادرة ملاجئهم ومنازلهم والتجمع، وكانت عبارة "سلموا تسلموا" تتردد بين الحين والحين الآخر، فخرج بضع مئات من العجائز والنساء والأطفال يحملون الأعلام البيضاء واللبنانية، فأخذوهم إلى الشارع الرئيسي في شاتيلا وجعلوهم في مجموعات، ثم أطلقوا عليهم الرصاص.

وفي حوالي العاشرة صباحًا ساد المخيمات سكون رهيب، وانعدم فيها أي مظهر من مظاهر الحياة باستثناء طنين الذباب فوق الجثث المتناثرة؛ إذ ساهمت حرارة الجو

---

(١) يُنظر: تفاصيل المجزرة كل من: السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٨٠- ٢٨٧، والدباغ، محمد وجدي (الأيديولوجية الصهيونية وإسرائيل) ص١٣٠.

في تعفن الجثث، فانبعثت منها رائحة تزكم الأنوف، وبدأ المهاجمون يركبون عرباتهم راحلين تاركين خلفهم أكوامًا من الجثث والأنقاض، وقدر عدد الضحايا ما بين ثلاثة آلاف إلى ثلاثة آلاف وخمس مئة ضحية، وانتهت بمباركة صهيونية؛ حيث قام "إيتان" - رئيس هيئة أركان الجيش الصهيوني - بتهنئة المهاجمين على نجاح عملياتهم، وقد تمنى المهاجمون لو أنهم منحوا بعض الوقت لإتمام عملية التطهير.

وفي يوم ١٩٨٤/٥/١٦م استيقظ سكان مخيم عين الحلوة على دويّ القذائف وأزيز الرصاص المنطلق من الأسلحة الرشاشة والقصف المدفعي الثقيل للأحياء السكنية، وقد أسفرت هذه الهجمة الصهيوينة عن تدمير العديد من المنازل فوق أصحابها وقتل وجرح عدد آخر من سكان المخيم[(١)].

وقد تعرضت بلدة سحمر في الجنوب اللبناني إلى مذبحة على أيدي القوات الصهيونية وعملائهم من عصابة أنطوان لحد أعادت إلى أذهان سكان البلدة مجازر مخيمات صبرا وشاتيلا؛ حيث جُمع سكان البلدة يوم ١٩٨٤/٩/٢٠م في الساحة الرئيسية، وتم إطلاق النار عشوائيًا؛ مما أدى إلى سقوط العشرات من الجرحى والقتلى[(٢)].

وفي عام ١٩٨٩م قامت القوات الصهيونية باختطاف الشيخ عبد الكريم عبيد - أحد البارزين في جماعة حزب الله، وإمام الجماعة في بلدة "جيب شيت" - كما تم اختطاف اثنين من أصحابه معه[(٣)].

وفي آذار من عام ١٩٩٤م داهمت ثلاث طائرات مروحية بخمسة وسبعين جنديًا صهيونيًا منزل الشيخ مصطفى الديراني - زعيم حركة "مؤمنة" - وتم اختطافه بعد ربط زوجته وأولاده[(٤)].

(١) السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٨٩- ٢٩٠.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٢٩٠.
(٣) إذاعة راديو طهران، برنامج (الإرهاب منطق الصهيونية) بعد نشرة الساعة الثانية عشرة ظهرًا بتوقيت طهران، حزيران ٢٠٠٠م.
(٤) المصدر السابق نفسه.



مجـزرة نـــــا:

وكانت هذه المجزرة في نيسان من عام ١٩٩٦م عندما قام الجيش الصهيوني بدك لبنان بالمدفعية والقاذفات الجوية أكثر من أسبوعين، وقد أطلق الكيان الصهيوني على عدوانه هذا اسم "عناقيد الغضب" التي ترجمت في لبنان والوطن العربي بعناقيد الحقد والإجرام؛ حيث توج الصهاينة عدوانهم هذا بمجزرة طالت العشرات من النساء والشيوخ والأطفال الذين احتموا بعلم الأمم المتحدة الأزرق الذي كان يرتفع فوق معسكر للقوات الدولية؛ حيث لجأ إلى هذا المعسكر عشرات المدنيين الهاربين من القصف العشوائي لمناطقهم، إلا أن أرواحهم حصدت في هذا المعسكر الراقد في بلدة قانا في الجنوب اللبناني ليضاف إلى سلسلة المجازر الصهيونية مجزرة قانا؛ حتى تكون شاهدًا جديدًا على وحشية الصهاينة وعنفهم واستهتارهم بكل القيم الإنسانية، ولكي تكشف هذه المجزرة عن الوجه الحقيقي للصهاينة مهما اختلفت أقنعتهم ومهما تعددت ألوانهم بين يمين ويسار، فكلهم تجمعهم شهوة القتل وسفك الدماء؛ إذ إن بطل مجزرة قانا هو شمعون بيريز الذي كان يظهر على أنه داعية السلام وبطله!! فاليهود هم اليهود، لا تتغير أخلاقهم، ولا يتبدل سلوكهم!![1].

ا ˙˙ الصهيوني في ر :

فقد تم في ١٩٥٤/١٢/١٢م اختطاف طائرة مدنية سورية من قبل الطائرات الحربية الصهيونية التي أجبرتها على الهبوط في مطار اللد، وقد تم اعتقال الركاب وطاقم الطائرة واستجوابهم لمدة يومين إلى أن أجبرت الاحتجاجات الدولية الصهاينة على إخلاء سبيلهم[2].

---

(١) يُنظر: (صحيفة المجد) العدد ٢٥٠، بتاريخ ٢٩ من آذار ١٩٩٩م، ص٥. وهي صحيفة أسبوعية أردنية، وكذلك العدد ٢٠٣، ٢٧ من نيسان ١٩٩٨م، ص١٢ من الصحيفة نفسها، وأيضًا: عبد الله، هاني (عملية عناقيد الغضب: خلفيات التصعيد الإسرائيلي) شؤون الأوسط، العدد ٥١، نيسان - أيار ١٩٩٦م، ص١٧- ٣٢.

(٢) روكاخ، ليفيا (إرهاب إسرائيل المقدس) ترجمة مصطفى درويش، ص٥٥.

وفي ٢٤ من شباط (فبراير) ١٩٦٩م أغارت طائرات صهيونية على قريتي الهامة وميسلون، فأنزلت خسائر فادحة في المدنيين، كما قامت الطائرات الصهيونية في ١٩٧٢/٣/١م بتدمير مدرسة في إحدى القرى السورية، أما في ١٩٧٢/٩/٨م؛ فقد ضربت الطائرات الصهيونية بالقنابل سبع قرى في سوريا، فقتلت وجرحت عشرات الأشخاص[1] كما طال الإرهاب الصهيوني الأرض العربية السورية حين اغتصب الجولان وطارد أهلها إلى يومنا هذا.

ا [illegible] الصهيوني في الأردن:

فقد هاجمت القوات الصهيونية عمدًا وضربوا بالقنابل أهدافًا مدنية أردنية، ومن ضمنها ضرب مخيمات اللاجئين بقنابل النابالم، فقتلوا في مخيم الكرامة في ١٩٦٧/١١/٢٠م أربعة عشر شخصًا، وجرحوا عشرات المدنيين. كما قاموا بمهاجمة المخيم نفسه في ١٩٦٨/٢/٢٩م مستهدفين أكواخ اللاجئين ومدارسهم، وقتلوا أربعة عشر شخصًا، وجرحوا خمسين آخرين.

كما قامت القوات الإرهابية الصهيونية في ١٩٦٨/٢/١٥م بمهاجمة أكثر من خمس عشرة قرية ومخيمًا للاجئين على طول نهر الأردن، فقتلوا ستة وخمسين شخصًا معظمهم من المدنيين، وأرغموا سبعين ألف شخص على الهرب نحو عمان، كما لم تسلم مناطق أردنية أخرى من هجمات الإرهابيين، حيث تعرضت إربد والسلط والمناطق المجاورة لهما لهجمات اليهود، وأوقعوا فيها الخسائر البشرية والمادية، وكان ذلك في الأعوام ما بين ١٩٦٧م و ١٩٧٠م[2].

ومن مظاهر العنف الصهيوني في الأردن قيام عصابات الموساد الصهيونية بالاعتداء على رئيس المكتب السياسي لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) الأستاذ خالد

(١) مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت- (من هم الإرهابيون؟) ص٧٧.

(٢) يُنظر: (المرجع السابق نفسه) ص٧٤- ٧٥، والسعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٦٣- ٢٦٥.

مشعل(*) في محاولة لاغتياله، وكان ذلك يوم ٢٥ من أيلول (سبتمبر) ١٩٩٧م؛ حيث خرجت سيارتان من نوع هوانداي من مبنى السفارة الإسرائيلية بعمان، وتوجهت العصابة إلى مكتب السيد خالد مشعل في شارع وصفي التل وبحوزتهم الأداة القاتلة، وهي عبارة عن جهاز كهربائي على شكل لفافة بدت طبية على يد أحد القتلة، ويضخ هذا الجهاز مادة كيمياوية سامة عبر مسامات الجلد، أو يصدر نوعًا من الإشعاع أو الذبذبات القوية، ويستهدف هذا الجهاز من إطلاق الأشعة إتلاف عنق الدماغ - الجزء المسؤول عن بقاء الحياة في جسم الإنسان - وتؤدي إلى الوفاة بعد ١٢ ساعة من الإصابة، وقد تم بالفعل مهاجمة السيد خالد مشعل إلا أن العملية باءت بالإخفاق، وتم فضح العناصر المشاركة في العملية[1].

ا ` ` الصهيوني في مصر:

اعترف الكيان الصهيوني بإعدام ألف وثلاث مئة أسير مصري إبان حرب ٥٦، ٦٧، إذ جاء في مجلة فلسطين المسلمة أنه تم الكشف عن تورط عدد من قادة الجيش الصهيوني، وعلى رأسهم رئيس الوزراء الأسبق إسحاق رابين في إعطاء أوامر لجنودهم بقتل الأسرى المصريين بدل إطلاق سراحهم، وبحسب اعترافات الجنرال الصهيوني "آري بيرو" فقد تم إعدام تسعة وأربعين جنديًا مصريًا إبان حرب ١٩٥٦م عندما أمر جنوده بقتلهم بدلاً من الاحتفاظ بهم، الأمر الذي يشكل عبئًا عليه كما ورد في اعترافاته، وقد جرّت هذه الاعترافات اعترافات مسؤولين آخرين في الجيش الصهيوني بحيث ارتفعت أعداد الأسرى الشهداء إلى ألف وثلاث مئة أسير خلال العدوان الثلاثي

(*) خالد مشعل: من مواليد رام الله بفلسطين عام ١٩٥٦م، هاجر إلى الكويت عام ١٩٦٧، وتخرج في جامعتها وأقام فيها إلى عام ١٩٩٠م، اختير عضوًا في المكتب السياسي للحركة منذ تأسيسه، ثم رئيسًا له منذ عام ١٩٩٦م. عن مقابلة مع السيد خالد مشعل أجرتها معه قناة الجزيرة الفضائية. برنامج (بلا حدود) يوم ١٩٩٩/٣/٢٦م.

(١) للاستزادة عن تفاصيل العملية كاملة يراجع كتاب (التقرير- المواجهة بين حماس والموساد) إصدار مركز دراسات الشرق الأوسط؛ حيث يتناول هذا الكتاب من أوله إلى آخره تفاصيل العملية وتداعياتها.

على مصر عام ١٩٥٦م وحرب ١٩٦٧م التي قادها رابين بوصفه رئيسًا لأركان الجيش الصهيوني في حينه[1].

وقد ذكر فرانتز شايدل أن اليهود تركوا العرب بلا رحمة يموتون بالآلاف عطشًا في الصحارى، وضنوا عليهم بجرعة الماء التي تنقذ حياتهم، وتركوا قسمًا من الأسرى بلا ماء، وقسمًا آخر بلا غذاء في الصحراء ببساطة، كما تركوا قسمًا يرقد بعد أسره على رمال الصحراء اللاهبة تحت الشمس وأرغموهم على أن يرقدوا على بطونهم، ويعقدوا أيديهم على أعناقهم من الخلف، ويظلوا في هذا الوضع المؤلم إلى أن يموتوا موتًا رهيبًا من العطش بأعصاب باردة[2].

وفي (برنامج سري للغاية) بثته قناة الجزيرة القطرية على شاشة تليفزيون العراق مساء يوم ٢٠٠٠/٦/٥م، تحدث فيه بعض الناجين من المجازر الصهيونية في حرب حزيران عام ١٩٦٧م عن بعض ما شاهدوه، ومن ذلك أن الجنود الصهاينة كانوا يأمرون الأسرى بالاستلقاء أرضًا على وجوههم فوق رمال الصحراء الملتهبة من أجل قتلهم، حيث تقوم إحدى الدبابات بالسير فوقهم ممزقة أجسادهم، ومن يثبت بعد ذلك أنه زحزح نفسه بين طرفي الدبابة، فإنه يؤخذ بين دبابتين متقابلتين تصطدمان وجهًا لوجه وهو بينهما بحيث يتم تحطيمه وسحقه كليًا[3].

ومن مظاهر العنف الصهيوني في مصر قيام الطائرات الحربية الصهيونية بين عامي ١٩٦٧م و ١٩٧٠م بـ[illegible] العديد من المدن والقرى المدنية المصرية، ولم تسلم حتى المستشفيات والمساجد والمدارس والمصانع من العنف الصهيوني، وأسفر ذلك عن قتل المئات من المصريين[4].

(١) يُنظر: (مجلة فلسطين المسلمة) العدد التاسع، السنة الثالثة عشرة، أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥م، ربيع الآخر ١٤١٦هـ، ص٣٦.

(٢) شايدل، فرانتز (إسرائيل المعتدية) ترجمة محمد جديد، ص١٢- ١٤.

(٣) تليفزيون العراق، مساء يوم ٢٠٠٠/٦/٥م، نقلاً عن قناة الجزيرة القطرية، برنامج سري للغاية. وقارن مع كتاب (من هم الإرهابيون؟) مرجع سابق، ص٤٨.

(٤) يُنظر: تفاصيل هذه الهجمات بتواريخ حدوثها إضافة إلى عدد القتلى والجرحى في كل هجوم إلى كتاب: (من هم الإرهابيون؟) مرجع سابق، ص٧٨.

ومن أبرز مظاهر العنف الصهيوني في مصر قيام الطائرات الحربية الصهيونية بإلقاء قنابلها على مدرسة بحر البقر في محافظة الشرقية على بعد ٨٠ كيلو مترًا شمالي القاهرة، فقتلت ستة وأربعين طفلاً، وكانت هذه المجزرة في ١٩٧٠/٤/٨م[(١)]، وفي شهر فبراير من عام ١٩٧٠م قصفت الطائرات الصهيونية مصنعًا قرب أبي زعبل، فقتلت على الأقل سبعين مدنيًا من العمال، وجرحت ما يقرب من مئة آخرين[(٢)].

كما قام اليهود بتفجير الرسائل في أيدي العلماء الألمان العاملين في أحد المشاريع السرية في مصر، وقد تم قتل ستة من العلماء المصريين بهذه الطريقة (الطرود الملغومة) وكان العالم المصري "يحيى المشد" المتخصص في الهندسة الذرية أحد أبرز العلماء الذين تم اغتيالهم عن طريق جهاز الموساد الصهيوني، وكان اغتياله يوم ١٩٨٠/٧/١٣م في غرفته بفندق مريديان في باريس.

- كما طال العنف الصهيوني طائرة ليبية، ففي ٢١ من شباط (فبراير) ١٩٧٣م أرسل الصهاينة طائرتي فانتوم نفاثتين لاعتراض طائرة ركاب ليبية غير مسلحة من طراز بوينغ ٧٢٧ كانت في طريقها إلى القاهرة، لكنها ضلت مسارها، فأسقطوها وقتلوا مئة وخمسة ركّاب من أصل مئة وأحد عشر راكبًا كانوا على متنها[(٣)].
- وفي تونس هاجم الطيران الصهيوني في تشرين أول (أكتوبر) ١٩٨٥م منطقة حمامات الشط؛ حيث مقر منظمة التحرير الفلسطينية، وأسفر الهجوم العنيف عن مقتل ثمانية وخمسين فلسطينيًا واثني عشر تونسيًا[(٤)].

كما قام الموساد الصهيوني باغتيال الرجل الثاني في منظمة التحرير الفلسطينية "أبو جهاد- خليل الوزير" في بيته في تونس وكان ذلك في نيسان (أبريل) ١٩٨٨م،

---

(١) يُنظر: (المرجع السابق نفسه) ص٧٩، والسعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٦٥، والدباغ، محمد وجدي (الأيديوجية الصهيونية وإسرائيل) ص١٣٠.

(٢) يُنظر: سميسم، حميدة (الإرهاب والحرب النفسية الإيرانية) ص٤٢. والدباغ، محمد وجدي (المرجع نفسه) ص١٣٠. وباستطاعة القارئ الاطلاع على تفاصيل اغتيال "المشد" من كتاب: أوستروفسكي، فيكتور (عن طريق الخداع..) ص٢٦- ٢٧.

(٣) أستروفسكي، فيكتور (عن طريق الخداع) ص١٦٨.

(٤) نخبة من الكتاب والباحثين (القضية الفلسطينية في نصف قرن) ص١٥٨.

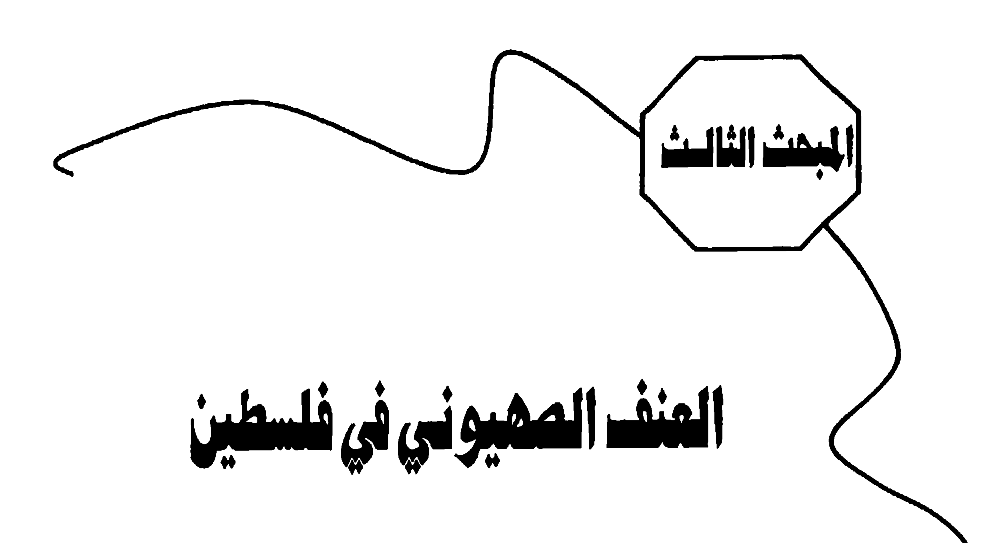
وكان إيهود باراك(*) - رئيس وزراء الكيان الصهيوني الحالي - أحد المشاركين والمخططين لعملية الاغتيال الوحشية هذه[1]. تلك كانت بعض أبرز مظاهر العنف الصهيوني في الوطن العربي، وما خفي كان أعظم.

أما عن مظاهر العنف الصهيوني في فلسطين، فسيكون محور حديثنا في الصفحات القادمة من هذا البحث، إن شاء الله تعالى.

(*) إيهود باراك: ولد في كيبوتس (مشمار هشارون) قرب تل أبيب بتاريخ ١٩٤٢/٢/١٢م لعائلة يهودية تعود أصولها إلى لتوانيا التي كانت جزءًا من روسيا البيضاء، شارك في معظم حروب الكيان الصهيوني وعملياته الخاصة، صاحب فكرة إنشاء معسكر النقب (أنصار ٣). كان المسؤول عن عملية (يوم الحساب) التي استهدفت البنية التحتية في لبنان في تموز ١٩٩٣م. كان وزيرًا للداخلية في حكومة رابين الأخير ووزيرًا للخارجية في حكومة بيرز، ثم رئيسًا لحزب العمل، ثم أصبح الرئيس العاشر للحكومة الصهيونية الحالية. يُنظر: (مجلة فلسطين المسلمة) ضمن افتتاحية العدد السادس، السنة السابعة عشرة حزيران (يونيو) ١٩٩٩م صفر، ١٤٢٠هـ.

(١) يُنظر (مجلة فلسطين المسلمة) ضمن افتتاحية العدد السادس، السنة السابعة عشرة، حزيران (يونيو) ١٩٩٩م، صفر ١٤٢٠ هـ.





العنف الصهيوني في فلسطين

المطلب الأول : العنف الصهيوني في المذابح الجماعية والاغتيالات الفردية

إن المتتبع لأحداث التطرف والعنف في العالم يستطيع أن يلمح الأصابع الصهيونية المحركة لتلك الأحداث، ويستطيع في الوقت ذاته أن يدرك أن معظم مآسي العالم كان اليهود من ورائها، وهو ما ثبت لنا خلال المسيرة التاريخية لليهود أينما حلّوا.

لذلك فإنهم وفي اللحظة التي بدأت أقدامهم تطأ أرض فلسطين بدأ العنف والإرهاب يضرب جذوره في كل بقعة يغتصبونها، فلا تكاد ترى مع اغتصابهم لفلسطين إلا سفك الدماء وإزهاق الأرواح وأكوام الجثث وأنقاض البيوت والإبادة بكل ألوانها ومعانيها، بحيث أصبح إجرامهم - المستمر إلى يومنا هذا دون توقف حتى مع عمليات التسوية - من الكثرة بحيث لا يمكن حصره في كتاب أو سلسلة كتب، ومع ذلك فإن حيثيات حديثنا عن هذا الموضوع في هذا الجزء من البحث لا تعدو كونها أنموذجًا، وليست كل ما اقترفته الأيدي الصهيونية من عنف وإجرام بحق الشعب الفلسطيني الذي يضرب بجذوره العميقة في أرض فلسطين لا يفرقون في ممارساتهم الإرهابية بين رجل وامرأة أو شيخ عجوز وطفل رضيع.

ومن أحداث العنف الصهيوني التي لا تستطيع الأيام - وإن طالت - ولا عمليات التسوية - وإن زيّنوا وجهها - أن تمحوها، تلك المجازر والمذابح والاغتيالات التي

حصدت آلاف الأرواح البريئة من الشعب الفلسطيني، ومن هذه المذابح والاغتيالات التي تشهد على عنف اليهود وتفضح ممارساتهم المتطرفة ما يأتي:

• السرايا العربية في يافا (٨/١/١٩٤٨م):

فقد أوردت مجلة الجيش الصهيوني"بمحانيه" في عددها الصادر يوم ٤/١/١٩٧٨ تفاصيل تنفيذ هذا العمل الإرهابي، وذلك على لسان منفذ جريمة النسف الإرهابي الصهيوني"رحميم حكموب"، ومما قاله في المجلة: "عندما قررت قيادتنا نسف هذه البناية، والتي كانت مقرًا للجنة القومية العربية بيافا، كانت قيادتنا تهدف إلى قتل أكبر عدد ممكن من العرب..

بعد أن نجحت في اجتياز الحواجز والوصول إلى يافا حيث مقر اللجنة القومية العربية أوقفت سيارة الشاحنة وبها ٥٠٠ كيلو جرام من المواد المتفجرة كانت مخبأة تحت البرتقال، ونزلت أنا وصديقي "إليشع" من السيارة بعد أن وقّتنا جهاز التفجير لينفجر بعد ثمانين ثانية.. كان الجو ماطرًا، وبعد أن ابتعدنا قليلاً عن السيارة، انتهزنا فرصة هطول الأمطار وأخذنا نركض وكأننا نهرب من المطر.. وبعد ذلك سمعنا الانفجار الهائل الذي هزَّ الأرض والمباني القائمة عليها، وتطاير زجاج النوافذ في الهواء، ولم يبق شيء في مكانه، وفي اليوم التالي قرأنا في الصحف أن أكثر من سبعين عربيًا قد قُتلوا في هذا الانفجار إضافة إلى عشرات الجرحى"[1].

مجزرة سعسع:

كانت بتاريخ ١٤/١٢/١٩٤٨م عندما هاجمت قوة صهيونية من عصاباتهم الإرهابية قرية سعسع العربية في الجليل، فدمرت عشرين منزلاً على أصحابها، وقتلت عشرين عربيًا، وفي هذا يقول موشيه كولمان - المسؤول عن المجزرة: "لم تكن عملية سعسع عملية احتلال عسكري في وضح النهار؛ بل عملية "اضرب واهرب"، وقد قُدْتُ ثمانية

(١) يُنظر: السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٤٩-٥١ علمًا بأننا اختصرنا الكثير من كلام الإرهابي الصهيوني المذكور أعلاه، تجنبًا للإطالة.

وستين شخصًا مسلحين بأسلحة خفيفة ومواد ناسفة، وتسللنا إلى القرية ووضعنا خمسًا وثلاثين رزمة ناسفة، وانسحبنا تحت ستار الليل، وقد أصيب عدد من النساء والأطفال خلال العملية"[1].

• "دير ياسين (٩/٤/١٩٤٨م):

مئتان وخمسون إنسانًا أُبيدوا إما قتلاً بالرصاص أو ذبحًا كالشياه، ومُثِّل بأجسامهم، فقطعت أوصال البعض، وبقرت بطون البعض قبل الإجهاز عليهم، أما الأطفال الرضع فقد ذبحوا في أحضان أمهاتهم وأمام أعينهن!!

ومن هؤلاء المئتين والخمسين خمس وعشرون امرأة حبلى بقرت بطونهن وهن على قيد الحياة برؤوس الحراب!! ومن هؤلاء كذلك اثنان وخمسون طفلاً قطعت أوصالهم أمام أمهاتهم، ثم ذبحوا واحتزت رقابهم في أحضان أمهاتهم، ثم أجهز على الأمهات ومثّل بهن، كما قتل ومثّل بنحو ستين امرأة وفتاة أخرى"[2].

وقد شهد بعض القتلة الإرهابيين الذين اشتركوا في المجزرة على بشاعة الجريمة[*]

ونستطيع أن نوجز تفاصيل المجزرة كما نقلها إلينا بعض الكتاب[**] الذين اعتمدوا على شهادات بعض شهود العيان، وذلك كما يأتي:

(١) (المرجع السابق نفسه) ص ٥٢.

(٢) الشعبة السياسية الفلسطينية في الجامعة العربية (اعتداءات إسرائيل قبل هجوم ٢٩ من أكتوبر/١٩٥٦م على مصر) ص٩.

(*) فقد نشر الإرهابي "مئير باعيل" (أحد المشاركين في المجزرة) تقريرًا في صحيفة يديعوت أحرونوت الصادرة في ٤/٤/١٩٧٢، وقد شرح في التقرير بشاعة المجزرة كما شاهد وسمع. أما الصهيوني شوقي بن عامي فقد نشر في صحيفة عل همشمار الصادرة في ٨/٤/١٩٨٣م شهادات لأشخاص شاهدوا وشاركوا في المذبحة. وقد أورد غازي السعدي في كتابه (مجازر وممارسات)ص٥٤-٦٤ بعض تفاصيل هذه التقارير الصحفية بالإضافة إلى ما وصفه بعض اليهود لهذه المجزرة. كما أن كتاب إلياس شوفاني (مناحيم بيجين من الإرهاب إلى السلطة) نشر بعض أقوال شهود العيان للمجزرة في الصفحات من ٢٧- ٣٥.

(**) يُنظر كل من : شاحاك، إسرائيل (حقيقة بيجين وشركائه) ص٨٧- ٩٦، وشوفاني، د. إلياس (مناحيم بيجين من الإرهاب إلى السلطة) ص٢٧- ٣٥،، و(اعتداءات إسرائيل) مرجع سابق، ص٩ - ١١. والسعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٥٤- ٦٤. وأبو الروس، إيليا (اليهودية العالمية) مرجع سابق، ص٤٥- ٤٦.

في مساء يوم ١٩٤٨/٤/٩م نفذت عصابتا الإتسل وليحي(*) مذبحة رهيبة في قرية دير ياسين (غربي مدينة القدس)، وكانت المذبحة من أبشع الجرائم التي ارتكبت ضد المدنيين في التاريخ.

في تلك الليلة اكتشف سكان القرية تغلغل أفراد عصابتي إتسل وليحي في قريتهم، فهرب معظم السكان بأسلحتهم، وبقي في القرية عدد قليل من الرجال والشيوخ والنساء والأطفال.. بدأ أفراد العصابات ينفذون عملية تطهير لمنازل القرية، وأطلقوا النار على كل من شاهدوه، وحدثت المجزرة بين السكان الرجال والشيوخ والنساء والأطفال دون تمييز، وذلك بتوقيفهم بجانب الجدران وإطلاق النار عليهم.

لم يكتف الإرهابيون بفعلتهم؛ بل جمعوا من بقي على قيد الحياة من النساء والرجال والأطفال وجرّدوهم من ثيابهم ووضعوهم في سيارة شحن مكشوفة، واقتيدوا في جولة انتصار في شوارع الأحياء اليهودية من القدس، حيث تعرضوا لسخرية اليهود وإهانتهم، وطاب لكثير منهم التقاط الصور الفوتوغرافية لهذه الحرمات المهتوكة. وفي نهاية الجولة أطلق عليهم الرصاص بدم بارد..

هذه هي أعلى درجات التطرف والعنف الصهيوني، وهذه هي روحهم وأخلاقهم ووجوههم على حقيقتها!! وبعد أن هزت هذه الجريمة البشعة العالم المتحضر، طلبت الهيئات الدولية من الصليب الأحمر الاطلاع على الحقيقة، فطلب مندوبه (م. جاك ريجينيز) من الوكالة اليهودية أن تسمح له بزيارة مكان المذبحة، فلم يسمح له بزيارة القرية إلا بعد أن أخفوا ما استطاعوا من آثار جريمتهم النكراء، حيث ألقوا بالعديد من الضحايا في بئر القرية، إلا أن ممثل الصليب الأحمر وصل إلى البئر، وعثر على مئة وخمسين جثة مشوهة لنساء وشيوخ وأطفال.

(*) إتسل وليحي : أما "إتسل" فهي اختصار للعبارة العبرية "ارجون تسفائي لئومي"، أي: المنظمة العسكرية القومية. وهي التي كان يرأسها مناحيم بيجين. أما "ليحي" فهو تنظيم إرهابي آخر اشتق اسمه من حروفه العبرية الأولى "لوحامي حيروت يسرائيل"، أي: المحاربون من أجل حرية إسرائيل، وقد أسسه وقاده (١٩٤٦-١٩٤٨) ناتان يلين- مور. يُنظر : المسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم..) ص٥٧- ٥٨، شوفاني، إلياس (مناحيم بيجين من الإرهاب إلى السلطة) ص ٢٧.

وفضلاً عن هذه الجثث، فقد دفنت عشرات الجثث في قبور جماعية، في حين بقيت عشرات أخرى مبعثرة في زوايا الطرقات، وخرائب البيوت المدمرة. لقد ذهل مندوب الصليب الأحمر مما رأى.. ولم يستطع التعبير من شدة رعبه وهلعه واشمئزازه إلا بقوله "لقد كان الوضع مروعًا".

ومن جملة شهادات الناجين من المذبحة أن الإرهابيين القتلة كانوا يشقون بطون الحوامل متراهنين على نوع الأجنة أذكر هو أم أنثى.

وتقول "حليمة عيد" - امرأة شابة في الثلاثين من عمرها ومن أكبر أسر قرية دير ياسين: "رأيت رجلاً يطلق رصاصة فتصيب عنق زوجة أخي "خالدية" التي كانت موشكة على الوضع، ثم يشق بطنها بسكين لحام، ولما حاولت إحدى النساء إخراج الطفل من أحشاء الحامل الميتة، قتلوها إيضًا، واسمها عائشة رضوان"[1].

وفي منزل آخر شاهدت الفتاة حنة خليل (١٦ عامًا) رجلاً يستل سكينًا كبيرة ويشق بها من الرأس إلى القدم جسم جارتنا جميلة حبش، ثم يقتل بالطريقة ذاتها على عتبة المنزل جارنا فتحي"[2]، ومن صور جرائمهم في الاعتداء على الفتيات والنساء قبل قتلهن من الفظاعة ما لا يوصف"[3].

إن هذه المجزرة وحدها تعد علامة مميزة للتطرف والعنف في تاريخ اليهود عامة، وبيجين بصفة خاصة، لمسؤوليته المباشرة عن المذبحة؛ لكونه رئيس عصابة إتسل الصهيونية.

إذا كانت هذه المذبحة وحدها كافية لأن تكون شاهدًا على بشاعة العنف الصهيوني في فلسطين، فإن ذلك لا يمنع من ذكر بعض المشاهد الأخرى الدالة على

(١) ديلورم، روجيه (إني أتهم) ترجمة نخلة كلاس، ص ٥٢.

(٢) (المرجع السابق نفسه)ص٥٢- ٥٣.

(٣) للاستزادة يستطيع القارئ الاطلاع على (المرجع السابق نفسه)ص٥٢.

عظم تطرفهم وعنفهم؛ تأكيدًا على إصرارهم على الإرهاب والعنف، وإبرازًا لمعاناة شعب اقتلع من جذوره ووطنه، فأصبحت مقاومته لاسترداد حقوقه المغتصبة أمرًا مستهجنًا؛ بل وإرهابًا يعاقب عليه!!

مجزرة وا " (٢٨/١٠/١٩٤٨م):

الدوايمة قرية صغيرة تقع غربي مدينة الخليل، ففي منتصف الليل انقض أفراد العصابة ٨٩ التابعة لمنظمة ليحي الإرهابية على سكان هذه القرية، وارتكبوا مجزرة جماعية أسفرت عن مقتل مئات الأشخاص، وظلت هذه المجزرة طي الكتمان إلى أن كشفت عنها صحيفة "حداشوت" الصهيونية خلال شهر أيلول ١٩٨٤م، وتضمنت التفاصيل التي جاءت على لسان مختار القرية "حسن محمد هديب" الذي شاهد المجزرة بنفسه، ونجا منها بأعجوبة.

أن العصابة الإرهابية كانت بقيادة الإرهابي "موشيه دايان"(*) وقد أطلق الرصاص على السكان من منزل إلى منزل، وعندما وصلوا إلى مسجد الدراويش في القرية قتلوا جميع من بداخله من المصلين، وكانوا حوالي خمسة وسبعين مسنًا، أما في أحد كهوف القرية فتم قتل خمس وثلاثين عائلة احتمت من المجازر، ثم ألقيت معظم الجثث في بئر القرية في محاولة لإخفاء آثار المجزرة"[1].

. " طنطورة (١٩٤٨م):

أكثر من مئتي فلسطيني في قرية طنطورة في الجزء الشمالي من فلسطين تم ذبحهم عام ١٩٤٨م، وذلك بعد ساعات من استيلاء اليهود على البلدة. الباحث تليكاز

(*) موشيه دايان: ولد في فلسطين عام ١٩١٥م، لذا يعدّ من الصابرا، عمل مع المخابرات البريطانية، ففقد عينه اليسرى في اشتباك مع القوات التابعة لحكومة فيشي، تولى عدة مراكز عسكرية عليا كان أهمها وزارة الحرب الصهيونية بالإضافة إلى توليه مناصب وزارية أخرى، وقد ارتبط اسمه بالعنف والدمار والدم، يُنظر: صفير، جوزيف (الفاشية- موشه دايان) غلاف الكتاب. والمسيري، عبد الوهاب (موسوعة المفاهيم) ص١٩١.

(١) السعدي، غازي (المرجع نفسه) ص٦٤- ٦٥.



استمع إلى شهادات عشرات من الناجين الذين أفادوا بأن اليهود قسموا سكان القرية إلى مجموعات، كل مجموعة تضم ست أفراد تقريبًا؛ حيث كان اليهود يقتادون هذه المجموعات إلى ساحة (المذبحة)، وبعد أن تمت المذبحة دفن القتلى في مقبرة جماعية، والتي تم تحويلها مؤخرًا إلى ساحة وقوف للسيارات"[1].

• (١٤/١٠/١٩٥٣م):

قرية عربية على بعد اثنين كيلو متر شمالي القدس، تم نسف منازلها وقتل سكانها، وكان الإرهابي "شارون" قائد العصابة المنفذة للمذبحة التي قتل فيها أكثر من أربعين شخصًا، بالإضافة إلى عشرات رؤوس الماشية التي افنيت من شدة القصف العشوائي للأحياء السكنية الآمنة"[2]، إنه مبدأ التحريم الذي نادت به التوراة.

• كفر قاسم (٢٩/١٠/١٩٥٦م):

إنه وعشية العدوان الثلاثي (الصهيوني- الفرنسي- البريطاني) على مصر ارتكب الجنود الصهاينة مذبحة ذهب ضحيتها تسعة وأربعون فلسطينيًا من قرية كفر قاسم (إحدى قرى المثلث)؛ حيث تم قتل معظم الضحايا عند المدخل الغربي للقرية، وقد كان من بين القتلى العديد من الفتيان والفتيات والرجال والنساء، وأكثرهم من العمال الذين عادوا من أعمالهم خارج القرية؛ حيث كان الجنود يتلقونهم ويصطفونهم، ثم يطلقون عليهم الرصاص.

وقد ذكرت الفتاة (هنا سليمان عامر) - إحدى الناجيات بأعجوبة من المجزرة - أن الجنود أوقفوا السيارة التي كانت هي واحدة من بين ركابها؛ حيث كانت السيارة

---

(١) قناة تليفزيون العراق، برنامج أحداث الأسبوع، الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ٢٨/١/٢٠٠٠م. علمًا بأنه لأول مرة يكشف النقاب عن هذه المجزرة.

(٢) يُنظر: الشعبة السياسية الفلسطينية (اعتداءات إسرائيلية) مرجع سابق، ص٦٣- ٦٥. والتل، عبد الله (خطر اليهودية..) ص٣٢٦. ورووكاخ، ليفيا: (إرهاب إسرائيل المقدس) ترجمة مصطفى درويش، ص١٠٦. والسعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص١٠٤- ١٠٥.

نُقل ثلاث عشرة امرأة تم إطلاق الرصاص عليهن فقتلن جميعًا عدا هذه الفتاة التي سقطت جريحة بين كومة الجثث، واعتقدت الشرطة أنها قتلت، وكان من بين القتلى - كما تقول هنا عامر - عدد من الحوامل إحداهن في شهرها الثامن، وهي فاطمة صرصور، بالإضافة إلى بعض الأطفال والعجائز"[1].

ألقى اليهود الجثث في أحراش رأس العين، وبعد يومين استدعي أحد وجهاء القرية لتشخيص الضحايا وعند رفعه لأول جثة بين يديه تبين أنها جثة ابنه، ثم شخّص بقية الجثث عدا جثتين لامرأتين لم ينجح أحد في التعرف عليهما بسبب شدة التشويه"[2].
وقد قدر الله لي قبيل سنوات الانتفاضة أن أزور قرية كفر قاسم، حيث توجهت برفقة الأصدقاء من أهل القرية إلى الساحة التي نفذت فيها المذبحة عند المدخل الغربي للقرية، حيث استمعت بنفسي إلى تفاصيل المجزرة، ثم توجهت إلى مقبرة الشهداء وقرأت لهم الفاتحة!!

يقول مؤلف كتاب (ليس للنشر) تعليقًا على مذبحتي قبية وكفر قاسم: "تمثل حادثة قبية جزءًا واحدًا من التقليد الصهيوني القديم الذي غذاه ورعاه جابوتنسكي والعسكريون الذين أصبح ابن غوريون أباهم الروحي وموشيه دايان حامل رايتهم، وهو تقليد يعود إلى دير ياسين عام ١٩٤٨م، كما وجدت الروح الكامنة وراءه تعبيرًا عنها في قرية كفر قاسم ١٩٥٦م، وقد حاولت السلطات الصهيونية أن تدّعي أن ما جرى في القريتين من فظائع كان من عمل أفراد أو منظمات محظورة في الدولة الصهيونية، على الرغم من أن حقيقة هذه المنظمات وأعمالها قد أ . - ، وبوضوح مطرد وبمرور الوقت، تعبيرًا عن سياسة رسمية ترى في أقصى درجات العنف أداتها الضرورية"[3].

---

(1) جريس، صبري (العرب في إسرائيل)ص٢٤٠- ٢٦٦، وضمن هذه الصفحات يستطيع القارئ الاطلاع على مجرى محاكمة الجنود الذين ارتكبوا المجزرة. ويُنظر أيضًا السعدي، غازي (المرجع نفسه)ص٨١- ٩٠، وقهوجي، حبيب (العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي من ١٩٤٨م) ص١٥٨- ص١٦٢.

(2) يُنظر: السعدي، غازي (المرجع نفسه) ص٨١- ٩٠.

(3) آدمز، مايكل (ليس للنشر) ترجمة محمود فلاحة، ص٢٨١.

' ابـــح المسجـــد الأقصـــى:

تعددت حوادث إطلاق النار على الفلسطينيين في المسجد الأقصى،فقد أُطلقت النار على المصلين في مسجد قبة الصخرة في ١٩٨٢/٤/١١؛ حيث قام الإرهابي (إيلي جوتمان) باقتحام الحرم القدسي وهو يطلق النار؛ مما أدى إلى استشهاد اثنين وسقوط مئة وعشرين جريحًا، وحدوث حرائق في سجاد المسجد"[١] .

وفي ١٩٩٠/١٠/٨ قامت مجموعة من قطعان المستوطنين بمهاجمة المسجد الأقصى حيث أطلقت مع جنود الاحتلال وابل نيران رشاشاتها على المسلمين المتواجدين في ساحات المسجد؛ مما أدى إلى استشهاد ثلاثة وعشرين فلسطينيًا وجرح أكثر من أربع مئة آخرين، وقد انتشرت الجثث في ساحات الحرم القدسي، ثم صرح حاخام حركة أمناء الهيكل بأنه يجب العمل على طرد الفلسطينيين بأي وسيلة ولو كانت القتل والإبادة"[٢] .

' . " النفـــق (١٩٩٦م):

أكثر من ثمانين شهيدًا، وما يزيد عن الألفي جريح سقطوا خلال أسبوع واحد من ٢٤-١٩٩٦/٩/٢٩م دفاعًا عن شموخ الأقصى من أن يهدمه اليهود بعد أن شقوا نفقًا تحت بنيانه لإقامة هيكلهم المزعوم"[٣] .

مجزرة عيون" رة (١٩٩٠/٥/٢٠م):

وهي التي تعرف عند اليهود بمذبحة "ريشون لتسيون" (وهو الاسم الصهيوني للبلدة العربية "عيون قارة") حيث قام مجند صهيوني بقتل ثمانية من العمال الفلسطينيين أمام أعين الشرطة ويصرها بدم بارد"[٤] .

---

(١) الباش، حسن مصطفى (القدس بين رؤيتين) ص٨٥.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٨٦.

(٣) سعيد، محمود عرب (القدس والمسجد الأقصى والحصار) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الخامس، السنة الخامسة عشرة، أيار (مايو) ١٩٩٧م، ص٤٠.

(٤) (مجزرة الحرم الإبراهيمي) افتتاحية مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٣٣٨، شوال ١٤١٤هـ، مارس ١٩٩٣م،ص٦.

مجزرة المسجد الإبراهيمي (٢٥/٢/١٩٩٤م):

ففي فجر يوم الجمعة من ... شهر رمضان المبارك ١٤١٤هـ، وبينما كان المصلون ساجدين فتح الإرهابي المتطرف "باروخ جولد شتاين" فوهة رشاشه على المصلين فحصد أكثر من خمسين فلسطينيًا بالإضافة إلى ثلاثة أضعاف العدد من الجرحى. وقد عُرف اليهودي المتطرف بكرهه الشديد للعرب، وهو طبيب يهودي أمريكي الأصل، وقد حفر اليهود المتطرفون على قبره العبارة الآتية: "القديس الدكتور باروخ كابلان جولد شتاين، ذو اليد الطاهرة والقلب الطاهر الذي قتل وهو يقدس اسم الله"[(١)].

وهنا يقول جارودي عن هذا المتطرف: "وهو الآن موضع تبجيل المتطرفين الذين يأتون إلى قبره بالزهور وينحنون لتقبيله، فهو الأمين على تقاليد يشوع الرامية إلى القضاء على كل شعوب كنعان"[(٢)].

تلك كانت أبرز المذابح الجماعية التي تعرض لها الفلسطينيون منذ اغتصاب أرضهم وقيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨م.

وقد رافق قيام هذا الكيان المصطنع حملة كبيرة من القتل والتعذيب والاغتيالات كان ضحيتها آلاف الفلسطينيين، وحيث إن المجال لا يتسع لذكرها لما تحتاجه من سلسلة من المجلدات؛ فإننا نكتفي بذكر بعض الممارسات الإرهابية ضد الأفراد من حوادث الاغتيال على وجه الخصوص، ومن ذلك:

- غسان كنفاني (١٩٣٦- ١٩٧٢م) تم قتله في حادث تفجير سيارته في بيروت يوم ١٩٧٢/٧/٨م، وكان كنفاني - أحد الأعضاء القياديين البارزين في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - رئيسًا لتحرير إحدى الصحف البيروتية، وفي عام ١٩٦٩ أصدر مجلة الهدف، وبقي رئيسًا لتحريرها حتى استشهاده[(٣)].

(١) (المصدر السابق نفسه) وسعيد، محمود عرب (المصدر نفسه من مجلة فلسطين المسلمة).

(٢) جارودي، رجاء (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) ص٦٢.

(٣) السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٥٥.



- اغتيال القادة الفلسطينيين الثلاثة في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت يوم ١٩٧٣/٤/١٠م، وهم:

كمال عدوان (المسؤول عن عمليات الأرض المحتلة) وكمال ناصر (فلسطيني مسيحي، المسؤول عن العلاقات العامة لحركة فتح، وعضو اللجنة التنفيذية والناطق الرسمي باسم المنظمة) ومحمد يوسف النجار "أبو يوسف" (المسؤول عن تنظيم أيلول الأسود داخل إطار فتح وعضو اللجنة المركزية)، وقد تم اغتيالهم على يد الإرهابي باراك - رئيس وزراء الكيان الصهيوني الحالي - الذي قال: "لقد رأيت بياض عيونهم يتطاير على قبعتي"[١].

- علي حسن سلامة: عضو المجلس الثوري لحركة فتح، وقائد قوات "ال ١٧"، ورئيس جهاز أمن الرئاسة؛ حيث اغتيل بحادث تفجير سيارته في بيروت عام ١٩٧٩م[٢].
- ماجد أبو شرار: مسؤول الإعلام الموحد، وعضو اللجنة المركزية في حركة فتح، اغتيل في روما في ١٩٨١/١٠/٩[٣].
- كمال حسن أبو دلو؛ ونزيه مطر من منظمة التحرير، وقد اغتيلا في روما في ١٩٨٢/٦/١٧م[٤].
- عصام السرطاوي: ممثل منظمة التحرير في الاشتراكية الدولية، اغتيل في لشبونة عاصمة البرتغال في ١٩٨٣/٤/١٠[٥].
- حنا مقبل: الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين العرب، اغتيل في نيقوسيا- قبرص في ١٩٨٤/٥/١٣[٦].

---

(١) يُنظر: (المرجع السابق نفسه) ص٢٥٦ و(مجلة فلسطين المسلمة، موضوع خاص بالمجلة - بدون مؤلف - بعنوان "تشابك برامج الأحزاب الإسرائيلية يعقد قراءة نتائج الانتخابات) العدد السادس، السنة السابعة عشرة، حزيران (يونيو) ١٩٩٩م، ص١٦.

(٢) السعدي، غازي (المرجع نفسه) ص٢٥٧.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص٢٥٧.

(٤) (المرجع السابق نفسه) ص٢٥٧.

(٥) (المرجع السابق نفسه) ص٢٥٧.

(٦) (المرجع السابق) ص٢٥٨.

- شهداء الانتفاضة الفلسطينية المباركة، وهم من الكثرة بما لا يتسع المجال لحصرهم، فقد قدمت الانتفاضة المباركة - حسب مصادر منظمة التحرير الفلسطينية في المدة من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٧م إلى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٣م - (١٥٤٠) شهيدًا فلسطينيًا، وجُرح (١٣٠ ألفًا)، وتم اعتقال (١١٦ ألفًا)[١].

وقد برز من بين هؤلاء الشهداء كوكبة كانوا رموزًا للعمل الجهادي عبر مسيرة الانتفاضة المباركة، وسجل التاريخ أسماءهم بحروف من نور، وقد حرص الكيان الصهيوني على اغتيالهم كل الحرص، وراح يطاردهم من مكان لآخر؛ فعرفوا في الانتفاضة بـ (المطاردين)، ومنهم من اعتقل بعد ذلك، ومنهم من استشهد.

وحيث إننا لا نستطيع أيضًا حصر الشهداء منهم في هذا الجزء من البحث باعتبار أنهم راحوا ضحية الغدر الصهيوني؛ لذا نكتفي بذكر أبرزهم ممن كانوا ضحية الاغتيالات الصهيونية، ومنهم:

١. **الشهيد يحيى عيّاش** (١٩٦٦م - ١٩٩٦م):

وهو الذي عُرف بلقب (المهندس)؛ إذ إن السلطات الصهيونية لم تبدِ اهتمامًا بشخص بقدر اهتمامها بالعثور عليه وقتله، فهو الذي أمضى نحو خمسة أعوام من المطاردة كانت بمثابة الكابوس الأسود للكيان الصهيوني استطاع خلالها أن يقتل نحو سبعين يهوديًا، ويجرح أكثر من ثلاث مئة آخرين.

وقد تم اغتياله عن طريق تفخيخ هاتفه النقال في الخامس من شهر يناير ١٩٩٦م، وتعد جنازته في قطاع غزة التي انطلقت من مسجد فلسطين أضخم جنازة في تاريخ فلسطين إذ شيّعه نحو أربع مئة ألف شخص، واستغرقت مسيرة التشييع أكثر من أربع ساعات، وكان موكب الجنازة يمتد إلى عشرة كيلومترات[٢].

---

(١) نخبة من الكتاب والباحثين (القضية الفلسطينية في نصف قرن) ص٢٠٣.

(٢) للاستزادة يُراجع كتاب: دوعر، غسان (المهندس- الشهيد يحيى عياش)، وقد تناول الكتاب قصة حياة المهندس من ولادته إلى استشهاده.

٢. الشهيد محيي الدين الشريف (١٩٦٧م - ١٩٩٨م):

وهو الذي عرف بلقب (المهندس رقم ٢)، ابتدأ المطاردة في عام ١٩٩٥م، وانضم إلى المجموعات الاستشهادية التي كان يقودها يحيى عياش، ومنه أخذ فنونه في تركيب المتفجرات، واستطاع بعد ذلك أن يتفوق على معلمه في صناعة القنابل بطريقة أذهلت خبراءها من المحتلين، وهو الذي تولى مع حسن سلامة وعادل عوض الله عمليات الثأر للمهندس عيّاش. ثم بإشراف جهاز (السي. آي. إيه) وبعد أن تحولت العمالة إلى شرف وطني، اغتيل هذا المجاهد على أيدي عملاء اليهود في ٢٩ من آذار (مارس)١٩٩٨م[1].

٣. الشهيد عماد عقل (١٩٧١م - ١٩٩٣م):

أحد أبطال كتائب عز الدين القسام الذي جند العدو لمطاردته مئات الجنود وعناصر الوحدات الخاصة والمظليين مزودين بالطائرات وأحدث الأسلحة، وعلى مدى ثلاث سنوات من المطاردة اليومية المكثفة كان عماد عقل المدبر لعشرات العمليات البطولية قتل فيها أكثر من عشرين من ضباط العدو وجنوده. وقد كان اغتياله يوم ١٩٩٣/١١/٢٤م، وقد وصفه "ياراك" بقوله: "كان أخطر إرهابي يعمل في قطاع غزة".

٤. الشهيدان الأخوان: عادل عوض الله (١٩٦٧- ١٩٩٨) وعماد عوض الله (١٩٦٩م - ١٩٩٨م):

وقد كانا مطلوبين للكيان الصهيوني والسلطة الفلسطينية. فبعد مقتل يحيى عيّاش أصبح عادل المطلوب رقم واحد لدى الكيان الصهيوني والأجهزة الأمنية الفلسطينية، أما بعد اغتيال محيي الدين الشريف فقد ألصق الرجوب - قائد الأمن الوقائي في الضفة الغربية - تهمة اغتيال الشريف بالشقيقين: عادل وعماد، الأمر الذي نفاه عادل في شريط فيديو أرسل إلى وكالة رويتر، واستطاعت السلطة

(١) للاستزادة يُنظر: (الشهيد المهندس محيي الدين الشريف)، ملف خاص حول اغتياله، مجلة فلسطين المسلمة، العدد الخامس، السنة السادسة عشرة، أيار (مايو)١٩٩٨م/ محرم١٤١٩هـ.

الفلسطينية أن تعتقل عماد عوض الله، وخضع للتعذيب الشديد إلا أنه تمكن بعد ذلك من الفرار وانضم إلى أخيه عادل في المطاردة، وقد تمكنت سلطات الكيان الصهيوني من اغتيالهما، إلا أن الغموض في كيفية الاغتيال أثار كثيرًا من التساؤلات حول حقيقة استشهادهما، وطريقة الاغتيال، والأطراف المتورطة في هذه الجريمة[1].

٥. الشهيد الدكتور فتحي الشقاقي:

فقد اغتالته عصابات الموساد الصهيونية في ٢٦/١٠/١٩٩٥م في جزيرة مالطا أمام الفندق الذي ينزل فيه، ويعد الدكتور الشقاقي الأمين العام لحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وكونه يسبب خطرًا على الكيان الصهيوني فقد تم إبعاده خارج الوطن تمهيدًا لتصفيته التي تمت بالفعل عام ١٩٩٥م.

ونكتفي بهذا القدر من بيان بعض أبرز المذابح الجماعية والاغتيالات الفردية التي تؤكد الطابع العنيف للفكر الصهيوني المستمد من اعتقاداتهم العنصرية بأنهم شعب الله المختار الذي يجب أن يسود، ولا تتم له السيادة - حسب زعمهم - إلا بإفناء الآخرين.

المطلب الثاني: العنف الصهيوني في السجون والمعتقلات وسياسة الإبعاد

إن استخفاف الكيان الصهيوني بالأعراف والمواثيق الدولية أمر تعرفه كل الدول، وبموجب تواطئ معظم الدول الغربية مع هذا الكيان وسياساته القمعية؛ فإن الصهاينة قد تمادوا في إجراءاتهم المتطرفة والعنيفة بحق الشعب الفلسطيني؛ فقد عمدت سلطات الكيان الصهيوني إلى سياسة الاعتقالات والزج في السجون لأقل الشبه، وقد هيأ الكيان لهذه الغاية السجون المتعددة الممتدة على طول فلسطين وعرضها، بالإضافة

(١) مصطفى، أسامة (استشهاد عماد وعادل عوض الله يخلط أوراق المنطقة، ويدفع أطرافها نحو الحافة) مجلة فلسطين المسلمة، العدد العاشر، السنة السادسة عشرة، تشرين أول (أكتوبر) ١٩٩٨م/ جمادي الأخرة ١٤١٩هـ. ص٨.



إلى معسكرات الاعتقال الصحراوية البائسة وغيرها من الأقبية التي تمارس فيها أنواع التنكيل والتعذيب المختلفة.

إنه ومنذ اغتصاب فلسطين وحتى يومنا هذا- حتى بعد عملية التسوية- وسجون العدو تغص بآلاف المظلومين الذين لا ذنب لهم سوى أنهم يرفضون اغتصاب أرضهم وسلب حقوقهم، وإذا أردنا إحاطة هذا الموضوع من جميع جوانبه؛ فإن هذا الجزء المتواضع من هذا البحث لن يسعفنا في تغطية جوانبه المختلفة لذا رأيت أن أجمل أهم ما يتعلق بلب هذا الموضوع في ثلاث نقاط كما يأتي:

١. كيفية الاعتقال:

يذكر غازي السعدي في كتابه أنه يوجد في الكيان الصهيوني نوعان من القوانين: أحدهما المدني، وهو الذي يعامل بموجبه الصهاينة، والثاني وهو عبارة عن مجموعة من الأوامر العسكرية، وهي التي تطبق على سكان المناطق المحتلة[١].

وإذا تجاوزنا الحديث عن كيفية الاعتقال بموجب القانون المدني الذي يُعامل به الصهاينة؛ فإننا مضطرون للحديث عن الشق الثاني (القانون العسكري) الذي يعامل به الفلسطينيون تحت الحكم العسكري الصهيوني، وواضح من تسمية القانون ما يحمله في طيّاته من عنف وإرهاب، ولا سيما إذا كان من اليهود.

وبموجب القانون العسكري فإنه يحق لأي جندي وبدون أمر اعتقال أن يعتقل أي إنسان ارتكب في نظره مخالفة؛ حيث يتم نقل المعتقل إلى مركز الشرطة أو معسكرات الجيش، ثم يتم بعد ذلك إصدار أمر باعتقاله لمدة ٩٦ ساعة، ويمكن لضابط الشرطة تمديد مدة توقيفه إلى أسبوع والأسبوع إلى ثمانية عشر يومًا، كما يمكن لقاضي المحكمة العسكرية أن يمدد مدة توقيف المعتقل إلى أشهر طويلة تصل إلى ستة أشهر، وتضع الشرطة عادة العراقيل أمام المحامي بحجة أن المعتقل سيفرج عنه بعد يوم أو يومين..[٢].

---

(١) السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص١٩١.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٩٢.



٢. أساليب التعذيب:

يعد التعذيب أشد أشكال العنف تطرفًا، ولا سيما عندما تمارسه دولة على إنسان يكون في حالة عجز تام، وغير قادر على الدفاع عن نفسه.

فرحلة التعذيب في الكيان الصهيوني - كما عايشناها نحن - تبدأ في اللحظة الأولى التي يقع فيها الأسير بين أيدي جنود هذا الكيان، وغالبًا ما يكون الأسير كالفريسة بين مجموعة وحوش؛ إذ إن الجنود يستغلون ظلام الليل الحالك للانقضاض على البيوت الآمنة، فيعتلون جدرانها، ويكسرون أبوابها، حتى غرف النوم لا يتورعون من اقتحامها منتهكين حرماتها.

وبمجرد أن يعثروا على مطلوبهم تبدأ حينها رحلة العذاب، إذ تعصب عينا الأسير فورًا وتقيَّد يداه إلى الخلف، ثم يساق تحت لطمات الجنود وركلاتهم وسياطهم وأعقاب بنادقهم إلى السيارة العسكرية التي تنتظر بعيدًا عن البيت، ثم يلقى في السيارة تحت أقدام الجنود ليوسعوه ضربًا بأحذيتهم الثقيلة (البساطير) وما بحوزتهم من عصي تسلموها خصيصًا لهذا الغرض، يهوون بها على جسده عامة ومفاصله خاصة، وحيث إن الأسير يكون معصوب العينين فإنه لا يدري متى ستسقط الضربة عليه، وأين ستقع على جسده. ويكون العذاب أشد وأنكى إذا كان الجنود في تلك الليلة سكارى، وغالبًا ما يكونون كذلك، وهذا ما حدث مع الباحث شخصيًا في إحدى مرات اعتقاله في سنوات الانتفاضة لمجرد شبهة!!

وإن أشد ما يعانيه الأسير في هذه الساعات من بيته إلى المعتقل هو القيد البلاستيكي الحاد، إذ يضطر الجنود في نهاية الأمر في بعض الأحيان إلى حرقه على يد الأسير ليتمكنوا من حله بعد أن تتورم يدي المعتقل بسبب هذا القيد، وهو ما حصل مع أكثر من واحد ممن أعرفهم من الأصدقاء.

وعندما يصل الأسير إلى السجن أو المعتقل تبدأ رحلة أخرى من التعذيب النفسي والجسدي، فسرعان ما يوضع في رأسه كيس من القماش الثقيل، علمًا بأن الكيس يكون في أشد درجات الاتساخ، ويخضع الأسير بعد ذلك للتحقيق الذي يستمر لأيام

طويلة يذوق فيها أنواعًا متعددة من العذاب في سبيل انتزاع اعترافات تدينه أو شهادات ضد زملائه.

وقد أوردت دراسة حديثة أعدتها مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان أن معظم المعتقلين الذين خضعوا للتحقيق في السجون الصهيونية تعرضوا للتعذيب بشتى الوسائل لإجبارهم على الإدلاء باعترافات رغمًا عنهم، وأشارت المؤسسة الحقوقية إلى ذلك، وعلى الرغم من ادعاء الحكومة الصهيونية عدم لجوء المحققين إلى العنف في التحقيق، فقد تسببت أساليب التحقيق في موت العديد من المعتقلين الفلسطينيين سواء نتيجة للتعذيب مباشرة أو من المضاعفات المرضية التي نجمت عن التعذيب أو تحت الضغط النفسي، الذي دفع بعضهم إلى الانتحار هربًا من المعاناة التي يسببها محققو جهاز المخابرات "شين بيت" زيادة على العاهات والإعاقات التي خرجوا بها، وأمراض مزمنة ظلت تلازمهم طوال حياتهم[1].

وقدرت الدراسة التي أعدتها مؤسسة التضامن الدولي لحقوق الإنسان أن أعداد الفلسطينيين الذين اعتقلهم العدو الصهيوني منذ عام ١٩٩٧م بحوالي مليون فلسطيني، وأكدت الدراسة مصرع "١١٩" معتقلاً جراء أعمال التعذيب القاسية أو الإهمال الصحي أو التصفية الجسدية المتعمدة على أيدي السجانين[2].

ويشار إلى أن الحكومة الصهيونية، وفي "" تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٩٤م، سمحت للشرطة وجهاز شين بيت باستخدام أساليب صارمة في استجواب الفلسطينيين، علمًا بأنه لا يجوز طبقًا للمواثيق الدولية إخضاع أحد للتعذيب، ولا المعاملة أو العقوبة القاسية أو اللا إنسانية أو الحط من الكرامة[3].

ومن أساليب التعذيب التي يستخدمها الصهاينة ما ذكرته الرابطة الإسرائيلية للحقوق الإنسانية والمدنية على لسان رئيسها إسرائيل شاحاك الذي أفاد بأن السجناء

---

(١) خاص بمجلة فلسطين المسلمة (١٧ وسيلة تعذيب يتبعها المحققون) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثاني عشر، كانون أول (ديسمبر)١٩٩٧م، ص٧.

(٢) (مجلة فلسطين المسلمة) العدد السادس، حزيران (يونيو) ١٩٩٩م، صفر ١٤٢٠هـ، ص٧.

(٣) خاص بمجلة فلسطين المسلمة (١٧ وسيلة تعذيب يتبعها المحققون) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثاني عشر، كانون أول (ديسمبر)١٩٩٧م، ص٧.

يتلقون باستمرار الضرب من قبل الحرّاس، ولا يسمح لهم بتقديم أية شكاوى.. إنها تعد جريمة بحد ذاتها.. كما أنهم يتعرضون لتعذيب وأذى في جميع أعضاء الجسم، بما فيها الأعضاء التناسلية.

ويذكر أن سجينًا تعرض للتعذيب المتكرر خمسة عشر يومًا وهو معصوب العينين، وفي معظم الأحيان كان عاريًا، وأجبر على تحمل التعذيب المعروف باسم الفلقة التي يربط فيها الأسير على كرسي، ثم يلقى على ظهره وهو مربوط ويضرب على قدميه ضربًا مبرحًا، ثم يجبر على المشي على طول الممرات، ثم يجبر على لبس حذاء مليء بالملح؛ مما يسبب له آلامًا وحروقًا لا يمكن وصفها"[1].

ومن الشهادات في هذا الصدد كتابات المحامية اليهودية "فيليسيا لانجر" في كتابها "بأم عيني"، ولا سيما ما نقلته عن الأسيرة الفلسطينية عبلة شفيق طه، حيث تحدثت عبلة عن ظروف اعتقالها إلى هذه المحامية بقولها:

"بعد اعتقالي أدخلت إلى غرفة سجنت فيها المومسات، هؤلاء هاجمنني وضربنني بقسوة حتى فقدت الوعي، لقد مزقن ملابسي أمام عيون رجال الشرطة، وبقيت عارية، بعد ذلك أدخلوني مدة ثمانية أيام في زنزانة بدون مرحاض، وخلال ثلاثة أيام منعوني من الخروج لقضاء حاجتي.. وكنت حاملاً في الشهر الثاني، ومن شدة الضربات بدأت أنزف دمًا"[2].

أما قصة وليد العارضة فهي قصة الكثيرين غيره من المعتقلين، فقد اعتقل وليد في جنين عام ١٩٨٣م بتهمة التحريض على التظاهر، وفي معتقل الفارعة في الغور قام المحقق موشيه بيتون بتعذيب وليد لانتزاع اعتراف منه مستخدمًا في ذلك الضرب والشتم والاعتداء بعصا لها رأس بمسمارين، ونتج عن ذلك إصابة الأسير بكسور في عظامه"[3].

---

(١) غلوب، فارس (الصهيونية على خطى النازية- نجمة داود والصليب المعقوف) ص١٧٥- ١٧٦.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٧٦، وقارن مع السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص١٩٣.
(٣) السعدي، غازي (المرجع نفسه) ص١٩٥.



ويورد الكاتب روجيه ديلورم ما ذكره الصليب الأحمر عن أساليب التعذيب الصهيونية بحق الفلسطينيين، ومنها أن المحققين كانوا يعلقون السجين من يديه ويضغطون على أعضاء جسمه التناسلية، ويستمرون في ذلك إلى أن يفقد الوعي، وقد عصبت عيون بعض السجناء، وتركوا على هذه الحال أيامًا عدة، وأفلتت الكلاب لتمزق أجسادهم، وقد شاهد ذلك أعضاء لجنة الصليب الدولي بأم العين، كذلك شلت أطراف بعض السجناء من التعذيب، كما فقدت الإحساس بعض أجزاء جلودهم.

أما التعذيب الجنسي - كما يذكر ديلورم - فإن الجزارين كانوا يتلذذون بممارسته على السجناء العرب بحيث لا يمكن وصفه، فمن الضرب على الأعضاء التناسلية إلى تحويل التيار الكهربائي إلى كل مكان حسّاس في الجسم، فكانوا يضعون الملاقط في آذان الأسرى، وفي أعضائهم التناسلية، ثم يمررون التيار الكهربائي فيها"[1].

أما السجين المدعو "أبوراس" فقد تفنن الصهاينة في تعذيبه، فبعد أن رموا إليه ببقايا الطعام أجبروه على أكل كميات كبيرة من السمك المملح، ثم حرموه من الماء مدة ٤٨ ساعة.. وكي يرووا ظمأه أجبروه على ابتلاع سطل مملوء من بوله، ثم اقتلعوا أظافره وجردوه من ثيابه، ليرشوه بالماء المالح ويجلدوه بالسياط"[2].

ومن الأساليب الأخرى في التعذيب ما سمعناه من نفس الأسرى في السجون والمعتقلات الصهيونية، ومنها:

- الشبح: وقوف أو جلوس المعتقل أو تعليقه من يديه أو رجليه لمدة طويلة، وغالبًا ما يتم إجلاس المعتقل على كرسي صغير لا تتجاوز قاعدته ٢٥X٢٥ سنتيمترًا وبارتفاع ٣٠سم بينما تكون اليدان مقيدتين إلى الخلف، ويبقى الأسير على هذا الوضع دون نوم لأيام طويلة تصل أحيانًا إلى العشرين يومًا، يصل الأسير فيها إلى حالة الهلوسة بحيث يصبح ينادي على زوجته وأولاده وأمه وذويه وكأنه في عالم آخر.
- الحبس في غرفة ضيقة يصعب فيها الجلوس أو الوقوف بشكل مريح.

---

(١) ديلورم، روجيه (إني أتهم) ترجمة نخلة كلاس، ص١٥٢- ١٥٣.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٥٤.



- الحبس في الثلاجات الباردة بعد أن تنزع عن الأسير ملابسه.
- التعرض للموسيقى الصاخبة التي تؤثر على الحواس.
- الحط من كرامة المعتقل، كأن يتم إرغامه على تقبيل حذاء المحقق، وكذلك البصق داخل فم الأسير وتعرية الأسير أمام المحققين من جميع ملابسه وتهديده بالاغتصاب والاعتداء عليه أو على محارمه.
- أسلوب الهز: حيث يتم هز الأسير بشكل منظم وبقوة وبسرعة من خلال مسك ملابسه بحيث يهتز العنق والصدر والكتفان حتى يغمى على الأسير ويرتج دماغه.
- وضع الأسير في زنازين انفرادية خالية من كل شيء، ويترك السجين فيها لمدة طويلة تصل إلى سنوات أحيانًا كمقدمة لتصفيته، وقد عايشنا بعض تلك الممارسات الصهيونية، وتحدث إلينا العديد من السجناء عن قصصهم المؤلمة داخل أقبية السجون الصهيونية، والتي لا يتسع المجال لذكرها، وهي من الفظاعة بحيث لا توصف[1].

٣. ظروف السجون والمعتقلات:

فقد أقام الكيان الصهيوني العديد من المعتقلات والسجون في فلسطين المحتلة كان أشدها قسوة معتقل النقب (كتسعوت- أنصار ٣) والذي يقع على بعد خمسة كيلومترات من الحدود المصرية بين صحراء النقب وصحراء سيناء، حيث ترتفع درجات الحرارة صيفًا مع البرد الصحراوي القارس.

وقد زج في هذا المعتقل آلاف الشباب والشيوخ والأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين ١٦ سنة إلى ٧٠ سنة، وحيث إنني اعتقلت في هذا المعتقل عدة مرات؛ فإن ظروفه تفتقر إلى الحد الأدنى من الرعاية الصحية فالأمراض متفشية، ولا سيما الجلدية، بسبب الأغطية والملابس القديمة التي استخدمها مئات المعتقلين، كما أن الزواحف من

---

(١) يستطيع القارئ مقارنة أساليب التعذيب هذه مع ما أوردته مجلة فلسطين المسلمة في عددها الثاني عشر، كانون أول (ديسمبر)١٩٩٧م تحت عنوان (١٧ وسيلة تعذيب يتبعها المحققون.. التضامن الدولي: التعذيب ظاهرة متفشية في سجون الاحتلال) ص٧.



العقارب والثعابين والحيّات منتشرة فقد قتلنا ذات يوم داخل خيامنا خمس حيّات، واحتفظنا بها إلى حين وصول مندوب الصليب الأحمر، كما أن الضباط يجبرون المساجين على الجلوس تحت حر الشمس المحرقة ساعات طويلة بحجة تفتيش الخيام، ويتعرض المساجين خلالها للضرب والشتم ونحو ذلك.

ويعاني المعتقلون داخل السجون والمعتقلات من الأمراض المتعددة التي أصابتهم بسبب ظروف الحياة سواء كان ذلك من أنواع الأطعمة أو غيرها حتى أصيب العديد من المساجين بأمراض: القرحة والروماتيزم والبواسير والأمراض النفسية وغيرها، وكثير منها قابل للعلاج لو توفرت الرغبة والعناية الطبية اللازمة لذلك، لكن ظروف المعتقلات تفتقر إلى العديد من الرعايات[1].

[illegible] الصهيوني في الإ[illegible]د:

يقول "يورام بن بورات" في [illegible] يديعوت أحرونوت في ١٤/٧/١٩٧٢م: "لا صهيونية واستعمار للدولة اليهودية بدون إبعاد العرب وطردهم والاستيلاء على أراضيهم"[2].

فالإبعاد من السياسات الصهيونية القمعية التي مارسها الكيان الصهيوني منذ احتلاله لفلسطين، وكان ذلك على نوعين: أحدهما الإبعاد داخل فلسطين، وهو الذي عُرف بعملية تهجير العرب وطردهم من قراهم، واغتصاب أراضيهم منهم، أما النوع الثاني فهو الذي يتمثل في طرد الفلسطينيين خارج فلسطين إلى لبنان أو الأردن غالبًا، وتشكل كلتا الحالتين قهرًا وظلمًا للفلسطينيين بغير وجه حق.

وقد استخدم الصهاينة هذه السياسة للانتقام من الشعب الفلسطيني وحرمانه من أبسط حقوقه عندما يتم اجتثاثه من أرضه، ومن بين أفراد عائلته وشعبه.

(١) للاستزادة يُنظر: السعدي، غازي (المرجع نفسه) ص١٩٦- ١٩٨؛ والفتلاوي، سهيل حسين (الصهيونية حركة عنصرية إرهابية) ص٩٦- ٩٧، بالإضافة إلى تقارير اللجان الدولية لحقوق الإنسان وشهادات المعتقلين أنفسهم.

(٢) جارودي، رجاء (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) ص٦٢.



يقول عبد الجواد صالح: "سياسيًا يعتبر الإبعاد من أقسى الإجراءات التعسفية التي يمكن أن تتخذ ضد إنسان؛ إذ يستهدف الإبعاد حرمان المجتمع من قياداته الوطنية"[1] . ويقول أيضًا: "لقد استخدمت سلطات الاحتلال الصهيونية الإبعاد على أوسع نطاق وبأبشع الصور تعسفًا، إذ تنفذه بدون محاكمة أو أي إطار قضائي...

وهذا الإبعاد التعسفي غير الإنساني استخدمته، وما زالت تستخدمه سلطة الاحتلال الصهيوني على نطاق جماعي وفردي، مخالفة بذلك مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي ينص على أنه يحرم القبض أو الاعتقال أو النفي التعسفي لأي إنسان، كما ينص على أنه يحرِّم إبعاد المواطنين المحميين من أراضٍ محتلة إلى أراضي الدولة المحتلة أو إلى أي بلد آخر محتل أو غير محتل مهما كانت الدوافع والأسباب"[2] .

ويذكر الكاتب الدكتور تكروري أن اليهود أبعدوا من فلسطين منذ عام ١٩٦٧م إلى عام ١٩٨٤م أكثر من ٢٥٠٠ شخص إلى الأردن أو إلى لبنان، ومن ذلك التاريخ إلى اليوم لا يقل عدد المبعدين عن مثل هذا الرقم السابق[3] .

ويقول أيضًا: "ولا شك في أن الإبعاد عن الوطن في حد ذاته يعد من أكبر وسائل العدوان فضلاً عما يلاقيه المبعد من تعذيب جسدي ونفسي أثناء الإبعاد وبعده"[4] . ويرى الفلسطينيون أن المغتصبين وجدوا في الإبعاد "التهجير القسري" استراتيجية خبيثة لتفريغ فلسطين من أهلها وسكانها الأصليين بغية تثبيت جذورهم وتمكينهم من تغيير ملامح الأرض وطمس طبائعها الجغرافية والسكانية الضاربة في عمق التاريخ عروبةً وإسلامًا[5] .

ولعل أكبر عملية إبعاد شهدتها فلسطين بكل عنف صهيوني هي عملية إبعاد أكثر من أربع مئة شخص من قادة حماس والجهاد الإسلامي وأفرادهم. فبعد تفجر

---

(١) صالح، عبد الجواد (الاحتلال الإسرائيلي وأثره على المؤسسات الثقافية والتربوية في فلسطين المحتلة) ص١٣٦.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٣٧.

(٣) تكروري، نواف هايل (أحكام التعامل السياسي مع اليهود) ص١٩٦.

(٤) (المرجع السابق نفسه) ص١٩٦.

(٥) العويسي، عبد الفتاح (سجل المبعدين الفلسطينيين في مرج الزهور) ص٧.

بركان الانتفاضة المباركة في الشهر الأخير من عام ١٩٨٧م شعر الصهاينة بتصدع أركان كيانهم المزعوم، فبينما نهض الفلسطينيون بمختلف قطاعاتهم الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للقيام بواجباتهم نحو دعم الانتفاضة والإشراف عليها وتسيير أمورها - والتي كانت كلها وقبل كل شيء تحظى برعاية الله وحفظه - لجأ الاحتلال المرعوب وبشكل هستيري إلى انتهاج شتى صنوف القمع والتنكيل والعقوبات الجماعية والمظاهر المتعددة من العنف والإرهاب في محاولة يائسة لإخماد نيران الانتفاضة التي أحرقت العديد من قطعان جنودهم المتطرفين.

ولم يسلم من حقدهم وعنفهم شيخ كبير أو طفل رضيع أو امرأة أو شاب أو فتاة، ولم يدعوا وسيلة متاحة للنيل من الشعب الفلسطيني إلا ومارسوها حتى كانت الحملة الأشرس والأكبر على الإطلاق منذ عام ١٩٦٧ في سياق حملات الإبعاد والتهجير القسري ألا وهي حملة الإبعاد الكبرى التي كانت بتاريخ ١٩٩٢/١٢/١٧م لأفراد وقادة حركتي حماس والجهاد الإسلامي.

فقد تم إبعاد ٤١٥ فلسطينيًا قضوا أكثر من ثماني عشرة ساعة وهم ينتظرون في داخل الحافلات قرب مستعمرة كريات شمونة في جو شديد البرودة، وهم معصوبو الأعين مقيدو الأرجل والأيدي، ولا يسمح لهم بالحراك، وتحيط بهم قوات ضخمة من الجيش الصهيوني، وهم ينتظرون قرار المحكمة العليا بإجازة قرار الحكومة القاضي بإبعادهم، وما إن صدر القرار بأغلبية خمسة أصوات مقابل صوتين حتى بدأت القوات الصهيونية بإنزالهم من الحافلات وزجهم في شاحنات إلى نقطة الحدود اللبنانية في زمريا، أما الحكومة اللبنانية فقد اتخذت قرارًا بعدم استقبالهم؛ فحوصر المبعدون في (مرج الزهور) وبفضل الله، ثم بثباتهم وصبرهم عادوا إلى فلسطين الوطن[1] .

ويأتي هذا المطلب أيضًا ليؤكد على أن العنف والإرهاب الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني لم يكن حالة عرضية طارئة على السلوك الصهيوني؛ إنما يجسد ويوضح الطابع الذي طبع به فكرهم من أصول عقائدهم وحقد حاخاماتهم بما رسمته لهم

---

(١) عن تفاصيل حادثة الإبعاد الكبرى في عام ١٩٩٢م.. أسبابها وأبعادها وأشخاصها، يُنظر كل من: دوعر، غسان (موعد مع الشاباك) ص٣٨١- ص٣٨٤؛ والجريان، غسان دوعر (أسود حماس حرب الأيام السبعة) ص٤٥- ٤٨؛ والعويسي، عبد الفتاح (سجل المبعدين الفلسطينيين في مرج الزهور).

كتبهم المقدسة (عندهم)، وزرعت فيهم بذور التطرف والحقد والكراهية لكل من هو غير يهودي، حتى غدت ممارساتهم العملية كلها تطرفًا وإرهابًا وعنفًا فلا يستريحون إلا على عذابات وجماجم الآخرين.

المطلب الثالث: العنف الصهيوني ضد المقدسات الفلسطينية

علاوة على العنف والإرهاب والقتل والتعذيب أصبح الاعتداء على المقدسات في فلسطين سياسة منظمة تنتهجها سلطات الاحتلال الصهيونية؛ فمنذ قيام الكيان الصهيوني الغاصب وحتى اليوم، اعتدي على عشرات المساجد والكنائس.

يقول د. نواف تكروري: "منذ أن استولى اليهود على فلسطين عام ١٩٤٨ قاموا بهدم كثير من المساجد، وحرثوا مقابر المسلمين، وأقاموا على أرضها ما شاءوا من مواقف للسيارات ومقاهٍ وملاهٍ.. وحوّلوا بعض المساجد إلى كنس، وأحيانًا إلى دور للسينما أو للدعارة أو صالات عرض للنحت والتصوير(*)". ويشير تكروري إلى أن الباحث أحمد فتحي خليفة - من مدينة أم الفحم في فلسطين - تخصص في البحث في عدوان اليهود على المساجد، وأحصى مئات المساجد التي هدمها اليهود أو حولوها إلى أماكن دعارة أو دور سينما وألّف في ذلك كتبًا إلا أن صعوبة الوصول إلى هناك حال دون الحصول عليها[1].

إن العنف الواقع على المقدسات في فلسطين إنما يرعاه ويغذيه حاخامات اليهود وزعماؤهم، يقول السعدي: "والحاخام الإرهابي كاهانا لا يخفي في أحاديثه الخاصة

(*) لقد شاهد الباحث بنفسه أثناء رحلاته داخل فلسطين العديد من المساجد المهجورة أو التي حولها اليهود إلى ما يتنافى مع قداستها. وفي هذا الموضوع كتب محمد عادل عقل في مجلة فلسطين المسلمة في العدد الثاني من السنة الثالثة عشرة شباط (فبراير) ١٩٩٥م ص٢٤، وذكر عددًا من المساجد التي تم تحويلها إلى مراقص وخمارات، ونذكر منها على سبيل المثال: مسجد حطين في طبرية الذي حولوه إلى حظيرة أبقار. ومسجد قيسارية إلى مطعم وخمّارة. ومسجد المالحة إلى كنيس يهودي. ومسجد البحر والزيداني في طبرية إلى مزبلتين، ثم إلى متحف. ومسجد بئر السبع إلى متحف. ومسجد عين حوض إلى مقهى تباع فيه الخمور، وتم تحويل العديد من المقابر والمقامات بنفس الطريقة.

(1) تكروري، نواف هايل (أحكام التعامل السياسي مع اليهود..) ص١٩٢.



والعامة استعداده لنسف المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه، وقد أصدر فتوى قال فيها: إن وجود المسلمين في المنطقة المقدسة - القدس - يعد خطيئة كبرى.. وطالب بنسف المسجد الأقصى وقتل العرب"[1].

أما (ابن غوريون) - أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني على أرض فلسطين - فقد قال: "لا معنى لإسرائيل بدون القدس، ولا معنى للقدس بدون الهيكل"[2].

وقال كلوزنز - رئيس جمعية الدفاع عن حائط المبكي- كما يزعمون-[*]: "المسجد الأقصى القائم على قدس الأقداس إنما هو لليهود"[3].

وقال السير "فرندموند" - الزعيم اليهودي الإنجليزي: "إن اليوم الذي سيعاد فيه بناء الهيكل أضحى قريبًا جدًا، وسأكرس بقية حياتي لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الأقصى"[4].

كانت هذه الدعوات المتطرفة وأمثالها دعوة تحريضية صريحة لهدم الأقصى والاعتداء على المصلين فيه، ولذلك كانت لليهود اليد الطولى والمباشرة في الاعتداءات المتكررة على أبرز مقدسات المسلمين في فلسطين (المسجد الأقصى)، وكانت أبرز صور اعتداءاتهم كما يأتي:

- محاولة اليهود عام ١٩٢٩م الاستيلاء على حائط البراق في المسجد الأقصى، فقامت ثورة في شهر آب من قبل المسلمين والمسيحيين العرب في فلسطين، وأسقطوا هذه المحاولة[5].

---

(١) السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٠٩- ٢١٠.

(٢) تكروري، نواف هايل (المرجع نفسه) ص١٩٢.

(*) هو حائط البراق، وسمي بهذا لأن النبي ﷺ ربط البراق فيه يوم أن أسري به، ويستطيع الزائر أن يرى هذا المكان من الجدار عند باب المغاربة.

(٣) تكروري، نواف هايل (المرجع نفسه) ص١٩٢- ١٩٣.

(٤) (المرجع السابق نفسه) ص١٩٣.

(٥) يُنظر: الباش، حسن مصطفى (القدس بين رؤيتين) ص٨٣؛ وشبير، محمد عثمان (صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية) ص٣٤.



▪ إحراق المسجد الأقصى: ففي يوم ١٩٦٩/٨/٢١م تم إحراق المسجد الأقصى بطريقة لا يمكن للسلطات الصهيونية أن تكون بريئة منها، إذ إن قطع مياه البلدية عن منطقة الحرم في ذلك اليوم، وتأخر وصول سيارات الإطفاء التابعة للبلدية الصهيونية بحيث وصلت إطفائيات بلديتي رام الله والخليل قبلها، زيادة على مواقف اليهود العقائدية من ضرورة إقامة الهيكل والدعوات التحريضية إلى ذلك يثبت بوضوح ضلوع الكيان الصهيوني في عملية الحرق.

أما عن ادعائهم بأن تماسًا كهربائيًا كان السبب في الحريق، فقد أبطلته تقارير المهندسين العرب التي أوضحت بجلاء أن الحريق تم بفعل أيد متطرفة مجرمة مع سبق الإصرار والترصد، الأمر الذي اضطر الحكومة الصهيونية إلى الادعاء بأن شابًا استراليًا يدعى دينيس مايكل موهان - الذي دخل فلسطين المحتلة قبل أربعة أشهر من وقوع الحريق - هو الذي ارتكب الجريمة، وزعمت أنها قبضت عليه، وستقدمه للمحاكمة، ولكن لم يمض وقت طويل حتى أعلنت السلطات الصهيونية أن دينيس هذا مختل القوى العقلية وأطلقت سراحه[1].

كاد الحريق أن يأتي على المسجد بالكامل لولا عناية الله تعالى، ثم تدخُّل المسلمين من الأحياء القريبة والقرى المقدسية المجاورة والخليل وبيت لحم، الذين أخمدوا الحريق بعد أن أتى على منبر المسجد المعروف بمنبر صلاح الدين الأيوبي ﷺ، وقد انهار مع الحريق جانب من سطح المسجد الأقصى، كما أن رجال المطافئ حطموا بعض النوافذ والأبواب بحجة إطفاء الحريق، وقد لاحظ المراقبون والمهندسون أن الدمار في المسجد يكاد يكون كاملاً، وقد استمر الحريق أكثر من أربع ساعات كاملة[2].

▪ كذلك لم تتوقف منذ الاحتلال الصهيوني محاولات تدنيس المقدسات الإسلامية في الحرم القدسي الشريف، وذلك عن طريق الاستمرار في إقامة المظاهرات

---

(١) يُنظر: جريس، سمير (القدس - المخططات الصهيونية- الاحتلال- التهويد) ص٢٠٠؛ وشراب، محمد حسن (بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة) ص٤٨٠، وقارن مع القرضاوي، يوسف (القدس قضية كل مسلم) ص١٥٩.

(٢) يُنظر: قاسمية، د. خيرية (قضية القدس) ص٦٠- ٦١؛ وتكروري، نواف هايل (المرجع نفسه) ص١٩٢.

والصلوات الدينية اليهودية في ساحاته وأمام مداخله، وتجرى هذه المحاولات بشكل خاص في الأعياد الدينية اليهودية[1].

- وإن أخطر ما يواجهه المسجد الأقصى هو تقويض أركانه وهدم بنيانه بسبب كثرة الأنفاق والحفريات التي يقوم بها اليهود بحجة البحث عن الهيكل الذي يدعي الصهاينة وجوده أسفل الصخرة المشرفة.

وقد كانت الحفريات الصهيونية حول المسجد الأقصى وتحته من الناحيتين: الغربية والجنوبية أخطر الأساليب التي اتبعها اليهود لهدم المسجد، وقد مرت هذه الحفريات بمراحل عديدة ألحقت أضرارًا بالغة في عدد من المباني الدينية والحضارية والسكنية والتجارية، فأزالت بعضها، وصدعت البعض الآخر[2]، وقد تحدث بعض الكُتاب عن المراحل المتعددة التي قام اليهود أثناءها بالحفريات[3] والتي بدأت منذ عام ١٩٦٧م ولم تتوقف، وكانت تتراوح أعماق الحفريات ما بين ١٠ - ١٤ مترًا، وأخذت أبعادًا طويلة تحت أسوار المسجد وأسفل مبانيه[4].

لم تتوقف سلسلة الحفريات الصهيونية، واستمرت بكل عنف بحجة إعادة بناء الهيكل، فقد صرح وزير الأديان آنذاك ١٩٧٠ بأن وزارته تسعى بواسطة عمليات الحفر التي تجريها إلى الكشف عن حائط المبكى لإعادة تلك الدرة الثمينة إلى سابق عهدها، ويتابع بقوله: إن هذه الحفريات هي عملية تاريخية ومقدسة، وسوف نهدم المباني الموجودة في المنطقة ونزيلها رغم كل العراقيل التي تقف في الطريق"[5].

إن الحفريات التي قام بها اليهود أدت إلى اكتشاف نفق قديم يمتد من أسفل الحائط الغربي للحرم القدسي بين بابي السلسلة والقطانين باتجاه الشرق مسافة ٢٥م

(١) يُنظر: قاسمية، خيرية (المرجع نفسه) ص٥٩. وجريس، سمير (القدس..) مرجع سابق، ص٢٠١.

(٢) جريس، سمير (المرجع نفسه) ص١٩٨، وشراب، محمد حسن (المرجع نفسه) ص٤٩٢.

(٣) يُنظر إلى مراحل الحفريات عند كل من: جريس، سمير (المرجع نفسه) ص١٩٨- ٢٠٠، السعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٢٠- ٢٢١؛ وشراب، محمد حسن (المرجع نفسه) ص٤٩٢- ٤٩٦.

(٤) (المراجع السابقة نفسها والصفحات ذاتها).

(٥) جريس، سمير (المرجع نفسه) ص١٩٨.

بعمق ستة أمتار حتى يصل إلى بعد ٣٠ مترًا غربي قبة الصخرة، وادعى اليهود أن اكتشافه يخدم أسطورة البحث عن الهيكل المزعوم، إلا أن هذه الادعاءات لا تنطوي في الحقيقة على أية دلالات؛ إذ إن النفق كان معروفًا منذ ١١٠ سنوات عندما اكتشفه الكولونيل البريطاني تشارلز وارين وهو جزء من شبكة أقنية مائية أقيمت في عهد الصليبيين، ولم تكن هذه الأقنية سرية، وقد قامت الهيئة الإسلامية بإغلاق فتحتي النفق بالقوة عام ١٩٨١ عندما استأنف اليهود حفريات النفق[(١)].

ويعد هذا النفق واحدًا من ثلاثة أنفاق رئيسية تحت البلدة القديمة، زيادة على ذلك يوجد نفق البراق الذي يتجه بطول ٥٠٠ متر من الشرق إلى الغرب على طول المدينة، في حين ينطلق النفق الثالث من مغارة سليمان في باب الساهرة ويصل إلى وسط المدينة، ويتضرع غربيًا باتجاه باب الخليل وشرقًا تحت المسجد الأقصى باتجاه عين سلوان. إلى جانب العديد من الأنفاق الفرعية المهدمة أو المغمورة في كافة الاتجاهات[(٢)].

وقد قام اليهود بأمر من رئيس وزراء كيانهم في عام ١٩٩٦م (بنيامين نتنياهو)[(*)] بإعادة فتح النفق تحت المسجد الأقصى الذي أوقفوا العمل فيه بغية هدم الأقصى وإقامة الهيكل؛ إذ قاموا بافتتاحه في ١٩٩٦/٩/٢٤م، وقد ترتب على ذلك أحداث دموية عمت جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة وعرفت بـ (أحداث النفق أو انتفاضة الأقصى)، واستمرت مدة أسبوع راح ضحيتها عشرات القتلى الفلسطينيين وأربعة عشر جنديًا يهوديًا[(٣)].

---

(١) شراب، محمد حسن (المرجع نفسه) ص٤٩٥.

(٢) خاص بمجلة فلسطين المسلمة (قصة النفق الذي يكرس أحلام الصهاينة بالهيكل المزعوم) العدد الحادي عشر، السنة الرابعة عشرة، تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٩٦م، جمادي الآخرة ١٤١٧هـ، ص١٠.

(*) بنيامين نتنياهو: ولد عام ١٩٤٩م، كان نتنياهو سفير بلاده لدى الأمم المتحدة عام ١٩٨٨م، ثم انتخب عضوًا في الكنيست، وعين نائبًا لوزير الخارجية ومتحدثًا رسميًا باسم الوفد الصهيوني في مؤتمر مدريد، رأس الليكود بعد اعتزال شامير، وتفوق في انتخابات مايو ١٩٩٦م لرئاسة الحكومة على منافسه شمعون بيريز، واستطاع نتنياهو تشكيل حكومة الكيان الصهيوني التي عُرفت بتشددها وصلفها، واستمرت حتى قيام انتخابات ٩٩ وفوز زعيم العمل باراك. يُنظر: شاش، السفير طاهر (التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده) ص١٢٧- ١٢٨.

(٣) خاص بمجلة فلسطين المسلمة (قصة النفق..) العدد نفسه. وتكروري، نواف هايل (المرجع نفسه) ص١٩٢. وقارن مع: القرضاوي، يوسف (القدس قضية كل مسلم) ص١٦١.

ومن بين حوادث العنف الصهيوني التي تعرض لها المسجد الأقصى ما قام به (جوتمان) يوم أن اقتحم الحرم في ١٩٨٢/٤/١١م، وأطلق الرصاص ليقتل اثنين ويسقط عشرات الجرحى[١].

- وكذلك قيام مجموعة مسلحة من اليهود في ١٩٨٤/١/٢٧ بمحاولة لنسف الحرم القدسي بعد اقتحامه من الناحية الشرقية بالقرب من باب الرحمة، وقد تصدى لهم الحراس فلاذوا بالفرار تاركين وراءهم القنابل والمتفجرات[٢].

أما المجزرة التي حصلت في ساحات الحرم يوم ١٩٩٠/١٠/٨م؛ فقد دبرت مسبقًا من أجل دخول اليهود ليضعوا حجر الأساس للهيكل، وعندما تصدى المسلمون لهم اعتدوا مع رجال الشرطة على المصلين وقتلوا ثلاثة وعشرين مواطنًا، وجرح أكثر من أربع مئة، منتهكين بذلك أهم المقدسات الإسلامية في فلسطين[٣].

- ومن صور العنف الصهيوني على المقدسات الإسلامية في فلسطين إغلاق المساجد ومنع الصلاة فيها مُددًا مختلفة قد تصل إلى الإغلاق المطلق، كما فعلوا في أجزاء من المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل - الذي تعرض المصلون فيه لمذبحة[*]- وقد يكون إغلاقًا مؤقتًا كما حدث لكثير من المساجد إبان الانتفاضة الفلسطينية المباركة، وقد رافق ذلك دخول الجنود الصهاينة في العديد من المساجد منتهكين قداستها وحرمتها[٤].

يقول الشيخ حسن - إمام مسجد في رام الله: "إن الجنود اليهود اقتحموا علينا المسجد أثناء انتظارنا للصلاة، وقاموا بإغلاق الأبواب، وبعد ذلك أوقفونا ووجوهنا إلى الجدران، ثم بدءوا بالتدقيق في هويات المصلين بطريقة مهينة؛ إذ اعتدوا بالضرب

---

(١) الباش، حسن مصطفى (القدس بين الرؤيتين) ص٨٥، ص١٠١. والسعدي، غازي (مجازر وممارسات) ص٢٢٥.

(٢) (نفس المرجعين السابقين): الأول ص٨٦، ١٠١، والثاني ص٢٢٦.

(٣) (نفس المرجعين السابقين والصفحات نفسها).

(*) تعرض هذا المسجد- الذي يعد من المقدسات المهمة بالنسبة للمسلمين في فلسطين- إلى مذبحة في ١٩٩٤/٢/٢٥ سبق أن تحدثنا عنها.

(٤) يُنظر: دوغر، غسان (موعد مع الشاباك) ص٣٠٧.



على بعض الشباب، كما وجهوا لنا الشتائم، وقاموا بحفر الأرض وخلع أبواب الحجرات الملحقة بالمسجد، ثم غادروا المسجد بعد ساعتين، ولم يعيدوا ردم الحفر التي أحدثوها"[1].

وقد تعرضت لمثل هذه الصورة مئات المساجد في الضفة والقطاع، ويمكن إيجاز عمليات التخريب كما عايشناها بالصورة التي لخصها دوغر في كتابه[2] كما يأتي:

- اقتحام المساجد ليلاً ونهارًا بأسلحتهم وأحيانًا بأحذيتهم.
- ترويع المصلين الآمنين داخل المساجد وضربهم واعتقالهم، وفي بعض الأحيان أثناء أدائهم الصلاة.
- تحطيم الأبواب والنوافذ بدون مسوغ، حتى وإن توفرت المفاتيح في أغلب الأحيان.
- العبث بمحتويات المساجد وتحطيمها وإتلافها وإحداث الحفريات فيها بحثًا عن أسلحة!!
- مصادرة مكبرات الصوت لمدد طويلة أو تحطيمها.
- كتابة العبارات التي تمثل استفزازًا لمشاعر المسلمين، مستغلين العثور على بعض علب الطلاء.

وقد سبق لليهود أن وزعوا عددًا من المصاحف المحرفة في محاولة منهم لترويج أفكار صهيونية من خلال الدس والتشويه لبعض آيات القرآن الكريم[3]، كما أنهم مزّقوا القرآن الكريم، وداسوا عليه بأقدامهم في المسجد الإبراهيمي بالخليل[4].

▪ وضمن مسلسل اعتداءات يهود على عقيدة الأمة ودينها؛ فقد قاموا في يوم ١٩٩٧/٦/٢٨م بنشر ملصقات ورسومات تسيء إلى سيد الخلق محمد ﷺ إذ وزعت

(١) يُنظر: دوغر، غسان (موعد مع الشاباك) ص٣٠٧.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٣١٠.

(٣) شبير، محمد عثمان (صراعنا مع اليهود) ص٣٢.

(٤) (المرجع السابق نفسه) ص٣٣- ٣٤.



وألصقت على الجدران وعليها صورة خنزير كتب عليها (محمد) بالعربية والإنجليزية، ويرتدي كوفية على شكل قبة الصخرة ويدوس برجليه كتابًا عليه كلمة (قرآن) بالعربية والإنجليزية أيضًا[1].

- لم تتورع السلطات الصهيونية عن انتهاك حرمة الأماكن المقدسة المسيحية بما لا يقل عما لقيته المقدسات الإسلامية، وقد تنوعت هذه الاعتداءات لتشمل التحقير للمقدسات والضغوط الشديدة على رجالات الطوائف المسيحية لإجبارها على التنازل عن مساحات كبيرة من أراضيها وعقاراتها في القدس سواء بالبيع المباشر، أو التأجير لمدة طويلة الأمد، وإرهاب رجال الدين وأبناء الطوائف وحمل الكثيرين منهم على النزوح عن المدينة[2].

ومن صور عنفهم على المقدسات المسيحية في فلسطين ما تعرضت له كنيسة القيامة خلال سنوات الاحتلال إلى العديد من الحوادث منها سرقة تاج السيدة العذراء في أواخر عام ١٩٦٧ وتحطيم قناديل الزيت والشموع فوق القبر المقدس في مدخل الكنيسة عام ١٩٧١م، ومحاولة سرقة إكليل مرصع بالماس قرب صليب الجلجلة عام ١٩٧٣، كما قاموا بالاعتداء على راهب فرانسيسكاني بالضرب المبرح[3].

- كما قام بعض المسلحين اليهود، عام ١٩٧٤م، بعد أن تخفوا بزي الرهبان باقتحام كنيسة القيامة، وضربوا الرهبان وسرقوا لوحة من الفضة المقدسة لها قيمة كبيرة[4].

- وقد تعرضت عام ١٩٧٤ أربعة مراكز مسيحية للحريق في مدينة القدس وأحرق اليهود المركز الدولي للكتاب المقدس على جبل الزيتون[5].

---

(١) تكروري، نواف هايل (أحكام التعامل السياسي مع اليهود..) ص٥٤٥-٥٤٦.

(٢) جريس، سمير (القدس..) ص٢٠١.

(٣) (المرجع السابق نفسه) ص٢٠١- ٢٠٢. وقاسمية، خيرية (قضية القدس) ص٦٢. والسعدي، غازي (المرجع نفسه) ص٢٢٦.

(٤) قاسمية، خيرية (المرجع نفسه) ص٦٢.

(٥) يُنظر: (المرجع السابق نفسه) ص ٦٣. وجريس، سمير (المرجع السابق نفسه) ص٢٠٢.

- إقدام السلطات الصهيونية على اعتقال المطران كبوشي بتهمة التعاون مع المنظمات الفدائية؛ حيث صدر الحكم باعتقاله لأثني عشر عامًا ومن ثم إبعاده[1].

- ومن بين الأماكن المسيحية المقدسة التي اعتدت عليها سلطات الاحتلال كنيسة نوتردام دي فرانس، دير القديس جاورجيوس الأرثوذكسي في جبل صهيون، دير الراهبات، دير الآباء البندكيين، قصر القاصد الرسولي الذي يحمل علم البابوية، المدرسة الإكليريكية، كما استولت سلطات الاحتلال على مقابر المسيحيين الأثرية القديمة والواقعة في جبل صهيون، وهدموا الكثير من قبور المسيحيين ونبشوها، وقد تم العثور عند كثير من هذه الكنائس وتلك الأديرة على قنابل موقوتة وعبوات ناسفة انفجر بعضها، وتم كشف البعض الآخر، وقد أصيب عدد من الرهبان في مثل هذه الحوادث في عامي ١٩٨٣، ١٩٨٤م[2].

يقول القس الكاثوليكي فرانتس يانتش القاطن بفينا في كتابه (أنا قادم من القدس): "في حيفا حوّلت كنيسة صغيرة في دير الفرنسيسكان إلى مرحاض، وجعل الناس هناك يقضون حاجاتهم على الصلبان المحطمة"[3].

وقد بلغت الاعتداءات الصهيونية قيام بعض اليهود بكتابة شعارات على جدران المؤسسات والحوانيت مثل: "مبشرين خنازير" و"شاربي الدماء" وشعارات الصليب المعقوف، وقد أصدر مركز الإعلام المسيحي في القدس بيانًا جاء فيه أنه يتشكل انطباع في أوساط الجالية المسيحية بأن السلطات الإسرائيلية قد فشلت حتى الآن في استنفاد جميع الوسائل لكبح تعابير التعصب المعادية للمسيحية"[4].

- ولم تسلم السيدة مريم العذراء من العنف الصهيوني؛ إذ نشرت مجلة صهيونية تدعى (غاليلو) في أوائل شهر ٧ / ١٩٩٧ صورة مركبة تظهر السيدة مريم العذراء برأس بقرة، وذلك ضمن مقال عن الاستنساخ البشري[5].

---

(١) يُنظر: قاسمية، خيرية (المرجع نفسه) ص٦٤، والسعدي، غازي (المرجع نفسه) ص٢٢٧.

(٢) يُنظر: (نفس المرجعين السابقين): الأول ص٦٣، والثاني ص٢٢٧، وقارن مع: شايدل، فرانتز (إسرائيل المعتدية) ترجمة محمد جديد، ص٧٥- ٨٣.

(٣) شايدل، فرانتز (المرجع نفسه) ص٧٨.

(٤) جريس، سمير (المرجع نفسه) ص٢٠٢.

(٥) تكروري، نواف هايل (المرجع نفسه) ص٥٤٦.



ومع نهاية هذا المطلب نستطيع أن نقول: إن العنف الصهيوني ضد المقدسات الفلسطينية من مساجد وكنائس وأديرة ومقابر ونحو ذلك، جديرة بأن تؤلف في كتاب. مع اعتقادي أن ذلك يحتاج إلى سلسلة كتب؛ لما يزخر به الواقع الصهيوني من ممارسات إجرامية عديدة تجاه الأغيار وممتلكاتهم ومقدساتهم.

إن تاريخهم يؤكد لنا على تفردهم من بين الأمم بالتطرف والعنف والكراهية لكل من هو غير يهودي - أي "الجوييم" حسب تعبيرهم - وهذا الأمر يدفعنا إلى نصيحة المسلمين والمسيحيين بأن يأخذوا حذرهم مما تكنه صدور اليهود عليهم، ومما يخطط اليهود له من نسف لكل الأماكن المقدسة غير اليهودية بالإضافة إلى حرصهم على إبادة الشعوب غير اليهودية، وهذا ما أكده تلمودهم على لسان حاخاماتهم وزعمائهم.

ومع نهاية هذا الفصل الذي وقفنا فيه عند محطات تاريخية عديدة لليهود في هذا العصر الحديث وبعد أن تتبعنا مواقفهم المتطرفة والعنيفة في جذور تاريخهم قبل ذلك، نستطيع أن نسجل ونؤكد على دفائن النفسية اليهودية غير الخافية التي ترجمت عنها المجازر البشرية والمعاملة غير الإنسانية لبني الإنسان من غير جنسهم.

ولا زالوا يصرون على رفع شعار القتل والإرهاب والإبادة الذي نصت عليه التوراة وغذاه التلمود ولوح به قادتهم وزعماؤهم حتى أصبح فلسفة حياتهم اليومية، وذلك كما قال بيجين: "أنا أحارب، إذًا أنا موجود"[(١)].

(١) بيجين، مناحيم (الثورة) والذي ترجمه معين أحمد محمود، وجعله بعنوان (مناحيم بيجين- الإرهاب) يُنظر ص٧٥ وغلاف الكتاب.



الفصل الخامس

العداء اليهودي للإسلام

التصوير القرآني لتطرفهم وعنفهم

- المبحث الأول: عداء اليهود للإسلام عند بداية ظهوره.
- المبحث الثاني: تصوير القرآن لتطرف اليهود في أقوالهم.
- المبحث الثالث: استحقاق اليهود عقاب الله بتطرفهم وعنفهم.



عداء اليهود للإسلام عند بداية ظهوره

المطلب الأول: تآمر اليهود على الإسلام وبث الشكوك فيه

لم تنطفئ نيران التطرف اليهودي منذ أن اشتعلت في فجر تاريخهم، وقد اشتدت هذه النيران عند بداية ظهور الإسلام بنبوة محمد ﷺ، فموقف يهود من محمد ﷺ، لم يكن بدعًا من موقفهم الثابت من الأنبياء الذين لا يوافقون هواهم.

كان اليهود يتوقعون قرب مبعث الرسول محمد ﷺ، فقد بشرهم به أنبياؤهم كما قال لهم عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلامِ.. ﴾ (الصف: ٦- ٧).

كما أن أحبار اليهود كانوا يتحدثون عن نبي يبعث في جزيرة العرب وردت صفاته في كتبهم وتنبؤاتهم، قال ابن إسحاق[١]: "وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا، لما كنا

(١) ابن هشام (السيرة النبوية) تحقيق مصطفى السقا وآخرون، ١ / ٢١١.

نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك، أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس عندنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم؟ فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث الله رسوله ﷺ، أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به، فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به، ففينا وفيهم نزلت هذه الآيات من البقرة: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٨٩).

يقول الدكتور الخالدي: "فلما بعثه الله كانوا أول كافر به - واستدل بالآية السابقة - ثم قال: وحتى يقنعوا أنفسهم بأنهم على حق في كفرهم بالرسول الخاتم ﷺ نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وأخفوا بشارات أنبيائهم به في التوراة والزبور والإنجيل ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ١٠١).

ويتابع بقوله: ويقرر القرآن أن اليهود والنصارى كانوا يعرفون أن محمدًا (عليه الصلاة والسلام) رسول الله معرفة يقينية جازمة قاطعة، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وهي أوثق وأدق أنواع المعارف، ومع ذلك كفروا به وحاربوه[1]. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (البقرة: ١٤٦- ١٤٧).

ويظهر موقف اليهود العدائي والتكذيبي من الإسلام في قصة إسلام عبد الله بن سلام ﷺ إذ يقول: "لما سمعت برسول الله ، وعرفت صفته واسمه وهيئته وزمانه الذي كنا نتوكف له (ننتظره) فكنت بقباء مسرًا بذلك صامتًا عليه، حتى قدم رسول الله المدينة، فلما قدم نزل بقباء في بني عوف فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ، كبَّرتُ. فقالت عمتي لما سمعت تكبيري: لو كنت سمعت

---

(١) الخالدي، الدكتور صلاح عبد الفتاح (الشخصية اليهودية من خلال القرآن) ص١٨٧- ١٨٨.

بموسى بن عمران ما زدت قال: قلت لها: أي عمة، والله هو أخو موسى بن عمران على دينه: بعث بما بعث به، فقالت له: يا ابن أخي: أهو الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس الساعة؟ قلت لها: نعم، قالت: فذاك إذن.

ثم جاء رسولَ الله ﷺ فقال له: أشهد أنك رسول الله، وأنك جئت بحق، وقد علمت يهود أني سيدهم، وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم، فادعهم فسلهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت، فإنهم إن يعلموا أني أسلمت قالوا في ما ليس في.

فأرسل نبي الله ﷺ إلى يهود؛ فدخلوا عليه، فقال لهم: "يا معشر يهود؛ ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقًا، وأني جئتكم بحق فأسلموا"، قالوا: ما نعلمه، قالوا ذلك للنبي ﷺ وقالها ثلاث مرات!! قال فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا، وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا حاشى لله ما كان ليسلم. قال يا ابن سلام: اخرج عليهم، فخرج فقال: يا معشر يهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق، فقالوا: كذبت.

وقالوا: شرنا وابن شرنا، وتنقصوه، فقال ابن سلام: يا رسول الله: هذا الذي كنت أخاف[1]. وعلى الرغم من هذه المعرفة اليقينية قاطعة الدلالة إلا أن اليهود حين ظهر لهم أن هذا النبي من العرب، وليس منهم؛ كشفوا عن كراهيتهم وحقدهم الدفين، وأداروا ظهورهم له، وأخذوا يكيدون لدعوته، فناصبوه العداء وحاربوه، ونظروا إليه وإلى دينه الجديد، وإلى أتباعه نظرة حسد وحقد وضغينة وبغضاء[2]، إذ إنهم - كما يقول الدكتور شبير - يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وأنهم أحق من غيرهم في السيادة والنبوة، وأن مما زاد في حقدهم على الإسلام والمسلمين سرعة انتشار هذا الدين والتفاف الناس حول الرسول ﷺ فأدركوا حينئذ أن هذا الدين سيكون منافسًا خطيرًا لليهودية، ومحطمًا للزعامة الروحية في الجزيرة العربية"[3].

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (البداية والنهاية) ٣/٢١٠- ٢١٢.
(٢) يُنظر: الرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن (حقيقة اليهود) ص٧. والتل، عبد الله (خطر اليهودية العالمية..) ص٣٩- ٤٠.
(٣) شبير، د. محمد عثمان (صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية) ص١٧- ١٨.

وذكر الدكتور الشهابي "أنه منذ أن نزلت أول آية من القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ واليهود يحاربون هذا الدين لإدراكهم أنه سوف يسهم في تكوين هوية حضارية جديدة تطمس شخصيتهم، وتفقدهم مركزهم ومكاسبهم، وتفك قبضتهم عن رقاب العباد، فأخذوا يشككون في صحة نبوءة محمد ﷺ، وفي سلامة العقيدة الإسلامية وفي صلاحية المنهج الإسلامي، سالكين كل ما تتفتق عنه ذهنيتهم الماكرة من أساليب"[1].

وقد اشتدت عداوة اليهود للإسلام؛ حينما رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجًا فأخذوا يكيدون للإسلام والمسلمين، ويدبرون الخطط، ويحيكون المؤامرات ضد الإسلام وأهله، ومن بين مؤامرات اليهود ما ذكره طبّارة في كتابه[2] من قيام بعضهم بمقاطعة المسلمين اقتصاديًا، فامتنعوا عن دفع ما يجب عليهم دفعه من ديون وبيوع وأمانات لمن اعتنق الإسلام، مدّعين أن ما كان لهم من حق إنما كان لهم قبل الإسلام، وأن دخولهم في هذا الدين قد أبطل حقهم فيه قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ (آل عمران: ٧٥).

ويذكر الطبري[3] أن رجالاً من أهل الجاهلية - قبل الإسلام - باعوا يهودًا بضاعة ثم أسلموا، ولما طلبوا من هؤلاء اليهود دفع الثمن، قالوا: ليس علينا أمانة ولا قضاء عندنا؛ لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه، وادعوا أنهم وجدوا ذلك في كتابهم، فقال الله في الآية ﴿ **وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾.

ومن مؤامراتهم على الإسلام: إثارة الشكوك في نفوس المسلمين وزعزعة ثقتهم بالإسلام في محاولة منهم لثني المسلمين عن دينهم، فزعموا أن ما في الإسلام إنما هو تحريف لبعض ما جاء في التوراة، وأن في القرآن تناقضًا، وغير ذلك من شبهات، وقد ذكر القرآن الكريم محاولات اليهود في صد المسلمين عن دينهم بقوله: ﴿ **وَدَّت طَّائِفَةٌ**

(١) الشهابي، د. إبراهيم (استراتيجية القرآن في مواجهة اليهودية العالمية) ص٦٩.
(٢) طبارة، عفيف عبد الفتاح (اليهود في القرآن) ص٢٧- ٢٨.
(٣) الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الطبري) تحقيق محمود محمد شاكر، ٦ / ٥٢٣.

مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ (آل عمران: ٦٩- ٧٠)[1].

ومن مؤامراتهم وحقدهم على الإسلام وأتباعه ما ذكره الدكتور تكروري[2] حين قرر اليهود أن يدخلوا في الإسلام، ثم يخرجوا منه؛ لكي يشككوا الناس فيه فيتخلوا عنه.. وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى - هذا في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (آل عمران: ٧٢). وقد جاء في أسباب نزول هذه الآية أن بعض اليهود تحدثوا فيما بينهم قائلين: "أعطوهم الرضا بدينهم أول النهار واكفروا آخره، فإنه أجدر أن يصدقوكم، ويعلموا أنكم قد رأيتم منه ما تكرهون، وهو أجدر أن يرجعوا عن دينهم"[3].

ويتساءل طبارة عن سبب محاولات اليهود المستمرة في إضلال المسلمين عن دينهم الذين كانوا يعبدون من قبل الأوثان، والوثنية كانت تستهجنها اليهودية بينما الإسلام دين توحيد يقارب اليهودية في التوحيد، فكان الأحرى باليهود أن يؤيدوا الإسلام لا أن يتآمروا عليه هذا التآمر الفاضح - لكن طبارة يجيب بنفسه، من خلال ما استرشده من آيات القرآن التي تفضح سبب مؤامرات اليهود، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ.. ﴾ (البقرة:١٠٩)[4].

فهذه الآية تبين أن الحسد هو سبب حرص اليهود على معاداة المسلمين وإضلالهم، وهنا يقول الدكتور الخالدي:" وبما أن اليهود "مجمع نقائص" و"مجموعة رذائل" فلا بد أن يكون داء الحسد متمكنًا فيهم، مسيطرًا على نفوسهم، موجهًا لحركاتهم... وقد كان هذا الحسد اليهودي هو الذي يحكم نظرتهم للآخرين الذين أنعم الله عليهم، فلا يريدون أن ينعم الله على أحد غيرهم، وهذا الحسد البغيض هو الذي حمل

---

(١) وانظر: طبارة، عفيف عبد الفتاح (اليهود في القرآن) ص٣٠.

(٢) تكروري، نواف هايل (أحكام التعامل السياسي مع اليهود) ص١٨٣.

(٣) الطبري، محمد بن جرير (المرجع نفسه) ٦ / ٥٠٧.

(٤) يُنظر: طبارة، عفيف عبد الفتاح (اليهود في القرآن) ص٣١.

يهودًا على معاداة ومحاربة رسول الله ﷺ ورفض رسالته مع علمهم بأنه رسول الله، وهم يحسدون محمدًا ﷺ على رسالته ونبوته؛ لأنه ليس يهوديًا، ولذلك حاربوه"[1].

ومن مؤامراتهم على الإسلام محاولتهم فتنة النبي محمد ﷺ عن دينه، فقد روى ابن إسحاق[2] أن جمعًا من كبارهم اجتمعوا، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا، لعلنا نفتن محمدًا عن دينه فإنما هو بشر، فأتوه فقالوا له: يا محمد إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعك اليهود، ولم يخالفونا وإنّ بيننا وبين بعض قومنا خصومة أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك، ونصدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، وأنزل الله فيهم ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (المائدة: ٤٩- ٥٠).

ومن مؤامراتهم التي يهدفون من ورائها إلى تشكيك المسلمين في دينهم كان أحبار اليهود يحاولون - بكل قدراتهم واطلاعهم على الكتاب المقدس - أن يحرجوا رسول الله ﷺ وذلك من خلال طرح مجموعة من الأسئلة المعضلة عليه، ظنًا منهم أنه لن يستطيع الإجابة، وبذلك ينفض الناس من حوله، ويحققون أمانيهم في الحيلولة بين هذا الدين وبين أن يملأ قلوب أهل الإيمان، فأخذوا يسألونه، وهو ﷺ يجيبهم حتى ظهرت عداوتهم واضحة لهذا الدين عندما سألوه عن وليّه من الملائكة، وأجابهم بأنه جبريل عليه السلام فقالوا: لو كان وليك سواه من الملائكة لاتَّبعناك وصدّقناك، فقال لهم النبي ﷺ فما يمنعكم من أن تصدّقوه؟ قالوا: إنه عدونا، فكان قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ... ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٩٧ - ١٠١)[3].

(١) الخالدي، صلاح عبد الفتاح (المرجع نفسه) ص٢٠٢. وقارن مع: قطب، سيد(في ظلال القرآن)١٠٢/١.

(٢) ابن هشام (السيرة النبوية) تحقيق مصطفى السقا، ٢ / ٥٦٧.

(٣) انظر تفصيل ذلك: العلي، إبراهيم (عداء اليهود للرسول ﷺ) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثاني، شباط (فبراير)١٩٩٦م السنة الرابعة عشرة، ص٦٠.

فاليهود يعادون جبريل عليه السلام؛ لأنه يطلع محمدًا ﷺ على أسرارهم[1]، ومن مظاهر عداوتهم للإسلام وبث الشكوك فيه مسألة تحويل القبلة التي أغاظتهم، ورأوا فيها ضربة قوية تستهدف مكانتهم الدينية، فاستغلوا هذا الأمر لتشكيك المسلمين في دينهم، وفي هذا يقول دروزة: "إن اليهود رأوا في التحول الجديد ضربة شديدة توجه إلى مكانتهم الدينية، ووسيلتهم إلى الزهو على النبي والمسلمين، فنشطوا إلى الدَّس والحجاج وتشكيك المسلمين، فقالوا: إذا كان الاتجاه إلى بيت المقدس غير حق، فقد أضاع النبي عبادة الذين صلوا إليه، وإذا كان حقًا وصوابًا فلا معنى للتحول عنه، وتكون الصلاة إلى الكعبة ضائعة، وقالوا: إن أفعال النبي، لو كانت مستندة إلى وحي رباني؛ لما نسخ اليوم ما فعله بالأمس، ولما قال اليوم قولاً ثم نقضه في الغد، ولا سيما في الأمور التعبدية"[2].

وقد حاول اليهود ثني النبي ﷺ عن هذا الأمر والرجوع إلى القبلة الأولى، وقد وعدوه باتباعه وتصديقه إن عاد إلى قبلة بيت المقدس، إلا أن الأمر بقي نافذًا لم يتحول، وقد نعت القرآن هؤلاء المعترضين على الرسول بالسفهاء[3] قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: ١٤٢).

وقد استمر اليهود في مواقفهم العدائية والكيدية والمؤذية حرصًا منهم على حبك خيوط المؤامرة الكبرى التي يهدفون من ورائها إلى تقويض دعائم الإسلام وأركانه وصد الناس عن اتباعه، والمتتبع لأحداث الكيد اليهودي زمن النبي محمد ﷺ يجد الكثير من تلك الأحداث التي لا نستطيع أن نحصرها في هذا الموضع، لكن الذي نود تأكيده مع اقتراب نهاية هذا الموضوع هو أن اليهود لم يتوقفوا لحظة واحدة في عدائهم للإسلام وبث الشكوك فيه، وقد وجدوا في مجال النفاق مرتعًا خصبًا لمحاربة الله ورسوله فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا

(١) شبير، محمد عثمان (المرجع السابق) ص١٩.

(٢) دروزة، محمد عزة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) ص٤٨٠. وكتابه أيضًا (القرآن واليهود..) ص٨٩ بتصرف بسيط.

(٣) طبارة، عفيف عبد الفتاح (المرجع نفسه) ص٢٦.

إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (البقرة: ١٤) حيث يروي جمهور المفسرين أن "شياطينهم" تعني: اليهود[١].

ثم إن اليهود لم يتوقفوا عند مرحلة النفاق في عدائهم للإسلام والمسلمين؛ بل ذهبوا إلى أخطر من ذلك، فتآمروا مع المشركين، وتحالفوا معهم في سبيل محاربة النبي محمد ﷺ وأتباعه، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله تعالى: **﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾** (النساء: ٥١- ٥٢).

وقد ذكر المفسرون[٢] في هذه الآية أن وفدًا من اليهود ذهبوا إلى مكة بعد وقعة أُحد؛ ليحزبوا الأحزاب على المسلمين، فلما قدموا قال بعض رجال قريش: هؤلاء أحبار اليهود وأهل العلم بالكتب الأولى فاسألوهم: أدينكم خير أم دين محمد؟ فسألوهم، فقالوا: دينكم خير من دينه، وأنتم أهدى منه وممن تبعه، وقد دعا الوفد زعماء قريش إلى التحالف والزحف على المدينة لاستئصال شأفة المسلمين والنبي، فوافقوا وذهبوا جميعًا إلى الكعبة، وأقسموا عند أصنامها على الوفاء بالعهد، وسجد زعماء اليهود للأصنام تزلفًا لقريش، وقد ذهبوا بعد ذلك إلى قبائل غطفان وغيرها من قبائل العرب المشركين، وتحالفوا معهم على الهدف نفسه، وعلى الرغم من أن أساس دين اليهود هو التوحيد إلا أن الحقد والحسد والعداء للنبي دفعهم إلى الشهادة بأن الشرك خير من التوحيد، وأن المشركين أهدى من المسلمين.

وقد كان من نتيجة رحلة الوفد اليهودي إلى مكة وعقد الحلف مع قبائل المشركين أن زحفوا بجيوش جرارة على المدينة، فكان ما عُرف بوقعة الخندق أو

(١) الطبري، محمد بن جرير (المرجع نفسه) ١ / ٢٧٩، وابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ١ / ٥١. وقطب، سيد (في ظلال القرآن) ٤٥/١.
وللاستزادة في موضوع تآمر اليهود مع المنافقين يراجع: دروزة، محمد عزة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم)، ص ٤٩٥ وما بعدها، وكتابه أيضًا (القرآن واليهود) ص١١٩ وما بعدها. وانظر أيضًا: برانق، محمد أحمد والمحجوب، محمد يوسف (محمد واليهود) ص٤٤ وما بعدها.
(٢) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان) ٨ / ٤٦٧-٤٧١. وابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ٥١٣/١ قطب، سيد (في ظلال القرآن) ٦٨١/٢.

الأحزاب حتى حفر النبي ﷺ وأصحابه حول المدينة الخندق إلا أن الله تعالى كفاهم شرهم ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ (الأحزاب: ٢٥).

ومنذ ذلك الحين، وحرب اليهود مستعرة على المسلمين، فلم تتوقف سهام تطرفهم ولم تنطفئ نيران حقدهم، فهم الذين كانوا من وراء استشهاد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما)، وهم من وراء الحركات المناهضة للإسلام كالقرامطة والباطنية ونحوها، وهم من وراء القضاء على الخلافة الإسلامية في تركيا[١].

والمتتبع لسياق بحثنا يجد أن اليهود أشد الناس فسادًا وحقدًا وظلمًا، وقد ظلوا يكيدون للإسلام والمسلمين إلى أن طعنوا العالم العربي والإسلامي في قلبه "فلسطين" فاتخذوها مركزًا لرسم مؤامراتهم ضد الإسلام والمسلمين، وقد اعترف حكماء اليهود بأن ذَنَب الأفعى اليهودية ثابت في القدس، ورأسها يتحرك في بلدان العالم ينفث السموم، ويواصل لدغاته لكل من يقف في طريق أطماع اليهود إلى أن يتم لها تدمير الشعوب والسيطرة على العالم، عندها يعود الرأس إلى أورشليم ليتربع على عرش العالم[٢].

ويقول شمعون بيرز - أحد رؤساء وزراء الكيان الصهيوني، والوزير في الحكومة الحالية في مهرجان خطابي عام ١٩٧٨: "إنه لا يمكن أن يتحقق السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهرًا سيفه، ولن نطمئن على مستقبلنا، حتى يغمد الإسلام سيفه إلى الأبد"[٣].

بذلك يتبين أن اليهود لن يتوقفوا عن محاربة الإسلام وأهله حتى يردوا المسلمين عن دينهم قال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة: ١٢٠)، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ

(١) شبير، محمد عثمان (المرجع نفسه) ص١٩- ٢٠.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٢٢.
(٣) علي، زياد محمود (عداء اليهود للحركة الإسلامية) ص٤٧.



إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٧)، ولذلك قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (المائدة: ٨٢).

ومما لا شك فيه أن الحديث عن عداء اليهود للإسلام عند بداية ظهوره إلى يومنا هذا، وبث الشكوك فيه أمر يطول، وهو يحتاج إلى سلسلة طويلة من الكتب فضلاً عن أن يكون جزءًا من هذا البحث، فقد استغرق ذكر اليهود وأحوالهم وسلوكهم حيزًا كبيرًا من القرآن الكريم، وهذا يدفعنا للمضي قدمًا في الكشف عن أسرارهم وأحقادهم ومدى خطورتهم، ونكتفي بهذا القدر، وننتقل إلى الحديث عن دورهم في إثارة الفتن والأحقاد وإشعال الحروب في زمن ظهور الإسلام.

المطلب الثاني: إثارة الأحقاد والفتن وإشعال الحروب

لم يستطع اليهود القضاء على دعوة الإسلام، عندما بدا لهم أن النبي عربي، إذ إنهم بذلوا كل ما بوسعهم للحيلولة دون ترسيخ الإيمان بهذا النبي في نفوس الناس، فأنكروا دعوته، وكذبوه، وأثاروا عليه العرب، وحزّبوا عليه الأحزاب، وأثاروا حوله الشبهات، وحاكوا ضده من المؤامرات ما لو وجه إلى غيره لانتهى أمره، ولكنَّ الله تعالى تكفّل بحفظه والدفاع عنه.

وبعد أن رأى اليهود أن خططهم ومؤامراتهم التي تقضي بإنهاء دعوته قبل أن يشتد عودها قد باءت بالإخفاق، بدءوا في إثارة الأحقاد والفتن، وأخذوا يستخفّون بالعهود والمواثيق وينقضونها، ويشعلون الحروب أملاً منهم أن ينهوا الوجود الإسلامي الذي - حسب رؤيتهم - يشكل خطرًا على مكانتهم وهدفهم نحو السيادة المطلقة.

ومن أجل أن يحققوا أغراضهم قاموا باستغلال الأحقاد الدفينة التي كانت تعتلج في نفوس أهل يثرب من الأوس والخزرج قبل الإسلام وأثاروها، وذلك عندما قاد "شاس بن قيس" - وهو من اليهود شديدي الطعن في المسلمين - مؤامرة للتفريق بين القبيلتين،

فقد مر على نفر من الأوس والخزرج بعد أن نزع الإسلام ما بينهم من أحقاد وضغائن؛ فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم، فأمر فتى شابًا من يهود كان معه فقال: اعمد إليهم، واجلس معهم، ثم ذكرهم بيوم بعاث(*) وما قبله من العداوة والخصومة، فأخذ ينشدهم بعض ما قيل في حروبهم من الشعر فحّرك من وجدانهم، وأهاج من عصبيتهم، وما زال بهم حتى تنادوا فيما بينهم: السلاح السلاح، وكاد يقع الصدام، فبلغ ذلك رسول الله ، فخرج إليهم مخاطبًا إياهم: "أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم"[1].

وبهذه الكلمات النبوية أطفأ الله عنهم كيد يهود، وفي هذه الحادثة نزل قول الله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران: ٩٩- ١٠١).

يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها؛ فهذه العقيدة هي صخرة النجاة، وخط الدفاع، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة. وأعداؤها يعرفون هذا جيدًا، ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة، ومن قوة كذلك وعدة. وحين يعجزهم أن يحاربوا هذه العقيدة ظاهرين يدسون لها ماكرين"[2].

وقد جاء التحذير الإلهي: ﴿ إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران، الآية: ١٠٠)، فحريٌّ بالمسلمين أن يحذروا كيد

(*) والمراد بذلك معركة يوم بعاث، يوم اقتتل الأوس والخزرج، وانتصر الأوس. يُنظر: طبارة، عفيف (اليهود في القرآن) ص٢٩.

(١) يُنظر: ابن هشام (السيرة النبوية) المحقق نفسه ٢ / ٥٥٥-٥٥٦، ورضا، محمد رشيد (تفسير المنار)١٥/٤. والغضبان، منير محمد (المنهج الحركي للسيرة النبوية)١/ ٢٢٥. وطبّارة، عفيف (اليهود في القرآن) ص٢٩. وعبد الحميد، د. محسن (موقف اليهود من الإسلام والمسلمين) ص٨-٩.

(٢) قطب، سيد (في ظلال القرآن)١/٤٣٨.



اليهود، ويأخذوا درسًا مما سبق، فلا يجعلوا لأعدائهم سبيلاً إلى شق صفهم والتفريق بينهم..

ولم يكتف اليهود بمحاولة الإيقاع بين المسلمين، وهم خارج دائرة الإسلام؛ فدخلوا الإسلام نفاقًا، واستعانوا بالمنافقين من غيرهم؛ كي يثيروا الفتن بين المسلمين، ويهدموا الإسلام من الداخل دون أن يشعر بهم أحد، فلقد استعانوا بعبد الله بن أبي بن سلول من بني عوف - والذي اجتمعت الأوس والخزرج قبل الإسلام على إعطائه مكان الرياسة فيهم[1]- وقد دخل الإسلام على نفاق وضغن وحقد، وتزعم طائفة من منافقي الأوس والخزرج دخلوا في الإسلام مثله نفاقًا ورياءً، وأسرّوا العداوة والبغضاء للمسلمين في نفوسهم، فاتخذهم اليهود أبواقًا لهم، ومطايا يصلون بها إلى تنفيذ مآربهم والنيل من النبي محمد ﷺ ورسالته[2].

وإذا كان من بُد أن نقدم مثالاً على مواقف المنافقين الذين كانوا محور الحوادث ومصدر القلاقل والمتاعب التي يثيرها اليهود؛ فإننا نقدم موقف رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول حينما قدم رأيه يوم أُحد بالبقاء في المدينة وعدم الخروج للعدو إلا أنه لم يؤخذ برأيه، فلجأ بعد ذلك إلى محاولة التخلص من النبي محمد ﷺ، فانخذل بثلث الجيش عائدًا إلى المدينة مرددًا: "علام نقتل أنفسنا أيها الناس؟"[3].

إن كيد اليهود للإسلام والمسلمين لم يقتصر على تحريض المنافقين، بل لقد تظاهر بعضهم بالإسلام نفاقًا ورياءً، كما صنع زيد بن اللصيت (من بني قينقاع)، وكنانة بن صوريا، وعبد الله بن سبأ، وغيرهم من اليهود الذين تظاهروا بالإسلام، فكانوا سلاحًا ذا حدين: اليهودية والنفاق، وكانوا يحضرون إلى المسجد تحت ستار الإسلام، فيستمعون إلى أحاديث المسلمين، ثم يسخرون ويستهزئون بالإسلام والمسلمين[4].

---

(١) برائق محجوب (محمد واليهود) ص٤٥.
(٢) (المرجع السابق نفسه) ص٤٥- ٤٦.
(٣) الغضبان، منير محمد (المنهج الحركي للسيرة النبوية)١/٢٥٢.
(٤) برانق والمحجوب (المرجع نفسه) ص٥٢. وطنطاوي، د. محمد سيد (بنو إسرائيل في القرآن والسنة)٢/٢٩٧ وما بعدها.

هذا؛ ولم يزل اليهود يتحينون الفرص للنيل من المسلمين بألسنتهم وأيديهم، وقد تجاوزوا الحد إلى العمل على إشعال الحروب، فبدءوا بالاعتداء الفعلي الصريح متجاوزين في ذلك كل العهود والمواثيق التي كان النبي ﷺ قد كتبها لهم منذ دخوله المدينة؛ إذ إنه ﷺ كان قد كتب لليهود عهدًا أمنّهم فيه على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وحرياتهم الدينية، بشرط أن لا يغدروا ولا يخونوا، ولا يعينوا أحدًا على المسلمين، ولا يمدوا يدًا بأذى، لكنهم ما لبثوا أن خالفوا كل ذلك، فامتدت أصابعهم للفتنة، وامتدت أيديهم بأنواع من الأذى للمسلمين، ونقضوا عهودهم ومواثيقهم، وآزروا المشركين على المسلمين، وألبوا القبائل العربية على الرسول ﷺ، وفعلوا ما يوجب القضاء عليهم واستئصال شأفتهم، إلا أن الرسول ﷺ قد تسامح معهم كثيرًا بمقتضى رحمته، وبدافع الرغبة في إمهالهم لعلهم يهتدون إلى الحق[1].

ويذكر د. تكروري أن النبي ﷺ قد عد بعض تصرفاتهم التي خرقوا بها العهود من قبيل التصرفات الفردية، فعاقب المعتدي وحده مع حفظ العهد لغيره، وذلك كما فعل مع كعب بن الأشرف[*]؛ حيث بعث له من يقتله لما شبب بنساء المسلمين، ثم طمأن بقية اليهود لما جاءوه بأنه لهم على العهد ما لم يحصل منهم نقض، وكذلك الأمر بالنسبة لأبي عفك حين آذى المسلمين، وهجا رسول الله ﷺ، وألّب على قتال المسلمين، فقتله سالم بن عمير ﷺ[2].

ومع ذلك، هل توقف اليهود عن اعتداءاتهم الصريحة بحق المسلمين؟ كلا؛ فهم الذين صرفوا قلوبهم عن الحق، ووطنوا أنفسهم على الكفر والغدر ونقض العهود

---

(١) العلي، إبراهيم (أخلاق اليهود في الميزان- نقض العهود والمواثيق) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الخامس، السنة الخامسة عشرة، أيار (مايو)، ١٩٩٧م، ص٤٨-٤٩.

(*) كعب بن الأشرف: أحد زعماء اليهود، وسيد من كبار ساداتهم، أمه يهودية؛ ولذا فإنه يعدُّ يهوديًا عند اليهود، وهو زعيم يهود بني النضير - أقوى وأكبر قبيلة من قبائل اليهود في المدينة المنورة - وكان هذا اليهودي شاعرًا يهجو النبي ﷺ وأصحابه، ويحرض عليهم ويؤذيهم، وكان يشبب بنساء المسلمين فيتعرض في شعره إلى مفاتنهن وأعراضهن وعوراتهن، فأمر الرسول ﷺ بقتله، فقتله أخوه من الرضاعة محمد بن مسلمة ومجموعته. يُنظر: ابن هشام (السيرة النبوية) ٣ / ٥١-٥٧. والزركلي، خير الدين: (الأعلام)٥/٢٢٥. والخالدي، صلاح (مقتل الزعيم اليهودي كعب بن الأشرف) فلسطين المسلمة، العدد الرابع، نيسان (أبريل)، ١٩٩٩م، ص٥٩.

(٢) تكروري، نواف هايل (أحكام التعامل السياسي مع اليهود) ص١٨٤-١٨٥. وقارن مع ابن هشام (السيرة النبوية). ٤/ ٦٣٥-٦٣٦.

والمواثيق وإشعال الحروب، وقد قاموا بسلسلة اعتداءات صارخة ضد المسلمين، ومن بعض هذه الاعتداءات ما يأتي:

ا " اءيهود بني "." ع على المرأة العر.. " المسلمة:

فقد جاء في السيرة النبوية لابن هشام[1]: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها فباعته في سوقهم (سوق بني قينقاع)، وجلست إلى صائغ منهم، فجعل بعضهم يراودونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده بظهرها، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا منها، فصاحت؛ فوثب رجل من المسلمين فقتل الصائغ، فشد اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهله المسلمين، فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

يقول الدكتور محسن عبد الحميد: "وكان بنو قينقاع بذلك أول يهود نقضوا العهد مع رسول الله ﷺ"[2] ويذكر ابن هشام في السيرة أن النبي حاصرهم حتى نزلوا على حكمه، وكانوا حلفاء الخزرج، فتصدى عبد الله بن أبي ابن سلول الخزرجي - كبير المنافقين - للنبي قائلاً له: أحسن في موالي يا محمد؛ فما زال يلح بأمرهم حتى وهبهم له على أن يخرجوا من يثرب، وسمح لهم بأخذ أموالهم وأثقالهم وخفيف سلاحهم، فخرجوا إلى أذرعات الشام جزاء خيانتهم واعتدائهم[3].

وكانت هذه الحادثة بعد بدر بثلاثة أشهر، ومع هذه الخلاصة التي ذكرناها، فإن الروايات ذكرت أيضًا أن النبي استشعر من بني قينقاع الغيظ من نصر المسلمين في بدر؛ فجمعهم وحذرهم فكان جوابهم وقحًا؛ إذ قالوا له: "لا يغرنك ما نلت، فإنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة، وإنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس"[4].

---

(١) ابن هشام (السيرة النبوية) ٣ / ٤٨، وقارن دروزة، محمد عزة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم) ص٥٠٢. وطعيمة، صابر (اليهود في موكب التاريخ) ص٣٦٩.

(٢) عبد الحميد، محسن (موقف اليهود من الإسلام والمسلمين) ص١٠.

(٣) ابن هشام (المرجع نفسه) ٣ / ٤٨، وقارن: دروزة، محمد عزة (المرجع نفسه) ص٥٠٧.

(٤) يُنظر: دروزة، محمد عزة (تاريخ بني إسرائيل) ص٥٠٧. وقارن مع: طعيمة، صابر اليهود في موكب التاريخ ص٣٦٧. والغضبان، منير محمد (المرجع نفسه) ١/٢٨٤. وطبارة، عفيف (المرجع نفسه) ص٧٥.

مؤامرة يهود بني النضير لقتل الرسول ﷺ:

وجاء دور بني النضير بعد بني قينقاع، إذ أحس النبي ﷺ أن يهود بني النضير يتآمرون لقتله، وكان ذلك - كما يروي أهل الأخبار والسير[1] - عندما ذهب رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر قتلهما أحد أتباعه، وهو عمرو بن أمية الضمري؛ ليدفعها إلى أهلهما بموجب العهد الذي بينه وبينهم، فقالوا له: نفعل، اجلس حتى نطعمك. ورسول الله ﷺ مستند إلى جنب جدار من بيوتهم، فخلى بعضهم إلى بعض، وأشار عليهم حيي بن أخطب[*] أن يطرحوا عليه صخرة من فوق البيت الذي هو تحته فيقتلوه، فجاء الوحي إلى رسول الله بما همّوا به، فنهض ﷺ سريعًا كأنه يريد حاجة، ومضى إلى المدينة، ولحق به أصحابه ﷺ، وقرر إجلاءهم عن مواضعهم قبل ظهور فتنتهم، وتم إخراجهم. فبعضهم رحل إلى خيبر - معقل اليهود - وآخرون إلى ديار الشام[2].

يقول منير الغضبان: "السجية اليهودية طغت عليهم، فدأبهم في تاريخهم نقض العهد وقتل الأنبياء ونكث المواثيق وخفر الذمم. فوجدوها فرصة سانحة لقتل الرسول محمد ﷺ وهو بين ظهرانيهم، ولو كان الأمر اندفاعًا أعمى من جندي متحمس لهان الأمر لكن رئيسهم (حيي بن أخطب) هو صاحب الفكرة، وهو صاحب الاقتراح، فالتمالؤ متوفر من القيادة العليا عندهم، وأقره عليها أزلامه وزبانيته، كما رأينا التمالؤ من قبل في بني قينقاع.. لقد قتلوا يحيى وزكريا، وهما من أنبيائهم من بني إسرائيل، فكيف لا يقتلون محمدًا وقد نزع منهم النبوة والملك وهو من بني إسماعيل؟"[3].

(١) ابن سعد (طبقات بن سعد) ٢/ ٥٧، وابن هشام (السيرة النبوية) ٣ / ١٩٠، وقارن: سعد الدين، ليلى حسن (مقارنة الأديان - ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) ص١٥٦ وما بعدها.

(*) حييّ بن أخطب: تولى زعامة يهود بني النضير بعد مقتل زعيمهم كعب بن الأشرف، ومارس حيي بن أخطب دوره في العداوة والكيد لرسول الله ﷺ والمسلمين، ويعد حيي بن أخطب أحد كبار أحبار اليهود، وعنده علم بكتاب التوراة، وينعت بسيد الحاضر والبادي. أسره المسلمون يوم قريظة، ثم قتلوه. يُنظر: الزركلي، خير الدين (الإعلام) ٢٩٢/٢. والخالدي، صلاح (حيي بن أخطب زعيم الحقد اليهودي) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الحادي عشر- تشرين ثاني (نوفمبر)، ١٩٩٩م، ص٦٠.

(٢) الغضبان، منير محمد (المرجع نفسه) ٢٨٨/١. وطبارة، عفيف (المرجع نفسه) ص٧٦. وعبد الحميد، د. محسن (موقف اليهود من الإسلام والمسلمين) ص١٠.

(٣) الغضبان، منير محمد (المرجع نفسه)٢٨٩/١.



ا يهود بني قر ٬ ٬ م والمسلمين:

فقد علمنا أن النبي ٬ أجلى يهود بني النضير، فساروا إلى خيبر، فكان الدور الخطير لزعيمهم حيي بن أخطب؛ حيث عاد إلى مكة يشعل نار الحرب على الإسلام فيها محرضًا أهل مكة لغزو المدينة، وكان معه مجموعة من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وغيره، فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدًا، جئنا لنحالفكم على عداوته وقتاله، فنشطت قريش لذلك وتذكروا أحقادهم ببدر، ثم ألب اليهود قبيلة غطفان. ونجح زعماء يهود بني النضير في جمع شمل خصوم الرسول ٬ في محاولة مشتركة لمحاربته، وأقبلت جموعهم لقتال رسول الله ٬ وأصحابه في يثرب[1].

يقول الغضبان: "وكان خروج بني النضير بأحقادهم وذلهم دافعًا لهم إلى تغيير الحلف الذي نقضوه ليكون حلفهم الجديد مع عدو محمد ٬ الأول قريش، وقد استطاعوا بنشاطهم السياسي أن يؤلبوا معظم العرب على حرب رسول الله ٬ ٬"[2].

ولما وصل خبر الأحزاب إلى المسلمين حفروا الخندق حول المدينة عملاً بنصيحة سلمان الفارسي ﷺ، فكان الخندق خط الدفاع الذي يفصل بين الجبهتين، زيادة على حصون يهود بني قريظة الذين كان بينهم وبين المسلمين عهد بعدم الاعتداء إلا أن حيي بن أخطب أخذ يحرض اليهود على نقض المعاهدة حتى نقضوها، فهم كما يقول الغضبان - وافون بالعهود طالما أنهم ضعاف أذلة، وهم ناكثون للعهد حين يجدون الفرصة مواتية للانقضاض، لقد كانوا يقولون: من محمد؟ لا عهد بيننا وبين محمد"[3].

ولقد شعر المسلمون بالخوف والفزع إلا أن الله تعالى رد كيد الكافرين، وكفى المؤمنين القتال؛ حيث بعث النبي ٬ نعيم بن مسعود ﷺ إلى قريظة؛ ليخذل عن

---

(1) ابن هشام (السيرة النبوية) ٣ / ٢١٤-٢١٥.

(2) الغضبان، منير محمد (المرجع نفسه)١/٢٩٦.

(3) (المرجع السابق نفسه) ١/ ٣٠٠.



المسلمين، واستطاع ﷺ أن يفرق جموع الأحزاب بما بثه من شقاق بينهم، وقد بعث الله عليهم ريحًا شديدة تكفأ قدورهم، فتخيلوا أن المسلمين سينقضون عليهم في هذا الوقت فأشار أبو سفيان بالارتحال فارتحلوا، ولم يبق أحد[1].

وحيث إن اليهود نقضوا عهدهم، فقد أمر النبي ﷺ بمحاصرتهم، فأسرع المسلمون وضربوا عليهم حصارًا حتى استسلموا، ونزلوا عند حكم رسول الله ؛ حيث حكم فيهم سعد بن معاذ ﷺ بأن يقتل الرجال، وتقسّم الأموال، وتسبى الذراري والنساء. وقد نجا من ذلك اليوم أربعة من اليهود؛ لأنهم اعتنقوا الإسلام، وضربت رقاب البقية، وكانوا نحوًا من سبع مئة[2]، وهكذا انتهت اليهودية في المدينة على تلك المراحل المتلاحقة، حيث تلقى كل فريق جزاءه من جنس عمله، فكانت نهاية بني قينقاع بعد بدر!! وكانت نهاية بني النضير بعد أحد!! وكانت نهاية بني قريظة بعد الخندق، وكانت نهايتهم أسوأ النهايات؛ لأن غدرهم - كما رأينا - كان أعظم الغدر ومؤامرتهم في عداء الإسلام من أشد المؤامرات التي تهدف إلى استئصال المسلمين، فحدث أن رد الله كيدهم إلى نحرهم.

يقول الدكتور محسن عبد الحميد: "ولم يترك اليهود التآمر المستمر على الإسلام ورسوله والمسلمين، فقد تجمعت فلولهم في خيبر واتخذوها وكرًا للدسائس والمؤامرات، وبدءوا يتصلون بقريش يدفعونهم لتجميع أمرهم لحرب المسلمين، فباغتهم الرسول الكريم ودعاهم إلى الإسلام، فرفضوا؛ ففتح حصونهم حصنًا حصنًا، ثم صالحهم، وأعطى خيبر لأهلها على أن لهم الشطر من كل زرع ومن كل تمر ما بدا لرسول الله أن يقرهم"[3]، وعلى الرغم من كل ذلك فإن الحقد والعداء اليهودي المتأصل في نفوسهم لم يتوقف، ولن يتوقف حتى في قلوب نسائهم.

(١) ابن هشام (السيرة النبوية) ٣/ ٢٢٩-٢٣٢، وقارن: سعد الدين، ليلى حسن (مقارنة الأديان -ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) ص١٦٣.

(٢) ابن هشام (المرجع نفسه) ٣/ ٢٣٥ وما بعدها، وقارن: سعد الدين، ليلى حسن (المرجع نفسه) ص١٦٧-١٦٨.

(٣) عبد الحميد، د. محسن (موقف اليهود من الإسلام والمسلمين) ص١٢.

وهنا تقول الدكتورة ليلى سعد الدين[1]: "والغدر اليهودي النسوي لا يقل شراسة عن غدر الرجال منهم، فالنفوس واحدة، والطبائع المنحرفة هي ذاتها، والقلوب الغلف هي التي وصف بها اليهود جميعًا في ثوراتهم دون استثناء إلى غير ذلك..

ثم ذكرت قصة الشاة المسمومة، وليس من المسلمين من يجهل ما دبرته للرسول ﷺ من غدر زينب بنت الحارث - امرأة سلام بن مشكم، أحد زعمائهم - فقد دخلت زينب هذه على الرسول ﷺ وهو مطمئن بعد أن استسلم اليهود لمصيرهم.. فأهدت إليه شاة مسمومة، وكانت قد سألت بعض أصحابه: أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ، فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ منها رسول الله ﷺ، فأما بشر فساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: قلت إن كان ملكًا استرحنا منه، وإن كان نبيًا سيُخبر، فعفا عنها ، ومات بشر من أكلته التي أكل"[2]، وقد استمر عداء اليهود للإسلام وأهله بعد وفاة الرسول .

فقد كانوا من وراء استشهاد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان (رضي الله عنهما)؛ حيث يقول الدكتور محسن عبد الحميد: "ظهر اشتراك اليهود في مقتل عمر بن الخطاب ﷺ في ادعاء كعب الأحبار بعلم قتله وإخباره الخليفة بذلك بعد يوم واحد من تهديد أبي لؤلؤة المجوسي لعمر، عندما قال له: "لأن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب"، يقول الطبري: فلما كان من الغد جاءه كعب الأحبار، فقال له: يا أمير المؤمنين؛ أعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال: أجده في كتاب الله العزيز التوراة. قال عمر: الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟ قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك، وأنه قد فنى أجلك"[3].

(١) سعد الدين، د. ليلى حسن (أديان مقارنة – ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) ص١٨٠.
(٢) ابن هشام (السيرة النبوية) ٣٣٧/٢-٣٣٨. وقارن: سعد الدين، ليلى حسن (المرجع نفسه) ص١٨٠.
(٣) الطبري، الإمام محمد بن جرير (تاريخ الطبري) ١٢/٥ وعبد الحميد، د. محسن (موقف اليهود من الإسلام والمسلمين) ص١٣-١٤.

أما عثمان بن عفان - خليفة المسلمين الثالث - ﷺ، فقد سعى في قتله أيضًا اليهود، وذلك من خلال اليهودي عبد الله بن سبأ(*)، الذي حرَّك الفتن بين المسلمين، وهنا يذكر الدكتور محسن عبد الحميد "أن المؤامرة اليهودية الكبرى المنظمة بدأت بظهور عبد الله بن سبأ الذي كان يهوديًا من اليمن فأسلم، وبدأ يتنقل في الحجاز، ثم البصرة فالكوفة، والشام ومصر هو ودعاته يفترون على عثمان ﷺ، ويؤلبون الناس عليه، ويشككونهم في سياساته وقراراته يتصلون في كل مكان بالثائرين، والمغامرين والغوغاء متسربلين بحق بعض آل البيت في الخلافة والدعوة إليه"[١].

ويذكر الدكتور محسن أيضًا أن عبد الله بن سبأ اتصل بكل الناقمين على عثمان ﷺ وربط بينهم جميعًا عن طريق أعوانه في كل بلد إلى موسم الحج، وهنالك تآمروا على قتل عثمان بن عفان، بعد أن حاصروه مدة اثنين وعشرين يومًا، فلما قام جمع من الصحابة يدافعون عنه منعهم الخليفة المظلوم من ذلك؛ حتى لا يسفك دماء المسلمين بسببه[٢]، وقد استمر عبد الله بن سبأ وكل المتعاونين معه في إثارة الفتن ونشر الأفكار الهدامة التي تنال من عقيدة المسلمين، وقد استطاعوا أن يؤسسوا في المجتمع حركات سرية باطنية من أجل إحداث ثورات وحركات ارتدادية مستمرة مثل حركة اليهودي المشهور "بيان بن سمعان" الذي أعلن ألوهية علي بن أبي طالب ﷺ، ثم زعم أن الجزء الإلهي الذي كان في علي انتقل إليه بنوع من التناسخ؛ لذلك فهو يزعم بأنه المشار إليه في القرآن الكريم ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣٨)، فصار جديرًا بأن ينسخ شريعة محمد ﷺ[٣].

لا شك أن حقد اليهود علينا وعداءهم لنا عميق في قلوبهم، ومتمكن منها، ومسيطر عليها، وأن هذا العداء هو الموجه لحركاتهم وتصرفاتهم، وهو المشعل نيران

(*) عبد الله بن سبأ: يهودي يمني، كان يعرف بابن السوداء، خرج إلى البصرة متظاهرًا بإعلان إسلامه، كان وراء مقتل عثمان ﷺ، وهو رأس الطائفة السبأية. قال ابن حجر: ابن سبأ من غلاة الزنادقة، أحسب أن عليًا حرقه بالنار، يُنظر: الزركلي، خير الدين (الأعلام) ٨٨/٤ وتكروري، نواف هايل (أحكام التعامل السياسي مع اليهود) ص١٨٦.

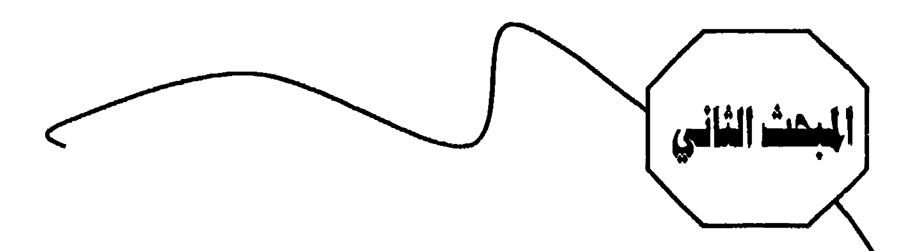
(١) عبد الحميد، محسن (موقف اليهود من الإسلام والمسلمين) ص١٤.

(٢) (المرجع السابق نفسه) ص١٤.

(٣) عبد الحميد، محسن (المرجع نفسه) ص١٦. وفي هذا الكتاب بيان مختصر مفيد لدور اليهود في الحركات الباطنية الهدامة يمكن الرجوع إليه والاستفادة منه لمن إراد الاستزادة.

الحرب بيننا وبينهم، وأن نيران تطرفهم لم تنطفئ ما داموا أحياء، وهذا ما أكده لنا تاريخهم الطويل، الحافل بملاحم التطرف والعنف، فما علينا إلا أن نفهم حقيقة هذا التاريخ المأساوي الطويل لليهود الذي ازدحم بالمجازر البشرية، وتشويه الحقائق، وخيانة الجوار، ونكران الجميل، وإثارة الفتن والأحقاد، ومواصلة التآمر، واغتصاب البلاد..

إن فهمنا لهذه الحقائق يدعونا إلى أن لا نركن إليهم، وأن لا نأمن مكرهم وغدرهم المتأصل في نفوسهم، وأن لا نؤمن إلا بما آمن به الرسول ﷺ في تعامله معهم بعد تجاربه العديدة معهم كما مر بنا قبل قليل، ثم إن الكلمة الفصل في نهاية المطاف، وإلى يوم القيامة هي أن نتعامل معهم وفق قاعدة القرآن الكريم: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ (المائدة: ٨٢)، وستبقى عداوتهم للمسلمين منذ إسماعيل وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد أكد القرآن عداوتهم للإسلام والمسلمين، ثم بيّن صورًا عديدة من تطرفهم وعنفهم في آيات تتلى إلى قيام الساعة، وهو ما سنبينه في الجزء القادم، إن شاء الله تعالى..



تصوير القرآن لتطرف اليهود في أقوالهم

المطلب الأول: تطرفهم في أن ذنوبهم مغفورة والنار لن تصيبهم والجنة لهم

من الملاحظ أن التطرف اليهودي يطفو على كل شيء لليهود، فقد برز التطرف في مختلف شؤون حياتهم، وهم من شدة تطرفهم يجعلون أنفسهم شعب الله المختار، وهم حين يضعون أنفسهم في هذه المكانة إنما ليصرفوا الأنظار عن فسادهم وموبقاتهم، ولكي يخدعوا الآخرين من الغافلين، فيتعاملون معهم على هذا الأساس، ثم إنهم تحت هذا الستار يستطيعون أن يسوغوا كل ذنوبهم ومنكراتهم كلها، فمهما فعلوا من ذنوب، ومهما ارتكبوا من موبقات، فإن ذنوبهم مغفورة؛ لأنهم الشعب المختار - حسب زعمهم - وبناءً عليه فإن النار لن تمسهم، ولذلك سيكون مأواهم الجنة بعد ذلك وهي - حسب زعمهم - لن تكون لأحد غيرهم. إنها الأنانية اليهودية، والنفسية المريضة التي تريد أن يكون كل شيء لها وحدها فقط!! ويأتي القرآن ليؤكد على تطرف اليهود وأنانيتهم، ثم يفضح مزاعمهم هذه ويكشف عن زيفها.

زعمهم أن ذنوبهم مغفورة:

ففي معرض تطرف اليهود حين يزعمون أن ذنوبهم مغفورة يحكي القرآن الكريم زعمهم الباطل هذا، ويرد عليهم بما يدحضه فقال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ



وَرِثُوا الكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٩).

والمعنى: "فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ"، أي: من بعد قوم موسى الذين وصفهم الله في الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٨). خلف سوء، وكانت من صفة هذا الخلف أنهم ورثوا الكتاب ودرسوه وتعلموه، وهو التوراة، فوقفوا على ما في التوراة من تحليل وتحريم وأمر ونهي.. ولكنهم لم يتكيفوا به، ولم تتأثر به قلوبهم، بل خالفوا أحكامه، واستحلوا محارمه مع علمهم بها، وكلما رأوا عرضًا من أعراض الحياة الدنيا تهافتوا عليه، وتقبلوا المال الحرام بشراهة نفس، ثم تراهم يقولون ويؤوّلون وهم واغلون في المعاصي ومصرون على الذنوب: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا ولا يؤاخذنا بما أكلنا من أموال[1].

وهكذا كلما عرض لهم من أعراض الدنيا جديد تهافتوا عليه من جديد. فهم مصرون على ذنوبهم، فليسوا بأهل توبة أو إنابة؛ بل معرضون عن شريعة الله التي أنزلها عليهم في التوراة، وحالهم أنهم إن وقع لهم عرض حرام آخر مثل الذي أخذوه أولاً بالباطل استحلوه وأكلوه، وفي هذا يقول مجاهد ﷺ: "لا يشرف لهم شيء من متاع الدنيا إلا أخذوه حلالاً كان أم حرامًا.. ويقولون: سيُغفر لنا، وإن يجدوا عرضًا مثله يأخذوه"[2].

ويذكر ابن كثير- رحمه الله - "أن بني إسرائيل كانوا لا يستقضون قاضيًا إلا ارتشى في الحكم، وأن خيارهم اجتمعوا، فأخذ بعضهم على بعض العهود ألاّ يفعلوا ولا يرتشوا، فجعل الرجل منهم إذا استقضى ارتشى، فيقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول: سيغفر لي، فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع، فإذا مات أو نُزِع جُعل مكانه رجل ممن كانوا يطعنون عليه قبل الرشوة"[3].

---

(١) الزمخشري، محمود بن عمر (الكشاف) ٢ / ١٧٣-١٧٤ وقطب، سيد (في ظلال القرآن) ٣/ ١٢٨٧.
(٢) الطبري (جامع البيان) ٣ / ٢١٢.
(٣) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (تفسير القرآن العظيم) ٢/ ٢٦٠.

ثم يستنكر الله تعالى زعمهم بقولهم (سيغفر لنا) وهم مصرون على ذنوبهم، فقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾ يقول سيد قطب: "ألم يؤخذ عليهم ميثاق الله في الكتاب ألا يتأولوا ولا يحتالوا على النصوص، وألا يخبروا عن الله إلا بالحق.. فما بالهم يقولون: "سيغفر لنا" ويتهافتون على أعراض الحياة الدنيا؟ ويبررون لأنفسهم هذا بالتقول على الله، وتأكيد غفرانه لهم، وهم يعلمون أن الله إنما يغفر لمن يتوبون حقًا، ويقلعون عن المعصية فعلاً، وليس هذا حالهم، فهم يعودون كلما رأوا عرضًا من أعراض الحياة الدنيا، وهم درسوا هذا الكتاب وعرفوا ما فيه.. لكن الدراسة لا تجدي ما لم تخالط القلوب. وكم من دارسين للدين وقلوبهم عنه بعيدة. إنما يدرسونه ليتأولوا ويحتالوا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويجدوا المخارج للفتاوى المغرضة التي تنيلهم عرض الحياة الدنيا"[1].

ثم بين الله لهم أن ما أعده في الآخرة للمتقين الذين يتعففون عن السحت وعن أكل أموال الناس بالباطل خير من متاع الدنيا الذي آثره هؤلاء الذين يفترون على الله الكذب فقال تعالى: ﴿ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ فما أعده الله فيها من نعيم للمتقين خير من عرض هذا الأدنى الذي استحله هؤلاء اليهود بدون حق ﴿ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ يا من أكلتم أموال الناس بالباطل وقلتم: سيغفر الله لنا ذنوبنا[2].

يقول طنطاوي: "وفي هذا إشارة إلى أن الطمع في متاع الحياة الدنيا هو الذي جعل بني إسرائيل يقولون على الله غير الحق، ويتشبعون من المال الحرام بدون تعفف ويبيعون دينهم بدنياهم"[3].

وبذلك ينكشف زيف ادعاء اليهود بأن ذنوبهم مغفورة مع تعمدهم ارتكاب الموبقات وفعل المحرمات، وقد أكد القرآن الكريم أن من يعمل عملاً سيئًا يجز به

(١) قطب، سيد (في ظلال القرآن) ١٣٨٧/٣.
(٢) طنطاوي، سيد (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ٢٦١/٢.
(٣) طنطاوي، سيد (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ٢٦١/٢.

ولا يجد له من دون الله من يعينه أو ينصره، ومن يعمل عملاً صالحًا وهو مؤمن فله الجنة، وليس ذلك بالتمني من المسلمين أو من أهل الكتاب قال تعالى: ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًا وَلاَ نَصِيرًا وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٣- ١٢٤).

التطرف اليهود في أن ا ٍ ر لن تمسهم إلا أيامًا ودة:

فمن تطرفهم زعمهم أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودة، وهذا - كما أسلفنا - من قبيل الغرور والأنانية، واعتقادهم أنهم شعب الله المختار، فإذا حاسب الله تعالى محبيه ومختاريه على خطاياهم، فبمقدار ما يحاسب الوالد أعز أولاده عنده وأحبهم إليه؛ فلا يقسو عليه. هكذا يزعم اليهود!!

وقد سجل القرآن الكريم زعمهم هذا في موضعين، فقال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٨٠- ٨١).

وفي سبب نزول هذه الآيات يذكر ابن كثير - رحمه الله - ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "إن اليهود كانوا يقولون: إن هذه الدنيا سبعة آلاف سنة، وإنما نعذب بكل ألف سنة يومًا في النار، وإنما هي سبعة أيام معدودة، فأنزل الله تعالى: "وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا"...الآيات[١].

ومما جاء أيضًا في سبب نزول هذه الآيات أن اليهود قالوا: لن تمسنا النار إلا أربعين ليلة، وهي مدة عبادتهم العجل، وأنه بعد ذلك - كما يزعمون - سيخلفهم قوم آخرون، ويعنون بذلك محمدًا ﷺ وأصحابه"[٢].

---

(١) ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ١ / ١١٨. والزمخشري، محمود بن عمر (الكشاف) ١ / ١٥٨.
(٢) ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ١/ ١١٨. ورضا، محمد رشيد (تفسير المنار) ٣٦٢/١.

والذي عليه أكثر اليهود أنها سبعة أيام بناء على عمر الدنيا الذي هو عندهم سبعة آلاف سنة، فاليهودي الذي لا تدركه الشفاعة يمكث في النار سبعة أيام عن كل ألف سنة يوم[1].

إن ما ذهب إليه اليهود إنما ينم عن غرورهم وكذبهم وافترائهم على الله تعالى، وقد أبطل القرآن الكريم زعمهم حيث أمر الله تعالى رسوله بأن يرد عليهم، فقال تعالى: ﴿ **قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ فالله تعالى يستنكر قولهم؛ لأن ذلك لا يكون إلا لمن اتخذ عهدًا من الله، فهل تقدم لهم من الله عهد بذلك، أم أنهم يقولون على الله ما لا يعلمون؟!

وما دام أن العهد لم يحصل؛ فاليهود إذن كاذبون مفترون، لأن العلم بذلك لا يكون إلا بوحي، والله تعالى لم يخبر رسوله بذلك، ثم إنه لا يوجد عندهم نص صريح يؤيد زعمهم، إذ لو كان عندهم - ولن يكون - لقدموه، ولذلك يقدم القرآن القاعدة الربانية العادلة في الحساب وتقدير الجزاء، والتي لا تخرج عنها أمة، ولا ينجو منها بشر فكل من كسب سيئة فإنه مؤاخذ بها إلا إذا تاب وأناب وأصلح، وقبل الله توبته، فجاء قوله تعالى: ﴿ **بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً** ﴾ ... الآيات[2].

وقد بيّن موضع آخر في القرآن الكريم أن اليهود رفضوا التحاكم إلى كتاب الله تعالى، وأعرضوا عنه واختاروا أن يبقوا على ما هم عليه حتى لو كان باطلاً، ورضاهم بما يفعلونه من الذنوب والآثام، والسبب في ذلك هو اعتقادهم الباطل أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات. قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ** ﴾ (آل عمران: ٢٣- ٢٤).

(١) الرازي، فخر الدين (التفسير الكبير- مفاتيح الغيب) ١٤١/٣. ورضا، محمد رشيد (تفسير المنار) ٣٦٢/١.

(٢) الرازي (التفسير الكبير - مفاتيح الغيب) ٣ / ١٤٢-١٤٤ ورضا، محمد رشيد (تفسير المنار) ٣٦٢/١. والخالدي، صلاح (الشخصية اليهودية) ص١٣٦-١٣٧.

وقد ذكر الإمام الطبري - رحمه الله - في تفسيره "أن اليهود في عهد رسول الله محمد ﷺ دعوا إلى كتاب الله الذي كانوا يقرّون به أنه من عند الله، وهو التوراة؛ ليحكم بينهم في بعض ما تنازعوا فيه مع رسول الله ﷺ، فامتنعوا عن الإجابة إليه. ويذكر الطبري أن الذي تنازعوا فيه يجوز أن يكون في أمر النبي ﷺ وأمر نبوته، ويجوز أن يكون في أمر إبراهيم الخليل عليه السلام، فإن كل ذلك قد نازعوا فيه الرسول ﷺ فدعاهم الرسول ﷺ إلى حكم التوراة فأبوا وامتنعوا"[1].

والسبب في امتناعهم ما زعموه من أن النار لن تمسهم إلا أيامًا معدودات، وما اغتروا به في دينهم كذبًا وافتراءً من أن آباءهم سيشفعون لهم يوم القيامة. وقولهم هذا هو نوع من غرورهم واستخفافهم بوعيد الله، ومن استخف بوعيد الله زالت حرمة الدين من نفسه، وأقدم على ارتكاب السيئات بلا مبالاة[2].

وقد أبطل القرآن مزاعمهم المتطرفة؛ حيث إنهم سيُفاجؤون يوم القيامة بفساد تصوراتهم وعقاب الله على أقوالهم وأعمالهم، فقال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (آل عمران: ٢٥)، وبذلك تكون الآيات قد أبطلت أقوالهم المتطرفة وردت على غرورهم بما يلجم أفواههم.

التطر اليهودي في أن الجنة لهم و هم:

من المزاعم المتطرفة التي تصور أنانية اليهود وطمعهم أنهم يعدون الجنة وقفا عليهم، فيحتكرون كل النعم وكل الخير، فيقصرون ذلك عليهم وحدهم! فالجنة التي أعدها الله لعباده المؤمنين المتقين لم تسلم من أنانيتهم واحتكارهم، فمنعوا الآخرين من دخولها بزعمهم المتطرف الباطل.

وقد حكى القرآن هذا الزعم اليهودي المتطرف، ثم أبطله ونقضه، فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا

---

(١) الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان في تفسير القرآن) ٦ / ٢٩٠-٢٩١.

(٢) طنطاوي، محمد سيد (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ٢/ ٢٠٢. وقارن : الخالدي، صلاح (الشخصية اليهودية) ص١٣٧.

بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة: ١١١-١١٢).

يقول الدكتور الخالدي: "هذه المزاعم أماني يهودية وأحلام وخيالات لا حقيقية لها، ورغبات ولّدتها النفسية اليهودية المريضة، وكانت نتاج الأنانية اليهودية الاحتكارية البغيضة، ولكنها مع ذلك لا تخرج عن كونها أماني وخيالات لن تتحقق يوم القيامة"[1].

نعم إنها لا تخرج عن كونها أمانيًا وأحلامًا سولتها لهم أنفسهم التي تربع عليها الشيطان بعد أن تغلغل فيها، فخدعها بالأباطيل والمزاعم والأكاذيب.

فالقرآن في معرض فضح ادعاءات اليهود يطالبهم بتقديم البراهين والأدلة على أقوالهم ومزاعمهم المتطرفة.. وأنّى لهم ذلك والله تعالى يقول: ﴿ **قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ وهي مطالبة من الله تعالى لهم على سبيل تكذيبهم في دعواهم؛ لأنهم لن يقدروا على إثبات مزاعمهم، ولن يكونوا قادرين على إحضار برهان[2].

ثم إن القرآن الكريم قد أبطل مزاعمهم تلك بالقاعدة الربانية العادلة، وذلك حين رتب دخول الجنة على الإيمان والعمل الصالح بلا محاباة لأمة أو جنس أو طائفة، فقال تعالى: ﴿ **بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ فليس الحق فيما زعمه كل من اليهود والنصارى، وإنما الحق أن كل من أخلص نفسه لله، وقدم العمل الصالح، فإنه يدخل الجنة.

وقد ذكر الإمام ابن كثير[3] - رحمه الله - أن العمل إن لم يكن صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ لم يُتقبل حتى وإن كان خالصًا، فعمل الرهبان ومن شابههم، وإن فرض أنهم مخلصون فيه لله، فإنه لا يتقبل منهم حتى يكون ذلك متابعًا للرسول ﷺ المبعوث إليهم وإلى الناس كافة، وفيهم وفي أمثالهم، قال الله تعالى: ﴿ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا)** ﴾ (الفرقان: ٢٣)، وأما إن كان العمل موافقًا للشريعة في الصورة الظاهرة، ولكن لم يخلص عامله القصد لله فهو أيضًا مردود على

(١) الخالدي، صلاح (المرجع نفسه) ص١٣٨.
(٢) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان في تفسير القرآن) ٢/ ٥١٠.
(٣) ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ١/ ١٥٤.

فاعله، وهذا حال المرائين والمنافقين، ولهذا قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف: ١١٠).

وعلى ذلك فإن الجنة لا تكون مقصورة على قوم دون آخرين، وإنما هي لكل من أخلص وأسلم وجهه لله وهو محسن. وقد فند القرآن الكريم مزاعمهم تلك بقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:٩٤ - ٩٦).

ومما جاء في معنى الآيات أن الله تعالى يقول لمحمد ﷺ: قل لليهود: إن كانت الجنة خاصة بكم ولا منازع لكم فيها، ولا مزاحم كما تزعمون؛ فتمنوا الموت بألسنتكم؛ لكي تظفروا بنعيمها الدائم إن كنتم صادقين في دعواكم أنها خالصة لكم، وإلا فإنكم لا تكونون صادقين في دعواكم؛ إذ لا يعقل أن يرغب الإنسان عن السعادة المحضة الدائمة المضمونة له في الآخرة إلى سعادة ممزوجة بالشقاء في الدنيا[1].

يقول الدكتور محمود بن الشريف[2] تعليقًا على مزاعم اليهود تلك: "إن كانت لكم هذه الميزات والمميزات الأخروية فتمنوا الموت الذي يسرع بكم إلى الدار الآخرة، حيث هذا النعيم الخاص بكم الخالص لكم، وإن لم تتمنوا الموت فما أنتم بصادقين!! وكيف يتمنونه وهم الحريصون على الحياة؟! أي حياة!! إنهم ماديون أنانيون محرومون من الروحية ومن الإشراق ومن الصفو يلذون بأذيال المادة وأسباب النفع، ويتعلقون بالحياة أي حياة: كريهة أو كريمة، ذليلة أو عزيزة... إنسانية أو حيوانية، أي حياة بأي ثمن!! والحرص الدنيوي بعيد عن الإنسانية، وعن السماحة؛ بل هو الأنانية المجسمة والشر المجسد!! فلن يتمنوا الموت أبدًا.. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَلاَ يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (الجمعة: ٦- ٧).

(١) الطبري، محمد بن جرير (المرجع نفسه) ٢ / ٣٦٢، والزمخشري (الكشاف) ١ /١٦٦، وقارن طنطاوي، محمد سيد (المرجع نفسه) ٢/ ٢٤٣.
(٢) الشريف، محمد (الشعب الملعون في القرآن) ص٦٥- ٦٦.



إن في القرآن الكريم من الآيات والحجج والبراهين ما يبطل حجتهم، ويفضح مزاعمهم، ويخرس ألسنتهم الناطقة بالكذب والافتراء على الله تعالى، فالجنة إنما هي لمن أسلم وجهه لله وهو محسن، وهم ليسوا من هذا النوع من الناس. والنار لمن كفر وكذّب وافترى على الله ونطق بغير الحق، وهم من هذا الصنف من الناس؛ بل وأكثر تطرفًا وعنفًا مما يجعلهم مخلّدين في نار جهنم لا ممن تمسهم مسًا، وهم ليسوا ممن يغفر لهم ذنوبهم وهم لا يستغفرون - ولن يستغفروا - لتكبرهم وعنادهم وغرورهم، ولهذا فهم حريصون على "حياة" فزعون من الموت؛ لأنهم يعلمون أن النار مصيرهم وبئس القرار.. لكنه الكفر والعناد والعياذ بالله.

المطلب الثاني: تطرفهم في أنهم مكلفون بألاّ يؤمنوا إلا بالتوراة وأن الهدى في اتباع سبيلهم

يستمر اليهود في تطرفهم وغرورهم؛ حيث يصور القرآن الكريم نوعًا آخر من احتكاراتهم المنحرفة، فيخبر عن إعراضهم عن الحق بدعوى أنهم مكلفون بألا يؤمنوا إلا بالتوراة، وقد سجل القرآن الكريم دعواهم هذه لتشهد على تطرفهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. ثم فند القرآن زعمهم ورد افتراءاتهم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩١- ٩٣).

وقد جاء في معنى الآيات أن اليهود في العهد النبوي كانوا إذا عُرض عليهم الإيمان بما أنزل الله تعالى من القرآن يقولون: "نؤمن بما أنزل علينا - أي التوراة - ويجحدون القرآن المصدق للتوراة في اتباع محمد ، ثم أمر الله تعالى رسوله أن يكذبهم في دعواهم الإيمان بما أنزل عليهم؛ كشفًا لحقيقتهم فقال تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ بالتوراة فإنها تنهاكم عن قتلهم، ثم كذّبهم القرآن الكريم مرة أخرى فقال: ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ الآيات الدالة على

صدقه، ولكنكم (اتخذتم العجل من بعده) من بعد ذهابه لميقات ربه، فهل اتخاذكم العجل من بعد ما جاءكم موسى بالبينات، وفي حياة موسى نفسه عليه السلام كان من وحي الإيمان؟ وهل يتفق هذا مع دعواكم أنكم تؤمنون بما أنزل إليكم؟[1].

ولم تكن هذه هي المرة الوحيدة؛ بل كان هنالك الميثاق تحت الجبل، وكان هناك التمرد والمعصية، فهؤلاء اليهود على شاكلة أسلافهم من بني إسرائيل الذين قالوا لنبيهم: سمعنا قولك وعصينا أمرك. إذن فبئس ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون. فالواقع أن التوراة بريئة من أعمالكم، وأنتم بعيدون عن الإيمان بها وبغيرها؛ لأنها لا تأمر بالفحشاء.

لقد تبجح اليهود بإعلان الكفر والإعراض عن دين الله، وقد افتخروا كاذبين عندما أعلنوا إيمانهم بالتوراة فقط، إذ إن القرآن بيّن أن داء الجحود فيهم داء قديم قد أشربوه في قلوبهم، وما كفرهم اليوم بالقرآن الكريم إلا حلقة متصلة بسلسلة كفرهم، وما قولهم: إنهم مكلفون بأن لا يؤمنوا إلا بما أنزل عليهم (التوراة) إلا حلقة أخرى متصلة بسلسلة افتراءاتهم وتطرفهم البغيض.

تطرفهم في أن ا[illegible] في ا[illegible]ع سبيلهم:

من مزاعم اليهود المتطرفة دعواهم أنهم على حق، وأنهم هم وحدهم على الهدى، وأن كل من سواهم على باطل وضلال، لذلك فهم يرون أن اتباع طريق الحق والهدى إنما يكون في اتباع ملتهم، لذا فقد دعوا الآخرين إلى أن يكونوا مثلهم، وأن يهتدوا بهداهم، وقد سجل القرآن الكريم تطرفهم هذا ورد عليهم بما يبطل زعمهم، ثم أرشدهم إلى طريق الحق والهدى.

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا

---

(١) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان) ٢ / ٣٤٨ - ٣٥٦ والرازي (التفسير الكبير) ٣/ ١٨٥ – ١٨٧، وابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ١/ ١٢٥-١٢٦.

﴿ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (البقرة: ١٣٥ - ١٣٧).

جاء في تفسير ابن كثير - رحمه الله - عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، قال: "قال عبد الله بن صوريا الأعور لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه فاتبعنا، يا محمد تهتدِ، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله (عزّ وجل) ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1].

وجاء في معنى الآيات أن اليهود قالوا للمسلمين: اتركوا دينكم واتبعوا ديننا تهتدوا، وتصيبوا طريق الحق، وقالت النصارى مثل ذلك، فجمع الله تعالى قوليهم ليوجه نبيه ﷺ أن يواجههم جميعًا بكلمة واحدة ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾، فليس الهدى في اتباع ملتكم، بل الحق في أن نرجع جميعًا نحن وأنتم إلى ملة إبراهيم المائل عن كل دين باطل إلى الدين الحق أبينا وأبيكم وأصل ملة الإسلام"، وما كان من المشركين فهي دعوة لليهود إلى اتباع ملة إبراهيم لاستقامتها وبعدها عن الشرك، وفي هذا تعريض بأن ملتهم ليست مستقيمة؛ بل هي معوجة، وبأن دعواهم اتباع إبراهيم لا أساس لها من الصحة؛ لأنهم أشركوا مع الله آلهة أخرى ونسبوا إلى الله تعالى ما لا يليق به"[2].

ثم تأتي بعد ذلك دعوة المسلمين لإعلان الوحدة الكبرى للدين من لدن إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء إلى عيسى ابن مريم عليه السلام إلى محمد ﷺ. لدعوة اليهود الذين يزعمون أن الهداية في اتباع ملتهم.. ادعوهم وأهل الكتاب عامة للإيمان بهذا الدين، وقولوا لهم: إن الهداية ليست في اتباع ملتكم، فقد دخلها الشرك والتحريف، وإنما الهداية في أن نؤمن بالله.. وبالقرآن الذي أنزله الله إلينا.. وبما أنزل إلى إبراهيم.. وإسماعيل.. وإسحاق ويعقوب والأسباط وبالتوراة التي أوتيت موسى عليه السلام، وبالإنجيل الذي أوتي عيسى عليه السلام. بدون أن نفرق بين أحد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلتم أنتم يا معشر يهود، وإنما نؤمن بهم جميعًا، لا نفرق بينهم، ونحن لربنا مسلمون خاضعون

(١) ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ١/ ١٨٦.

(٢) يُنظر: الرازي (التفسير الكبير) ٤ / ٨٩-٩١. قطب، سيد (في ظلال القرآن) ١/١١٧.



بالطاعة والانقياد مذعنون له بالعبودية.. وتلك هي الوحدة الكبرى بين الرسالات السماوية والرسل جميعًا[1].

ثم بيّن - سبحانه - أن اليهود وأهل الكتاب عامة إن آمنوا بهذه الدعوة التي نادى بها جميع الرسل، وجاء بها محمد ﷺ ثم دعاها إليها. إن استجابوا فقد أصابوا الهدى، وإن أعرضوا عنها ونأوا فهم في شقاق جزاء استكبارهم وعنادهم. قال تعالى: ﴿ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

والآية تبين أن اليهود - الذين زعموا أن الهداية في ملتهم - إن أعرضوا عن الإيمان الذي يدعوهم إليه رسول الله محمد ﷺ، فإن هذا الإعراض المبني على المعاندة والاستكبار يجعلهم في صف المعادين والمخالفين، ومع ذلك فإن الله تعالى سيقي المسلمين المؤمنين به شرورهم، وينصر رسول الله محمدًا ﷺ وأتباعه عليهم، فالله تعالى هو الكفيل بكف بأسهم وقطع دابرهم، وقد أنجز الله تعالى وعده بقتل قريظة وسبيهم وإجلاء بني النضير، وليس على المؤمن من شقاق من لا يهتدي ولا عليه من كيده ومكره وجداله ومعارضته فالله كافيه وحسبه[2].

وقد بيّن تعالى بعد ذلك أن دين الله هو الإسلام، وهذا الدين هو الأولى بالاتباع؛ لأن الهدى في اتباعه، وليس في اتباع اليهود أو النصارى؛ لأن الإسلام هو الذي رضيه الله للبشرية دينًا، قال تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ (آل عمران: ١٩)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٥)، وهذا يؤكد أن اتباع سبيل اليهود إنما هو الخسران المبين؛ لذلك فإن الهداية والفوز يكونان في اتباع ملة إبراهيم حنيفًا، وهي دين الإسلام الذي نادى به كل الرسل (عليهم السلام) ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٨).

---

(١) الزمخشري (الكشاف) ١ / ١٩٥. والرازي (التفسير الكبير) ٤ ٩٢-٩٣ قطب، سيد (في ظلال القرآن) ١١٨/١.

(٢) يُنظر: الزمخشري (الكشاف) ١ / ١٩٦. والرازي (التفسير الكبير) ٤ / ٩٣-٩٥. قطب، سيد (في ظلال القرآن) ١١٨/١.

صبغة الله ودين الله والفطرة التي شاء الله أن تكون آخر رسالاته إلى البشر لتقوم عليها وحدة إنسانية لا تعصب فيها ولا عنصرية ولا حقد ولا جنس ولا لون، فهي النجاة لكل من التحق بسفينتها سفينة الأنبياء والرسل وأتباعهم على مر العصور إلى قيام الساعة. فهل بقي لليهود حجة في الافتراء والتطرف فيما يدعونه؟!!

المطلب الثالث: نماذج من أقوالهم المتطرفة العنيفة مع الله تعالى

يتواصل التصوير القرآني لتطرف اليهود وعنفهم، فبعد أن نقلنا بعضًا من ادعاءاتهم ومزاعمهم التي تخدم تصوراتهم نحو أنفسهم، والتي يزعمون فيها أنهم أفضل الشعوب قاطبة، وما يترتب على هذه الأفضلية من مزاعم باطلة واحتكارات منحرفة تعقبها القرآن الكريم، وأبطلها، وكشف لنا عن طبيعة النفس اليهودية التي جبلت على الأنانية والغرور والاستكبار والحقد والافتراء والكفر، ونحو ذلك مما أكده القرآن على طبيعة الشخصية اليهودية المتطرفة.

وإننا كلما قرأنا ما جاء في القرآن الكريم عن اليهود فإننا سنزداد إيمانًا بعظمة هذا القرآن الذي صور لنا اليهود على حقيقتهم، وكشف عن كفرهم وجحودهم وشدة تطرفهم، ولا نريد أن نتتبع أو نحصي كل الذي كشفه لنا القرآن الكريم عن اليهود، وإنما نكتفي هنا بذكر جانب من الآيات الكريمة - زيادة على ما ذكرناه سابقًا - التي تصور لنا أقوال اليهود المتطرفة العنيفة بحق الله - تبارك وتعالى - لتظل هذه الآيات شاهدة على تطرف اليهود وعنفهم.. وهي كما يأتي:

النموذج الأول: تطر اليهود في اد ئهم أنهم أ ء ا وأ وه:

افتراء آخر مع افتراءاتهم السابقة، فاليهود هنا يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقد كذبهم القرآن، وأبطل فريتهم، وفي هذا يقول تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (المائدة: ١٨).

ذكر الطبري - رحمه الله - في تفسيره[1] عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "أتى رسول الله ﷺ نعمان بن أضاء، وبحريّ بن عمرو، وشاس بن عدي، فكلموه فكلمهم رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الله، وحذرهم نقمته، فقالوا: ما تخوفنا يا محمد؟ نحن أبناء الله وأحباؤه، كقول النصارى؛ فأنزل الله فيهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ... ﴾ الآيات.

ومما جاء في معنى هذه الآيات أن طائفة من اليهود تزعم قائلة: نحن أبناء الله وأحباؤه فلنا من الفضل والمكانة والتكريم ما ليس لغيرنا من البشر. إن هذا الزعم اليهودي الكافر دليل على الأنانية اليهودية والنفسية اليهودية التي تريد كل شيء خاص بها حتى لو كان رب العالمين (جل وعلا)[2].

وقد تباينت آراء المفسرين في المعنى المراد من البنوة في قولهم: نحن أبناء الله؛ هل المراد منها البنوة الحقيقية، أم الاتباع؟ ووفقًا لمنهج البحث، فلن نناقش هذا الأمر، إذ إن الذي يعنينا هو صريح قولهم وادعائهم، فقد تطرفوا كثيرًا وتجاوزوا الحد في اللفظ الذي لا ينبغي في حق الله (تبارك وتعالى)، فهم في ادعائهم وإن صُرف معناه إلى الاتباع، فإنهم يرون فيه فضلاً عن سائر البشر، وأنهم لهم صلة بالله تعالى لا يصل إليها أحد غيرهم.

ولذلك أبطل القرآن الكريم زعمهم هذا بقوله تعالى: ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ﴾ فلو كنتم أبناء الله وأحباءه - كما تزعمون - لما عذبكم؛ لأن الحبيب بمن يحب رفيق، فالحبيب لا يعذب حبيبه، فالله تعالى عادل في أحكامه، لا يحابي أحدًا على أحد، وإنما يرتب الجزاء على الأعمال، فمن عمل صالحًا فلنفسه، ومن أساء فعليها، وأنتم أيها اليهود يعذبكم الله؛ بسبب ذنوبكم بالقتل والأسر والمسخ، وشأنكم في العدل الإلهي شأن غيركم من المذنبين[3].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان) ١٠ / ١٥٠-١٥١.
(٢) الخالدي، صلاح (الشخصية اليهودية) ص١٣٤.
(٣) يُنظر: الطبري، محمد بن جرير (المرجع نفسه) ١٠ / ١٥٢، والزمخشري (الكشاف) ١ / ٦١٨.

ثم تبين الآيات بعد ذلك مخاطبة اليهود بأن الأمر ليس كما تزعمون، فأنتم بشر كسائر البشر من خلق الله سبحانه تجري عليكم سنن الله وأحكامه، كما تجري على سائر الأمم. فتجزَون وفق ما تقدمون من اعتقادات وأعمال، فالعذاب لمن ضل وكفر والرحمة لمن اهتدى وآمن ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ١٢٣).

النموذج ا * ني: تطر ' اليهود في " لهم العزير ابن الله:

من النماذج التي بينها القرآن الكريم، وفضح بها مزاعم اليهود قولهم المتطرف (عزير ابن الله)، إذ إنهم نسبوا إلى الله الأبناء فزعموا أن عزيرًا هو ابن الله، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة: ٣٠).

جاء في كتب التفسير عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "أتى رسول الله ﷺ سلام بن مشكم، ونعمان بن أوفى، وأبو أنس، وشاس بن قيس، ومالك بن الصيف، فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وأنت لا تزعم أن عزيرًا ابن الله؟!" فأنزل الله في ذلك قولهم: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ... ﴾ الآيات[1].

وقد تلا رسول الله هذه الآية على اليهود، فما أنكروا ما نسب الله إليهم مع تهالكهم على الإنكار والتكذيب، فهذا دليل على اعترافهم بأن هذا القول كان فيهم[2].

ثم بيّن - سبحانه وتعالى - أن قولهم هذا لا يؤيده عقل أو نقل سوى أنهم افتروه واختلقوه، فقال تعالى: ﴿ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ يقول الأستاذ سيد قطب - رحمه الله - "بأن الآية تثبت أن القول صادر منهم، وليس مقولاً عنهم. ومن ثم يذكر "أفواههم" لاستحضار الصورة الحسية الواقعية أي كأنها مسموعة مرئية! وذلك فضلاً

---

(١) الطبري، محمد بن جرير (المرجع نفسه) ١٤ / ٢٠٢. وقطب، سيد (في ظلال القرآن) ٣/١٦٣٧.
(٢) طنطاوي، محمد سيد، (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ٢/٢٥٢.

على ما تؤديه من معنى بياني آخر، وهو أن هذا القول لا حقيقة له في عالم الواقع؟ إنما هو مجرد قول بالأفواه ليس وراءه موضوع ولا حقيقة"[1].

وذكر الزمخشري - رحمه الله - في قوله تعالى "بأفواههم" أن المراد هو أن القول لا يعضده برهان، فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من أي معنى تحته، كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم، ولا تدل على معانٍ"[2].

ثم بيّن الله تعالى أن زعمهم وافتراءهم هذا لا دليل عليه، وهو يماثل قول من سبقوهم من أهل الكفر ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ﴾ إذ إن المشركين كانوا يقولون ببنوة الملائكة لله، ويذكر سيد قطب - رحمه الله - أن دلالة هذا النص القرآني أبعد مدى، ولم يتضح هذا المدى البعيد إلا حديثًا بعد دراسة عقائد الوثنيين في الهند ومصر القديمة والإغريق، مما اتضح معه أصل العقائد المحرفة عند أهل الكتاب، وبهذا التقرير والبيان تختم الآية حقيقة ما عليه أهل الكتاب من الكفر والشرك ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ كيف يصرفون عن الحق الواضح إلى هذه الوثنية المعقدة الغامضة التي لا تستقيم لدى عقل أو ضمير؟!"[3].

إن ما زعمه اليهود ظاهر البطلان والفساد، وتأباه العقول السليمة والقلوب المستقيمة، قال تعالى: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾ (الكهف: ٤- ٥).

النموذج ا ٬ ٬ : تطر ٬ اليهود وعنفهم في ٬ لهم: إن ا ٬ فقير ونحن أ ٬ ٬ ء:

نموذج آخر وصورة أخرى من صور التطرف اليهودي، كما يؤكده القرآن الكريم، فقد أشار القرآن إلى هذا القول اليهودي الفاجر المتطرف العنيف في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران: ١٨١).

---

(١) قطب، سيد (المرجع نفسه) ٣/ ١٦٤٠.

(٢) الزمخشري، محمد بن عمر (الكشاف) ٢ / ٢٦٤.

(٣) قطب، سيد (المرجع نفسه) ٣/١٦٤٠- ١٦٤١.

وقد روي في سبب نزول هذه الآية ما يدل على الطبيعة اليهودية الحاقدة المتطرفة فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "دخل أبو بكر ﷺ بيت المدراس(*)، فوجد يهودًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له "فنحاص" وكان من علمائهم وأحبارهم، فقال أبو بكر: ويلك يا فنحاص، اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أنّ محمدًا رسول الله، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة - فرد فنحاص ردًا عنيفًا فظًا قبيحًا فاجرًا متطرفًا شتم فيه رب العالمين، هذا مع أنه من كبار أحبار اليهود - فقال لأبي بكر: والله يا أبا بكر، ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان غنيًا ما استقرض منّا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنيًا ما أعطانا الربا!! فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة، وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله!!

يعلق الدكتور الخالدي قائلاً: "كانت ضربة أبي بكر لوجه فنحاص مفاجئة له، ولم يكن متوقعًا لها؛ لأن اليهود ما تعودوا أن يضربهم العرب قبل الإسلام لضعفهم أمام اليهود!! ولم يضرب أبو بكر يهوديًا عاديًا من عامة اليهود وإنما ضرب حبرًا من كبار أحبارهم"[1].

هكذا يجب أن يكون الغضب لله (عزّ وجل) صفعة قوية مباركة تلقن أعداء الله درسًا مباشرًا لا تباطؤ فيه ولا تأجيل.. وهكذا يجب أن يكون طبيعة الشجب والاستنكار ردًا قويًا وسريعًا لا مجرد كلام لا يسمن ولا يغني من جوع.

ذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ شاكيًا، وقال: "يا محمد: انظر ما صنع صاحبك أبو بكر، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، إن عدو الله قال قولاً عظيمًا، زعم أن الله تعالى فقير

(*) بيت المدراس: هو الكنيس الذي يصلي فيه اليهود، ويتدارسون فيه أحكام التوراة، ويشرف عليه أحبارهم وكبار حاخاماتهم، يُنظر: الخالدي، صلاح (اليهود يعتبرون الله فقيرًا وهم أغنياء) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثالث، آذار (مارس) ١٩٩٩م، ص٥٨- ٥٩.

(١) يُنظر: ابن هشام (السيرة النبوية) ٢ / ٥٥٨، الخالدي، صلاح (اليهود يعتبرون الله فقيرًا وهم أغنياء) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثالث آذار (مارس) ١٩٩٩م ص٥٨.



وأنهم أغنياء، فغضبت لله وضربت وجهه. فجحد فنحاص، وهي عادة اليهود الكذب والكفر، فأنزل الله تعالى ردًا على فنحاص وتصديقًا لأبي بكر قوله (عزّ وجل): ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا... ﴾ الآيات[1].

ذلك هو أحد حاخاماتهم وكبير من كبرائهم، وما هو إلا نموذج واضح ويغيض من نماذج يهود المتطرفين، وما تسجيل هذه الحادثة في القرآن إلا لتشهد على عنفهم وكفرهم وحقدهم إلى يوم القيامة؛ حيث عذاب الحريق ينتظرهم!

أما عن الموقف الرجولي الصحيح الذي وقفه أبو بكر الصديق ﷺ، فإنه الرد المناسب الذي ينبغي أن تقاس عليه مواقف المسلمين في كل زمن وعصر؛ حيث نال إعجاب القيادة في ذلك الوقت؛ إذ لم تسارع القيادة آنذاك بعقد مؤتمر تدين فيه فعل أبي بكر مع فنحاص اليهودي! إذ إن فعلة أبي بكر هذه لو كانت في زماننا - زمن شرم الشيخ - لطاردوه حتى يأخذوه بالنواصي والأقدام، ولحاكموه بتهمة التطرف والعنف والإرهاب، وقد يقتلونه أو يغيبونه في ظلمات الأرض!!

يقول الدكتور الخالدي: "هذه هي النظرة العنصرية الاستعلائية التي لا تفارقهم في تاريخهم.. أما الله رب العالمين فهو فقير [illegible] في نظر اليهود.. الله الذي خلق كل شيء.. المالك لكل شيء.. الرزاق لكل مخلوق.. الغني عن كل مخلوق.. هو فقير محتاج عند اليهود الكافرين[2]".

ليس غريبًا أن يسيء اليهود أدبهم مع الله - تبارك وتعالى - فهذه طبيعتهم التي يؤكدها القرآن في أكثر من موقع، ثم إن التجرؤ على الله إلى هذا الحد دفعهم للسخرية بآيات الله تعالى، فحرفوا معنى الآية عن موضعها بما يتلاءم مع طبيعتهم

(١) الطبري، محمد بن جرير (جامع البيان) ٧ / ٤٤١-٤٤٢، وابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ٤٣٤/١. ورضا، محمد رشيد (تفسير المنار) ٢٦١/٤.

(٢) الخالدي، صلاح (اليهود يعتبرون الله فقيرًا وهم أغنياء) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثالث، آذار (مارس) ١٩٩٩م.

الفاجرة المنحرفة ووسائلهم الربوية المحرمة في جمع المال وكنزه. ولذلك كانت عدالة الله تعالى واضحة في نهاية الآية: ﴿ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (آل عمران: ١٨١- ١٨٢). وهذا هو جزاء تطرفهم وعدوانهم على الله وعلى أنبيائه (عليهم السلام).

النموذج الرا ،: تطر ، اليهود في قولهم: ، الله مغلو ":

يُزاد على تلك النماذج التي سجلها القرآن الكريم شاهدة على تطرف اليهود وعنفهم هذا النموذج الذي يصور شدة كفرهم وعنف قولهم حين يزعمون أن يد الله مغلولة - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا- إن الذي سجله القرآن عليهم يدل على جرأتهم على الله تعالى، وسوء أدبهم معه - سبحانه وتعالى - فطبيعتهم لا تتغير: نكران الجميل وجحود النعم. فالله تعالى قد أسبغ عليهم من نعمه ما لا تحصى، ومع ذلك جحدوا وكفروا وتطاولوا؛ فوصفوا الله تعالى بالبخل - والعياذ بالله - فنزل قوله تعالى يكذّبهم ويخرس ألسنتهم، ويلجم أفواههم، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴾ (المائدة:٦٤).

وجاء في سبب هذه الآية: عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رجل من اليهود، يقال له شاس بن قيس: يا محمد إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله تعالى ﴿ وَقَالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ... ﴾ الآية[1].

وقد أضاف القرآن الكريم المقالة إلى اليهود مع أن قائلها فرد منهم؛ ذلك لأنهم لم ينكروا مقالته ورضوا بها، وليس ذلك بمستهجن، فقد حكى القرآن الكثير من سوء تصورهم، فقد قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، وقالوا كثيرًا مثل هذه النماذج. فقولهم المتطرف: "يد الله مغلولة" ينم عن جرأتهم وحقدهم، ويعللون بخلهم وشحهم

(١) يُنظر: ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ٧٥/٢.

فالله - حسب زعمهم - لا يعطي الناس ولا يعطيهم إلا القليل.. فكيف ينفقون؟! وقد بلغ من غلظ حسهم وجلافة قلوبهم - كما يقول سيد قطب رحمه الله - ألا يعبروا عن المعنى الفاسد الكاذب الذي أرادوه وهو البخل بلفظه المباشر؛ فاختاروا لفظًا أشد وقاحة وتهجمًا وكفرًا فقالوا: يد الله مغلولة![1].

ويذكر طنطاوي[2] أن غل اليد وبسطها مجاز مشهور عن التقتير والعطاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء: ٢٩).

والسبب فيه - كما يذكر طنطاوي - أن اليد آلة لأكثر الأعمال، ولا سيما في دفع المال وإنفاقه، فأطلقوا اسم السبب على المسبب، وأسندوا الجود والبخل إلى اليد والكف فقيل للجواد: فياض اليد مبسوط الكف، وقيل للبخيل: مقبوض اليد كز الكف.

وقد كذبهم الله وذمهم بسبب قولهم هذا، وكتب عليهم لعنته، وبيّن أنهم هم البخلاء الذين لا ينفقون، وأن أيديهم هي المغلولة المسكة عن إنفاق المال، فقال تعالى: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾، وفي هذه الآية دعاء عليهم بالبخل وانقباض أيديهم عن الخير، وشحها عن الإنفاق، وإمساكها عن كل نفقة طيبة وخير عميم[3].

يقول الزمخشري - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ "يجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة، يغللون في الدنيا أسرى، وفي الآخرة معذبين بأغلال جهنم"[4].

---

(١) قطب، سيد (في ظلال القرآن) ٢/ ٩٢٩.

(٢) طنطاوي، محمد سيد، (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ٢/ ٢٨٩.

(٣) الطبري (جامع البيان) ١٠ / ٤٥٤. والرازي (التفسير الكبير) ١٢ / ٤١-٤٤ وابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ٢ / ٧٥-٧٦، ورضا، محمد رشيد (المنار) ٦ / ٤٥٤-٤٥٥.

(٤) الزمخشري، محمود بن عمر (الكشاف) ١/ ٦٥٦.

ونحن مع ذلك نؤكد أن اليهود يتصفون بالبخل، فقد تمكن البخل من نفوسهم وانعكس على سلوكهم، وترك بصماته على حياتهم وصلاتهم بالآخرين. ثم إن القرآن الكريم قد أكد بخلهم؛ فقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (النساء: ٥٣).

وما دام الأمر كذلك فهم يلقون ما يتصفون به على غيرهم حتى بلغت الوقاحة بهم أن يتطرفوا ويتجاوزوا الحد، فيصفون الله بما هو حالهم - تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا - ولذلك رد الله عليهم، وفضحهم، وأثبت لذاته سبحانه نهاية الجود والعطاء، فقال تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ فالله تعالى هو صاحب الفضل العظيم الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه، ولذلك كان رده غاية في السخاء، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾؛ لأن الجواد السخي إذا أراد أن يبالغ في العطاء أعطى بكلتا يديه[1].

يقول الأستاذ سيد قطب: "عطايا الله التي لا تكف ولا تنفد لكل مخلوق ظاهرة للعيان.. شاهدة باليد المبسوطة، والفضل الغامر، والعطاء الجزيل، ناطقة بكل لسان. ولكن يهودًا لا تراها لأنها مشغولة عنها باللمم والضم، وبالكنود وبالجحود، وبالبذاءة حتى في حق الله"[2].

وهكذا تكشف هذه الآيات عن جانب آخر من رذائل يهود، وتفضح أخلاقهم الفاسدة وأقوالهم المتطرفة ذات القسوة والعنف.

إن هذه النماذج التي تحدثنا عنها وغيرها مما سجله القرآن الكريم لتؤكد بلا ريب على عنف وتطرف اليهود فكرًا وخلقًا وسلوكًا.. ولقد لاحظنا في سياق هذا الفصل شدة عداء اليهود للمسلمين، ثم غرورهم وحقدهم واستكبارهم الذي دفعهم

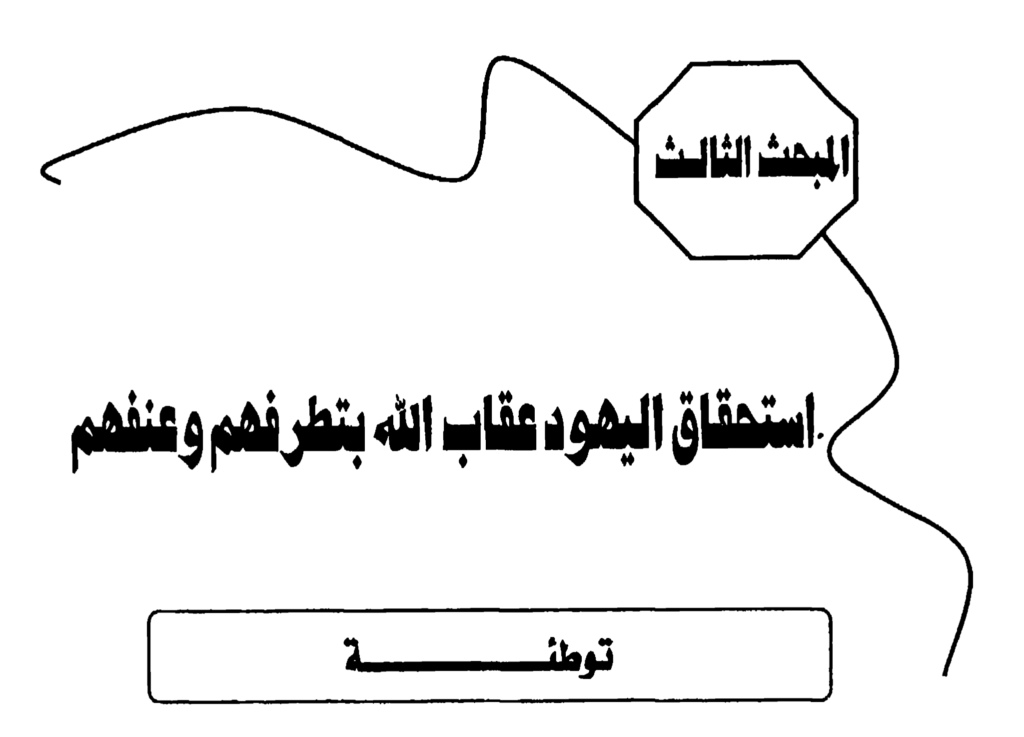
---

(١) يُنظر: الزمخشري (الكشاف) ١ / ٦٥٦. وابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ٢ / ٧٥. ورضا، محمد رشيد (المنار) ٦ / ٤٥٥ وطنطاوي، محمد سيد، (المرجع نفسه) ٢ /٢٩٠.

(٢) قطب، سيد (المرجع نفسه) ٢/ ٩٢٩.

للاستهانة بكل شيء حتى بلغ الأمر بهم إلى التجرؤ على خالقهم - سبحانه وتعالى - فراحوا يصفونه بأوصاف لا تليق بعظمة جلاله وكبريائه، فاستحقوا على ذلك تشهيرهم أمام الناس جميعًا في آيات تتلى إلى يوم القيامة.

وكان العقاب الذي طالهم في الدنيا جزاءً وفاقًا، وأن الذي ينتظرهم يوم القيامة أشد وأنكى؛ ذلك أن تطرفهم في القول والفعل عبر تاريخهم الطويل يجعلهم أهلاً لغضب الله وعقابه، فالجزاء من جنس العمل.. وهذا الموضوع هو جوهر حديثنا في المبحث القادم، إن شاء الله تعالى.



استحقاق اليهود عقاب الله بتطرفهم وعنفهم

توطئة

سنة الله في خلقه أن يكون الجزاء من جنس العمل، وليس غريبًا أن تنطبق سنة الله على اليهود، فهم جزء من خلقه، فالله تعالى لا يحابي أحدًا على أحد، وفي اجتهادنا أنه من المناسب أن ننهي موضوع بحثنا بما يتلاءم مع نهاية جزء من ملف حافل لتطرف اليهود وعنفهم عبر تاريخهم الأسود الطويل الذي ما زال يتدفق حقدًا وعنفًا.

إن قراءتنا لواقع اليهود منذ فجر تاريخهم القديم، وإلى يومنا هذا ينبئنا أنهم لن يغيروا شيئًا من طبيعة نفسيتهم التي جبلت على كل خلق ذميم حتى أصبحت سمات التطرف والعنف ظاهرة ومقروءة على جبينهم، وممزوجة في أعماقهم ووحي تصرفاتهم. إن ما اتصف به يهود من صفات التطرف والعنف على مدار تاريخهم تجعلهم عرضة لعقوبات الله تعالى، وإن ما قاموا به من أعمال (لاحظناها عبر مسيرة بحثنا هذا) تجعلهم أهلاً لنقمة الله وغضبه وعقابه.

وكما أسلفنا؛ فإن ميزان العدل الإلهي لا يحابي أحدًا على أحد، فالجزاء عنده من جنس العمل، وما ربك بظلام للعبيد. وقد بيّن القرآن الكريم جملة من عقوبات الله التي طالت اليهود نتيجة تطرفهم وكفرهم وجحودهم وعنفهم وتبجحهم.

ويذكر إبراهيم العلي أن الآيات القرآنية - غالبًا - تذكر السبب الذي جعلهم يستحقون تلك العقوبات بذكر "باء السببية" التي تعلل لفرض العقوبات، وتبين الحكمة من إيقاعها بهم"[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٥٥- ١٦١).

إن هذه الآيات تسجل مجموعة من جرائم اليهود التي استحقوا بها عقاب الله تعالى وغضبه. وقد رأينا قبل أن نتحدث عن تفصيل هذه العقوبات أن نقسمها إلى قسمين:

القسم الأول: جعلناه في العقوبات الربانية التي وقعت وقت الجريمة وانتهت بها.

أما القسم الثاني: فجعلناه للحديث عن العقوبات التي لاحقت اليهود وتلاحقهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأطلقنا عليها العقوبات الدائمة.

المطلب الأول: عقوبات ربانية مؤقتة

أولاً: قتلهم بعضهم :

كانت هذه العقوبة التي أخبرنا بها القرآن الكريم من أوائل ما عاقب الله تعالى به بني إسرائيل، وقد حدثت في زمن موسى عليه السلام، وتعد من أغرب العقوبات التي حلت بهم

(١) العلي، إبراهيم (العقوبات الربانية لليهود) مجلة فلسطين المسلمة، العدد السابع، تموز (يوليو) ١٩٩٦م، ص٥٢.

إذ إنها جاءت متناسبة مع عظمة جريمتهم، فتطرف اليهود في العبادة تجاوز الحد إلى درجة الارتداد عن عبادة الله تعالى، ليعبدوا عجلاً جسدًا خوار لا روح فيه، فكان من الطبيعي أن تكون كفارة هذه الجريمة العظيمة عقوبة قاسية وتأديبًا عنيفًا، فأية جرأة على الله تعالى من هؤلاء، وهم قبل مدة قصيرة يرون معجزاته - سبحانه وتعالى - الواحدة تلو الأخرى.

فمعجزات موسى عليه السلام والآيات التسع التي حلت بفرعون، ثم غرق فرعون وقومه وهم ينظرون إلى هذا المشهد المفزع المروّع ألا يكون رادعًا لهم عن ارتكاب أية معصية.. لكنها طبيعتهم الخاوية ونفوسهم المريضة دفعتهم إلى ما يستحقون عليه التأديب، فقد تركوا عبادة الواحد المنتقم الجبار - الذي نجاهم من بطش وتنكيل فرعون وجنوده - ليعبدوا العجل الذي لا يضر ولا ينفع، وهذا يدل على استخفافهم بأعظم الأمور حرمة عند الله تعالى مما عجل لهم العقوبة، وأنزل عليهم غضب الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٢).

فقد بلغ التطرف الديني مبلغه في بني إسرائيل عندما صنعوا لأنفسهم عجلاً من الذهب؛ ليعبدوه من دون الله، فما إن ذهب موسى عليه السلام لمناجاة ربه وتلقي ألواح التوراة حتى خلفوه بهذا الكفر الذي نكثوا به شريعة الله وعقيدة التوحيد[1].

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن توبة بني إسرائيل إلى الله من عبادة العجل أن يقتل بعضهم بعضًا، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: ٥٤). وكي يتوبوا من فعلتهم العظيمة كانت كفارة التوبة أن ينفذوا أمر القتل، فنفذوا الأمر حيث قامت المجموعة الصالحة التي لم تعبد العجل بتقتيل الكافرين منهم الذين عبدوه[2].

---

(١) للتوسع في تفاصيل الحادثة يراجع الفصل الأول من هذا البحث ضمن تطرف بني إسرائيل في زمن موسى عليه السلام.

(٢) الخالدي، صلاح (الشخصية اليهودية) ص٢٦٥، وقارن مع: العقيلي، محمد أرشيد (اليهود في الجزيرة العربية) ص٢٤.

يقول سيد قطب - رحمه الله: "ولم يكن بد من التطهير القاسي، فهذه الطبيعة المنهارة الخاوية لا تقوّمها إلا كفارة صارمة وتأديب عنيف. عنيف في طريقته وحقيقته.. ليقتل الطائع منكم العاصي، ليطهره ويطهر نفسه.. وإنه لتكليف مرهق وشاق أن يقتل الأخ أخاه، فكأنما يقتل نفسه برضاه.. ولكنه كان تربية لتلك الطبيعة المنهارة الخوارة التي لا تتماسك عن شر، ولا تتناهى عن منكر، ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل، وإذ لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام، وليؤدوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتربيهم"[1].

بعد هذا التكفير عن جريمتهم في حق المولى - سبحانه وتعالى - أدركهم الله برحمته فتاب عليهم ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ فهل كانت هذه العقوبة رادعة لهم عن تكرار كفرهم وظلمهم؟!.

ثاً: " . " ا " " ورفع الطور:

بنو إسرائيل هُم هُمْ في تطرفهم وجحودهم. ماديون في فكرهم.. محتجبون عن الإيمان بالغيب، فبعد أن تمت توبتهم على تلك الصورة القاسية، ها هم يطلبون من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة، وكان هذا الطلب من السبعين المختارين منهم، الذين اختارهم موسى لميقات ربه ليبايعوا ربهم عند جبل الطور نيابة عن قومهم، وعندما طلب منهم موسى عليه السلام أن يبايعوا الله تعالى بيعة جدية تراجعوا ونكصوا مشترطين رؤية الله عيانًا.

مرة أخرى يعودون للكفر والعصيان ويسجلون على أنفسهم موقفًا متطرفًا مثيرًا غريبًا تسجله آيات من سورة الأعراف، قال تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ ﴾ (الأعراف: ١٥٥).

---

(١) قطب، سيد (المرجع نفسه) ٧١/١.

إن التعنت الذي اشتهر عن بني إسرائيل، وعُرفوا به، قد سجله القرآن عليهم شاهدًا على تطرفهم إلى يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٥- ٥٦).

طلب بنو إسرائيل من موسى عليه السلام أن يروا الله جهرة، وأن يتجلى الله سبحانه لهم بذاته ليروه بأم عيونهم، فعاقبهم الله تعالى بالصاعقة صعقتهم وأخذتهم، ذلك أن طبيعة بني إسرائيل القاسية لا تؤمن إلا بالمحسوس، ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتنكيل.

يقول الدكتور الخالدي: "فهؤلاء السبعون الذين هم أصلح القوم وأفضلهم يظنون أن الله يمكن أن ينزل من السماء إلى الأرض بذاته، وأن يسير ويتجول في بقاعها بذاته، وأن ينتقل من مكان إلى مكان فيها بذاته، وأنهم يمكن أن يروه بعيونهم جهرة، وأن يحددوه في جهة معينة بعيونهم، ولهذا طلبوا أن يروه جهرة بعيونهم، وإن لم يحصل ذلك فلن يؤمنوا بموسى.. فإذا كان الله هكذا على هذه الصورة من الانتقال والتحول والتجسيم والانحصار، فهل يبقى إلهًا خالقًا "ليس كمثله شيء" ولذلك عاقبهم الله على هذا الطلب الغريب والسفيه فصعقهم بالصاعقة وأخذهم بالرجفة"[1].

والصاعقة صيحة من السماء، وهي صوت شديد عالٍ أشبه بصوت الرعد؛ حيث سمعوا ذلك الصوت الشديد في الجو، ونتج عنه رجفة في الأرض، ولعلها هزة أو زلزلة زلزلتهم وهزتهم، وقد صعق القوم بالصاعقة، وماتوا بالرجفة حسب الظاهر[2].

يذكر الخالدي أنه لا تناقض أو تعارض بين وصف القرآن ما حدث لهم بأنه صاعقة، وأنه رجفة؛ حيث أخبر في سورة البقرة أنه صاعقة "فأخذتكم الصاعقة"

(١) الخالدي، صلاح (أخذ بني إسرائيل بالصاعقة ورفع الطور فوقهم) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الخامس، أيار (مايو/١٩٩٧)، ص٤٦.

(٢) (المرجع السابق نفسه)، وقارن مع الطبري (جامع البيان) ٢/٨٣، والرازي (التفسير الكبير) ٣ / ٨٣ – ٨٦. وابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ١ / ٩٣..

وأخبر في سورة الأعراف بأنه رجفة ﴿ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ... ﴾ إنهما مرحلتان متعاقبتان متتابعتان: الصاعقة ثم الرجفة[1].

المشهد في صورته يتجلى في القوم السبعين، وهم واقفون مع موسى عليه السلام عند جبل الطور، وفجأة طلبوا منه أن يروا الله جهرة بعيونهم، وأن ينزل الله ليقف أمامهم، فعاقبهم الله فورًا على هذه السفاهة والصفاقة بأن أرسل عليهم الصاعقة من السماء، فسمعوا صوتًا عاليًا شديدًا قاصفًا، ثم اهتزت الأرض ورجفت وتزلزلت، وهم يسمعون وينظرون ويشاهدون، وهم في ذروة الخوف والرهبة والانفعال. ماتوا موت صعق، وليس موتًا حقيقيًا، فقد أثر المشهد المخيف فيهم فصعقوا، وأغمي عليهم، وسقطوا صرعى، وكانوا كأنهم موتى في الظاهر.

ونظر موسى عليه السلام فإذا هم صرعى، وظنهم موتى، فسأل الله تعالى أن يحييهم ﴿ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٥). واستجاب الله دعاء موسى عليه السلام، وأيقظهم من إغمائهم وبعثهم من موتهم ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة: ٥٦).

يقول د. الخالدي: لم تنته أعمارهم إذ لم تخرج أرواحهم من أجسادهم، فقد أفاقوا بعدما تداركتهم رحمة الله تعالى بدعاء موسى عليه السلام[2]. وماذا بعد أن أفاق السبعون رجلاً من غشيتهم وهم القادمون للندم وإعطاء العهد والمبايعة؟ هل شكروا واتعظوا بعد أن وهبت لهم فرصة الحياة؟!.

رفع الطور فوقهم: الغريب أن هؤلاء القوم بعد أن يذوقوا العذاب ويروا آيات الله ما يلبثوا أن يعودوا لما كانوا عليه من الكفر والعناد، فهم قبل قليل شاهدوا آية الصاعقة والرجفة فيهم، وما أن تداركتهم رحمة الله، وطلب منهم موسى عليه السلام أن يعطوا العهد والبيعة؛ تراجعوا ورفضوا ذلك بكل استهتار واستخفاف، وظنوا أن الأمر

(١) الخالدين، صلاح (المرجع السابق نفسه).

(٢) الخالدي، صلاح (أخذ بني إسرائيل بالصاعقة ورفع الطور فوقهم) مجلة فلسطين المسلمة، العدد السابق ذكره نفسه، وقارن مع القاسمي، محمد جمال الدين (محاسن التأويل) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ٧ / ٢٨٦٥-٢٨٦٦.

لعبة تفاوضية قابلة للرد والعبث. وأن عنادهم وصلفهم وتكبرهم سيجبر نبيهم موسى عليه السلام على التنازل عن طلباته وتحذيراته لهم.. لكن الأمر ليس بالسهولة التي يتوقعونها، فالله تعالى يعلم طبيعتهم العجيبة، وفكرهم المادي المحجوب عن أسرار الغيب والإيمان به.. فلا ينفع معهم إلا التهديد العنيف، لذلك قدم الله لهم آية مادية رهيبة ملأتهم رعبًا وخوفًا وهولاً، فقد اقتلع سبحانه جبل الطور بقدرته ورفعه فوق رؤوسهم، وهم ينظرون إلى المشهد بكل رعب وخوف.

ويروى أن الله تعالى أوحى إلى الجبل، فانقلع وارتفع في السماء حتى إذا كان بين رؤوسهم والسماء كأنه ظلة، خرَّ كل رجل ساجدًا على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفًا أن يسقط عليه، وكذلك يسجد اليهود إلى اليوم[1]. وقد أدركوا أن الجبل سيسقط عليهم ويسحقهم تحته سحقًا إن لم يبايعوا ويعطوا العهد ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة: ٦٣)، ويتبين المشهد الرهيب في آية أخرى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف: ١٧١).

يقول سيد قطب - رحمه الله: "أمر العقيدة لا رخاوة فيه ولا تميع، ولا يقبل أنصاف الحلول، ولا الهزل ولا الرخاوة.. إنه عهد الله مع المؤمنين.. وهو جد وحق، فلا سبيل فيه لغير الجد والحق"[2].

اخذ بنو إسرائيل العهد تحت التهديد والخوف، فقد شعروا أن الجبل المرتفع فوق رؤوسهم كأنه غمامة سيسقط عليهم ويسحقهم، فأعطوا العهد تحت ظل هذه الخارقة الهائلة التي كانت جديرة بأن تعصمهم بعد ذلك من الانتكاس. فهل بقوا على العهد؟! لقد خالفوا بمجرد عودتهم إلى قومهم؛ فلا هم أخذوه بقوة وصدق وتطبيق، ولا هم ذكروا ما فيه[3]. إنها طبيعتهم التي لا يتحولون عنها!!

(١) البار، محمد علي (الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم) ص٢٤٨.
(٢) قطب، سيد (في ظلال القرآن) ١/ ٧٦.
(٣) الخالدي، صلاح (أخذ بني إسرائيل بالصاعقة ورفع الطور فوقهم) مجلة فلسطين المسلمة، العدد السابق ذكره نفسه.

ثا ً : مسخهم قردة و ' ' زير:

مرة أخرى يظهر اليهود بمظهر النكوس والاستهانة.. ومرة أخرى تنزل بهم عقوبة جديدة من عقوبات الله الواحد القهار، وهذه المرة تختلف عقوبتهم فيها عن سابقاتها ولاحقاتها؛ إذ إن هذه العقوبة لم يوقعها الله على أمة من الأمم غير اليهود، فهي عقوبة عجيبة غريبة تحولت بموجبها الصورة الإنسانية لهم إلى صورة حيوانية بهيمية.. إنها عقوبة المسخ التي تحولوا بها من السحنة البشرية إلى سحنة القردة والخنازير.. إنه عقاب المعتدين على ما نهى الله عنه يوم السبت.

وقد سجل القرآن الكريم هذه الحادثة في آيات تتلى إلى قيام الساعة، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٦٥- ٦٦)، وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (المائدة: ٦٠).

هذه العقوبة نزلت باليهود أصحاب القرية.. أصحاب السبت الذين تحايلوا على أوامر الله، وارتكبوا ما نهاهم الله عنه في السبت، فمسخهم الله قردة وخنازير، وقد أشارت سورة الأعراف إلى هذه القصة. قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (الأعراف: ١٦٣- ١٦٦).

وقد جاء في معنى هذه الآيات أن القرية هي إحدى قرى بني إسرائيل الساحلية، وكان بنو إسرائيل قد طلبوا أن يجعل لهم يوم راحة يتخذونه عيداً للعبادة، ولا يشتغلون

فيه، فجعل لهم يوم السبت، وقد أمرهم الله أن لا يصطادوا الأسماك والحيتان يوم السبت ابتلاء، ليربيهم الله ويعلمهم كيف تقوى إرادتهم على المغريات والأطماع، ولكن أنّى لليهود الذين مردوا على المخالفة والعدوان أن يلتزموا بأمر الله!!

وزيادة في امتحانهم وابتلائهم كانت الحيتان تتراءى لهم على الساحل قريبة المأخذ سهلة الصيد، فإذا مضى السبت وجاءتهم أيام الحل لم يجدوا الحيتان قريبة ظاهرة، كما كانوا يجدونها يوم الحرمة، ولذلك هاجت مطامع جماعة منهم أمام هذا الإغراء، فانهار عزمهم وتهاوى صمودهم، ونكثوا عهدهم فراحوا يتحايلون على أمر الله بحيلة ماكرة؛ إذ حفروا الخنادق على شاطئ البحر، ووضعوا الحواجز حتى إذا جاء يوم السبت سقطت الحيتان في الخنادق وعجزت عن العودة، وفي اليوم التالي يقبل الماكرون على أخذها مدعين أنهم ملتزمون بأوامر الله[1].

وتدل آيات سورة الأعراف على أن فريقًا منهم حذرهم من مغبة احتيالهم وأسدى إليهم النصيحة إلا أن النصح لم ينفع معهم، فاستمروا في غيِّهم، فحل عليهم عذاب الله بالمسخ ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾، يقول سيد قطب - رحمه الله: "لقد تنازلوا هم عن آدميتهم حين تنازلوا عن أخص خصائصها - وهو الإرادة التي تسيطر على الرغبة - وانتكسوا إلى عالم الحيوان حين تخلوا عن خصائص الإنسان، فقيل لهم أن يكونوا حيث أرادوا لأنفسهم من الانتكاس والهوان"[2].

ومع أن القرآن الكريم لم يصرح عن طبيعة المسخ، وكيف حدث؟ وهل تحولوا إلى الحقيقة الحيوانية أم لا؟! إلا أنه ورد من حديث رسول الله ﷺ ما رواه ابن مسعود ﷺ قال: "سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير: أهي من نسل اليهود؟ فقال رسول الله ﷺ: إن الله (عزّ وجل) لم يلعن قومًا قط فمسخهم فكان لهم نسلٌ حين يهلكهم، ولكن هذا خلق كان، فلما غضب الله على اليهود مسخهم فجعلهم مثله" (أي مثل ذلك الخلق)[3].

(1) يُنظر: الزمخشري (الكشاف) ٢ / ١٧٠-١٧١، وقطب، سيد (المرجع نفسه) ١٣٨٤/٣.
(2) قطب، سيد (المرجع نفسه) ١٣٨٥/٣
(3) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٩٥/١، ٣٩٦-٣٩٧، ٤٢١.

والذي يؤيده ظاهر القرآن، وعليه جمهور المفسرين، أنهم مسخوا قردة وخنازير على الحقيقة، وصاروا يتحركون كما تتحرك القردة، إلا أن أولئك القردة اليهود لم يتناسلوا بعد مسخهم، ولم يعيشوا إلا مدة قصيرة بعده، ثم أفناهم الله بلا ذرية، وبقيت القردة والخنازير وغيرها التي كانت قبل ذلك، ولم تكن من الحيوانات الممسوخة، فكان منها التناسل في حياتها والإعقاب بعد موتها[1].

وقد جاء في السنة المطهرة ما يخبر أن الله - سبحانه وتعالى - لم يهلك قومًا فجعل لهم نسلاً أو عقبًا، فقد جاء من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: "سئل النبي عن القردة والخنازير أهي مما مسخ؟ فقال: إن الله (عزّ وجل) لم يهلك قومًا أو يمسخ قومًا، فيجعل لهم نسلاً ولا عاقبة، وأن القردة والخنازير خلقوا قبل ذلك"[2].

يقول إبراهيم العلي: "ولا يعني أن من مسخ منهم قد انقرضوا، وانتهت معهم العقوبة وآثارها؛ فقد بقيت الآثار في نفوس اليهود الذين جاءوا بعدهم، فقد استحالت أرواحهم وأفكارهم، وانطباعات المشاعر والتفكير التي تنعكس على الوجوه والملامح إلى ما يشبه طباع وملامح القردة والخنازير، وتلقي على سلوكياتهم ظلها العميق"[3].

رابعًا: عقوبة التيه في سيناء:

يبدو أن بني إسرائيل لا تهدأ نفوسهم بدون المعصية والجحود والكفر، فقد جبلت طبيعتهم على حب معصية أوامر الله - تبارك وتعالى - ومخالفة أنبيائهم والرسل جميعًا، فطبيعتهم عاصية متطرفة ومتمردة، كما أنها مجبولة على الجبن والتقاعس عن القتال في سبيل الله، فهذا نبيهم موسى عليه السلام يأمرهم بدخول الأرض المقدسة،

---

(١) يُنظر: طنطاوي، محمد سيد (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ٤٠٦/٢. والخالدي، صلاح (المرجع نفسه) ص٢٧٩. والعلي، إبراهيم (العقوبات الربانية لليهود- المسخ قردة وخنازير) مجلة فلسطين المسلمة العدد التاسع، أيلول (سبتمبر) ١٩٩٦م، ص٥٤- ٥٥.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه بلفظ أطول. انظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين الإمام يحيى بن شرف (صحيح مسلم بشرح النووي)، تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبو زينة ٥ / ٥١٩ كتاب القدر باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، حديث رقم ٣٥. وأخرجه الإمام أحمد في (مسنده) ٤١٣/١.

(٣) العلي، إبراهيم (العقوبات الربانية لليهود- المسخ قردة وخنازير) مجلة فلسطين المسلمة، العدد السابق ذكره نفسه.

ويعدهم بالنصر على أعدائهم فيها، وعلى الفور يبرز الجبن والهلع والخوف، فصرحوا وأعلنوا عدم استعدادهم للمشاركة في القتال، وكان إعلانهم غاية في الجحود والتجرؤ والغلظة ﴿ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة: ٢٤). وهنا يعلّق سيد قطب - رحمه الله - قائلاً: "هكذا في وقاحة العاجز الذي لا تكلفه وقاحة اللسان إلا مد اللسان أما النهوض بالواجب فيكلفه وخز السنان"[1].

وأمام هذا الموقف الجبان المتخاذل منهم وجد موسى عليه السلام نفسه وحيدًا ليس معه إلا أخيه هارون عليه السلام فتوجه إلى ربه بهذا الدعاء ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٥). ومعلوم أن دعاء الأنبياء (عليهم السلام) مستجاب عند الله تعالى؛ لذلك لبى الله دعوته التي كان يطلب فيها التفريق بينه وبين إسرائيل من ذلك الجيل الجبان، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة: ٢٦).

وهكذا أسلمهم الله - وهم على أبواب الأرض المقدسة - للتيه، وحرّم على جيلهم دخولها؛ حتى ينشأ جيل جديد غيرهم. ومضى هذا الجيل تائهًا في الصحراء أربعين سنة، يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار حتى ماتوا، وانتهوا بجبنهم وضعفهم وتخاذلهم، ونشأ جيل جديد تربى على الشدة والقوة، صقلته الصحراء بخشونتها؛ فأيقظت فيه معاني الرجولة والهمة والتحمل والشجاعة والإخلاص، وتم بهم فتح الأرض المقدسة بقيادة يوشع بن نون عليه السلام[2].

تلك كانت جملة من العقوبات التي نزلت ببني إسرائيل جزاء بغيهم وطغيانهم وتجرئهم على أوامر الله تعالى وأحكامه، ورأينا أن هذه العقوبات وقعت في أثناء تلبسهم بالمعصية مع إصرارهم على عدم التوبة أو الندم، وقد وقعت تلك العقوبات في زمنها، وانتهت بانتهاء مسبباتها؛ إلا أنها بقيت مسجلة في آيات القرآن الكريم تنطق

---

(١) قطب، سيد (المرجع نفسه) ٢/ ٨٧٠.

(٢) العلي، إبراهيم (العقوبات الربانية لليهود- التيه وقتل بعضهم بعضًا) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثالث، آذار، (مارس) ١٩٩٧م، ص٥١.

بالحق على طبيعة التطرف اليهودي والعنف الصهيوني إلى أن تقوم الساعة، وهناك من العقوبات ما زالت قائمة ومستمرة، تلاحقهم إلى آخر أيامهم في الدنيا، وسيكون حديثنا عنها في المطلب القادم، إن شاء الله تعالى.

المطلب الثاني: عقوبـــات ربانيـــة دائمـــة

أولاً: [illegible] الأ[illegible]م عليهم:

إنه وبسبب ظلم اليهود وبغيهم واعتدائهم على حرمات الله، وتمردهم على أوامره وتحايلهم على أحكامه سبحانه التي جعلتهم ﴿ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا.. ﴾ (الأعراف: ١٦٩).

فإن الله تعالى شدد عليهم في الأحكام عقابًا لهم، فحرم عليهم طيبات كانت مباحة من قبل. وقد سجل القرآن مجموعة من الأحكام المشددة التي فرضها الله عليهم جزاء تطرفهم وجرائمهم، قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾ (النساء: ١٦٠).

ومن بين الطيبات التي حرمها الله عليهم ما أشارت إليه سورة الأنعام، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٤٦).

وهذه الآية بيان لما حرمه الله على بني إسرائيل جزاء ظلمهم، وهي أيضًا رد على اليهود الذين زعموا أن الله لم يحرم عليهم شيئًا، وإنما هم حرّموا على أنفسهم ما حرّمه إسرائيل على نفسه، فجاءت هذه الآية الكريمة لتبين بعض ما حرمه الله عليهم من الطيبات التي كانت حلالاً لهم[1].

(١) طنطاوي، سيد (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ٢/٣٩٦- ٣٩٧.

وقد حرّم الله عليهم كل ذي ظفر، أي: كل حيوان ليس بمنفرج الأصابع من البهائم والطير كالإبل والنعام والأوز والبط(١).

وحرم الله عليهم شحوم(*) الأنعام من البقر والغنم، واستثنى من هذه الشحوم المحرمة ما حملت ظهورهما أو الحوايا(**) أو ما اختلط بعظم، أي: أن الله تعالى كما حرّم عليهم كل ذي ظفر؛ فقد حرم عليهم كذلك من البقر والغنم شحومها الزائدة التي تؤخذ بسهولة، وقد استثني من التحريم من شحوم هذه الأنعام ما حملت ظهورهما أو ما حملت حواياهما أو ما اختلط بعظمهما فهو حلال لهم(٢).

وكان هذا التحريم جزاءً على بغيهم وظلمهم وفجورهم وتحايلهم (ذلك جزيناهم ببغيهم) إلا أن اليهود (كعادتهم كما خبرناهم)لم يلتزموا ما أمرهم الله - سبحانه وتعالى - به، ودبروا فكرة للاحتيال على أمر الله تعالى، فما كان منهم إلا أن أذابوا الشحم وباعوه وأكلوا ثمنه، فبالرغم من أن أكل الشحم الذي بيناه سابقًا محرم عليهم إلا أنهم أكلوه بطريقة أخرى ماكرة خبيثة، وذلك عندما أكلوا ثمنه، فقد روي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها"(٣).

وجاء من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ جالسًا عند الركن، قال: فرفع بصره إلى السماء فضحك فقال: "لعن الله اليهود - ثلاثًا - إن

(١) الطبري (جامع البيان) ١٢ / ١٩٨.

(*) الشحم: هو الثرب، المادة الدهنية التي تكون على الكرش والأمعاء في الحيوان، وبه يكون لحمه سمينًا، والعرب تسمي سنام البعير وبياض البطن شحمًا، وغلب إطلاق الشحم على ما يكون فوق أمعاء الحيوان. يُنظر: الزمخشري (الكشاف) ٢ / ٧٥. وابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ٢ / ١٨٥، وطنطاوي، محمد سيد (المرجع نفسه) ٢/٣٩٧.

(**) الحوايا: ومفردها حاوية وحويّة، وهي ما تحوّي من البطن فاجتمع واستدار، وفسرت بالمباعر والمرابض التي هي مجتمع الأنعام في البطن. يُنظر: الطبري، محمد بن جرير(جامع البيان) ١٢ / ٢٠٣.

(٢) الطبري، محمد بن جرير(المرجع نفسه) ١٢ / ٢٠٥.

(٣) اخرجه البخاري ﷺ في صحيحه، يُنظر: العسقلاني، احمد بن علي (فتح الباري شرح صحيح البخاري) ٤ / ٥٢١، كتاب البيوع، باب: لا يذاب شحم الميتة، ولا يباع ودكه. حديث رقم ٢٢٢٤، واخرجه الإمام مسلم في ـ ". يُنظر: (صحيح مسلم بشرح النووي) ٤ / ٩٢، كتاب البيوع، باب: تحريم بيع الخمر والميتة.. حديث رقم ٧٠، ٦٩.



الله حرم عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها، وإن الله تعالى إذا حرّم على قوم أكل شيء حرّم عليهم ثمنه"[1].

ولذلك يحرم بيع الخمر والخنزير والميتة والأصنام؛ لأن ما يحرم أكله يحرم بيعه والانتفاع بثمنه، فعن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله يقول عام الفتح: "إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام"، فقيل: يا رسول الله: أرأيت شحوم الميتة، فإنها تدهن بها الجلود، وتطلى بها السفن ويَسْتَصْبِحُ - (أي يجعلونها في مصابيحهم)- بها الناس؟ فقال: "لا، هو حرام"، ثم قال رسول الله عند ذلك: "قاتل الله اليهود؛ إن الله لما حرم عليهم الشحوم أجملوه - (أي أذابوه) - ثم باعوه فأكلوا ثمنه"[2].

ونتيجة لتحايل اليهود وتحريفهم وظلمهم واعتدائهم على أحكام الله سبحانه؛ فقد استحقوا أن يحملهم الله إصرًا ثقيلاً وحملاً عظيمًا، وقد كان هذا الإصر الثقيل عقوبة من الله لليهود تمثلت في الأحكام الشاقة والمشددة التي طالبهم الله (عز وجل) بها جزاء بغيهم وتطرفهم، وقد ذكر الإمام الزمخشري - رحمه الله - مجموعة من هذه الأحكام الشديدة على اليهود، والتي يبدو فيها الإصر والعبء الثقيل عليهم فقال: الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه، أي: يحبسه عن الحراك لثقله. وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته، نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم، وكذلك الأغلال مثل ما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة، نحو: بت القضاء بالقصاص عمدًا كان أو خطأ من غير شرع الدية، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب، وإحراق الغنائم، وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت"[3].

هذا هو حال اليهود جزاء اعتدائهم على حرمات الله وأوامره: الأحكام الشديدة القاسية والإصر الثقيل، ونحو ذلك من العقوبات الشديدة. ﴿ رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ.. ﴾ (البقرة: ٢٨٦).

---

(١) أبو داود (سنن أبي داود)، والإمام ابن حنبل، أحمد (مسند الإمام أحمد) ٢٣٤/١، ٢٤٨.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه. يُنظر: النووي، أبو زكريا محيي الدين الإمام يحيى بن شرف (صحيح مسلم بشرح النووي) تحقيق وإشراف عبد الله أحمد أبو زينة ٤ / ٩٠-٩١، كتاب المساقاة والمزارعة، باب: تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، حديث رقم ٦٧.

(٣) الزمخشري، محمد بن عمر (الكشاف) ٢/ ١٦٥-١٦٦.

ثاً: إ ء ا اوةوا ء بينهم وقسوة قلوبهم:

حلقات متصلة في سلسلة طويلة من العقوبات الربانية التي أوقعها الله - سبحانه وتعالى - على اليهود، وتأتي هذه العقوبة الشديدة الأليمة لتحول حياتهم إلى جحيم، وتقلب علاقات الألفة والمودة فيما بينهم إلى علاقات تسودها العداوة والبغضاء والحقد حتى صار أحدهم ينظر إلى الآخر بمنظار العداوة والبغض، قال تعالى: ﴿ وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.. ﴾ (المائدة: ٦٤).

لقد نزلت هذه العقوبة باليهود؛ لتصبح القاعدة التي تتحكم في العلاقات الاجتماعية فيما بينهم، وهي بلا شك قد أثرت تأثيرًا شديدًا على المجتمع اليهودي؛ فدمرت روابطه الداخلية، وهدمت علاقاته الأخوية؛ بسبب افترائهم على الله، وسعيهم الحثيث لإفساد الناس وتدمير مجتمعاتهم، ومحاربتهم للحق وأهله. فهم بهذه العقوبة كأنهم حولوا السوء وما يمكرون على أنفسهم، فكانت العقوبة جزاءً وفاقًا ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (النحل: ١١٨).

إن هذه العقوبة الربانية حولت أفراد اليهود إلى أفراد متناحرين ومختلفين ليس إلى مدة محددة، وإنما إلى يوم القيامة؛ فالناظر إلى حياة اليهود عبر تاريخهم الطويل يجد أن حياتهم ممزوجة بالحقد والكراهية والمشاحنات والاختلافات، وقد يظن البعض أنهم متحدون، ولكنهم في حقيقة الأمر خلاف ذلك فيما بينهم ﴿ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة الحشر، الآية : ١٤).

ومن أبرز مظاهر هذه العقوبة على اليهود انقسام مملكة سليمان عليه السلام إلى قسمين، فبعد وفاته عليه السلام انقسم اليهود إلى دولتين متناحرتين، وهما: دولة إسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم، ودولة يهوذا في الجنوب وعاصمتها القدس. وقد مرّ معنا الحديث عن قسمي المملكة في سياق البحث.

يقول إبراهيم العلي: "وقد استمرت حالة العداء والقطيعة والحرب في زمن أبيا بن رحبعام، وكان لها وقائع فعلية؛ حيث حشد أبيا أربع مئة ألف مقاتل، وزحف بهم على إسرائيل، وخرج إليه يربعام بثمان مئة ألف، ودارت الدائرة على جيش يربعام.. وكانت

العلاقة بين الدولتين تتراوح بين حالة الصفاء والمحالفة لمدة قصيرة من الزمن إلى حالة العداء والحرب وسفك الدماء وقتل الأبرياء، وكانت الدولتان تتحالفان مع الوثنيين في عصرهما لتحارب كل منهما الأخرى، واستمرت هذه الحالة بينهما حتى قضي عليهما"[1].

ثم إن الناظر إلى حال اليهود في فلسطين؛ يجد أنهم منقسمون إلى قسمين رئيسيين من حيث بلدانهم الأصلية التي قدموا منها، فاليهود الغربيون" الإشكنازيم" يعدون أنفسهم الأفضل من غيرهم من اليهود الشرقيين "السفارديم"، ولذلك فإن الإشكنازيم يسيطرون على مقاليد الأمور السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية منذ قيام الكيان الصهيوني. يقول إبراهيم العلي: "ومما يميز العلاقة بين الإشكنازيم والسفارديم أنها قامت على التوتر والكراهية الشديدة طوال العقود الماضية، ويعاني السفارديم بصورة قاسية من التمييز الذي تمارسه ضدهم النخبة الحاكمة المتسلطة من اليهود الغربيين "الإشكنازيم" الذين يحرصون على منع السفارديم من الوصول إلى الحكم؛ لأنهم يخافون بزعمهم أن تتحول دولة اليهود إلى دولة شرقية متخلفة (كما عبر عن ذلك بن غوريون). ثم إن غالبية اليهود الغربيين يعزفون عن الزواج من يهوديات شرقيات، ويحذرون أبناءهم من اللعب مع أطفال اليهود الشرقيين"[2].

وما زال اليهود يعيشون في ظلال هذه الشحناء والبغضاء والعداوة فيما بينهم، وستبقى هذه الحالة من العداوة قائمة بينهم كما أخبر الله تعالى إلى يوم القيامة.

أما القسوة فقد أصابت قلوبهم، واستقرت فيها، حتى أصبحت قلوبهم كالحجارة أو أشدّ قسوة، وكان ذلك بسبب نقضهم ميثاقهم مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ** ﴾ (المائدة: ١٣).

---

(١) العلي، إبراهيم (العقوبات الربانية لليهود- إلقاء العداوة والبغضاء بينهم) مجلة فلسطين المسلمة، العدد الثاني عشر، كانون أول (ديسمبر) ١٩٩٦م، ص٥١- ٥٢.

(٢) (المرجع السابق نفسه).

يقول سيد قطب - رحمه الله: "وصدق الله، فهذه سمات يهود التي لا تفارقهم؛ لعنة تبدو على سيماهم؛ إذ تتضح بها جبلتهم الملعونة المطرودة من الهداية، وقسوة تبدو في ملامحهم الناضبة من بشاشة الرحمة، وفي تصرفاتهم الخالية من المشاعر الإنسانية، ومهما حاولوا - مكرًا - إبداء اللين في القول عند الخوف وعند المصلحة والنعومة في الملمس عند الكيد والوقيعة، فإن جفاف الملامح والسمات ينضح ويشي بجفاف القلوب والأفئدة"[1].

يستطيع كل إنسان أن يتخيل الحجارة الصلدة القاسية اليابسة، وهي مع كل هذه الصفات أرق وأندى من قلوب اليهود، وذلك أن من تلك الحجارة ما يشقق فيخرج منه الماء، وقد ثبت أن موسى ﷺ عندما استسقى لقومه ضرب الحجر بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا[*]، فهذه الحجارة على قساوتها، فإنه يوجد في قلوب البشر ما هو أشد منها قسوة، وهو وصف لا ينفك عن قلوب اليهود إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٤).

وقد جاءت هذه الآيات بعد مشهد كفيل بأن يلين أقسى القلوب صلابة؛ لكنها قلوب يهود التي هي أشد مما نتصور، فقد ثبت أن قسوة قلوبهم التي أشارت إليها الآيات السابقة كانت بعد الحادثة التي أحيا الله فيها قتيلاً منهم بعدما تم ضربه بجزء من البقرة التي ذبحوها، فتكلم القتيل الميت، وأخبر عن قاتله[2]، فأي قلوب هذه التي لا تتحرك ولا تلين، وهي ترى ذلك بأم عينها؟!!

نعوذ بالله من قلوب جفت فيها العاطفة، وتحجرت فيها المشاعر، وماتت فيها الرحمة. إنها قلوب اليهود التي سيطرت عليها القسوة فلازمتها مع حياتها كلها، وما

---

(١) قطب، سيد (في ظلال القرآن) ٢/٨٥٩.

(*) ودليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾ (البقرة: ٦٠).

(٢) يُنظر: إلى الحادثة في كتب التفسير عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٧٢-٧٣).

زالت، فقد كانت مظاهر التطرف والعنف والإرهاب والجحود ترجمة صريحة لهذه القسوة. وقد اعترفوا هم بقسوة قلوبهم، وأكد القرآن الكريم ذلك، فقال تعالى: (وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ) (البقرة: ٨٨)، وستبقى كذلك!!.

ثا ً: عقو ا وا :

أخبر الله تعالى في كثير من آيات القرآن الكريم بأن اليهود استحقوا اللعنة والغضب، وكان ذلك بسبب كفرهم واعتدائهم واستخفافهم بأوامر الله ونواهيه، فقال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨- ٨٠).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ (النساء: ٤٧)، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴾ (النساء: ٥١ - ٥٢).

وانظر أيضًا إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ (المائدة: ٦٠)، ومن الآيات أيضًا قوله تعالى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٦- ٨٧).

واللعن: "الطرد والإبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة، وفي الدنيا انقطاع من قبول رحمته وتوفيقه، ومن الإنسان دعاء على غيره"[1].

(١) يُنظر: الطبري (جامع البيان) ٦/ ٥٧٦، وطنطاوي، محمد سيد (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ٤١٢/٢.



قال ابن عباس (رضى الله عنهما): "لعنوا بكل لسان، لعنوا على عهد موسى في التوراة، ولعنوا على عهد داود في الزبور، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل، ولعنوا على عهد محمد ﷺ في القرآن"[1].

وتعد عقوبة اللعن من الله على اليهود من العقوبات المستمرة التي تلاحقهم إلى يوم القيامة بسبب تماديهم في المعاصي واستمرارهم في تطرفهم وعنفهم وارتكابهم السيئات.

ولنفس الأسباب فقد غضب الله عليهم غضبًا متجددًا مستمرًا لا ينقطع عنهم؛ بل يلازمهم في كل أحوالهم وأزمانهم وأجيالهم؛ فهم يتوارثون لعنة الله وغضبه كما يتوارثون التطرف والعنف والكفر؛ فإن كتبهم وحاخاماتهم وقادتهم وزعماءهم يوصون ويحثون على القتل والنهب والمكر والاعتداء على حرمات الله؛ بل لقد جعلوا من الأعمال الشيطانية منهاجًا يتبع لا يجوز مخالفته، ولذلك استحقوا غضب الله المتجدد.

وقد جاء في الحديث عن عدي بن حاتم ﷺ عن النبي ﷺ قال: "اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال"[2].

وقد استحق اليهود غضب الله أيضًا بسبب تعاملهم مع الأنبياء، فحين لا يأتي النبي بما يحقق أهواءهم وشهواتهم؛ بل ويأمرهم بما يخالف هذه الأهواء فإنهم يسارعون إلى تكذيبه وتسفيهه، فإذا لم يُجْدِ ذلك نفعًا بالنسبة لهم؛ فإنهم سرعان ما يبادرون إلى التخلص منه وقتله، قال تعالى: ﴿ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة: ٨٧)، أما الآيات التي تقرر غضب الله عليهم فهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الأعراف: ١٥٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ

---

(١) الطبري، محمد بن جرير (المرجع نفسه)، ١٠ / ٤٨٩.

(٢) الترمذي (الجامع الصحيح) ٥ / ٢٠٤ كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة فاتحة الكتاب، حديث رقم ٢٩٥٣. وقال الترمذي: حديث حسن غريب، كما ورد الحديث عنده برقم ٢٩٥٤، والإمام ابن حنبل، احمد : (مسند الإمام أحمد بن حنبل) ٤/٣٧٨- ٣٧٩.

بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١). وأيضًا قوله تعالى: ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (البقرة: ٩٠).

يقول سيد قطب - رحمه الله: "فقد ظل بنو إسرائيل يرتكبون الخطيئة بعد الخطيئة ويسامحهم الله المرة بعد المرة حتى انتهوا إلى الغضب الدائم واللعنة الأخيرة"[1] ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٢).

رابعاً: ضرب الذلة والمسكنة عليهم وتشريدهم في الأرض:

قال تعالى: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ٦١).

أشرنا فيما سبق إلى مجموعة من العقوبات التي نزلت باليهود نتيجة لأعمالهم المتطرفة وسلوكهم العنيف وكفرهم وتجديفهم على الله تعالى ورسله الكرام (عليهم السلام)، وعلى الرغم من قساوة العقوبات التي حلت بهم إلا أنهم مصرون على ارتكاب الموبقات. فلقد تمادوا فيها إلى حد كبير حتى هوت بهم إلى مكان سحيق، فكانوا أهل الذلة والمسكنة واللعنة والغضب والتشريد في الأرض.

إن كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء واعتداءهم على حرمات الله وأحكامه وعصيان أوامره جعلتهم أهلاً للذلة والمسكنة والتشريد وعرضة لغضب الله ولعنته.

أليسوا هم الذين تركوا عبادة الله الجبار، وعبدوا العجل الخوار؟ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (الأعراف: ١٥٢).

أليس من أبشع جرائمهم التي تدل على صلادة قلوبهم، وموت الرحمة فيها، قتلهم وتكذيبهم لأنبيائهم.

---

(١) قطب، سيد (المرجع نفسه) ١٣٧٥/٣.



بلى؛ لقد كان اليهود يتمتعون بقسوة مميتة في قلوبهم، دفعتهم كلما أتيحت لهم الفرصة إلى قتل أشرف خلق الله وأرفعهم مكانة إشباعًا لرغباتهم الفاسدة ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ وَحَسِبُوا أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٧٠- ٧١).

لقد أصبح التطرف والعنف الممارسة العملية المقدسة في حياة يهود، ولهذا تعرض الأنبياء - رسل الله تعالى - إلى شتى صنوف الأذى والقتل بعد أن كذبوهم وكفروا بهم وبمن أرسلهم، ولهذا استحقوا غضب الله وسخطه أينما حلوا، وحيثما نزلوا إلى قيام الساعة ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾ (آل عمران: ١١٢).

وقد عبرت الآيات الدالة على هذه العقوبة عن لصوق الذلة والمسكنة بيهود بكلمة "ضربت" يقول الخالدي: "وهذه الكلمة توحي بالحالة الدائمة التي لا تفارقهم، والضرب هنا يعني الختم، تقول: ضربت الدراهم والدنانير، يعني: صهرت المعادن صهرًا وسكبت سكبًا، لتخرج على صورة الدراهم أو الدنانير، وهذا ما نلحظه في تاريخ اليهود كله، فقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة ضربًا، وكأن نفوسهم أعيد تكوينها من جديد؛ حيث مزجت بالذلة والمسكنة مزجًا، وخلطت بهما خلطًا، وعجنت بهما عجنًا"[1].

أما الذلة فهي الصغار والهوان والحقارة، أما الحبل فهو ما يربط بين شيئين وهو السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة، ولذلك سمي الأمان حبلاً؛ لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف، ويطلق الحبل أيضًا على العهد؛ لأن الناس يرتبطون بالعهود كما يقع الارتباط الحسي بالحبال[2].

يقول الطبري - رحمه الله: "وأما الحبل الذي ذكره الله تعالى في هذا الموضع فإنه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين، وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام، والمعنى: أن هؤلاء اليهود أحاطت

(١) الخالدي، صلاح (الشخصية اليهودية) ص٣٠٦.
(٢) الطبري (جامع البيان) ٧ / ١١١، ٧٠ طنطاوي، محمد سيد (بنو إسرائيل في القرآن والسنة) ٢/ ٤٢٣.

بهم الذلة في جميع أحوالهم أينما حلوا وحيثما نزلوا إلا في حال اعتصامهم بعهد من الله أو بعهد من الناس"[1].

يقول الخالدي: "والحبل ورد بصيغة الاستثناء، يعني: أن الذلة والمسكنة ملازمة لليهود في حياتهم الطويلة، ولا يكاد يخرج عنها إلا مدة قصيرة جدًا.. وكيان اليهود القائم الآن يمثل هذه المدة التي يظن فيها زوال الذلة والمسكنة عنهم، فما هي إلا مدة قصيرة ريثما ينتهي فيها أمد الحبل الممدود إليهم ويتقطع"[2].

والحقيقة التي نود أن نقولها أن اليهود ما أقاموا كيانهم الغاصب وانتصروا علينا إلا لبعدنا عن ديننا، ولن نستطيع أن نقطع الحبل الممدود إليهم من الناس من أمريكا وبريطانيا وفرنسا وكثير من الدول الأخرى إلا إذا تمسكنا بديننا وعقيدتنا ووحدنا صفوفنا المبعثرة هنا وهناك ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠)، ونحن مستبشرون بنصر الله تعالى؛ لأن الأصل سرعان ما يغلب، والذي سرعان ما يجلب على يهود بخيله ورَجله، وإذا هم يعيشون حياة الذل والمسكنة من جديد؛ لأن هذه العقوبة مصاحبة لهم في الدنيا إلى قيام الساعة، وقد اختصوا بها من بين سائر الأمم والناس جميعًا ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾.

أما عن تشريدهم في الأرض؛ فهو أيضًا عقوبة لهم من الله تعالى جزاءً وفاقًا على كذبهم وعدوانهم، وقد صاحبتهم هذه العقوبة عبر العصور المختلفة؛ فتفرقوا في بقاع الأرض وأصقاعها حتى مُزق شملهم، وأصبحوا موضع ازدراء الأمم واحتقارهم، وكانت الذلة والمسكنة عنوان تواجدهم، وقد أخبرنا القرآن الكريم عن هذه العقوبة التي حلت بهم ولازمتهم في كل تاريخهم، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٧- ١٦٨).

إنه قضاء الله وحكمه تعالى فيهم بسبب استمرارهم في ارتكاب المعاصي والموبقات، وقد ظهر حكم الله فيهم هذه المرة في أمرين: الأول؛ ليبعثن الله عليهم إلى

(١) الطبري (جامع البيان) ٧ / ١١١-١١٥.

(٢) الخالدي، صلاح (المرجع نفسه) ص٣١٠.

يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب، أما الأمر الثاني؛ فهو تشتيتهم في الأرض وتفريقهم فيها وتمزيقهم شر ممزق.

يقول الدكتور الخالدي: "والتاريخ يخبرنا عن هذه الحقيقة القرآنية؛ فبعدما ارتكب يهود ما ارتكبوا من الكفر والفسوق والعصيان، أخرجوا من الأرض المقدسة وتفرقوا في بقاع الأرض، وبعث الله عليهم من كل حين من يسومهم سوء العذاب، وشُتتوا في البلاد، وتفرقوا بين الأمم والشعوب وراحو يجترُّون الآلام والمصائب، ويعيشون على العذاب والذل، وانزووا داخل "الجيتو" اليهودي في كل بقعة، وانكمشوا على أنفسهم، وتمكن منهم الحقد والبغض والعداء للإنسانية، وضمرت المعاني الإنسانية في نفوسهم ونفوس أبنائهم، وصاوروا يُنشِّئون الأبناء والأحفاد على معاني الكره والحقد والبغضاء فيخرجون نسخة طبق الأصل من الطبعة اليهودية المشوهة الخالية من المعاني الإنسانية"[١].

وإلى هنا نكون قد ذكرنا بعض العقوبات التي أنزلها الله تعالى ببني إسرائيل، ثم بمن تبعهم من يهود جزاء كفرهم وظلمهم وتطرفهم وعنفهم ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (النحل: ٣٣).

وستظل العقوبات الربانية التي نزلت بهم وسجلها القرآن الكريم شاهدًا ودليلاً على شدة تطرفهم وعظم عنفهم، كما ستبقى العقوبات الربانية المستمرة المتجددة تلاحقهم في كل زمان، وفي كل مكان إلى أن تنتهي شرورهم، وينقطع عنفهم عن الأرض ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (الروم: ٤).

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا...

(١) الخالدي، صلاح (المرجع نفسه) ص٢٨٩.

الخاتمة

ختامًا لهذا البحث مع التطرف والعنف في الفكر اليهودي نستطيع أن نجمل أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها فيما يأتي:

أولاً: أهم النتائج:

- أن مصطلح التطرف من المصطلحات الحديثة، وهو غربي النشأة، ليس له جذور في اللغة العربية إلا أنه عرف بالغلو والتنطع والتشدد.
- أن الإرهاب بمفهومه الحديث لم يكن اختراعًا عربيًا، فقد كانت بداية ظهوره إبان الثورة الفرنسية، ثم ما تلا ذلك من ممارسات إرهابية على يد يهود.
- عدم نقاء العنصر اليهودي لاختلاطهم بالأجناس الأخرى، وأن يهود اليوم لا يمتون بأي صلة لبني إسرائيل.
- أن العنف عند اليهود من أبرز مظاهر التطرف، وهو وسيلة لإثبات الذات اليهودية، كما أنهم يعدون العنف المتنفس الوحيد للشحنات الزائدة من مشاعر الكراهية للشعوب.
- أن ظاهرة التطرف والعنف لم تكن حالة عرضية على السلوك اليهودي، إنما ارتبطت بتاريخ اليهود منذ وجودهم، واستمرت متسلسلة مع مراحل حياتهم؛ فهي ترافقهم أينما حلوا، وحيثما وجدوا، تجسد الروح العدوانية عندهم حتى كانت سببًا في كراهية الشعوب لهم.
- ليس للهيكل أية بقايا تذكر كما يدعي اليهود حين يسوغون حفرياتهم تحت المسجد الأقصى المبارك.

- أن التوراة التي يتداولها اليهود الآن ليست هي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام، وإنما هي بمجملها مع بقية أسفار العهد القديم مؤلفة تأليفًا بشريًا، وفي عصور لاحقة لعصر موسى عليه السلام.

- أن التجرؤ على الله تعالى ورسله الكرام (عليهم السلام) ونكران اليوم الآخر والصور الجنسية الرخيصة، ونحو ذلك من المنكرات؛ ليؤكد تأكيدًا ثابتًا أن الكتاب الذي يحوي ذلك ليس كتابًا مقدسًا أو منزلاً من عند الله سبحانه وتعالى.

- أن الدستور اليهودي يشجع العنصرية، ويقدِّس القهر والعنف والقتل والإبادة.

- أن التلمود بلغ من القداسة عند اليهود ما لم تبلغه التوراة، وقد ساهم في تغذية روح التطرف والعنف والعنصرية والاستعلاء، وكان له التأثير الأكبر على تصرفات اليهود العدوانية ضد البشر جميعهم من غير يهود، وأن استنزاف دم المسيحيين والمسلمين كان بدافع من الوصايا التلمودية الخطيرة.

- أن الحاخامات يحظون بقداسة ومكانة لا يرتفع إلى مستواها أحد، فهم معصومون عن الخطأ، وقد استغل الحاخامات هذه المنزلة ليسيطروا على العقلية اليهودية والمجتمع اليهودي؛ بحيث نجحوا في قيادة المجتمع اليهودي إلى اعتناق مبدأ العنف وسيلة فاعلة لتحقيق أهدافهم في السيطرة والاستعلاء.

- كان لليهود الدور الأكبر والأخطر في هدم الخلافة العثمانية، كما أن يهود الدونمة قد أسهموا في هدم القيم والأخلاق الإسلامية من خلال تظاهرهم بالإسلام.

- أن أبرز عمليات العنف اليهودي من إرهاب وقتل وتعذيب قد تم ممارستها على الشعب الفلسطيني.

- أن عداء اليهود للإسلام والمسلمين يرجع لكون الرسول محمد ﷺ من العرب، وأن دين الإسلام سوف يفك قبضتهم عن رقاب العباد.

- أن النفسية اليهودية مجبولة على الغدر ونقض العهود وكراهية العرب والمسلمين.

- أن ما حكاه القرآن عن تطرف اليهود وعنفهم واستحقاقهم عقاب الله تعالى كان تأكيدًا على طبيعتهم المنحرفة التي لا تتغير.
- أن المراهنة على وعود يهود بمشاريع السلام المزعومة يخالف ما أكده القرآن الكريم لطبيعة يهود وروحهم العدوانية المرتبطة بالعنف والتطرف والإرهاب.

وأخيرًا؛ فإن اليهود، وعلى الرغم من كل ما وصفوا به من تطرف وعنف وخبث ووقوفهم خلف الكثير من الفساد في العالم، فإنهم يبقون جبناء، لن يقووا على الوقوف أمام المسلمين ما دام المسلمون متَّحدين متمسكين بحبل الله، قال تعالى: ﴿ لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر: ١٤)، ثم إن المستقبل لهذا الدين الذي كتب الله له الاستمرار والحياة، أما الكيان اليهودي فهو بمثابة المرض الذي أصاب جسد الأمة، وأن سائر الجسد سيتداعى عليه وينهيه ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ ﴾ (الروم:٤- ٥).

ثانيًا: أهم التوصيات:

- التشجيع على الإكثار من الدراسات التي تفضح اليهود وتكشفهم على حقيقتهم؛ ليتعرف الناس على أبعاد خطرهم المدمر، ويقفوا على كيفية مواجهته ودرئه.
- توجيه عناية الباحثين إلى دراسة التلمود وكشف تعاليمه التي تعد وثيقة خطيرة تهدد البشرية، مع ضرورة العناية بترجمته إلى اللغة العربية.
- أن يحذر الناس عامة، والعرب والمسلمون خاصة، من كيد يهود ومؤامراتهم، وأن يرفضوا كل صوت يدعو إلى مصالحتهم؛ لما فيه من مخالفة لمنهج القرآن، وأن يتبنوا ويشجعوا كل صوت يدعو لمحاربتهم؛ لما في ذلك من توافق مع إرادة الله وسنن الحياة وحقائق التاريخ.
- ضرورة إعداد العدة لتخليص الناس من وباء يهود، مع اعتماد المنهاج القرآني في مجاهدتهم ومحاربتهم؛ إذ إن القرآن يكشف لنا عن أساليبهم في القتال، ويضع

بين أيدينا عدة الجهاد وأسباب النصر والتمكين، ويؤكد أن الانتصار عليهم لا يكون إلا تحت رايته وهديه.. ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾ (المعارج: ٥-٧).

وختامًا؛ أحمد الله تعالى الذي أعانني على إتمام هذا البحث الذي لا أدعي فيه الكمال، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، فله الشكر أولاً وآخرًا، وأما ما كان فيه من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله على ذلك.. وأسأله تعالى أن يجعل كل ما بذلته من جهد فيه جهادًا في سبيله وخالصًا لوجهه تعالى، وفي ميزان حسناتنا يوم القيامة.

وآخـــر دعوانـــا أن الحمـــد لله رب العالميـــن.

وصل اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

قائمة المراجع

- ١ـ القرآن الكريم.
- ٢ـ الكتاب المقدس: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، العهد القديم، الإصدار الثاني ١٩٩٥م، الطبعة الرابعة، جمعية الكتاب المقدس في لبنان.
- آدمز: مايكل آدمز ـ كريستوفر ميهيو.

٣- ليس للنشر: ترجمة: محمود فلاحة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨م.

- أسود: عبد الرزاق أسود.

٤- الموسوعة الفلسطينية: نشر وتوزيع الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى ١٩٧٨م.

- الأصفهاني: الحسين بن بن الفضل الملقب بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)

٥- المفردات في غريب القرآن في اللغة والأدب والتفسير وعلوم القرآن: طبعة ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م.

- أوستروفسكي: فيكتور أوستروفسكي

٦- عن طريق الخداع، صورة مروعة للموساد من الداخل: الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

- أويغور: ضياء أويغور

٧- جذور الصهيونية: ترجمة: إبراهيم الداقوقي، وزارة الثقافة والإرشاد - بغداد، ١٩٦٦م

- البار: د. علي البار

٨- أباطيل التوراة والعهد القديم (١) المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم.

٩- أباطيل التوراة والعهد القديم (٢) الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم: وهذان الكتابان من طباعة دار القلم، دمشق. والدار الشامية، بيروت. الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

- الباش: حسن مصطفى الباش

١٠- القدس بين رؤيتين - هل تحسم النبوءات الصراع؟: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م.



- **بدران: بدران بدران**

١١- التوراة.. العقل.. العلم والتاريخ: القاهرة.

- **بدون مؤلف:**

١٢- المنجد في اللغة والإعلام: دار المشرق، بيروت، طبعة ٢٢، سنة ١٩٨٦م.

- **براناتيس: الأب آي. بي براناتيس**

١٣- فضح التلمود - تعاليم الحاخامات السرية: إعداد زهدي الفاتح، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

- **برانق: محمد أحمد برانق، ومحمد يوسف المحجوب**

١٤- محمد واليهود: مؤسسة المطبوعات الحديثة، مطبعة العالم العربي، القاهرة.

- **البعلبكي: منير البعلبكي**

١٥- المورد - قاموس إنكليزي عربي: دار العلم للملايين، الطبعة ٢١، بيروت، ١٩٨٧م

- **البغدادي: زين الدين أبي الفرج البغدادي**

١٦- جامع العلوم والحكم: دار الفكر

- **بيجين: مناحيم بيجين**

١٧- الثورة: ترجمة معين أحمد محمود، وجعله بعنوان (الإرهاب - مناحيم بيجين): دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

- **الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)**

١٨- الجامع الصحيح - سنن الترمذي: تحقيق إبراهيم عطوة عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

- **تكروري: د. نواف هايل تكروري**

١٩- أحكام التعامل السياسي مع اليهود في فلسطين المحتلة: دار الشهاب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

- **التل: عبد الله التل**

٢٠- جذور البلاء: المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م بيروت ودمشق.

٢١- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية: دار القلم.

- **التميمي: د. فرحان التميمي**

٢٢- الألوهية بين العهد القديم والقرآن الكريم: رسالة دكتوراه غير منشورة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، ١٩٩٧م.

■ جارودي: رجاء جارودي

٢٣- الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية: دار الغد العربي، القاهرة.

٢٤- العولمة المزعومة.. الواقع.. الجذور.. البدائل: ترجمة محمد السبيطلي - دار الشوكاني للنشر والتوزيع - صنعاء، ١٩٩٨م.

٢٥- ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية: ترجمة د. مصطفى كامل فودة - دار الشروق الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

■ جريس: سمير جريس

٢٦- القدس.. المخططات الصهيونية.. الاحتلال.. التهويد: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت - لبنان الطبعة الأولى ١٩٨١م.

■ جريس: صبري جريس

٢٧- العرب في إسرائيل: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٣م.

■ ا ِ ٌ ي: أنور الجندي

٢٨- الإسلام في مواجهة الفلسفات القديمة: رقم (١١) من سلسلة الموسوعة الإسلامية العربية، مطبعة الشركة العالمية للكتاب، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب العالمي، ١٩٨٧م.

٢٩- المخططات التلمودية الصهيونية اليهودية في غزو الفكر الإسلامي: دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٧٧م.

■ جولدا مائير:

٣٠- حياتي: ترجمة منير بهجت حيدر، وسمية أبو الهيجا، أصبح عنوانه بعد الترجمة جولدا مائير- الحقد، طبعة دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

■ الجويني: حجة الإسلام أبو المعالي إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت ٤٧٨ هـ):

٣١- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل: تحقيق د. أحمد حجازي السقا، دار الشباب للطباعة - القاهرة، الطبعة الأولى بمصر ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م.

■ الحاج: د. محمد أحمد الحاج

٣٢- النصرانية من التوحيد إلى التثليث: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

■ حدّاد: د. مهنا يوسف

٣٣- الرؤية العربية لليهودية: منشورات ذات السلاسل - الكويت - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

■ حربي: د. محمد حربي

٣٤- ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره: عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

■ ابن حزم: علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ)

٣٥- الفصل في الملل والأهواء والنحل: مكتبة المثنى - بغداد.

■ حسن: محمد علي حسن

٣٦- الخلاف بين التوراة والقرآن: المكتبة الشرقية، الطبعة الثانية، بغداد، ١٩٨٩م.

■ الحسن: يوسف الحسن

٣٧- البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي - الصهيوني: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

■ الحمد: جواد الحمد

٣٨- التقرير - المواجهة بين حماس والموساد: مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان، ١٩٩٨م.

■ الحمصي، د. محمد حسن الحمصي

٣٩- تفسير وبيان: على هامش القرآن الكريم، مطبعة دار الرشيد دمشق - بيروت.

■ الحموي: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ)

٤٠- معجم البلدان: دار صادر، بيروت - لبنان ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

■ ابن حنبل: الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)

٤١- مسند الإمام أحمد: المكتب الإسلامي ودار صادر للطباعة والنشر، بيروت - لبنان.

■ الحيالي: رعد الحيالي وإبراهيم النعمة

٤٢- ملاحظات إسلامية حول نعوت التطرف والأصولية ومؤامرات الغرب: شركة الخنساء للطباعة المحدودة، بغداد، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

■ الخالدي: د. صلاح عبد الفتاح الخالدي

٤٣- الشخصية اليهودية من خلال القرآن.. تاريخ وسمات ومصير، دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

■ خان: ظفر الإسلام خان

٤٤- التلمود تاريخه وتعاليمه: دار النفائس بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

■ الخربوطلي: د. علي حسني الخربوطلي

٤٥- العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية: معهد البحوث والدراسات العربية العالي بالجامعة العربية - القاهرة، ١٩٦٩م.



■ ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ)

٤٦- مقدمة تاريخ ابن خلدون: ضبط الأستاذ خليل شحاذة ومراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

■ دايان: موشيه دايان

٤٧- الفاشية: سلسلة يوميات قادة العدو: ترجمة جوزيف صفير - دار المسيرة - بيروت - الطبعة الثانية ١٩٨٨م.

■ الدباغ: محمد وجدي بكر الدباغ

٤٨- الأيديولوجية الصهيونية وإسرائيل: مطبعة أسعد - بغداد، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

■ الدجاني: هشام الدجاني

٤٩- اليهودية والصهيونية: دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

■ دراز: محمد عبد الله دراز

٥٠- الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان: مطبعة السعادة ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

■ دروزة: محمد عزة دروزة

٥١- تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم: منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر - صيدا - بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

٥٢- الجذور القديمة لأحداث بني إسرائيل واليهود وسلوكهم وأخلاقهم: مكتبة أطلس - دمشق، ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

٥٣- القرآن واليهود. أحوالهم وأخلاقهم ومواقفهم ومصيرهم: الطبعة الأولى - مطامع المنار - سوريا - ١٣٦٧هـ - ١٩٤٩م.

■ الدوري: د. ن عبد الرحمن الدوري والدكتور رشدي محمد عليان

٥٤- أصول الدين الإسلامي: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - عمان - الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

■ دوعر: غسان دوعر

٥٥- أسود حماس (الجزء الأول) حرب الأيام السبعة: منشورات فلسطين المسلمة - الطبعة الأولى - لندن ١٩٩٣م.

٥٦- المهندس الشهيد يحيى عياش رمز الجهاد وقائد المقاومة في فلسطين: منشورات فلسطين المسلمة الطبعة الأولى - لندن ١٩٩٧م.

٥٧- موعد مع الشاباك: منشورات فلسطين المسلمة - الطبعة الأولى - لندن ١٩٩٥م.

■ ديب: سهيل ديب

٥٨- التوراة تاريخها وغاياتها: دار النفائس - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

■ ديلورم: روجيه ديلورم

٥٩- إني أتهم: ترجمة نخلة كلاس - دار الجرمق للطباعة والنشر - عمان

■ ذا النون: عبد الكريم ذا النون

٦٠- تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية: دار الكتاب العربي - سورية - الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

■ الراجحي: د. عبده الراجحي

٦١- الشخصية الإسرائيلية: دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

■ الرازي: الإمام الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)

٦٢- التفسير الكبير: دار الكتب العلمية - طهران - الطبعة الثانية + الطبعة البهية المصرية، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م.

■ ربيع، حامد عبد الله ربيع

٦٣- الحرب النفسية في الوطن العربي: دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع - بغداد - العراق، ١٩٨٩م.

٦٤- العنصرية الصهيونية ومنطق التعامل السياسي في التقاليد الغربية: منشورات الطلائع.

■ ربيع: محمد محمود ربيع

٦٥- أزمة الفكر الصهيوني: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الثانية، ١٩٧٩م.

■ رزوق: د. أسعد رزوق

٦٦- التلمود والصهيونية: الناشر للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

■ رضا: محمد رشيد رضا

٦٧- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان- الطبعة الثانية.

▪ **الرفاعي: فؤاد بن سيد عبد الرحمن الرفاعي**

٦٨- حقيقية اليهود: الكويت - الصفاة

▪ **روبنشتاين: داني روبنشتاين**

٦٩- غوش إيمونيم الوجه الحقيقي للصهيونية: ترجمة غازي السعدي - دار الجليل - عمان الأردن، الطبعة الأولى، ١٩٨٣م.

▪ **أبو الروس: إيليا أبو الروس**

٧٠- اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية: منشورات دار الاتحاد - الطبعة الأولى - بيروت، ١٩٦٤م.

▪ **روكاخ: ليفيا روكاخ**

٧١- إرهاب إسرائيل المقدس: ترجمة مصطفى درويش - منشورات دار الكرمل - صامد - عمان الأردن - الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

▪ **روهلنج: روهلنج وشارل لوران**

٧٢- الكنز المرصود في قواعد التلمود: ترجمة الدكتور يوسف نصر الله - دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، ودارة العلوم للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

▪ **ريجنسيكي، م ريجنسيكي**

٧٣- أنبياء التوراة والنبوءات التوراتية: ترجمة أحو يوسف - دار الينابيع للنشر - دمشق - الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

▪ **الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي**

٧٤- تاج العروس من جواهر القاموس

▪ **الزركلي: خير الدين الزركلي (ت ١٩٧٦م)**

٧٥- الأعلام: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة التاسعة، ١٩٩٠م.

▪ **الزعبي: د. محمد علي الزعبي**

٧٦- دفائن النفسية اليهودية من خلال الكتب المقدسة: بيروت، ١٩٦٨م.

▪ **الزمخشري: الإمام جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨هـ)**

٧٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

- أبو زهرة: الإمام أبو زهرة

٧٨- محاضرات في النصرانية: دار الفكر العربي - القاهرة - الطبعة الثالثة، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

- الزوبي: ممدوح الزوبي

٧٩- الدعاية الصهيونية أو الطرق الخفية لتنفيذ القرار الصهيوني: دار ابن كثير - دمشق - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

- السامرائي: د. عبد الله سلوم السامرائي

٨٠- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية - دار واسط للنشر - لندن - بغداد - الطبعة الثالثة، ١٩٨٨م.

٨١- الولايات المتحدة الأمريكية والمؤامرة على الأمة العربية: دار الرشيد للنشر - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق، ١٩٨٢م.

- الساموك: د. سعدون محمود الساموك والدكتور رشدي محمد عليان

٨٢- تاريخ الديانتين: اليهودية والمسيحية: مديرية دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصول- ١٩٨٨م.

- السحمراني: د. أسعد السحمراني

٨٣- شهود يهوه: نشأتهم وأفكارهم: دار النفائس للطباعة والنشر - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

- السعد: جودت السعد

٨٤- الشخصية اليهودية عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

- ابن سعد: محمد بن سعد

٨٥- الطبقات الكبرى: دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

- سعد الدين: د. ليلى حسن سعد الدين

٨٦- أديان مقارنة - ولتجدنهم أحرص الناس على الحياة: دار الفكر للنشر والتوزيع - عمان - الأردن، ١٩٨٥م.

- السعدني: مصطفى السعدني

٨٧- أضواء على الصهيونية: القاهرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

■ السعدي: غازي السعدي

٨٨- مجازر وممارسات: دار الجليل للنشر - عمان - الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

■ أبو السعود (ت ٩٨٢هـ)

٨٩- تفسير العلامة أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: دار الفكر، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

■ السقا: د. أحمد حجازي السقا

٩٠- نقد التوراة أسفار موسى الخمسة.. السامرية.. العبرانية.. اليونانية: دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

■ السقاف: أحمد السقاف

٩١- العنصرية الصهيونية في التوراة: شركة الربيعان للنشر والتوزيع - الكويت - الصفاة - الطبعة الأولى، ١٩٨٤م.

■ السماك: محمد السماك

٩٢- الإرهاب والعنف السياسي: دار النفائس - الطبعة الثانية، ١٩٩٢م.

■ السموأل: السموأل بن يحيى بن عباس المغربي

٩٣- بذل المجهود في إفحام اليهود: تحقيق محمد حامد الفقي - مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها - القاهرة

■ سميسم: د. حميدة سميسم

٩٤- الإرهاب والحرب النفسية الإيرانية: الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

■ سنقرط: داود عبد العفو سنقرط

٩٥- جذور الفكر اليهودي: دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٩٦- اليهود في المعسكر الغربي: دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

■ السوداني: صادق حسن السوداني

٩٧- النشاط الصهيوني في العراق ١٩١٤هـ - ١٩٥٢م: دار الرشيد للنشر - منشورات وزارة الثقافة والإعلام - العراق، ١٩٨٠م.

▪ سوسة: د. أحمد سوسة

٩٨- العرب واليهود في التاريخ: العربي للإعلان والطباعة والنشر - دمشق - الطبعة الثانية.

▪ شاحاك: إسرائيل شاحاك

٩٩- حقيقة بيجين وشركائه.. مقتطفات وثائقية: منشورات مجلة فلسطين المحتلة - دار العودة - بيروت، ١٩٧٩م.

▪ شاش: السفير طاهر شاش

١٠٠- التطرف الإسرائيلي جذوره وحصاده: دار الشروق - القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

▪ الشامي: د. رشاد عبد الله الشامي

١٠١- الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية: سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

▪ شايدل: فرانتز شايدل

١٠٢- إسرائيل المعتدية: ترجمة محمد جديد: مطبعة وزارة الثقافة - دمشق، ١٩٧٠م.

▪ شبير: د. محمد عثمان شبير

١٠٣- صراعنا مع اليهود في ضوء السياسة الشرعية: مكتبة الفلاح - الكويت - الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

▪ شتيوي: د. شلبي شتيوي

١٠٤- التوراة دراسة وتحليل: مكتبة الفلاح: الكويت - الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

▪ شراب: محمد حسن شراب

١٠٥- بيت المقدس والمسجد الأقصى دراسة تاريخية موثقة: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

▪ الشرقاوي: عبد الله الشرقاوي

١٠٦- في مقارنة الأديان: دار الجيل - بيروت - الطبعة الثانية، ١٩٩٠م.

▪ الشريف: د. محمد بن الشريف

١٠٧- الشعب الملعون في القرآن: دار ومكتبة الهلال - بيروت لبنان - الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

▪ الشعبة السياسية: إدارة فلسطين ـ الجامعة العربية

١٠٨- اعتداءات إسرائيل قبل هجوم ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٥٦م على مصر: جامعة الدول العربية- الأمانة العامة - إدارة فلسطين - الشعبة السياسية ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

▪ شلبي: د. أحمد شلبي

١٠٩- مقارنة الأديان (١) اليهودية: مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة العاشرة، ١٩٩٣م.

١١٠- مقارنة الأديان (٢) المسيحية: مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م.

▪ شميس: عبد المنعم شميس

١١١- التلمود كتاب إسرائيل المقدس: دار النصر للطباعة - القاهرة.

▪ شنودة: زكي شنودة

١١٢- اليهود نشأتهم وعقيدتهم ومجتمعهم: مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

▪ الشهابي: د. إبراهيم الشهابي

١١٣- استراتيجية القرآن في مواجهة اليهود العالمية: منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٧م.

▪ الشواني: كريم نجم

١١٤- مفهوم الروح في الديانات السماوية: رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد، ١٩٩٨م.

▪ شوفاني: إلياس شوفاني

١١٥- مناحيم بيجين من الإرهاب إلى السلطة: مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

▪ صادق: وفا صادق

١١٦- أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة: دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن- الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

▪ صالح: عبد الجواد صالح

١١٧- الاحتلال الإسرائيلي وأثره على المؤسسات الثقافية والتربوية في فلسطين المحتلة: مركز القدس للدراسات الإنمائية - لندن - الطبعة الأولى، ١٩٨٥م.

▪ الصاوي: د. صلاح الصاوي

١١٨- التطرف الديني .. الرأي الآخر: الآفاق الدولية للإعلام - الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

▪ صايغ: أنيس صايغ

١١٩- الفكرة الصهيونية النصوص الأساسية: ترجمة لطفي العايد وموسى عنز - مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية - طبعة ١٩٧٠م.

١٢٠- يوميات هرتزل: ترجمة هلدا شعبان صايغ: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الثانية، ١٩٧٣م.

- طبارة: عبد الفتاح طبارة

١٢١- اليهود في القرآن: دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثامنة، ١٩٨٠م.

- الطبري: الإمام محمد بن جرير الطبري

١٢٢- تاريخ الأمم والملوك: دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الطبري: تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف - مصر.

- طعيمة: د. صابر عبد الرحمن طعيمة

١٢٤- الأسفار المقدسة قبل الإسلام: عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

١٢٥- التاريخ اليهودي العام: دار الجيل - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

١٢٦- اليهود في موكب التاريخ: مكتبة القاهرة الحديثة - الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

- طلفاح: خير الله طلفاح

١٢٧- حقيقة اليهود: الطبعة الأولى - بغداد، ١٩٧٧م.

- الطنطاوي: حسين ا وي

١٢٨- الصهيونية والعنف الفلسفة والاستراتيجية: تقديم د. حسن ظاظا - دار المسيرة - بيروت- الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

- وي: د. محمد سيد وي

١٢٩- بنو إسرائيل في القرآن والسنة: توزيع دار حراء - القاهرة - الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.

- الطهطاوي: المستشار محمد عزت الطهطاوي

١٣٠- محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن: مطبعة التقدم - القاهرة، ١٩٧٢م.

١٣١- الميزان في مقارنة الأديان - حقائق ووثائق: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت- الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

١٣٢- النصرانية في الميزان: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

■ ظاظا: د. حسن ظاظا

١٣٣- الشخصية الإسرائيلية: دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٣٤- الفكر الديني اليهودي .. أطواره ومذاهبه: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت - الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

■ العابد: إبراهيم العابد

١٣٥- العنف والسلام دراسة في الاستراتيجية الصهيونية: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت، ١٩٦٧م.

١٣٦- مدخل إلى الاستراتيجية الإسرائيلية: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت ١٩٧١م.

■ العبادي: عبد الحميد العبادي

١٣٧- الإسلام والمشكلة العنصرية: دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

■ عبد الحميد: د. محسن عبد الحميد

١٣٨- موقف اليهود من الإسلام والمسلمين: الرشد للطباعة والنشر - بغداد، ١٩٩٦م.

١٣٩- اليهود وتفجير الجنس: الرشد للطباعة والنشر - بغداد، ١٩٩٤م.

■ عبد ربه: نبيه عبد ربه

١٤٠- الحركات الإسلامية ضد الصهيونية والصليبية والشيوعية: دار الثقافة - قطر - الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.

■ عبد العليم: مصطفى كمال عبد العليم، وسيد فرج راشد

١٤١- اليهود في العالم القديم: دار القلم - طمشق، الدار الشامية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

■ عبد اللطيف: محمود عبد الرحمن عبد اللطيف

١٤٢- وعد الله ليس لبني إسرائيل: الهيئة العامة للتاليف والنشر - القاهرة، ١٩٧١م.

■ عبد الله: د. معتز سيد عبد الله

١٤٣- الاتجاهات التعصبية: سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

■ عبد الناصر: شوقي عبد الناصر

١٤٤- بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود: مؤسسة دار الكتاب الحديث بيروت - لبنان، ١٩٨٨م.



■ العسقلاني: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني

١٤٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

■ عصاصة: د. سامي عصاصة

١٤٦- قراءة في كتاب إسرائيل شاحاك: هل اليهودية التلمودية دين؟: الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

■ عطية: علي إمام عطية

١٤٧- الصهيونية العالمية وأرض الميعاد: مكتبة القاهرة الحديثة.

■ العظيم أبادي: أبو الطيب شمس الحق العظيم أبادي

١٤٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود: تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان - دار الفكر - المكتبة السلطية - الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

■ العقيلي: د. أرشيد العقيلي

١٤٩- اليهود في الجزيرة العربية: عمان، ١٤٠١هـ - ١٩٨٠م.

■ علي: زياد د علي

١٥٠- عداء اليهود للحركة الإسلامية: دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

■ عمرو: يوسف عمرو

١٥١- بنو إسرائيل في القرآن الكريم: تقديم د. أحمد شكري - الطبعة الأولى - عمان - الأردن، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

■ عنبتاوي: محسن عنبتاوي

١٥٢- لماذا نرفض السلام مع اليهود، جمعية التربية جامعة الكويت.

■ عون: كمال أحمد عون

١٥٣- اليهود من كتابهم المقدس إعداد الحياة الإنسانية: دار الشعب - القاهرة.

■ العويسي: د. عبد الفتاح العويسي

١٥٤- سجل المبعدين الفلسطينيين في مرج الزهور: منشورات فلسطين المسلمة - لندن - الطبعة الأولى، ١٩٩٤م.

- غربال: شفيق غربال

١٥٥- الموسوعة العربية الميسرة: دار النهضة، لبنان للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٨٠م.

- أبو غزالة: بسام أبو غزالة

١٥٦- الجذور الإرهابية لحزب حيروت الإسرائيلي: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت، ١٩٦٦م.

- الغضبان: منير محمد ا ``. ن

١٥٧- المنهج الحركي للسيرة النبوية: مكتبة المنار - الأردن، الزرقاء - الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.

- غلوب: فارس غلوب

١٥٨- الصهيونية على خطى النازية نجمة داود والصليب المعقوف: شرق بري - نيقوسيا - قبرص - الطبعة الأولى، ١٩٨٩.

- الفاروقي: د. إسماعيل راجي الفاروقي

١٥٩- الملل المعاصرة في الدين اليهودي: مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

- فتاح. د. عرفان عبد الحميد فتاح

١٦٠- اليهودية عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية: دار البيارق - بيروت، دار عمار - عمان- الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

- الفتلاوي: د. سهيل حسين الفتلاوي

١٦١- الصهيونية حركة استعمارية استيطانية توسعية: مطبعة عصام - بغداد، ١٩٩٠م.

١٦٢- الصهيونية حركة عنصرية إرهابية: مطبعة عصام - بغداد، ١٩٩٠م.

- فريق من الاختصا ``:

١٦٣- المجتمع والعنف: ترجمة الأب إلياس زحلاوي - منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي - دمشق، ١٩٧٥م.

- الفيروز آبادي: مجد الدين بن يعقوب

١٦٤- القاموس المحيط: دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- قاسمية: د. خيرية قاسمية

١٦٥- قضية القدس: دار القدس - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

▪ القاسمي: جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م)

١٦٦- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل: تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه - الطبعة الأولى ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

▪ القرضاوي: د. يوسف القرضاوي

١٦٧- الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف: كتاب الأمة - سلسلة فصلية تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر ١٤٠٢هـ.

١٦٨- القدس قضية كل مسلم: سلسلة رسائل ترشيد الصحوة - مكتبة وهبة - القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

▪ القشطيني: خالد القشطيني

١٦٩- الجذور التاريخية للعنصرية الصهيونية: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

▪ قطب: سيد قطب

١٧٠- في ظلال القرآن: دار الشروق - القاهرة - الطبعة الشرعية العاشرة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

▪ قطب: علي قطب

١٧١- يهود الدونمة: دار القلم - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

▪ القمني: سيد القمني

١٧٢- إسرائيل.. التوراة.. التاريخ.. التضليل: دار قباء للطباعة والنشر - القاهرة، ١٩٩٨م.

▪ قهوجي: حبيب قهوجي

١٧٣- استراتيجية الصهيونية وإسرائيل تجاه المنطقة العربية والحزام المحيط بها: إصدار مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية - دمشق، ١٩٨٢م.

١٧٤- العرب في ظل الاحتلال الإسرائيلي منذ ١٩٤٨: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث - بيروت، ١٩٧٢م.

▪ ابن القيم: الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)

١٧٥- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: تحقيق طه عبد الرءوف سعد - دار إحياء الكتب العربية.

١٧٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: تحقيق د. محمد أحمد الحاج - دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

▪ كار: وليام غاي كار

١٧٧- أحجار على رقعة الشطرنج: ترجمة سعيد جزائري - دار النفائس - بيروت - الطبعة العاشرة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٧٨- اليهود وراء كل جريمة: شرح وتعليق خير الله طلفاح.

▪ ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)

١٧٩- البداية والنهاية: مكتبة المعارف بيروت - الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

١٨٠- تفسير القرآن العظيم: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

▪ كنعان: د. جورجي كنعان

١٨١- أمجاد إسرائيل في أرض فلسطين: دار الطليعة - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

١٨٢- تاريخ يهوه: منشورات الدار العربية للعلوم - بيروت - الطبعة الثانية، ١١٩٩٤م.

١٨٣- سقوط الإمبراطورية الإسرائيلية: دار الطليعة - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

١٨٤- وثيقة الصهيونية في العهد القديم: الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

▪ الكيلاني: إسماعيل الكيلاني

١٨٥- الخلفية التوراتية للموقف الأمريكي: المكتب الإسلامي - بيروت، دمشق، عمان - الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

▪ لوبون: غوستاف لوبون

١٨٦- اليهود في تاريخ الحضارات الأولى: ترجمة عادل زعيتر - القاهرة، طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٠م.

▪ ليلينتال: ألفريد ليلينتال

١٨٧- ثمن إسرائيل: ترجمة حبيب نحولي وياسر حواري - المكتب التجاري للطباعة والتوزيع- بيروت- الطبعة الخامسة، ١٩٦٧م.

▪ ابن ماجة: الحافظ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة

١٨٨- سنن ابن ماجة: تحقيق محمد مصطفى الأعظمي - شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة - الرياض الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

▪ مؤسسة الدراسات الفلسطينية:

١٨٩- من هم الإرهابيون.. حقائق عن الإرهاب الصهيوني الإسرائيلي: مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

■ المؤسسة العربية:

١٩٠- القوة العسكرية الإسرائيلية: مركز العالم الثالث للدراسات والنشر - لندن، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

■ مبيض: يسر

١٩١- اليوم الآخر في الأديان السماوية: رسالة ماجستير غير منشورة - كلية العلوم الإسلامية- جامعة بغداد، ١٩٩٠م.

■ . عة من الكتاب السوفييت:

١٩٢- الصهيونية نظرية وممارسة: ترجمة يوسف سلمان - دار الطليعة - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

■ . عة من المؤلفين:

١٩٣- الصهيونية والعنصرية - أبحاث المؤتمر الفكري حول الصهيونية - بغداد ٨-١٢/١١/١٩٧٦م: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

■ : عبد الراضي

١٩٤- التطرف اليهودي تاريخه.. أسبابه، علاماته: مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي - القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

■ مخلوف: حسنين مخلوف

١٩٥- المصحف المفسر تفسير وبيان: دار الفجر الإسلامي - دمشق، اليمامة للطباعة والنشر - دمشق - الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

■ : بولس حنا

١٩٦- همجية التعاليم الصهيونية: تقديم محمد خليفة التونسي - دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٦٩م.

■ مسلم: أبو الحسين مسلم بن ا . ج بن مسلم القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)

١٩٧- صحيح مسلم بشرح النووي: تحقيق عبد الله أبو زينة - طبعة الشعب - القاهرة.

■ المسيري: د. عبد الوهاب المسيري

١٩٨- الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي: معهد البحوث والدراسات العربية - جامعة الدول العربية - القاهرة، ١٩٧٥م.

١٩٩- موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - القاهرة - طبعة، ١٩٧٤م.

٢٠٠- نهاية التاريخ دراسة في بنية الفكر الصهيوني: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٢٠١- اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية: دار الشروق - القاهرة - الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

■ مقار: "" مقار

٢٠٢- الجنس في التوراة وسائر العهد القديم: دار يعرب للدراسات والنشر - دمشق - الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٢٠٣- قراءة سياسية للتوراة: رياض الريس للكتب والنشر - لندن - قبرص - الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

■ ملكاوي: د. عبد القادر ملكاوي

٢٠٤- المناظرة الكبرى بين العلامة الشيخ رحمت الله والدكتور القسيس فندر: تحقيق وتعليق د. محمد ملكاوي، مطابع الصفا بمكة المكرمة - الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

■ منصور: أحمد منصور

٢٠٥- النفوذ اليهودي في الإدارة الأمريكية: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت - الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

■ ابن منظور: جمال الدين بن مكرم الأنصاري(٦٣٠ - ٧١١هـ)

٢٠٦- لسان العرب: مطبعة بولاق - المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - الدار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، ١٣٠٠م.

■ الميداني: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني

٢٠٧- مكايد يهودية: دار القلم - دمشق - الطبعة السادسة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

■ ناجي: س ناجي

٢٠٨- المفسدون في الأرض: مطبعة الإنشاء بدمشق - الطبعة الأولى، ١٩٦٥م.

■ نادر: جمال نادر

٢٠٩- المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان بين ديدات وسواجارت: دار الإسراء للنشر والتوزيع - عمان - الأردن - الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.



■ نخبة من الكتاب والباحثين:

٢١٠- القضية الفلسطينية في نصف قرن: منشورات فلسطين المسلمة - الطبعة الأولى - لندن، ١٩٩٩م.

■ النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي

٢١١- سنن النسائي: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٤٨هـ - ١٩٣٠م.

■ نعناعة: محمود نعناعة

٢١٢- المشكلة اليهودية وهل تحلها إسرائيل؟ القاهرة، سنة ١٩٧٢م.

■ النعيمي: د. أحمد نوري النعيمي

٢١٣- اليهود والدولة العثمانية: وزارة الثقافة والإعلام - العراق - دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٩٠م.

■ نويهض: عجاج نويهض

٢١٤- بروتوكولات حكماء صهيون: منشورات فلسطين المحتلة - الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

■ هانت: سونيا هانت، وجنيفير هيلتن

٢١٥- نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية: ترجمة د. قيس النوري - دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - سلسلة المئة كتاب - الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

■ ابن هشام: عبد الملك بن هشام

٢١٦- السيرة النبوية: تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي - دار الفكر.

■ الهندي: الشيخ رحمت الله الكيرواني الهندي

٢١٧- إظهار الحق: تحقيق د. أحمد حجازي السقا - دار التراث العربي للطباعة والنشر - جمهورية مصر العربية، ١٩٧٧م.

■ الهندي: هاني الهندي ومحسن إبراهيم

٢١٨- إسرائيل فكرة.. حركة.. دولة: دار الفجر الجديد للطباعة والنشر - بيروت، ١٩٥٨م.

■ هويدي: فهمي هويدي

٢١٩- حتى لا تكون فتنة: دار الشروق - القاهرة - الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

■ وافي: د. علي عبد الواحد وافي

٢٢٠- اليهودية واليهود: مكتبة غريب

■ وايزمن: حاييم وايزمن

٢٢١- مذكرات وايزمن بقلمه: بدون مترجم، طبعة ١٩٥٢م

■ وجدي: محمد فريد وجدي

٢٢٢- دائـرة معـارف القـرن العشريـن: دار المعرفـة للطباعـة والنشـر - بيـروت لبنـان - الطبعـة الثالثـة، ١٩٧١م.

■ ول ديورانـت:

٢٢٣- قصة الحضارة: ترجمة محمد بدران - مطابع الدجوي - عابدين - القاهرة - الطبعة الخامسة، ١٩٧١م.

الدوريـــــات(*)

٢٢٤- مجلة أم المعارك - العراق - السنة الأولى - العدد الثاني نيسان (أبريل) ١٩٩٥م - ذو القعدة ذو الحجـة ١٤١٥هـ - مقـال بعنـوان (الإرهـاب في السلوك السياسي الخـارجي للولايات المتحدة الأمريكية) لفكرت نامق عبد الفتاح.

٢٢٥- شؤون الأوسط - لبنـان - العـدد ٥١، نيسان (أبريل) أيار (مـايو) ١٩٩٦م. مقـال بعنوان (عملية عناقيد الغضب.. خلفيات التصعيد الإسرائيلي) لهاني عبد الله.

٢٢٦- مجلـة الشريعـة - العـدد ٣٢٥، كانـون الثـاني ١٩٩٢م، (التطـرف.. عقـدة نفسيـة) لمحمـد رجـب سلامة.

٢٢٧- مجلة الشريعة - العدد ٣٢٨ - نيسان ١٩٩٣م، (الإذاعات الموجهة تشوه صورة العالم الإسلامي) لمحمود عبد العاطي.

٢٢٨- مجلة فلسطين المسلمة - لندن - السنة الثالثة عشرة - العدد الثاني - شباط (فبراير) ١٩٩٥م - الانتهاكات الصهيونية للمقدسات في أراضي ٤٨، محمد عادل عقل.

٢٢٩- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الثالثة عشرة - العدد التاسع - أيلول (سبتمبر) ١٩٩٥م.

٢٣٠- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الرابعة عشرة - العدد الثاني - شباط (فبراير) ١٩٩٦م. (عداء اليهود للرسول ﷺ) إبراهيم العلي.



٢٣١- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الرابعة عشرة - العدد السابع - تموز (يوليو) ١٩٩٦م (العقوبات الربانية لليهود) إبراهيم العلي.

٢٣٢- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الرابعة عشرة - العدد التاسع - أيلول (سبتمبر) ١٩٩٦م (العقوبات الربانية لليهود - المسخ قردة وخنازير).

٢٣٣- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الرابعة عشرة - العدد الحادي عشر - تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٩٦م (قصة النفق الذي يكرس أحلام الصهاينة بالهيكل المزعوم) خاص بالمجلة.

٢٣٤- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الرابعة عشرة - العدد الثاني عشر - كانون أول (ديسمبر) ١٩٩٦م (العقوبات الربانية لليهود... إلقاء العداوة والبغضاء بينهم) إبراهيم العلي.

٢٣٥- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الخامسة عشرة - العدد الثالث - آذار (مارس) ١٩٩٧م (العقوبات الربانية لليهود - التيه وقتل بعضهم بعضًا) إبراهيم العلي.

٢٣٦- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الخامسة عشرة - العدد الخامس - أيار (مايو) ١٩٩٧ (القدس والمسجد الأقصى والحصار) محمود عرب سعيد، ومقالة أخرى بعنوان (أخذ بني إسرائيل بالصاعقة ورفع الطور فوقهم) د. صلاح الخالدي. ومقالة ثالثة بعنوان (أخلاق اليهود في الميزان - نقد العهود والمواثيق) إبراهيم العلي.

٢٣٧- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الخامسة عشرة - العدد الثاني عشر - كانون أول (ديسمبر) ١٩٩٧م. (١٧ وسيلة تعذيب يتبعها المحققون في السجون الصهيونية) خاص بالمجلة.

٢٣٨- مجلة فلسطين المسلمة - السنة السادسة عشرة - العدد الثالث - آذار (مارس) ١٩٩٨م (الصهاينة يدفعون باتجاه الحرب لتفتيت العراق وتكريس سيطرتهم على المنطقة) عبد الكريم حمودي.

٢٣٩- مجلة فلسطين المسلمة - السنة السادسة عشرة - العدد الخامس - أيار (مايو) ١٩٩٨م (ملف خاص حول اغتيال الشهيد المهندس محي الدين الشريف) خاص بالمجلة.

٢٤٠- مجلة فلسطين المسلمة - السنة السادسة عشرة - العدد العاشر - تشرين أول (أكتوبر) ١٩٩٨م (استشهاد عماد وعادل عوض الله يخلط أوراق المنطقة..) أسامة مصطفى.

٢٤١- مجلة فلسطين المسلمة - السنة السابعة عشرة - العدد الثالث - آذار (مارس) ١٩٩٩م (اليهود يعتبرون الله فقيرًا وهم أغنياء) د. صلاح الخالدي.

٢٤٢- مجلة فلسطين المسلمة - السنة السابعة عشرة - العدد الرابع - نيسان (أبريل) ١٩٩٩م (مقتل الزعيم اليهودي كعب بن الأشرف) د. صلاح الخالدي.

٢٤٣- مجلة فلسطين المسلمة - السنة السابعة عشرة - العدد السادس - حزيران (يونيو) ١٩٩٩م (افتتاحية العدد)، ومقالة أخرى بعنوان (تشابك برامج الأحزاب الإسرائيلية بعد قراءة نتائج الانتخابات) خاص بالمجلة.

٢٤٤- مجلة فلسطين المسلمة - السنة السابعة عشرة - العدد الحادي عشر - تشرين أول (نوفمبر) ١٩٩٩م (حيي بن أخطب - زعيم الحقد اليهودي) د. صلاح الخالدي.

٢٤٥- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الثامنة عشرة - العدد الثاني - شباط (فبراير) ٢٠٠٠م (خبر صحفي).

٢٤٦- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الثامنة عشرة - العدد الثالث - آذار (مارس) ٢٠٠٠م (شخصانية المرأة المسلمة) د. محسن عبد الحميد.

٢٤٧- مجلة فلسطين المسلمة - السنة الثامنة عشرة - العدد السادس - حزيران (يونيو) ٢٠٠٠م (انتصار تاريخ المقاومة اللبنانية وهزيمة مذلة للجيش الإسرائيلي) خاص بالمجلة.

٢٤٨- مجلة الفيصل - العدد ١٦٢ - يوليو ١٩٩٠م (الإسرائيليون أين وكيف ظهروا؟) محمد إسماعيل علي.

٢٤٩- مجلة الموافقات - العدد السادس - ١٩٩٧م - ١٩٩٨م (إرهاب الاستعمار الفرنسي في الجزائر) د. عمار مساعدي.

٢٥٠- مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٣٢٨ - مارس ١٩٩٣م (مجزرة الحرم الإبراهيمي) افتتاحية العدد.

٢٥١- مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٣٤٥ - أكتوبر ١٩٩٤م (العنف عند الحاخامات) حسين عبد الحافظ.

٢٥٢- مجلة الوعي الإسلامي - العدد ٣٧٨ - يونيو ١٩٩٧م (المتطرفون يشددون قبضتهم على المجتمع الإسرائيلي) عبد المنعم أحمد.

٢٥٣- صحيفة السبيل - صحيفة أسبوعية أردنية - العدد ٣٣٧ - السنة السابعة - الثلاثاء ٦-١٢/حزيران/٢٠٠٠م (تجارة الرقيق الأبيض) من تقرير نزار رمضان.

٢٥٤- صحيفة المجد - [illegible] أسبوعية أردنية - العدد ٢٠٣-٢٧/نيسان/١٩٩٨م.

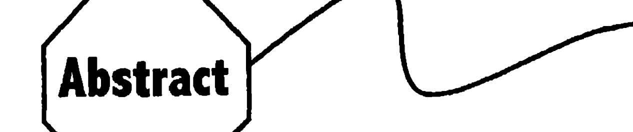
٢٥٥- صحيفة المجد - العدد ٢٥٠ - ٢٩/آذار/١٩٩٩م.

٢٥٦- قناة الجزيرة الفضائية - قطر - برنامج بلا حدود (مقابلة مع السيد خالد مشعل) يوم ١٩٩٩/٣/٢٦م.

٢٥٧- تليفزيون العراق - قناة العراق - برنامج أحداث الأسبوع، الساعة الثانية بعد الظهر، يوم الجمعة الموافق ٢٠٠٠/١/٢٨م.

٢٥٨- تليفزيون العراق - قناة العراق - مساء يوم ٢٠٠٠/٦/٥م نقلاً عن قناة الجزيرة الفضائية - قطر برنامج سري للغاية.

٢٥٩- إذاعة راديو طهران - برنامج (الإرهاب منطق الصهيونية) بعد نشرة الساعة الثانية عشرة ظهرًا بتوقيت طهران - حزيران ٢٠٠٠م.



ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

The study titled by "Jaws extremism and Violence in Jaws thought and Holly Koran". It includes fife chapters preceded by preface and ended with conclusion. It detailed the importance of the subject, reasons of choosing it and the researcher approach.

First Chapter: it speaks about linguistics and terminological concepts of extremism, violence, terrorism, fanaticism and racial, explaining extremism reasons and aspects. Giving detail about the following down of extremism and jaw violence events from the beginning of their history till the Romans epoch and their separation after destroying their alleged temple.

Second Chapter: it specialized for jaw extremism and their violence in Torah and Old Testament through distortion Torah and the evidence show this. Then aspect of religious extremism in Torah representing their daring on God and their prophets, their denial of Day of Resurrection and the hereafter. It shows the political extremism in Torah embodied in their racial and their deceive and killing situations as Torah shows and their Holly books, then, it speaks about social extremism by shading a light on sex; usury and Old Testament.

Third Chapter: it devoted to speak about extremism and violence in Talmud and rabbi sayings where as we explained the Talmud impact in Jaws extremism and it's importance for jaws, then, we show the Talmudian extremism in it's instructions and recommendation concerned with fifth then we explained Talumdian violence against Christ and Christianity. At the end of the chapter we speak about rabbies role in extremism and violence and the extent that these phenomena master their thought and faith.

Fourth chapter: it devoted to extremism and Zionist violence in modern age; where we start with clearing the Zionist violence in Europe then ottoman state and Arabic world then Zionist violence in Palestine regarding it as core of Arabic - Zionist conflict.

This chapter shows the dangerous role of jaws in great world revolution and Zionist conspiracy in destroying ottoman caliphate with shading a light on the most prominent violence phenomena in Arabic world and we detail the speaking about Zionist violence against Palestine showing the important massacre committed against jaws and their aggression on people and sacred things in Palestine.

Chapter five: It devoted to show the reason of jaws aggression against Islam then Koranic impasses on their extremism and violence and the Koranic view about that, this chapter gives a picture about jaws conspiratorial role against Islam and their violence against the prophet Mohammed and his Muslim followers, after that, the Koran view about there extremist sayings impressing on their arrogance nature.

The end of the chapter speaks about the end of jaws by showing the punishment that imposed on them in every hostile behavior come from them, then the curses and punishment followed them to the Day of Judgment, in away come with the nature of their extremism and violence.

The conclusion included the important results and recommended that we reach to.

صدر من سلسلة كتاب القدس

١- الخطر يتهدد بيت المقدس	د. أحمد صدقي الدجاني
٢- القدس قضية أمة	الشيخ د. جاسم بن مهلهل الياسين
٣- أورشليم القدس في الفكر الديني الإسرائيلي	د. محمد جلاء إدريس
٤- حرب تكنولوجية لقمع الانتفاضة	د. وجدي عبد الفتاح سواحل
٥- مدن فلسطينية.. آثار تتحدى الأساطير	أ. فيصل الخيري
٦- القدس بين الانتفاض والتفاوض	د. محمد خالد الأزعر
٧- انتفاضة الإنترنت من الجهاد المسلح إلى الجهاد الإليكتروني	د. وجدي عبد الفتاح سواحل
٨- القدس قضية كل مسلم	د. يوسف القرضاوي
٩- القضية الفلسطينية.. خلفياتها وتطوراتها حتى سنة ٢٠٠١م	د. محسن محمد صالح
١٠- ملحمة جنين	تحرير: عبد القادر ياسين
١١- من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية	د. عبد الوهاب المسيري
١٢- القدس وانتفاضة الأقصى وحرب العولمة	د. أحمد صدقي الدجاني
١٣- الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة	د. حلمي محمد القاعود
١٤- نقض شريعة الهيكل وكيف تعود القدس؟	أ. عبد التواب مصطفى
١٥- انتفاضة الأقصى نموذج حضاري إسلامي للمقاومة	د. سليمان صالح
١٦- الفكر اليهودي بين تأجيج الصراعات وتدمير الحضارات	د. عبد الحليم عويس
١٧- القنابل الاستشهادية: توازن ردع وبشائر نصر	د. وجدي سواحل
١٨- تحرير فلسطين: الثوابت، المتغيرات، الواجبات	د. السيد عبد الستار المليجي
١٩- القدس: مقدسات لا تمحى وآثار تتحدى	د. أحمد الصاوي
٢٠- انتفاضة الأقصى والاستقلال.. تحديات وآفاق	د. عبد العليم محمد
٢١- الطريق إلى القدس	د. محسن محمد صالح
٢٢- العمليات الاستشهادية في الميزان الفقهي	نواف هايل تكروري

٢٣ - مدن الرباط	م. فتحي شهاب
٢٤ - المنسيون في غياهب الاعتقال الصهيوني	إبراهيم أبو الهيجاء
٢٥ - أطفال تحت الاحتلال	إبراهيم أبو الهيجاء
٢٦ - أرض الإسراء.. دروس في العزة والفداء	ناصر الفضالة
٢٧ - المقاطعة.. فريضة وضرورة	الشيخ محمد السيد الشناوي
٢٨ - العمليات الاستشهادية في منظور السياسة الشرعية	د. سامي الصلاحات
٢٩ - إسرائيل وغزو العراق	لواء. أ.ح/ حسام سويلم
٣٠ - الانتفاضة المباركة.. انتصارات وبشائر	حسن محمد أحمد
٣١ - المسجد الأقصى.. أربعون عامًا من الاحتلال	مركز الإعلام العربي
٣٢ - فلسطين	العلامة محمد البشير الإبراهيمي

صدر من سلسلة كراسات القدس

١ - الطريق إلى حطين والقدس	د. أحمد صدقي الدجاني
٢ - جدار بني صهيون.. الأضرار والمخاطر	أ. حسن محمد أحمد
٣ - حصاد الانتفاضة	د. سامي الصالحي
٤ - حماس.. المنطلقات والأهداف	أ. علاء النادي
٥ - الشيخ أحمد ياسين.. وفقه الجهاد لتحرير فلسطين	د. محمد عمارة
٦ - الشيخ رائد صلاح مجاهد من أجل الأقصى	أ. إحسان سيد
٧ - الأقصى في خطر	د. محمد العامر
٨ - المقاطعة في مواجهة التطبيع	د. مجدي قرقر
٩ - رسالة من المسجد الأقصى إلى كل غيور	الشيخ رائد صلاح
١٠ - أمة المقاومة	د. علاء الدين محرم
١١ - بيت المقدس ميراث الأمة المسلمة	د. جمال عبد الهادي، ود. وفاء محمد رفعت
١٢ - مؤرخون يزورون تاريخ بيت المقدس	د. جمال عبد الهادي، ود. وفاء محمد رفعت
١٣ - الجهاد الاقتصادي.. فريضة شرعية	د. حسين حسين شحاتة

صدر من سلسلة رسائل القدس

١ - فلسطين.. الإنسان والأرض	الشيخ الدكتور/ عكرمة صبري
٢ - القدس وفلسطين.. الرمز والمقاومة	المستشار طارق البشري / د. سيف الدين عبد الفتاح
٣ - القدس أمانة عمر.. في انتظار صلاح الدين	د. محمد عمارة
٤ - القضية الفلسطينية.. حقائق وثوابت	د. محسن محمد صالح
٥ - مكانة بيت المقدس	د. محمد عمارة / د. عبد الحليم عويس
٦ - نساء من أرض الإسراء	نور الهدى سعد
٧ - صلاح الدين.. محرر القدس	أيمن حمودة
٨ - ثمرات الانتفاضة	د. سامي الصالحي
٩ - الأقصى كيف يعود؟	عمرو خالد
١٠ - صراع المصطلح ومعركة الهوية	علاء النادي
١١ - المرأة الفلسطينية وانتفاضة الأقصى	سامي الصلاحات
١٢ - منهاج صلاح الدين في تحرير القدس وفلسطين	سعود أبو محفوظ

صدر من سلسلة أدب القدس

١ - فلسطين مأساة ونضال	د. جابر قميحة
٢ - ديوان المقاومة	أ. فريد عبد الخالق
٣ - أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني	د. جابر قميحة
٤ - قصائد تركية من وحي الانتفاضة	ترجمة وتحقيق عبد العزيز محمد عوض الله
٥ - ملحمة القدس	د. عبد الغني التميمي
٦ - القدس تتكلم	للشاعر محمود حسن إسماعيل
٧ - فلسطين على قائمة الانتظار	للشاعر محمد أبو دية

العنوان	المؤلف
٨ - يا فتية القدس	للشاعر وليد الأعظمي
٩ - القدس الشريف بين شعراء الدول الإسلامية	د. حسين مجيب المصري
١٠ - زيتونة بيت المقدس	عبد الرحمن فرحانة
١١ - انتفاضة الأقصى في الشعر النسائي	أنس حسام النعيمي
١٢ - زغاريد السجون	الشيخ رائد صلاح
١٣ - يوم في المخابرات العامة	د. محمد الشيخ محمود صيام

صدر من سلسلة فلسطين مواقف وآراء

العنوان	المؤلف
١ - الإخوان المسلمون والقضية الفلسطينية	إبراهيم الخطيب
٢ - مصطفى مشهور والقضية الفلسطينية	إحسان سيد
٣ - الشيخ أحمد ياسين مجددًا	سامي الصلاحات
٤ - عبد العزيز الرنتيسي قائدا مجاهدًا	د. محمد العامر

صدر من سلسلة دراسات فلسطينية

العنوان	المؤلف
١ - فلسطين.. دراسات منهجية في القضية الفلسطينية	د. محسن صالح
٢ - جدار الخوف	إبراهيم أبو الهيجاء
٣ - شهيد فلسطين أحمد ياسين	مجموعة من العلماء والمفكرين والأدباء والكتاب
٤ - زاد الخطيب إلى الأقصى الحبيب	مجموعة من العلماء والمفكرين والأدباء والكتاب
٥ - أعلام الهدى في بلاد المسجد الأقصى	ياسين طاهر الأغا - نبيلة فخري الأغا
٦ - قضية القدس ١٩٤٧م - ١٩٦٧م	حسين إمام سيد محمد
٧ - خنساء في فلسطين (١، ٢)	غسان دوعر

صدر من سلسلة رسائل علمية

١- الحركة الإسلامية في قطاع غزة بين الدعوة والسياسة	عدنان أبو عامر
٢- اليهودية الأرثوذكسية	سائد خليل عايش
٣- فلسطين الأرض المباركة	د. حمدان عبد اللطيف حمدان
٤- التطرف والعنف في الفكر اليهودي	د. مجدي عبد الله أبو عويمر
٥- نهاية دولة يهود	د. حمدان عبد اللطيف حمدان

صدر من سلسلة موسوعة إحياء الذاكرة الفلسطينية

(١) جرح النكبة جـ١	د. إبراهيم أبو جابر (وآخرون)
(٢) جرح النكبة جـ٢	د. إبراهيم أبو جابر (وآخرون)
(٣) جرح النكبة جـ٣	د. إبراهيم أبو جابر (وآخرون)

صدر من سلسلة ندوات مؤتمرات

١- المشروع الإصلاحي للإمام حسن البنا	مجموعة من العلماء والمفكرين وقادة الرأي
٢- استراتيجية المقاومة الشاملة	مجموعة من العلماء والمفكرين وقادة الرأي

صدر من سلسلة شهداء فلسطين

١- شهداء على بوابة الأقصى	حسن محمد أحمد

صدر من سلسلة عين على القدس

١- عين على الأقصى (١)	قسم الإعلام والأبحاث بمؤسسة القدس الدولية

المحتويات



٤٨٧



200 شـارع الهـــرم - الجيـــزة - مصـــر
ت :202/3833361 - 202/3844422 - 202/3833198
التـــوزيع : 202/7445455 - ف : 202/3851751
العنوان البريدي : ص . ب 93 الهرم-الجيزة- مصر
البريد الإلكتروني : E.mail:media-c@ie-eg.com
الموقع على شبكة الإنترنت :
www.Resalah4u.com